

صدر الدين محمد الشيرازي

مجموعة الرسائل الفلسفية

المجلد الثاني

وهو يشمل

حشر الأشياء، الحشرية، خلق الأعمال،

القضاء والقدر، المعاد الجسماني

منشورات الجمل

صدر الدين محمد الشيرازي
ملا صدرا

مجموعة الرسائل الفلسفية

المجلد الثاني

وهو يشمل

حشر الأشياء، الحشرية، خلق الأعمال،
القضاء والقدر، المعاد الجسماني

ترجمة المقدمات: غسان حمدان

منشورات الجمل

صدر الدين محمد الشيرازي ملا صدرا، مجموعة الرسائل الفلسفية / المجلد الثاني،

ترجمة المقدمات: غسان حمدان الطبعة الاولى

كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية

محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠٢١

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤

ص ب: ١١٣/٥٤٣٨ - بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2021

Postfach 1127, 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

رسالة في حشر الأشياء

تحقيق وتقديم

الدكتور سعيد نظري توكلي

المقدمة

إن كنوز المؤلفات والكتب المتداولة بين أيدينا دليل على اهتمام الإيرانيين بالمباحث الفلسفية - العقلية، حتى قبل ترجمة مؤلفات فلاسفة الإغريق من قبل المفكرين المسلمين^(١).

ومن هذا المنطلق فإننا نادرأ ما نجد مدينة أو قرية في هذه البلاد الشاسعة لم تقدم فيلسوفاً أو متكلماً أو عارفاً ما؛ ومن الشرق حتى الغرب ومن الشمال حتى جنوب إيران، ظهر عدد من المشاهير يكفي أي واحد منهم أن يكون مدعاة للتفاخر والتباهي.

وفي هذه الأثناء تحولت مدينة شیراز، بفضل عدم توسع المد المغولي فيها إلى منطقة آمنة حيث أصبحت خلال قرون عديدة مهد الحكماء والأدباء والعلماء المعروفين.

وفي هذه الفترة ولد صدر المتألهين الشيرازي المعروف، بالملا صدرا، (في التاسع من جمادي الأولى عام ٩٨٠ هجري قمري) في عائلة ذات نفوذ. وقد شاءت الأقدار أن يتر هذا العالم مسقط رأسه منذ طفولته وذلك بالتزامن مع التطورات السياسية في بلاد فارس آنذا، ويرحل إلى قزوین وأصفهان لكسب العلوم، وفي النهاية يرتحل إلى مدينة قم بسبب تحجر وتطرف معاصريه من جهة وطموحاته هو نفسه من جهة أخرى ويعتزل الحياة في قرية «كهك»؛ ولكن بعد

(١) وحول هذا الأمر كتب المؤرخ الشهير المسعودي: «وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها، وإن كانت أخبارهم قد درست ومناقبهم قد نسيت ورسومهم قد انقطعت لمر الزمان وتتابع الحدان» التنبيه والإشراف، ص ٩٢.

عدة سنوات عاد إلى مسقط رأسه وذلك بعد تلقيه دعوة من والي شیراز إمام قلي خان.

ومن دون شك تُعد مدرسة صدر المتألهين الشيرازي الفلسفية في العصر الصفوي وفي حوزة أصفهان العلمية، من ضمن المدارس الفلسفية التي أثارت بشكل عميق على تطور الفلسفة الإيرانية - الشيعية^(١).

ومن أهم السمات الفلسفية لصدر المتألهين توفيقه بين أصول الفلسفة المشائية والإشراقية من جهة، والأصول العرفانية لابن عربي وأتباعه من جهة أخرى. وفي هذا الصدد يقول البروفيسور هنري كوربان:

«إذا اعتبرناه محققاً من صنف ابن سينا، فعلينا أن نضيف أنه إشراقي بالفعل أيضاً؛ وفي الوقت نفسه يزخر بأفكار ابن عربي. وبعد الملاء صدر أحد أهم الأفلاطونيين الإيرانيين - الإسلاميين الجدد، وفي الوقت ذاته هو مفكر شيعي أيضاً»^(٢).

ولكن كم نجح صدر المتألهين في أسلوبه هذا وما هو تاريخ أصوله المبتكرة في مجال الفلسفة وهل لها نظير في النصوص الفلسفية والعرفانية القديمة، فهذا أمر آخر ينبغي على المحققين المختصين في المصادر والآراء الفلسفية والحكماء المعاصرين والسابقين له أن يقدموا بحوثهم وآرائهم.

على كل، لقد وصلنا تقريباً أربعون كتاب ورسالة علمية في مواضيع مختلفة من صدر المتألهين ومن بينها رسالته الموجزة المعنونة «حشر الأشياء». وقد شرح في مقدمة هذه الرسالة أنه ألّفها بناءً على طلب أحد أصدقائه:

فقد سألت يا أخي - أطال الله بقاءك في سبيل المعرفة والهدى، وسدّدي سلوالمحجة البيضاء - عن حشر جميع الأشياء إليه تعالى حتى طبائع الجماد

(١) من أجل مزيد من المعلومات انظر كتاب «ملا صدرا فيلسوف ومتفكر بزرگ اسلامي»، صفحة ٩ وما بعدها.

(٢) مقدمة المشاعر، صفحة ٣٣.

والنبات والعجماء، فضلاً عن غيرها من ذوات العلم والحياة وكل ما في الأرض والسموات؛ فأجبت مسألك ومبتغاك، وسعيت في قضاء مأمولك ومدّعاك، وإن لم أكن أهلاً لذلك، ألا أني أعاني مجيب الدّعوات، وأرشدني منزل الخيرات، وواهب الحكمة والآيات.

من جهة أخرى يحيل في الفصل الأول من هذه الرسالة القراء في مسألتي «العقول هي الوجود المحض» و«اتحاد العقل والمعقول»، إلى كتابه الأسفار؛ ولذلك فيجب أن تكون هذه الرسالة قد كتبت بعد الأسفار. ولكن مع القليل من الانتباه في مواضيع هذه الرسالة يتبين لنا أن صدر المتألهين كرّر نصوص الفصل الثالث عشر من الباب الحادي عشر للمجلد التاسع من كتاب الأسفار بالعبارات ذاتها ومع تغيير بسيط في هذه الرسالة. وعلى سبيل المثال ألف صدر المتألهين هذه الرسالة في ستة فصول، ولكننا نري في الأسفار أنه قسّم نصوصه في ست «دعاوي» بدلاً عن استخدام الفصول. وبناءً على ذلك فإذا اعتبرنا رسالة «الحشر» أثراً مستقلاً لصدر المتألهين، يبدو أننا متساهلون مع هذا الأثر إلى حد ما.

على كل حال فإن موضوع هذه الرسالة هو حشر الموجودات، حيث يبحث صدر المتألهين هذه المسألة في قالب مقدمة وثمانية فصول ومن مجموعها يستنتج أن جميع مراتب الكون من العقل حتى المادة الأولى ستعود جميعها إلى مبدئها.

وما يتجلي بشكل واضح من دراسة هذه النصوص هو حجم تأثير صدر المتألهين بأراء أفلوطين، حيث ألف أغلب مواضيع هذه الرسالة مقتبساً عن كتاب «الأثولوجيا». ومع أنه نسب بالخطأ هذا الكتاب إلى أرسطو، ولكن كما بينت بحوث القرون الأخيرة فإن هذا الكتاب يعود إلى أفلوطين.

ومن أهم سمات مدرسة أفلوطين عرفانيتها لأنه هو نفسه من أصحاب الكشف والشهود، وكان قادراً على فهم الحقائق بشكل مباشر، وبسبب هذه الخصيصة مزج صدر المتألهين نصوص أفلوطين بنظرية المثل الخاصة بأفلاطون وقدم مسألة عودة الموجودات إلى الرب عن طريق آلهتها.

وإضافةً إلى ذلك ما يلفت النظر في دراسة محتوى هذه الرسالة هو حجم استخدام الأسلوب الفلسفي من قبل صدر المتألهين لإثبات موضوع البحث. وباستثناء الفصل الأول لم يستعن صدر المتألهين بالبرهان لإثبات ادعاءاته بل اكتفى بوصف نظرياته.

ترك ملأ صدرنا مبحثي حشر النفوس الإنسانية ومعادها وهما من أهم أقسام هذه الرسالة من دون أي شرح وادّعى فقط أن ما قدّمه في مسألة المعاد الجسمانية هو من اللطاف الإلهية التي وهبت إليه فقط ولم يصل عقل أي حكيم ولا فهم أي فيلسوف قبله إلى هذه الدرجة. وبعد ما قدّمناه وشرحناه في تصحيح هذه الرسالة ارتأينا ذكر هذه المطالب الضرورية لإطلاع المحققين الأعزاء:

اسم العمل: سُميت هذه الرسالة بأسماء مختلفة (١) حشر الأشياء ومعاد كل شيء، (٢) حشر الأشياء، (٣) حشر العوام في معاد الأشياء وحشرها، (٤) طرح الكونين ورفض العالمين^(١).

سابقة نشر العمل: فضلاً عن وجود مخطوطات عديدة لرسالة الحشر، لقد تم نشرها بطباعة حجرية في السنوات الماضية: (١) في مجموعة رسائل الشيخ الملأ صدر، في الثاني والعشرين من شهر رجب ١٣٠٢ هجري، من خلال صفحات ٣٤١ حتى ٣٧٠؛ (٢) في حاشية كتاب المبدأ والمعاد، في جمادى الأولى عام ١٣١٤، من خلال صفحات ١٨٤ حتى ٢٣١؛ (٣) في حاشية كتاب كشف الفوائد للعلامة الحلّي في عام ١٣١٥.

وكذلك نشرت رسالة الحشر قبل أكثر من عشرين سنة بتصحيح وترجمة العالم الفاضل حضرة السيد محمد خواجهوي في دار «مولي النشر»؛ إلا إن تقييم تصحيح السيد خواجهوي وكذلك سلاسة ترجمته للرسالة لا يتسعان في مبحثنا هذا، ولكن نكتفي بالقول إن التصحيح بناءً على مخطوطتين وتطابقهما مع نسختين منها بطباعة حجرية سيقبل من دقة العمل.

(١) من أجل المزيد من المعلومات انظر كتاب الدرر ج ٧، صفحة ٢٣، رقم ١٠٣ وج ١٥، صفحة ١٦٠ صدر الدين الشيرازي، رسائل فلسفي، مقدمة استاد آشتياني، صفحة ٥١.

نقد ودراسة مواضع الرسالة في السنوات الأخيرة: في السنوات الأخيرة وخاصة منذ انتشار الأعمال المصححة للأستاذ الآشتياني ذات المقدمات المبسطة في شرح وتوضيح مواضع النص الرئيسي، أصبح من المؤلف أن يقدم المصحح ضمن تصحيحه النص، تقريراً لمحتويات ذلك العمل أو نقداً ودراسة له في مقدمته. وبناءً على ذلك لقد قررت، أثناء العمل على نص رسالة الحشر، أن أقدم تقريراً مختصراً لشرح صدر المتألهين؛ وضمن تقديم المصادر والمآخذ لكل مبحث، أن أهتم بذكر الإشكالات أو الأسئلة حوله. وحاولت من أجل الارتقاء بمستوي الدقة أن أقدم أيضاً نصوص العبارات التي استندت عليها.

أسلوب تصحيح نص الرسالة:

أري من الضروري ذكر عدة أمور لشرح الاختلاف بين هذا التصحيح والتصحيح السابق لهذا العمل:

تقديم المخطوطات: كانت هناك خمس نسخ في متناول يدي من أجل تصحيح نص رسالة الحشر، حيث كانت ثلاث منها قدّمت من قبل مؤسسة «حكمة صدرا الإسلامية»، وحصلت على نسختين من مكان آخر. وكل من هذه النسخ التي ذكرت في الهامش بعلائم اختصارية تحتوي على هذه الصفات:

«مج ١»: الرسالة السادسة عشرة من المجموعة المرقمة ٤٩٤٢ التابعة لمكتبة المجلس الشورى الإسلامي^(١). كتبت هذه المخطوطة في ١٩ ورقة ذات ٢٩ سطراً وبطول ١٩/٥ وعرض ٩/٥ سانتيمتر وبخط «شكسته نستعليق» في النص، وخط «النسخ» عريض وأحمر في العناوين^(٢).

«مج ٢»: الرسالة السابعة من المجموعة المرقمة ١٧٢٠ التابعة لمكتبة

(١) تحتوي هذه المجموعة على خمسة وستين رسالة؛ انظر كتاب «فهرست مخطوطات مكتبة المجلس»، ج ١٤، ص ١٩٦ - ١٧١.

(٢) انظر كتاب «فهرست مخطوطات مكتبة المجلس»، ج ١٤، ص ١٧٩.

المجلس الشورى الإسلامي^(١). كتبت هذه المخطوطة في ١٣ صفحة ذات تعداد أسطر مختلفة، وبطول ٢١ وعرض ١٥/٥ سنتيمتر وقطع متوسط.

«دا»: الرسالة الأولى من المجموعة المرقمة ٨٠٣ التابعة لمكتبة كلية العلوم الشرعية في جامعة طهران^(٢). كتبت هذه المخطوطة في ١٩ صفحة ذات ١٣ أو ١٤ سطراً وبطول ١٤/٥ وعرض ٩/٥ سنتيمتر، بخط «نستعليق» من قبل أحمد بن محمد الكيلاني في عام ١٢٣٨.

«آس ١»: الرسالة الأولى من المجموعة المرقمة ٩٩٤٨ التابعة لمكتبة تولية مقام الإمام الرضا^(٣). كتبت هذه المخطوطة في السابع من ربيع الأول عام ١١٥٠ هجري في ٤٢ ورقة ذات ١٢ سطراً وبطول ١٨ وعرض ١٣ سنتيمتر ويخط «النسخ» من قبل محمد رفيع المشهدي الذي نقله بدوره عن النسخة الأصلية للمؤلف.

«آس ٢»: المخطوطة الأولى من المجموعة المرقمة ١٣٢٥٦ التابعة لمكتبة تولية مقام الإمام الرضا^(٤). كتبت هذه المخطوطة في الرابع من رجب عام ١٢٣٩ هجري قمري في ٢٦ ورقة ذات أربعة عشر سطراً، بطول ١٠ وعرض ١٠/٥ سنتيمتر، ويخط «نستعليق» من قبل محمد يوسف الطبري.

أسلوب التصحيح: من دون شك غاية تصحيح مصنف عالمي قديم ليست لإحيائه فقط، بل يجب أن يكون النص المذكور مفهوماً للقارئ، فضلاً عن

(١) تحتوي هذه المجموعة على ١٨ رسالة؛ انظر كتاب فهرست مخطوطات مكتبة المجلس، المجلد الخامس، ص ٤ - ٧٢.

(٢) تحتوي هذه المجموعة على ست رسائل أغلبها من أعمال صدر الدين الشيرازي (كسر أصنام الجاهلية، تحقيق الكليات، مسألة الاتحاد بين العاقل والمعقول، أكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين)؛ انظر كتاب فهرست مخطوطات مكتبة كلية العلوم الشرعية، ج ١ ص ٣٩٨.

(٣) تحتوي هذه المجموعة على رسالتي الحشرية وأكسير العارفين لصدر المتألهين الشيرازي؛ انظر كتاب فهرست مخطوطات تولية مقام الإمام الرضا، ج ١١ ص ٣٢٨٩.

(٤) تحتوي هذه المجموعة على رسالتي في حشر الأشياء والعرشية لصدر المتألهين.

التقرب إلى آراء مؤلفه. لذلك فقد اتبعنا الأسلوب الدارج في مؤسسة حكمة صدرا الإسلامية لتصحيح هذه الرسالة، أي اخترنا نصاً بصورة نهائية بدلاً عن انتخاب مخطوطة بصفة النسخة الأساسية ومقارنة المخطوطات الأخرى معها؛ ويعد هذا العمل أصح من الناحية الأدبية والمعنى. وقد ذكرنا فروقها مع المخطوطات الأخرى في الهوامش. وفي الحالات التي تبدو النصوص فيها ناقصة في نظر المصحح، أضفنا كلمة أو كلمات إلى النص ووضعناها بين علامتي [] لحفظ أمانة النقل وأشارنا إليها في الهوامش أيضاً. ومن المؤكد أن عددها قليل جداً في نص الرسالة، وإن أغلبها في نقل قول المألا صدرا من كتاب الأتولوجيا.

ولم نهتم في تصحيح النص إلى المخطوطات المكتوبة بخط النسخ بل اتخذنا معايير المؤسسة في تصحيح الحروف أو الكلمات العربية كأساس للعمل.

كما بخاتمة آستان قدس

ويزيدون

بسم الله الرحمن الرحيم ^{تقنة}
بسم الله رب الآخرة والأولى ومبدء الوجود ^{المتنع}
والصلوة على غاية الأرض والسماء وأقرب الخلق
إليه في البدن والرجعي وآله الذين انصب الله
عنهم الرجس الشياطين وطهرهم تطهيراً ونور
قلوبهم بإيات الحكمة والإيمان تنويراً في بعض
فقد سالت يا أخى أطال الله بقاءك في سبيل
المصطفى والهدى وسددك في سلوك المحجة
الأيضاء عن حشر جميع الأشياء إليه تعالى

محمد باقر

ستغفرين مسحين لمصلين لنبيته ولا لجمعين كتب الفقير المحتاج

الى الله محمد المدعو بصدا النبيين الشيرازي عفي عنه وقت اوافضت

في فلك من صورة القول من خطيد مصنف صمد الحكما المتألمين

واسعة العرفاء المتجسدين اسكنه الله في طائر قدسه وسرادقه

وتدعى على الفريغ منه في اناج شهر سبع الاول سنة تحمين ومائة

بعد الالف من الهجرة النبوية الباهرة صاوا ان الله على اصابع يها

وعترها لطيفة الطاهرة وانا العبد الضعيف محمد فيج الشهدى

عفى الله عنه ولا يبيته

تقرير انتقادي حول مطالب الكتاب

كما مر سابقاً، ذكر صدر المتألهين في بداية هذه الرسالة أنه ألّفها جواباً على سؤال أحد أصدقائه؛ ولكن بعد مقارنة مواضيع وعبارات هذه الرسالة مع الفصل الثالث عشر من الباب العاشر للمجلد التاسع من كتاب الأسفار نستنتج أن رسالة الحشر هي في الحقيقة تكرار الفصل الثالث عشر، وإن المؤلف قد غيّر بعض المفردات وفي بعض الأحيان أضاف إليها جمل أو حذف منها.

على كل حال، فموضوع هذه الرسالة هو جواب على هذا السؤال كيف تُحشر الموجودات سواء كانت ذات روح أو فاقدة لها، وهل أن الموجودات ذات الروح لها إدراك وإحساس أم لا تمتلكهما؟

وقبل أن أقدم المباحث الأساسية أرى من المناسب أن أضع بين يديكم تعريفاً لعنوان الرسالة:

تعريف الحشر: استخدمت مفردة «الحشر» في النصوص اللغوية عدة معانٍ مختلفة: الإعداد، والجمع، والنفي من البلاد، ومعاشرة أحدهم ومنادته، والتلطيف والتحسين، وتضخم الرأس والكرش، وهلاك الدواب والناس بسبب القحط والمجاعة^(١).

ولكن في هذه الأثناء، أي من هذه المعاني يمكننا وضعها كأساس؟ وفقاً لرأي بعض اللغويين، تعني «الحشر» تهجير فئة من محل سُكنها وترحيلها إلى مكانٍ آخر^(٢)؛ لذلك إن فسرنا هذه المفردة بمعنى «جمع مجموعة في مكانٍ

(١) لفت نامة دهمدا، حرف «ح»، نقلاً عن: مهذب الأسماء، تاج المصادر للبيهقي، منتهى الأرب، تاريخ البيهقي، أقرب الموارد.

(٢) المفردات ص ١١٩، الفروق اللغوية، ١٨٩، رقم ٧٥٢.

ماء^(١)، فعلينا أن ننبه إلى هذا الأمر أن أي جمع لا يعني الحشر، بل أن الحشر هو جمع يتحقق معه الترحيل إلى مكان آخر أيضاً^(٢).

وبانتباهنا إلى هذه الملاحظة يمكننا القول إن الحشر في استخدامه الديني يعني إخراج الأموات من قبورهم وترحيلهم إلى محضر الرب من أجل الحساب.

وقد وردت هذه المفردة ومشتقاتها ثلاث وأربعين مرة في القرآن الكريم، وهي تُقسم إلى عدة فئات من ناحية الموضوع:

- (١) حشر الناس إلى الرب^(٣).
- (٢) جمع الناس في يوم القيامة^(٤).
- (٣) كيفية حشر الناس في القيامة^(٥).
- (٤) حشر الناس إلى الحجيم (النار)^(٦).
- (٥) حشر الحيوانات إلى الرب^(٧).

(١) التبيان، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٦٨، الفروق اللغوية، ص ١٨٨، رقم ٧٥١.

(٣) سورة البقرة (٢) الآية ٢٠٣ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٨ سورة النساء (٤)، الآية ١٧٢ سورة المائدة (٥)، الآية ٩٦ سورة الأنعام (٦)، الآية ٥١ و٧٢، سورة الأنفال (٨)، الآية ٢٤ سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٧٩ سورة المجادلة (٥٨)، الآية ٩ سورة الملك (٦٧)، الآية ٢٤.

(٤) سورة النمل (٢٧)، الآية ٨٣؛ سورة مريم (١٩)، الآية ٦٨؛ سورة الأنعام (٦)، الآيات ١٢٨ و٣٨ و٢٢؛ سورة يونس (١٠)، الآية ٢٨ و٤٥؛ سورة الحجر (١٥)، الآية ٢٥؛ سورة الفرقان (٢٥)، الآية ١٧؛ سورة الكهف (١٨)، الآية ٤٨، سورة سباء (٣٤)، الآية ٤٠؛ سورة الصافات (٣٧)، الآية ٢٢؛ سورة الأحقاف (٤٦)، الآية ١٦؛ سورة ق (٥٠)، الآية ٤٤.

(٥) سورة الإسراء (١٧)، الآية ٩٧؛ سورة الفرقان (٢٥)، الآية ٤٣؛ سورة طه (٢٠)، الآيات ١٠٢ و١٢٤ و١٢٥؛ سورة مريم (١٩)، الآية ٨٥.

(٦) سورة آل عمران (٣)، الآية ١١٢؛ سورة الأنفال (٨)، الآية ٣٦؛ سورة فصلت (٤١)، الآية ٩١.

(٧) سورة الأنعام (٦)، الآية ٣٨؛ سورة التكويد (٨١)، الآية ٥.

٦) تجمع الأشخاص في مكان خاص^(١).

٧) الترحيل (ترك البلاد)^(٢).

كما أن الانتباه إلى هذه التفاصيل يؤيد هذا الموضوع بأن الحشر يعني الإخراج من مكان والإرسال إلى مكان آخر. وهو منتبه إلى هذا الموضوع كتب صدر المتألهين في وصف «الحشر»:

توضيح: اعلم أن حشر الخلائق على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وملكاتهم؛ فلقوم على سبيل الوفد: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٣)، ولقوم على وجه التعذيب: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾^(٤)، ولقوم بصورة أعمى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٥)، وبالجمل، يحشر كل أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبّه، حتى إنه «لو أحب أحدكم حَجَرًا يحشر معه» فيحشر الخلائق على صور ضمائرهم ونيّاتهم، وعليه يحمل معنى التناسخ الوارد في لسان الأقدمين^(٦).

وعلى هذا المنوال يبدو أنه لو كان صدر المتألهين وضع اسم رسالته «معاد الأشياء» بدلاً عن «حشر الأشياء» لكان أصح، لأنه تم بحث عودة جميع الأشياء إلى الرب في هذه الرسالة، وليس من الواضح أن مفردة «الحشر»، عطفاً على مفهومها على المجردات وخاصة العقول، تصدق هنا.

على كل، فإن صدر المتألهين في معرض إجابته على هذا السؤال أنه كيف تعود الموجودات إلى الخالق المتعالي وضع بحثه في مقامه: في البداية يقدّم

(١) سورة الأنعام (٦)، الآية ١١١ سورة الأعراف (٧)، الآية ١١١؛ سورة طه (٢٠)، الآية ٥٩ سورة العنكبوت (٢٦)، الآية ٣٦ و٥٣؛ سورة النمل (٢٧)، الآية ١٧؛ سورة ص (٣٨)، الآية ١١٩ سورة النازعات (٧٩)، الآية ٢٣.

(٢) سورة الحشر (٥٩)، الآية ٧.

(٣) سورة مريم، الآية ٨٥.

(٤) سورة فصلت، الآية ١٩.

(٥) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٦) المظاهر الإلهية، ص ١١٧.

جواباً مفصلاً يشمل جميع الموجودات، ومن ثم يعطي إجابة موسّعة تتناسب مع أي من هذه الموجودات.

مقدمة الرسالة

(١) تصنيف الموجودات: قبل أن يقدم صدر المتألهين آرائه حول حشر الموجودات، يقسمها إلى خمس طبقات:

(١) المفارقات العقلية.

(٢) الأرواح المدبّرة العقلية المتعلقة بالأجرام العلوية والسفلية.

(٣) الأرواح المدبّرة الجزئية والنفوس الخيالية المتعلقة بالأجرام السفلية الدخانية والنارية.

(٤) النفوس النباتية وغيرها من الطبائع السارية في الأجسام.

(٥) الأبعاد والأجرام.

كما أنه أضاف في كتابه الأسفار طبقة أخرى إلى الطبقات المذكورة آنفاً، وقسم الممكنات إلى ست طبقات، وكتب شرحاً عنها:

اعلم أنّ الممكنات - كما مرّ - على الطبقات: أولها المفارقات العقلية وهي صور علم الله. وثانيها هي الأرواح المدبّرة تدبيراً كلياً للأجرام العلوية والسفلية المتعلقة بها ضرباً من التعلّق. وثالثها الأرواح المدبّرة تدبيراً جزئياً والنفوس الخيالية المتعلقة بالأجسام السفلية البخارية والدخانية أو النارية منها، وضرب من الجنّ والشياطين، ورابعها هي النفوس النباتية، وخامسها الطبائع السارية في الأجسام المنقسمة بانقسامها. وسادسها الأجسام الهيولانية وهي الغاية في الخسة والبعد عن المبدأ الأوّل^(١).

مع انتباهنا إلى هذا التقسيم يتبين لنا أن «الطبائع السارية» التي عدّت في هذه الرسالة ضمن الطبقة الرابعة للموجودات، ذُكرت في الأسفار بصفتها طبقة

(١) الأسفار، ج ٩، ص ٢٤٠ و ٣٣٩.

مستقلة، ولكن السؤال الرئيسي هو سبب هذا التقسيم: هل أن مباحث مثل النفوس الفلكية، والأجرام الدخانية وأمثالها يمكن إثباتها اليوم؟ وهل يمكن أيضاً عدّ فئة من الملائكة الإلهية من ضمن النفوس النباتية والطبائع السارية في الأجسام؟

(٢) إثبات حشر كافة الموجودات: من أجل إثبات أن كافة الموجودات، بصرف النظر عن نوعها، لها حشر، يمكن التمسك بسببين:

(أ) غائية المبدأ: تمسك صدر المتألهين بعد ذكر مقدمته في تنوع الموجودات، بأصل الغاية من أجل إثبات لزوم حشرها، وقام بالتوضيح على النحو التالي: إن الموجود الممكن هو إما بسيط أو مركب. ويحتاج الموجود البسيط من أجل الموجودية إلى شيئين، وهما الفاعل والغاية؛ ولكن الموجود المركب يحتاج، فضلاً عن الفاعل والغاية، إلى المادة والصورة أيضاً.

اعلم أن بعض الأشياء ممّا لا علّة له أصلاً، بل هو علّة العلل، كواجب الوجود. وبعضها ممّا له بعض العلل دون بعض، كالفاعل والغاية، دون المادة والصورة، كضرب من المفارقات والأشياء الصورية؛ لأنها عين الصورة التامة، فلا صورة لها ولا مادة. وبعضها ممّا له جميع هذه العلل - كالمركبات^(١).

أصل العلّة وتنوع العقل: في الأنظمة الفلسفية الكلاسيكية المبتنية على قبول أصل العلّة بمعنى إعطاء الوجود، يُلزم صنفان من العلّة لتحقيق شيء واحد، يعرفان باسم علل الوجود (العلل الخارجية)، وعلل القوام (العلل الداخلية).

إن القصد من العلّة الداخلية هو العلّة المتحدة مع المعلول، ويبقى وجودها في الوقت نفسه. ويقسم هذا الصنف من العلّة إلى قسمين: المادّي والصوري. والعلّة المادّية هي عبارة عن المادة نسبةً إلى نوع المادة والصورة؛ والقصد من المادة هو الشيء ذاته الذي يؤمن باعتبار قوة الشيء واستعداده، مثل العناصر المكوّنة للنباتات. والعلّة الصورية هي عبارة عن الصورة والفعالية اللتين تتكونان

(١) المصدر ذاته، ج ٥، ص ٥٣٨.

في المادّة، وتصبحان منشأ آثار جديدة فيها. وبعبارة أخرى فإن الصورة نسبةً إلى النوع المركب من المادّة والصورة هي علّة صورية، مثل الروح (النفس الناطقة) نسبةً إلى الجسم الحيّ المتعلق بالإنسان.

ولكن العلّة الخارجية، هي علّة يكون وجودها خارجاً عن وجود المعلول وتقسم بدورها إلى صنفين: الفاعلية والغائية. إن العلّة الفاعلية هي علّة تعطي وجوداً للمعلول فيتكون منها المعلول، مثل روح الإنسان (النفس الناطقة) نسبةً إلى صورها الذهنية. والعلّة الغائية هي الشيء ذاته الذي يتكوّن المعلول بسببها، وبعبارة أخرى هي الدافع الذي ينفذ الفاعل عملاً بواسطته.

التفاوت بين البسائط والمركبات: عطفاً على هذه الشروح يتضح لنا أنه لماذا تتمتع البسائط بالعلّة الفاعلية والغائية فقط، ولا يمكنها أن تملك علّة مادية وصورية. على كل، إن الوجه المشترك بين البسائط والمركبات هو تملك الغاية والفاعل.

يدّعي صدر المتألهين مستعيناً بأصل محالية التسلسل أنه كما أن الذات الإلهية هي مبدأ الوجود، فهي غايتها أيضاً. لأن محالية التسلسل وكما أنها تجعلنا نوافق على قبول مبدأ المبادئ فهي تثبت غاية الغايات أيضاً.

من جهة أخرى فإن الموجودات - سواء كانت مادية أو غير مادية - هي مخلوقات الله، إمّا عن طريق الواسطة أو من دون الواسطة، وإن الله يتبع هدفاً من خلقتها بما أنها فعل اختياري. ولا يمكن أن يكون ذلك الهدف هو تلك الموجودات إياها، لأن لازمة ذلك حاجة الخالق إلى المخلوق من حيث إن الخالق سيكون فاقداً لشيء وسيكسبه بخلقة المخلوق؛ لذلك بما أن شرط تحقق أي عمل اختياري هو مطلق العلم والحب (الشوق) فإن العلّة الغائية في المجردات التامة هي الحب إلى ذواتها إياه وبالتالي فهي تتعلق بآثار الذات أيضاً. ولهذا السبب وفي مثل هذه الحالات ستكون ذات الفاعل مصداقاً للعلّة الفاعلية والعلّة الغائية. وبناءً على هذه الملاحظة يقول الملام صدر «وقد ثبت بالبرهان، أنّ الغاية الأخيرة في فعله تعالى هي ذاته، وذاته غاية الغايات، كما أنه مبدأ المبادئ».

العلّة الغائية وحشر الموجودات: بما أن الغاية هي شيء وصل إليها الشيء ذاتياً وينتهي إليه أيضاً (إن لم يكن هناك أي مانع من أجل الوصول إليه، لأنه إذا كان الوصول إليه غير ممكن، وفي الحقيقة لن يكون ذلك الشيء غاية ويعد هذا ناقضاً للفرض)، فينبغي أن تتحرك جميع الأشياء إليه، ويحشر الجميع عنده.

ثبت وتحقق أنّ لكل خلق غاية، وغاية الخلق والإيجاد، إيصال كل واحد إلى كماله وإرواء كل واحد من مشرب جماله؛ وهذا مسلك دقيق أنيق، يحكم به على كل شيء بالبرهان حتى الحجر والمدر، فضلاً عن الحيوان والبشر، بآته يصل يوماً إلى حضرته ويتلاشى نوره في نور عظمته^(١).

ب) خيرية المبدأ والشوق إلى الخير: لقد شرحنا حتى الآن وجهة نظر صدر المتألهين وكما رأينا فإن محوره الرئيس غائية الذات الإلهية؛ إلا أن الفيلسوف والعارف الكبير الفيض الكاشاني شرح هذا الأمر على شكل آخر حيث يشرح الفيض في الأصل العشرين من الباب الخامس لكتابه «أصول المعارف» غائية الذات الإلهية بالاستعانة بمسألتني «خيرية الذات الإلهية» و«الشوق الذاتي لكل موجود من أجل الوصول إلى خير أكثر وكمال أسمى» كما يلي:

الأصل: إنّ الباري - جلّ ذكره - غاية كلّ شيء، كما أنّه فاعل كلّ شيء؛ لأنّه خير محض يطلبه كلّ شيء - طبعاً أو إرادة - وهذا مركز في جبلة العالم - جزئياته وکلیّاته، محسوساته ومعلولاته - إذ ما من شيء إلا وله عشق وشوق غريزي إلى ما فوقه، وإلى ما هو أشرف منه؛ هو في بعض الأشياء مشاهد معلوم بالضرورة، وفي بعضها يعلم بالاستقراء، وفي الكل يعلم بالحدس الصائب وبضرب من البرهان.

وهو أنّ الوجود للذيد، وكمال الوجود الذو وأثر؛ فكل موجود سافل، إذا تصوّر الموجود العالي، فلا محالة يشّاقه ويطلبه طبعاً واختياراً؛ إذ كلّ شيء إذا شعر بنقصه وتحقّق له أنّ شيئاً من الأشياء يفيد الخير والكمال وبوجب الاقتراب إليه زيادة في الفضيلة والشرف، فإنّه - لا محالة - يعشقه ويطلبه بطبعه أولاً

(١) مفاتيح الغيب، ص ٤٤٠، وأيضاً انظر كتاب الأسفار ج ٩، ص ٣٣٩ - ٣٤١.

وبالذات، ولكل ما يتوسط بينه وبين ذلك الوجود ممّا هو أعلى منه وأقرب إلى ذلك من الخيرات، ثانياً وبالعرض^(١).

وبعد هذا الموضوع يقوم الفيض باستخدام أصلي «امتناع التسلسل» و«امتناع الحاجة للذات الإلهية»، بشرح هذا الأمر أنه لماذا ليس هناك غرض غير الذات الربوبية للأفعال الإلهية، وإنه غاية الغايات.

وإذ هو - سبحانه - غني بالذات من جميع الجهات، ليس شيء أولى به إلا وهو حاصل له بذاته في مرتبة ذاته، كما قال عزّ وجلّ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفِيفٌ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾، فليس لفعله لَمِيّة غير ذاته ولهذا مصير فعله - كلّ - إلى ذاته. ومن هنا قال سبحانه: «لا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ»، وكيف يُسْتَل من هو نفسه الجواب؟ فسقط السؤال إذا انتهى إليه الأفعال، إذ لا غرض ولا غاية بالآخرة إلا ذاته سبحانه، الذي هو غرض الأغراض وغاية الغايات على الإطلاق.

وإن كانت لأفاعيله - عزّ وجلّ - أغراض وغايات مترتبة قريبة ومتوسطة، منتهية كلّها إليه - عزّ وجلّ - كما قال: «ألا إلى الله تصير الأمور» ولو كانت لفعله غاية أولية غير ذاته، لعاد الكلام إلى الغاية الداعية لصدور تلك الغاية، حتى ينتهي إلى غاية تكون عين ذاته، لامتناع التسلسل؛ وأيضاً، لو كان لفعله - سبحانه - غاية غير ذاته، لكان تلك الغاية من تمام فاعليته، فيكون من حيث ذاته ناقصاً في فاعليته، مستكملاً فيها بتلك الغاية، تعالى عن ذلك، بل هو تام بذاته من جميع الوجوه، واحد لا كثرة فيها ولا شيء قبله ولا معه وذاته - مع وحدته - متمم فاعليته. فذاته بذاته فاعل وغاية للوجود كلّ^(٢).

وبعد شرح إجابته القصيرة التي تشمل كافة مراتب الموجودات، يحاول صدر المتألهين إثبات حشر أي من الموجودات ويقدم دليلاً أو أدلة تناسب أي منها.

(١) أصول المعارف، ص ٧٤.

(٢) من الضروري التأكيد على أن الفيض الكاشاني نقل جزءاً من هذه العبارة من أقوال صدر المتألهين في الفصل الثاني عشر لرسالة «في الحدوث» من دون الإشارة إلى المصدر، ثم يكملها بشروحه. انظر كتاب رسالة في الحدوث، ص ١٣٨ و ١٣٧، وأصول المعارف، ص ٧٩.

الفصل الأول حشر العقول

(١) تعريف العقل: يعني العقل في اللغة «الشّد، واللجم»، ولهذا السبب سمي شّد ركة الجمل بـ«العقال». وفي مصطلح الحكماء يطلق العقل على موجود يكون مجرداً في الذات والفعل. ومع أنه في الذات مجرد أمام النفس إلا أنه في الفعل يحتاج إلى الجسم^(١).

(٢) ضرورة وجود العقل: إن الدليل على وجود موجود كهذا في نظام الخلقة هو لأن الحق تعالى هو الوجود التام والعالم والقادر والجواد المطلق ويملك جميع الكمالات الوجودية بشكلٍ أسمى، فإن الإمساك عن الفيض محال بالنسبة له.

من جهة أخرى، وبما أن العقل بواسطة تجرده عن المادّة لا يحتاج إلى الزمان والمكان وسائر الأشياء التي تنتمي إليها المادّيات في الوجود، فتكفي الإمكانية الذاتية من أجل صدوره عن علته، أي حضرة الحق^(٢).

ذاته - جلّ كبرياؤه - في غاية الكمال والفعلية والوجوب بحيث لا يتطرّق فيه شائبة عدم ونقيصة؛ فأول ما يصدر ويترتب عليه يجب أن يكون أشرف الموجودات التي لا يصفو عن شائبة عدم ونقص؛ فيجب أن يكون ذلك من جنس العقول دون النفوس فضلاً عما دونها، وذلك لأنّ النفوس - بما هي نفوس - قد [شيب] فيها ضربان من العدم^(٣).

(١) وفي تعريفه للعقل يشير الجرجاني إلى مواضع تستدعي التفكير. العقل جوهر مجرد عن المادّة في ذاته، مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا؛ وقيل: العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان؛ وقيل: العقل نور في القلب، يعرف الحق والباطل؛ وقيل: العقل جوهر مجرد عن المادّة يتعلق بالبدن، تعلّق التدبير والتصرف؛ وقيل: العقل قوّة للنفس الناطقة وهو صريح بأنّ القوّة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة، وإن الفاعل في التحقيق هو النفس والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع، وقيل: العقل والنفس والأذهن واحد، إلا أنّها سميت عقلاً لكونها مدركة وسميت نفساً لكونها متصرفة وسميت ذهنًا لكونها مستعدة للإدراك. التعريفات، ص ٦٥.

(٢) شرح رسالة المشاهر، ص ٣٠٦.

(٣) الأسفار، ج ٧، ص ٣٣٦.

(٣) إثبات حشر العقول: ذكر الملا صدرا أربعة براهين لإثبات حشر العقول:
البرهان الأول، الاتحاد الوجودي للعقل الأول وذاته تعالى: يتكون هذا
البرهان من مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن العقول هي وجود محض: ويرتبط لإثبات هذه المقدمة
(وجود محض العقول وعدم وجود ماهية تعارض ذلك الأمر) بدراسة كيفية
ارتباط الحادث والقديم (الكثرة والوحدة) التي تعد من أهم المسائل الفلسفية
وشغلت أذهان المفكرين المسلمين منذ زمن بعيد.

نظرية الصادر الأول في الفلسفة والعرفان الإسلاميين: وكمفكري الإغريق
كان هناك سؤال يتبادر إلى أذهان الحكماء والمسلمين أنه كيف ترتبط الذات
الإلهية - وهي بسيطة من كل النواحي وتفتقد لأي كثرة - بسائر الموجودات
الأخرى، وتكون مبدأ إيجادها؟

وقد حاول الفلاسفة المشائيون بطرح مسألة العقول العشرة الطولية التي
يكون فيها العقل الأول في مقدمتها، وكذلك الفلاسفة الإشراقيون بقبولهم
العقول العرضية غير المتناهية وقبول النور الأول (النور الأقرب)، وأيضاً
العارفون بقبولهم الحقيقة المحمدية ﷺ، الوجود المنبسط أو حقيقة الإنسان
الكامل، حاولوا الإجابة على هذا السؤال، ومن المؤكد أن وجود أحاديث مثل
«أول ما خلق الله العقل»^(١). «أول ما خلق الله القلم»^(٢)، «أول ما خلق الله
نوري»^(٣)، «أول ما خلق الله روعي»^(٤) وأمثالها كانت مؤثرة على ظهور مثل
هذه النظريات.

اتحاد الصادر الأول والعقل الأول: لقد حاول صدر المتألهين أن يجمع بين
قول الحكماء الذين يعدّون الصادر الأول عن الحق باعتباره العقل الأول وبين
رأي العارفين الذين يعتبرون الوجود المنبسط كالصادر الأول، وقد استنتج أن

(٣) عوالي اللغالي، ج ٤، ص ٩، رقم ٩١٤٠.

(١) سعد المسعود، ص ٢٠٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٩.

(٢) تفسير النعماني، ج ٢، ص ١٩٨.

العقل الأول للوجود الإجمالي هو الوجود المنبسط، وإن الوجود المنبسط هو تفسير العقل الأول^(١). بعبارة أخرى، إن العقل الأول بواسطة بساطة الحقيقة والهوية يشتمل على جميع الحروف والكلمات التامة وكمالات حقائق الممكنات على شكل الوحدة والإجمال، وإن جميع الحقائق الوجودية من العقول الطولية والعرضية وعوالم البرزخ والموجودات المادية، هي وجود تفضيلي وُفرقاني ومظهر مرتبة النازل لهذا الوجود. كما أن جميع المراتب الوجودية من العقل الأول حتى الهبولى هي مقام الظهور والتفضيل وفرقان أصل حقيقة الوجود الواجبة التي تحققت من تجلياته وظهوراته^(٢).

ولم يوافق الأستاذ الآشتياني وجه الجمع هذا ويستدل على بطلانه على النحو التالي:

في عدة حالات وفق صدر المتألهين بين هذين القولين عن هذا الطريق، ولكن الحقيقة هي أن الوجود المنبسط هو في مقام الذات، أولاً بالذات يرتبط مع الحق وهو مقدّم على العقل وإن العقل له تأخر رتبي من الفيض المقدس ويقتضي الدليل على أن يكون الصادر الأول عن الحق مُبرّأ من جميع حدود العدم، باستثناء الحدّ الذي هو لازمة المعلولية والمجعولية. لذلك فإن مرتبة فيض الحق لها تقدّم على مقام ومرتبة التعلّق بالماهيات^(٣).

لذلك بما أن الحقيقة المحمدية ﷺ تُعد الصادر الأول فهي تعتبر محيطاً على العقل الأول، وإن العقل الأول حسنة من حسناته^(٤).

يبدو أن تقدّم الحقيقة المحمدية ﷺ على العقل الأول صحيح، ويمكن الوصول إليها في كلام صدر المتألهين ذاته أيضاً لأنه ضمن قبوله هذا الأمر أن أول موجود نشأ عن الذات الواجب هو الوجود المنبسط، يدّعي أن إطلاق

(١) شرح رسالة المشاعر، ص ٣٠٧. (٢) شرح رسالة المشاعر، ص ٢٩٢.

(٣) شرح مقدمة القهصري، ص ١٦٠.

(٤) شرح رسالة المشاعر، ص ٣١١، وانظر كتاب: تمهيد القواعد، ج ٢، ص ١٦٩، تعليقه الأستاذ قمشاي أيضاً.

الصادر الأول على العقل الأول قد تعين مقارنة مع سائر الموجودات وليس
بلحاظ مقام الذات.

إنَّ أوَّل ما نشأ من الوجود الواجبي... هو الوجود المنبسط الذي يقال له
«العماء»... وقول الحكماء إنَّ أوَّل الصوادر هو العقل الأول بناءً على أنَّ الواحد
لا يصدر عنه إلا الواحد كلام جملي بالقياس إلى الموجودات المتعيّنة المتباينة
المتخالفة الآثار، فالأولية ها هنا، بالقياس إلى سائر الصوادر المتباينة الذوات
والوجودات؛ وإلا فعند تحليل الذهن العقل الأوَّل إلى وجود مطلق وماهية
خاصة، وجهة نقص وإمكان، حكمنا بأنَّ أوَّل ما ينشأ هو الوجود المطلق
المنبسط ويلزمه بحسب كلِّ مرتبة ماهية خاصة^(١).

وفي عبارته هذه كان صدر المتألهين يعلم بكلام ابن الفناري، ومحمد بن
حمزة الرومي الحنفي، وكتب حول هذا الأمر:

ومنها أنَّ العقل الأوَّل أول مخلوق أو أوَّل صادر، لكن في عالم التدوين
والتسطير؛ أمّا مطلقاً فلا، لأنَّ أوَّل متعين في المراتب الإلهية، حضرة أحدية
الجمع المذكور، ثم مرتبة الألوهية والواحدية التي تليه، وفي المراتب الكونية
عالم التهيّم، ثمَّ القلم الأعلى في عالم التسطير^(٢).

لذلك لا يمكن أن يكون كلام ابن عربي حول اتحاد العقل الأوَّل والحقيقة
المحمدية ﷺ أو الوجود المنبسط صحيحاً:

وكذلك المفعول الإبداعي الذي هو الحقيقة المحمدية ﷺ عندنا، والعقل
الأوَّل عند غيرنا، وهذا القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء^(٣).

بالطبع ليس مستبعداً القول إنَّ الصادر الأوَّل هو العقل الأول إياه الذي ليس
مسبوفاً لأي سابق، ليس لأنه الأوَّل مقارنة بالصوادر الأخرى؛ لأنَّ الوجود
المنبسط هو الظهور الفعلي للحق المتعالي، وإنَّ ظهور شيء لا يمكن أن يكون

(١) الأسفار، ج ٢، ص ٣٥٢ و ٣٥٣. (٢) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٩٤.

(٢) مصباح الأنس، ص ٩٣.

متباهناً مع ذلك، لذلك لا يمكن إطلاق الصادر الأول على الوجود المنبسط^(١).
إن صاحبه الأحديّة والواحدية والألوهية والنفس الرحماني وأم الكتاب
وغيرها من المراتب الإلهية متعينات ليس شيء منها بمخلوق^(٢).

بساطة الصادر الأول: الصادر الأول عن الذات الربوبية، الذي نعرفه كالعقل
الأول حسب النظرية المعروفة، هو موجود مجرد وبسيط بحكم أصل وقاعدة
«الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد»، ولا يملك أي ماهية غير وجود وشيء
مستقل عن ذاته.

وكما نعلم فإن هذه القاعدة التي تُعد بنظر المحقق المير داماد من أمهات
الأصول العقلية^(٣)، وحسب ادعاء ابن رشد متفق عليها من قبل القدماء بل
العرفاء والمتكلمين^(٤) هي قاعدة بديهية يكفي تصورهما فقط من أجل قبولها^(٥).

وبناءً على هذه القاعدة لو كان من المفروض أن يكون الواحد منشأ التكثر،
فيجب أن تكون هناك جهات متكثرة في ذلك الواحد حيث إن أيّاً من تلك
الجهات موجدة للكثرة. ومن الواضح أن فرض وجود جهات متعدّدة في الواجب
التعالى يستلزم قبول التركيب فيه والتركيب المساوق مع الحاجة، والحاجة غير
المتطابقة مع وجوب الوجود، لذلك فإن الصادر الأول يعني الموجود الأول
الذي نشأ من ذات الحق، وإن الحضرة الربوبية هي منشأه، هو موجود بسيط.

(١) الأسفار، ج ٢، ص ٥٠٨، تعليقة المرحوم السبزواري.

(٢) مصباح الأنس، ص ٣٠١.

(٣) القيسات، ص ٣٥١: من أمهات الأصول العقلية أنّ الواحد بما هو واحد، لا يصدر عنه
من تلك الحيثية إلا واحد، فلعل هذا الأصل - بما تلوناه عليك - من فطريات العقل
الصريح.

(٤) أساس التوحيد، ص ١٦.

(٥) شوارق الإلهام: «إنّ الحكم بأنّ الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، بدیهي لا يتوقف إلا على
تصور طرفه» المسألة ٢، الفصل ٣. شرح الإشارات، ج ٣، ص ١٢٢، كان هذا الحكم
قريباً من الوضوح ولذلك وسم الفصل بالتنبيه وإنما كثرت مدافعة الناس إياه لإغفالهم معنى
الوحدة الحقيقية.

من المؤكد أن الانتباه إلى هذا الموضوع يُعدّ ضرورياً بأن التجرد من الماهية لا يخص العقل الأول فقط، بل يشمل جميع العقول الطولية العشرة في الفلسفة المشائية والعقول العرضية غير المتناهية في الفلسفة الإشراقية أيضاً. وبناءً على ذلك فإن تفاوت هذه العقول ينحصر في شدة المرتبة الوجودية وضعفها والكمال والنقص الناتجين عن قربهما بالمبدأ وبُعدهما عنه فقط؛ لأنّ المجردات هي خارجة عن مقولة الجوهر، مع أن تعريف الجوهر يصدق عليها.

الحكم الثالث: إنّ تفاوت الهويات العقلية والإنثيات النورية، تفاوت بحسب الأشد والأضعف مع اتفاق الجميع في الحقيقة الوجودية، إذ إن الوجود - بما هو وجود - حقيقة بسيطة نورية خارجية^(١).

وقد بين بالأصول الإشراقية، كون النور حقيقة بسيطة، لا جنس لها ولا فصل، وليس الاختلاف بين أفرادها بأمر ذاتي، بل إنّما هو بمجرد الكمال والنقص في أصل الحقيقة النورية الوجودية، لعلمت أن الذوات المتجردة النورية غير واقعة تحت مقولة الجوهر، وإن كانت وجوداتها لا في موضوع^(٢).

بساطة الصادر الأول وتركيب الممكنات: قبول بساطة الصادر الأول بناءً على حكم الأصل البديهي «الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد» يمكنه أن يعارض أصلاً آخر من أصول الفلسفة الإسلامية أي «كل ممكن زوج تركيبى»؛ لأنه بناءً على الأصل الأخير باستثناء الذات الأحادية المقدسة للحق تعالى، وهي واجبة الوجوب بالذات، فإن جميع الموجودات هي ممكنة الوجوب وإنّ كل شيء ممكن تم تركيبه من عنصري الماهية والوجود؛ لأنّ الماهية الإمكانية لا تتشكل من دون الوجود كما أن الوجود الإمكانى لا يتعين أيضاً من دون نوع من القصور ينشأ من الماهية.

لذلك فإن جميع موجودات ممكنة الوجود تمّ تركيبها من نوع من المادة وصورة عقلية يطلق عليهما الماهية والوجود؛ لأن كل شيء في عالم الممكنات

(١) مفاتيح الغيب، ص ٤٦٢.

(٢) الأسفار، ج ٢، ص ٤٠.

هو بالقوة وعدم المحض نسبةً إلى ذاته، ولكن عندما ينسب إلى علته يصبح بالفعل ويحصل على وجود. إذن، لكل شيء ممكن الوجود حيثما القوة والفعل ما أطلق على هاتين الحثيتين بمثابة مادته وصورته، واعتبروهما «الماهية والوجود»^(١).

ومما سبق يظهر جلياً أنّ العقول بما أنها ممكنة الوجود بالمكان الذاتي فينبغي أن تكون مركبة من المادة والصورة أو الماهية والوجود، في حين أنه لا يمكن أن تكون مركبة بناءً على قاعدة «الواحد».

وفي إثبات تركيب الممكنات واختصاص البساطة بذات الحق المتعالي وضمن وضعه الاختلاف بين الوجوب الذاتي والوجوب الغيري كتب ابن سينا في الشفاء:

والذي يجب وجوده بغيره دائماً، فهو أيضاً غير بسيط الحقيقة، لأنّ الذي له باعتبار ذاته غير الذي له من غيره وهو حاصل الهوية منهما جميعاً في الوجود؛ فلذلك، لا شيء غير واجب الوجود، تعرّى عن ملابسة ما بالقوة والإمكان باعتبار نفسه، وهو الفرد وغيره زوج تركيبى^(٢).

الفرق بين أنواع التراكيب: ضمن وضعه التفاوت بين التركيب الخارجي والتركيب الذهني، وهو يعرف هذا الإشكال، يدّعي صدر المتألهين: مع أن العقول في الخارج هي موجودات بسيطة إلا أنها تقسم في التحليل الذهني إلى جزئين: المادة والصورة أو الوجود والماهية؛ لذلك فإن البساطة الخارجية يمكنها الجمع مع التركيب الذهني، كما يُمكن جمع الوجوب الغيري مع الإمكان الذاتي.

بعبارة أخرى لا تُطلق مفردة البسيط على الممكن والواجب بمعنى واحد، والحق المتعالي بحكم كونه واجب الوجوب بالذات فهو واجب من جميع الجهات - وله بساطة مطلقة وإن جميع أنواع التراكيب أعم من العقلية والخارجية

(١) قواعد كلي فلسفي در فلسفه إسلامی، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) الشفاء، الإلهيات، ص ٤٧.

بعيدة عن ساحته؛ إلا إن سائر المجردات لها بساطة خارجية فقط، وهي مركبة، في الذهن، من عنصري الوجود والماهية.

وأما قولهم: «ليس للأعراض مادة وصورة ولا للمجردات مادة وصورة». معناه: ليس لها مادة جسمانية خارجية، لا أنه ليس لها معنى نسبته إليه عند التحليل، نسبة مادة الشيء إليه؛ كيف وهم جعلوا نسبة الماهية إلى الوجود، نسبة المادة إلى الصورة^(١).

ولكن هل يكفي هذا الجواب لحل هذه المشكلة أم لا، فهذا موضوع آخر. وقد نجد هذا الجواب إلى حد ما في نقد العارفين على قاعدة «الواحد» وكذلك يمكننا البحث عن تبريرهم من أجل الارتباط بين الذات الإلهية وما سوى الله. يدعي ابن الفناري أن التركيب من الوجود والماهية يستلزم التكثر بشكل تلقائي، ولو فرضنا أن هذا الموجود عار من الماهية فلا يمكنه أن يكون من مراتب المخلوقات.

إن العقل الأول كسائر الممكنات، مشتمل على الماهية الممكنة القابلة والوجود المقبول؛ فالصادر عن الواحد الحق، إما المجموع من حيث هو وفيه كثرة أو الوجود من حيث خصوصية باقترانه بتلك الماهية، فإن كانت الخصوصية جزء الصادر، فقد كثر وإلا فالصادر هو الموجود الذي لا خصوصية له بماهية ممكنة قابلة، ولذا كان من مراتب الإلهية لا الكونية^(٢).

المقدمة الثانية: للوجود المحض هوية إلهية، وهذه المقدمة (إن الوجود وهو وجود المحض ولم يدخل إليه أي أدب، لا هوية له غير الوجود الإلهي) قبل أن تكون مبدأ فلسفياً هي مطلب عرفاني.

تفاوت مراتب الوجود في الإطلاق والتقييد: بناء على المباني العرفانية بما أن حقيقة الوجود ليست أمراً جنسياً ونوعياً وعرضياً فإنها في انطباقها على مصاديقها لن تبقى كلياً طبيعياً. لذلك ستكون لها مراتب^(٣).

(٣) المشاعر، ص ٨.

(١) الأسفار، ج ١٥، ص ٤٩٨.

(٢) مصباح الأنس، ص ١٩٢.

والمرتبة الأولى من مراتب الوجود التي يطلق عليها الحق في ذاته، مطلق الوجود والوجود الصرف هي طبيعة الوجود من حيث هي هي.

وهذه الحقيقة التي هي الذات الواجبة إياها، مُطلقة من جميع القيود ولا بشرط من جميع الشروط، حتى من قيد وشرط الإطلاق، ومنزهة عن جميع الاعتبارات والإضافات، حتى الاعتبار ونسبة العلية^(١). وإن الحق المتعالي في كمون والخفاء المحض في هذه المرتبة وما من ظهور له هناك، وهو كعقواء مغرب الذي لا تصله يد أي أحد.

وفي خروجه من هذه البطون تجلّى سماحة الغيب من أجل نفسه، وهذا التجلّي الذاتي هو مرتبة الأحدية إياها. وفي المرتبة الأخيرة، أظهر الذات الباري جلّ شأنه أعيان الممكنات بصفة العلم والقدرة، وتنزل من حضرة الأحدية إلى حضرة الواحدية من حيث الاسم^(٢). ويذكرُ العارفون الكبار التعيين الأول ومقام الأحدية بالحقيقة المحمدية ﷺ ومقام جمع الجمع.

هناك جهتان للحقيقة المحمدية ﷺ: الإلهية والعبودية. وهذه الحقيقة باعتبار وجود سعي إحاطي كلي في صقع الربوبي، وبسبب الخلافة النامة للحق ومظهرية الصفات والأسماء الإلهية، جميع الصفات التي هي ثابتة بالأصالة من أجل الحق الأول - تبعاً لوجود الحق موجودة^(٣).

وتلك الحقيقة الكلية باعتبارها مظهر جميع أسماء الحق وتخص مظهرية التجلّي الذاتي، فمن مظهرها ظهر الحق في المخلوقات. وبما أنّ مقام الغيب المطلق لا يكون مشهوداً لأي شخص، فمن يشهد الحق سيشهده بصورة الحقيقة المحمدية ﷺ^(٤).

(١) محي الدين ابن عربي، ص ٢٧٥.

(٢) فصوص الحكم، ج ٢، ٢٤٦ - ٢٤٥، مصباح الأنس، ص ٥٢.

(٣) في توضيح هذا المبحث كتب القيصري: ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين، الإلهية والعبودية، لا يصح ذلك أصالة بل تبعية وهي الخلافة... والحاصل، أنّ ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التي له من حيث مرتبته. شرح فصوص الحكم، ج ١، ص ١٠٤، وانظر كتاب: شرح مقدمة القيصري، ص ٧١١ و٧١٠.

(٤) شرح مقدمة القيصري، ص ٧١٤.

لذلك فإن الحقيقة المحمدية ﷺ والوجود الواحد المفاض على أعيان
الممكنات لا ينافيان وجود الحق، وليس لهما وجود مستقل بل إنهما عين تجلّي
وتدلّي الحق المتعالي، ولهذا السبب فإنه مبرأ من الحدود الماهوية والماهية
ومنزّه عنهما.

والاختلاف الوحيد بين الحق المطلق والحق المخلوق هو أن وجود الحق
خلافاً لفعله الإطلاقي عارٍ ومطلق ومجرد من الأعيان والمظاهر^(١).

النسبة بين الحقيقة المحمدية ﷺ والعقل الأول: بناءً على ذلك يتموضع العقل
الأول كحسنة من حسنات الحقيقة المحمدية ﷺ^(٢) وفي مرتبة أدنى منها، لأن
الحقيقة المحمدية ﷺ والوجود المنبسط هما من مراتب الوجود الإلهي؛ إلا إن
العقل الأول هو من المراتب الكونية. إذن، سيبقي برهان صدر المتألهين ناقصاً،
لأن كبرى هذا البرهان لا يصدق على العقل الأول. ولكن إذا أصرّ أحدهم على
أن الصادر الأول هو تعين ذات الغيب وهو العقل الأول نفسه، ففي هذه الحالة
سيكتمل البرهان المذكور آنفاً.

ولكن الأمر الذي يستحق الانتباه هو نتيجة هذا البرهان؛ فكما ذكرنا هناك
مقدمتان لهذا البرهان: الأولى: «العقول هي الوجود المحض وتفتقد لأي نوع
ماهية تُغايّر الوجود»، والثانية: «الموجود الذي هو الوجود المحض وما من علم
فيه لا هوية له غير الوجود الإلهي»، ومن جمع هاتين المقدمتين نستنتج أن «لا
هوية له غير الوجود الإلهي».

وهذه النتيجة حتى لو كانت صحيحة، ليس لها أي علاقة بمسألة حشر
العقول، لأن الفرق بين الوجود الإلهي والعقول هو التفاوت والاعتبار. ليس
هناك موجودان مستقلان ومنحازان عن بعضهما ليحشر أحدهما على الآخر،
وليس من المنطقي أن يحشر شيء على نفسه. على كل حال، يبدو أن البرهان

(١) شرح مقدمة القيصري، ص ١٦١.

(٢) نهج الفوائد، ج ٢، ص ١٦٩، تعليقه المرحوم قمشاي.

الأول لصدر المتألهين، بصرف النظر عن الاختلاف بين الوجود المنبسط والعقل الأول، لا يثبت حشر العقول.

وقد شرح ملأ صدرًا هذا البرهان في كتابه الأسفار على النحو الآتي:

وأما البيان التفصيلي، فلنورده في دعاوي: الدعوى الأولى في حشر العقول الخالصة إلى الله تعالى. قد سبق مراراً أنها مستهلكة الهويات في هويته تعالى وأنها باقية ببقاء الله، راجعة إليه؛ ولنوضح ذلك بذكر وجوه من البراهين: الأول: إن هوياتها وجودات صرفة وإنيات محضة لا يشوبها عدم، وأنوار خالصة لا يخالطها ظلمة وإنما التفاوت بينها وبين الأنوار بالنقض والتمام وكذا بين بعضها مع بعض ليس إلا بالشدة والضعف؛ ومتى كانت كذلك. كان لها اتصال معنوي ولم تكن مفصولة الهويات عن الهوية الإلهية؛ ولأن تمام الشيء هو بالحقيقة ذلك الشيء وأحق به^(١).

من الجدير ذكره أن صدر المتألهين ومن أجل إثبات مقدمته الثانية أو كبرى برهانه، أي «الموجود الذي هو الوجود المحض وما من عدم فيه لا هوية له غير الوجود الإلهي»، يستدل على النحو التالي: «فلأن الشيء مع تماميته، هو بالحقيقة ذلك الشيء لا مع نقصه».

وغير ما شرحناه آنفاً ما من شيء جديد في هذه العبارة، وقصدنا هو أنه لو أخذنا جهات النقص من الموجودات الناقصة سيكتمل هذا الموجود. بعبارة أخرى إن الوجود المطلق له تجلٍ في سداة ولحمة الكائنات بحكم السريان الذاتي، وإن كل ذرة هي مظهر لأحد أسمائه الحُسنى. وإن نهاية أي شيء منورة بقدر قابلية واستعداده لنور تلك الشمس الساطعة، وإن خرجت من قيد تعيينها وتشخصها وتحررت من حدود الجزئية فسوف تظهر كمالات الوجود فيها وتتجلى؛ لأن المقيد هو المطلق ذاته مع شرط التقيد، وإذا زال تقيده، فسوف يبقى مطلقاً بحال إطلاقه.

(١) الأسفار، ج ٩، ص ٣٤٢.

بناءً على ذلك، فإن الفيض المنبسط من باب التقيد في العموم له مرتبة أدنى من مقام الوجود المطلق. ومن هذا الانحطاط والتنزّل عن مقام واجب الوجود تظهر ماهية حدّ العدم بتبع الوجود باعتبار تَعَمَل العقل أو بحسب تركيب الصادر الأول عن جهة الوجدان والفقدان أو تتزع منه^(١).

أنواع العدم وتمتعه بالوجود: في نهاية هذا المبحث نرى من الضروري ذكر هذا الأمر أنّ صدر المتألهين أشار إلى موضوع في تنمة توضيحه وهو قابل للتأمل.

يدّعي صدر المتألهين أن النقص أمرٌ عديمي، وإنّ العدم صفتان: العدم الخارجي والعدم الاعتباري؛ ثم يدّعي أنّ العدم الخارجي يتمتع بنوع من الوجود، وهو موجود في الأجسام والجسمانيات ويستند إلى وجود الشرور في الأجسام تأكيداً على كلامه. ولكن ليس خافياً على القراء المحترمين أنّ العدم المطلق لا يملك أي نوع من الوجود وإلا ما كان عدماً. إذن، لا يمكن تقسيمه إلى نوعي الخارجي والاعتباري إلا إذا كان القصد منه النقص الوجودي في مرتبة الإمكان وفي هذه الحالة ليس له أي علاقة بالعدم بمفهومه الفلسفي.

البرهان الثاني، قاعدة الإمكان الأشرف: يلجأ صدر المتألهين إلى قاعدة الإمكان الأشرف من أجل إثبات حشر العقول وينسب هذه القاعدة إلى أرسطو^(٢)، ويعتبرها ناتجة عن أصل امتناع صدور الكثرة عن الواحد الحق^(٣).

وبناءً على هذه القاعدة يجب أن يكون في جميع مراحل الوجود، الممكن الأشرف مقدماً على الممكن الأخس وبعبارة أخرى أينما كان هناك الممكن الأخس فهناك ممكن أشرف موجود قبله.

إنّ الممكن الأشرف يجب أن يكون أقدم في مراتب الوجود من الممكن

(١) تمهيد القواعد، ج ١، ص ٨١ - ٧٩

(٢) انظر كتاب الأسفار، ج ٥، ص ٥٨١ و ٥٨٢، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) الأسفار، الكتاب ذاته، ج ٧، ص ٣٢٠.

الأخس، وأنه إذا وجد الممكن الأخس، فلا بد أن يكون الممكن الأشرف منه،
قد وجه قبله^(١).

كما أنه يشرح قاعدتين أخريين غير هذا التقرير:

كل ما هو أقدم صدوراً من المبدأ الأول، فهو أشرف ذاتاً وأقوى وجوداً^(٢).
القياس المطلق والجواد الحق، لا يقتضي الأخس حيثما يمكن الأشرف؛ بل
يلزم من فيض وجوده ومقتضى جوده، الأشرف فالأشرف^(٣).

إثبات صحة قاعدة الإمكان الأشرف: لقد تم إثبات هذه القاعدة بعدة طرق:
الطريقة الأولى: كلما صدر الممكن الأخس عن الباري تعالى، فيجب أن
يكون الموجود الأشرف صدر قبله، وإلا سئلزم إحدى الإشكالات الثلاثة هذه:
صدور الكثير عن الواحد، أشرفية المعلول من علته، ووجود موجود أعلى
وأشرف من الباري تعالى.

الطريقة الثانية: حين يصبح الممكن الأخس موجوداً ولم يصبح الممكن
الأشرف موجوداً قبله، تحدث إحدى الإشكالات الأربعة هذه: خلاف الفرض،
صدور الكثير عن الواحد، صدور الأشرف عن الأخس، وجود جهة أشرف من
ما هو موجود في الحق تعالى^(٤).

بحث السهرودي هذه القاعدة في اللوح الثالث من الألواح العمادية، وكتب
في شرحها:

وحين يكون الممكن الأخس موجوداً فمن الواجب أن يكون الممكن الأشرف
قد وجد قبله؛ لأنه لو اقتضى واجب الوجود الأخسية لواحدانيته ويترك الأشرف
فيمكننا أن نفترض إن حصل الممكن الأشرف فذلك يستدعي أن يكون حصل من
جهة أشرف من واجب الوجود، وإن هذا الشريف قد يوجد شيئاً أشرف منه.

(١) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٢٠. (٣) المصدر ذاته، ج ٧، ص ١٤٧.

(٢) الأسفار، الكتاب ذاته، ج ٦، ص ٢٢١. (٤) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٢١.

إذن، يحدث الممكن الشريف بعد واجب الوجود وبواسطته أصبح الممكن الخسيس موجوداً^(١).

شروط تنفيذ قاعدة الإمكان الأشرف: من بعد قاعدة الإمكان الأشرف معتبرة، يرى شرطين مناسبين لسريانه: (١) اتحاد الموجود الأشرف والموجود الأخرس في الماهية (٢) هي سارية في المبدعات والموجودات غير المادية فقط. ومع أن صدر المتألهين لا يعارض هذين الشرطين إلا إنه يقول موضعاً: بما أنه وبناءً على نظريه التشكيك في الوجود، أن التفاوت بين أفراد الوجود هو في الكمال والنقص، فليس من الضروري أن يكون للممكن الأخرس والممكن الأشرف ماهية نوعية واحدة؛ لأنه يكفي الاتحاد في الوجود من أجل ذلك الأمر^(٢).

إشكالات قاعدة الإمكان الأشرف: لقد وردت عدة إشكالات على هذه القاعدة على بعض الجهات، إلا أنه حسب زعم صدر المتألهين الشيرازي أهمها هي عدم تنامي العقول. ويشرح هذا الأمر على النحو التالي: سواء كانت العقول أنواراً محضة أو وجودات صرفة، فهي أمور بسيطة، والخلاف بينها يكمن في شدتها وضعفها.

إن كانت قاعدة الإمكان الأشرف سارية في العقول فيلزم أن تكون العقول غير المتناهية موجودة في النظام العلوي والمعلولي بين عقليين أو بين العقل الأول والواجب تعالى؛ لأنه ما من مرتبة لا يمكن تصورها من الشدة بينه وبين المرتبة الأعلى منه وفي هذه الحالة سوف تكون سلسلة الموجودات غير متناهية^(٣).

وضمن اعتباره الإجابة عن هذا الإشكال من ابتكاراته الشخصية يستند الملا صدرا على كشفه وشهوده.

وهذا الإشكال مما عرضته على كثير من فضلاء العصر وما قدر أحد على

(١) مجمرة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ١٤٩.

(٢) الأسفار، ج ٧، ص ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٢٠ و٣٢١.

حلّه، إلى أن نور الله قلبي وهداني ربي إلى صراط المستقيم وفتح على بصيرتي باب ملكوت السماوات والأرض بمفتاح معرفة نفسي، فإن معرفة النفس مفتاح خزائن الملكوت. وذلك لأنني نظرت إلى نفسي، فوجدتها إنية صرفة لا يدخل فيها جسد ولا عضو من الأعضاء كقلب أو دماغ أو نجار يُسمى عند الأطباء بالروح؛ ولا أيضاً يدخل فيها أمر ذهني ولا ماهية عقلية، لأن جميعها يغيب عن ذاتي وذاتي لا تعزب عن ذاتي أبداً - كما استفاده صاحب التلويحات عن الفيلسوف المعلم للمشائين في الواقعة. ثم وجدت ذاتي وإنيتي غير محدودة في حدّ معين ومرتبة مخصوصة لا تتعدها، بل رأيتها مع وحدتها وبساطتها تعقل الأشياء المعقولة بذاتها وتتخيل الصور المتخيلة بذاتها وكذا تدرك الصور المحسوسة بذاتها... فإذن للنفس الإنسانية - مع وحدة وجودها وهويتها - لها درجات ذاتية من حدّ العقل إلى حدّ الطبيعة والحس؛ فلها مقام في عالم العقل ومقام في عالم المثال ومقام في عالم الطبيعة وكلّ واحد من هذه المقامات الثلاثة أيضاً متفاوت الدرجات قوة وضعفاً وكمالاً ونقصاً؛ فحسّ يكون أقوى وأشدّ من حسّ آخر في باب الحسّ، كالبصر أقوى من السمع، وكذا خيال أقوى وأنور من خيال آخر في باب التمثيل، وعقل أشرق وأوضح من عقل آخر في باب التعقل؛ فهي مع صرافة وحدتها، كثيرة المقامات، رفيعة الدرجات.

فإذا كانت النفس حالها كذلك، فالعقول أولى بهذا الحال، فعلى هذا القياس حال كل عقل في وحدته الجمعية المنطوية فيها مراتب وحدود غير متناهية فرضية، موجودة بوجود واحد إجمالي، أعلاها وأشدّها هو ما يلي أدنى مراتب ما هو فوقه، وأدناها وأنقصها هو ما يليه أعلى مراتب ما هو تحته ويتلوه في سلسلة الإبداع^(١).

أولاً ليست هناك أي علاقة بين هذه الإلهامات الغيبية مع ذلك الإشكال، وثانياً هذا الكشف المعنوي الذي يختص به صدرالدين الشيرازي فقط، لا ينطبق مع القواعد والقوانين العقلية الفلسفية المسلّم بها.

(١) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٣٢.

يبدو أنّ أي قارئ مطلع على الأصول الفلسفية يدرك أنه أولاً: إن نفس الإنسان ليست غير محدودة، لأنه بمجرد استخدامنا مفردتي «أنا» أو «إنّي» فهذا يدل على الحدّ للتعين الخاص للنفس الإنساني والتي تُعد وجه تمايزه في النفوس الأخرى. ثانياً: إن نفس الإنسان على الرغم من صرافتها وبساطتها الذاتية تملك مراتب ودرجات غير متناهية وإن العقول هي هكذا مثل النفس. إذن، ما علاقتها مع مسألة الحصر غير المتناهية بين الحاصرين في مسألة ذات الباري تعالى والعقل الأول؟

استعمال قاعدة الإمكان الأشرف: طرحت قاعدة الإمكان الأشرف في الحكمة المتعالية في مبحث العقول وتُستخرج منها نتيجتان متفاوتتان:

(١) إثبات حشر العقول: يثبت صدر المتألهين الشيرازي حشر العقول باستخدام قاعدة الإمكان الأشرف.

ومن أجل قصده هذا يستدل على النحو التالي:

بمقتضى قاعدة الإمكان الأشرف هناك اتصال معنوي بين نور الأنوار ونور الأقرب (الواجب المتعالي والعقل الأول) وكذلك بين نور الأقرب والنور الذي يليه في سلسلة طولية (العقل الأول والعقل الثاني)، وإلا سيكون من الضروري وجود العقول (الأنوار) اللامتناهية بين المرتبتين؛ لذلك فإن العقول هي من الشؤون الإلهية ومراتب نزول الحق ليست متباينة ومنفصلة في الذات الإلهية.

ومن ثم، من أجل التأكيد على هذا الموضوع يضرب مثلاً عن النفس الانسانية ومقاماتها من حد العقل بالفعل حتى الإدراك اللمسي، وفي النهاية يدّعي أنّ «هذا باب من التوحيد، يفتح بمفتاح معرفة النفس، على هذا الوجه، فتدبر واهتد» وفي كتاب الأسفار أيضاً ذكر الملا صدرا هذا البرهان وشرحه على النحو التالي:

البرهان الثاني: إنّ قاعدة الإمكان الأشرف تقتضي أن يكون بين المبدأ الأول وما لفرض أقرب الموجودات إليه اتصال معنوي، وكذا بين الموجودات وما يتلوها، وهكذا إلى آخر الإنهيات المحضة والأنوار الصرفة؛ فيكون الكل كأنه

ذات واحدة ولها اتصال واحد متفاوتة المراتب في شدة الإشراق وكمالية الوجود، ولها جنبه عالية غير متناهية في الشدة، وجنبه أخرى متناهية في الشدة مع عدم تنافها في المدة والعدة. وذلك لأنه لو لم يكن بينها هذا الاتصال، يلزم انحصار غير المتناهي بين حاصرين كما بيناه؛ ولا مخلص إلا بكونها من مراتب الإلهية ودرجات الربوبية كما أشير إليه بقوله تعالى: «رفيع الدرجات ذو العرش» فهي واصله إليه راجعة إلى ذاته^(١).

لا يمكن تسمية هذا الموضوع كبرهان ودليل، بل هو فقط تكرار الإشكال والإجابة المطروحين في قاعدة الإمكان الأشرف.

على كل حال، فإن قاعدة الإمكان الأشرف ليست مقتضى الاتصال المعنوي للمبدأ الأول بالعقل الأول، بل إن محتوى هذه القاعدة وجود الممكن الأشرف قبل الممكن الآخر؛ ولكن قبول وجود اتصال معنوي بينهما - على فرض صحتها - هو من أجل التخلص من إشكالية الحصر اللامتناهي بين المتناهيين.

وفضلاً عن ذلك، فإن ادعاء استلزام «الانحصار غير المتناهي بين حاصرين» ليس صحيحاً، على الأقل فيما يتعلق بالمبدأ الأول والصادر الأول؛ لأن الحق تعالى بناءً على الأصول الفلسفية - العرفانية هو وجود مطلق مطلقاً عن الإطلاق، وهو لا بشرط وغير مشروط إطلاقاً، خلافاً للصادر الأول الذي يُعدّ مقيداً بالإطلاق ومتعيناً بعدم التعيين. لذلك، ليس هناك حدّان محصوران كي لا يتسع غير المتناهي بينهما.

ولهذا السبب من وجهة نظر محققي أهل العرفان فإن التعيين الأول والتعيين الثاني هما من أجل الذات الغيبي، ومقام الأحدية والواحدية الذي في مقام الواحدية تتعين الذات الإلهية بالأسماء الحسنى والصفات العليا؛ ولكن بما إنه ما من حد لكمالاته، لذلك فإن صفاته عين الذات ولا متناهية كالذات.

(١) إثبات وجود العقول: يذكر صدر المتألهين في كتابه الأسفار اثني عشر

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٤٢.

دليلاً لإثبات وجود المفارق القدسية الموجودة بين الحق المتعالي وعالم الخلق حيث إنّ الدليل الثالث هو قاعدة الإمكان الأشرف إياه:

الثالث: من سبيل الإمكان الأشرف؛ ولا شبهة في أنّ العقل الأشرف من سائر الممكنات وهو فرد من أفراد الوجود ومرتبة من مراتبه. والوجود طبيعة واحدة نوعيّة على الوجه الذي قرّرناه وإن لم يكن نوعيتها باعتبار عروض الكلية لها في الذهن كما في الماهيات، فيكون الوجود الأشرف ممكناً لا محالة بالإمكان العام، فيجب حصوله قبل الأخس؛ فالوجود الأوّل عنه - سبحانه - وجب أن يكون أشرف الذوات العقلية والجواهر النورية، وأشدّها قوّة وأكملها هويّة وأبعدها عن النقيصة والقصور، وأقربها إلى مبدأ المبادئ وغاية الغايات^(١).

البرهان الثالث، عدم وجود فرق بين التجلّي والمتجلّي:

يشرح صدر المتألّهين دليله الثالث لإثبات حشر العقول على النحو التالي: يعد العقل الأوّل التجلّي لذات الباري تعالى ومرآته الحقيقة، حيث لا يتجلّي فيها شيء غير الحق. وصورة ذات الحق هي ذات الحق نفسها ولا شيء غيرها. وهذا برهان يذكره صدر المتألّهين لإثبات حشر العقول، ثم يستشهد بعبارتين لأفلوطين وابن سينا.

يشرح أفلوطين على هذا النحو: بما أن الباري تعالى هو الكمال المحض ومنشأ جميع الكمالات فيجب أن يهب الحياة والكمال إلى كافة الموجودات الأخرى. ومن الطبيعي أن أي موجود له إمكانية أكبر للقبول، فهو أقرب إلى المبدأ الأوّل؛ وإن موجوداً كهذا هو يُعدّ كواسطة بين الحق تعالى وسائر الموجودات الأخرى.

ودوماً ما يستفيض هذا الموجود من الحق المتعالي ويعطي الفيض إلى سائر الموجودات الأخرى، لذلك فإنّ الوساطة بين حضرة الحق والموجودات الأخرى، بسبب قربه الشديد إلى الحق وقبوله الفيض منه بشكل كبير، ينبغي أن

(١) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٤١.

يكون أكثر الموجودات كمالاً وفضيلة. وهذا الموجود الواسطة هو العقل ذاته الذي يُعد المظهر الأول للذات الإلهية وتتجلى فيه كافة فضائل الباري تعالى فيه، وتفيض الحياة منه على النفس والموجودات الأخرى.

كما أن ابن سينا يذكر في رسالته المعروفة باسم رسالة العشق أن الخير الأول (الواجب تعالى) يتجلى بتمام ذاته على جميع الموجودات، وإن عجز موجودٌ عن إدراك وتلقي هذا التجلي فهذا يعود إلى قصوره وضعفه ونقصه.

مظهرية العقل الأول ومسألة الحشر: إن الموضوع القائل بأن العقل الأول أو الصادر الأول هو الموجود الذي أصبح لديه إمكانية تجلي الله فيه وأمسى مثاله ومظهره والمرآة الحقيقية للحق يفيض عن طريقها الفيض الإلهي على سائر الموجودات الأخرى، هو موضوع صحيح وما من شك فيه؛ ولكن الأمر المهم هو كيفية ارتباطه بحشر العقول، خاصةً وأننا نستنتج من عبارة أبو علي سينا أن العقل هو موجود آخر غير الحق، ولذلك فهو يستخدم مفردة «المثال» وليس «المثل» من أجل توصيف العقل؛ كما أن توصيف العقل بـ«الهوية المبدعة» في كلام أفلوطين يؤكد هذا الأمر أيضاً، وهذا ما يُنافي الشيء الذي يحاول صدر المتألهين إثباته، أي عدم تغاير الحق تعالى مع العقل باستثناء الاعتبار، بشكل كامل^(١).

البرهان الرابع، اتحاد العاقل والمعقول: يقوم العقل، بسبب عدم وجود الحجاب بينه وبين الحق المتعالي، بتعقل ذات الحق من دون واسطة لأي صورة. وبما أنه وفقاً لأصل اتحاد العقل والمعقول فإن الوجود المعقول هو الوجود المدرك نفسه، أي الصورة المعقولة في الوجود، فهو لا يتباين عن المدرك، فلذلك يجب أن يكون العقل في الوجود عين الحق المتعالي.

ومع أن صدر المتألهين لا يُشير إلى نتيجة كلامه الذي يبدو كالبرهان، ولكن يجب أن تكون نتيجته هي أن «العقول محشورة إلى الله».

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٤٣ و٣٤٤.

ويشرح هذا الموضوع في كتابه الأسفار على النحو التالي :

البرهان الرابع: قد مرّ في مباحث العقل والمعقول فن الفنّ الكلّي، البرهان على ثبوت الاتحاد بين العاقل ومعقوله بالذات؛ وثبت في مباحث علمه تعالى أنّ المفارقات العقلية هي بعينها علومه التفصيلية بالأشياء لا بصورة زائدة عليها. فإذا كانت ذاتها عين عقله تعالى بالموجودات، وعقل الشيء - كما علمت - غير مباين عنه؛ فهي - لا محالة - راجعة محشورة إليه تعالى، صائبة إياه^(١).

علاقة اتحاد العاقل والمعقول بحشر العقول: في هذا الكلام القائل بأنه وفقاً لأصل اتحاد العاقل والمعقول يكون العاقل والمعقول بالذات (الصورة الذهنية) متحدّين في الوجود، أي أنّ وجود الصورة الذي يتعقل بالفعل، هو وجود العاقلية للنفس ذاته^(٢). وكذلك وفقاً للأصول والمباني العرفانية يكون الصادر الأول (الوجود المنبسط أو العقل الأول)، بحكم إحاطته وسعة وجوده، واجداً لجميع مراتب وجود ما دونه وإنّ صور كافة الأشياء حاضرة لأنه لا يوجد هناك شك. إلّا أن صدر المتألهين يحاول إثبات شيء آخر.

ويّدعي على هذا النحو: بما أن العقل الأول يعقل الذات الباري، ومن جهة أخرى فإنّ العاقل والمعقول متحدان في الوجود، لذلك فإنّ العقل الأول وذات الباري لديهما اتحاد في الوجود، وهما يتشابهان تماماً.

لا يبدو أنّه يمكن عن طريق اتحاد العاقل والمعقول إثبات هذا الأمر أن العقل، في الوجود، كالواجب تعالى تماماً. لأنه لو كان العقل الأول من المراتب الكونية فإنّ هناك ثمة وجود منحاز أو متعين ومتخصص بالتعين والتخصص الخاص بالمراتب. لذلك فإنّ اتحاد العاقل والمعقول بالعرض ليس دليلاً على اتحاد العاقل والمعقول بالذات في الوجود الخارجي؛ مثلما هو كذلك في الحالات الأخرى. وإن كان العقل الأول من المراتب الإلهية، أي المقام

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٤٤.

(٢) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٣٣٩ - ٣٤٥، ج ٦، ص ١٥٦ و ١٥٨.

الأحادية أو الواحدية - حسب الاختلاف الموجود بين أهل العرفان - فمثلاً يدل ظاهر عبارة الأسفار فإن الحشر والمعاد لن يكون لهما أي مفهوم.

البرهان الخامس، العقل الأوّل وصور العلم الإلهي: وهنا ينتهي الفصل الأول من هذه الرسالة إلّا أن صدر المتألهين يضيف في الأسفار برهاناً آخر لإثبات حشر العقول:

البرهان الخامس: قد سبق في مباحث علم الله تعالى أنّ الصور العقلية الإلهية قائمة بذاته تعالى، قواماً ذاتياً لا على وجه الحالية والمحلية، وأنها من لوازم ذاته الغير مجعولة الثابتة له باللّا جعل الثابت لذاته تعالى الواجبة بالوجوب الثابت له الباقية ببقائه تعالى، فلا محالة محشورة إليه تعالى^(١).

يدّعي الملاً صدرا أنّ الصور العقلية الإلهية قائمة بالذات الإلهية، وتعدّ من لوازمها، من دون أن تكون مجعولة بجعلٍ مستقل. وهذه الصور باقية بالبقاء الإلهي وواجبة بالوجوب الثابت لها. إذن، يجب أن تُحشر إليه.

الأعيان الثابتة وصور العلم الإلهي: القصد من صور العقل الإلهي هو الأعيان الثابتة في اصطلاح أهل العرفان. وبناءً على أصول العرفان النظري، فإن وجود المحض هو بعد تجلّي الذات للذات والخروج من الكمون والبطون المحضة، وفي مرتبة الواحدية المتجلّية في الأسماء والصفات. وفي هذا المقام تصبح حقائق موجودات العوالم المُلْكِيّة والملَكوتية في حضرة العلم على شكل الاستعداد والقابلية، ويطلق عليها في العُرف الصوفي الأعيان الثابتة.

بعبارة أخرى، إنّ حقيقة الوجود بواسطة محضها إلّا بشرط غير مرتبطة حتى بالقيد التعين وعدم التعين مع الأشياء بل مع أسماء صفاتها ومظاهرها. النسبة الأولى التي يتعين بها الوجود ويتقبل التقيد هي النسبة العلمية أو شهود الذات للذات. يلزم علم الحق نسبةً إلى ذاته، العلم إلى لوازم الذات أي الأسماء والصفات. وبالتأكيد يحتوي هذا العلم على العلم بصور الأسماء وهي الأعيان

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٤٤.

الثابتة ذاتها، بواسطة الملازمة الموجودة بين الصورة وباطن الصورة أيضاً. إذن، فإن الأعيان الثابتة في موطن ذات الحق موجودة ومعقولة بعين وجود الحق.

وسبب التجلي الذاتي، وهو التجلي في الأحدية، هو الحب الذاتي للحق بذاته. وإن منشأ ظهور الأعيان هو تجلي الحق بالفيض الأقدس والحب بمعرفة الأسماء والصفات وظهور صفاتها التي يُطلق عليها مقام الواحدية.

للفيض الأقدس صورة وتعين وظهور حيث يعطي وجوداً خارجياً للأعيان الثابتة بواسطة تجلي الحق، أي مقام ومرتبة الظهور التفصيلي للأسماء وتجلي الحق في المظاهر.

حوّل الحق الأول جلّ شأنه الحقائق الخارجية من مقام الاستجنان في الذات إلى مقام الاستجنان والاندماج في العلم. وبالتجلي في الواحدية أخرج الأعيان من مقام الاندماج والاستجنان في العلم وأوصلها إلى مقام الظهور التفصيلي العلمي بواسطة التجلي الأسمى، ومن ثم حوّل الأشياء من الوجود التبعي إلى وجود خارجي خاص لأي وجود^(١).

وعلى هذا الأساس بما أن الماهيات والحقائق تطلب الخروج من موطن الغيب والظهور في عالم الشهادة لذلك فإن هويات الأشياء - سواء كانت مادية أو غير مادية، روحانية أو جسمانية، علوية وسفلية، ملكية وملكوتية - أصبح لها تعيين.

ارتباط صور العلم الإلهي بحشر العقول: السؤال المطروح بأن أي علاقة هناك بين مبحث حشر العقول مع مسألة الأعيان الثابتة، وإن صور العلم الإلهي هذه بأي معنى لها حشر إلى الله، من المواضيع التي يجب التأمل فيها.

إن كان قصد من العقل الأول في اصطلاح الفلاسفة هو الوجود المنبسط في اصطلاح أهل العرفان نفسه، فإن موطن الأعيان الثابتة هو مقام الواحدية يكون بعد مرتبة ومقام الأحدية. وإن كان المراد من العقل الأول هو مقام تجلي

(١) شرح مقدمه قيصري، ص ٣٣٧.

الأسماء والصفات الإلهية ومرتبة الواحدية إياهما، فلن يعد الصادر الأول، وفي كلتا الحالتين هو ليس موجوداً في الطول الواجب تعالى لكي ينوي الحشر إليه، بل هو نفسه من يتعين بتعينات علم الأسماء والصفات من دون التجافي عن مقام الغيب، ولن يُعد حشر الشيء إلى نفسه له معنى، مثلما جاءت الأحدية والصمدية في سورة الإخلاص كصفتين لله جل شأنه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (١).

الفصل الثاني حشر النفوس: حشر النفوس الإنسانية

(١) تعريف النفس: هناك تعاريف متفاوتة في النصوص الفلسفية لمفردة «النفس» ولكنها متقاربة: «جوهر مجرد مستقل ذاتاً في المادة وفي العمل يحتاجها»، «جوهر مستقل وقائم بذاته له تعلق تدبيري بالجسد»، «جوهر حي بذاته، فاعل بطبعه، وعالم بالقوة»^(٢)، «جوهر بسيط وروحاني وحي بذاته وعالم بالقوة وفاعل بالطبع، وصورة من صور العقل الفعّال»^(٣)، «جوهر بخاري ولطيف يحمل قوة الحياة، الحس والحركة الإرادية»^(٤).

نستنتج من هذه التعاريف أنّ المراد من «النفس» التي نطلق عليها «الروح»، هو موجود غير مادي يحتاج إلى الجسم من أجل الفعلية.

يقدم أرسطو في كتاب النفس توضيحاً جامعاً حول النفس وتعريفها له أهمية قصوى:

يبدو أن أحد أجناس الوجود هو الجوهر؛ ولكن الجوهر بمعنى الأول هو مادة، أي الشيء الذي ليس شيئاً محدوداً بنفسه. وبالمعنى الثاني هو الشكل والصورة حيث نسمي المادة بناءً عليهما شيئاً محدوداً. وبالمعنى الثالث هو الشيء المركب من المادة والصورة؛ ولكن المادة هي القوة وصورة الكمال،

(١) سورة الإخلاص (١١٢)، الآية ٢١.

(٢) مصنفات باها أفضل الكاشاني، ج ١، ص ٢٦، رسالة ٢.

(٣) التعريفات، ص ١٠٧.

(٤) جامع الحكمتين، ص ٨٩.

والكمال له تعريفان: إمّا هو مثل العلم أو مثل استعمال العلم.

إلا إنّ الرأي العام يقول إنّ الأجسام بجوهريتها أحق من كل شيء، ومن بينها الأجسام الطبيعية هكذا؛ لأنها أصول أجسام أخرى.

وبعض الأجسام الطبيعية لها حياة والبعض الآخر فاقدة لها، وإن قصدنا من الحياة هو أنّ الجسم يتغذى وينمو ويفسد تلقائياً.

من هنا نستنتج أنّ أي جسم طبيعي له حياة هو جوهر، بهذا المعنى أنّه جوهر مركب. وبما أنّ القصد من الجسم هنا هو الجسم الذي له صفة معينة، أي جسم ذو حياة؛ فإن الجسم لن يكون مطابقاً للنفس؛ لأن الجسم ذا الحياة هو ليس محمول موضوع بل هو الحامل والمادة إياهما.

وبالتالي فإن النفس هي الجوهر بالضرورة، بهذا المعنى أنّ الصورة هي طبيعية لجسم له حياة بالقوة، ولكنها الجوهر الصوري للكمال. لذلك هي نفس الكمال لجسم له طبيعة كهذه.

ولكن هناك مفهومان للكمال: في بعض الأحيان مثل العلم وفي أحيان أخرى مثل استخدام العلم، وعلى هذا المنوال من الواضح أن النفس الكمالية مثل العلم، لأن النوم كالصحو يستلزم وجود النفس، إلا إنّ الصحو شيء مثل استعمال العلم، والنوم شيء مثل امتلاك العلم ولكن من دون استخدامه.

ولكن في ترتيب الظهور في الفرد يكون التقدّم للعلم؛ لذلك يكون تعريف النفس على النحو التالي: الكمال الأوّل للجسم الطبيعي الذي له حياة بالقوة، أي من أجل جسم آلي؛ وإنّ أعضاء النبات هي آلات من أجله ولكنها في غاية البساطة. وعلى سبيل المثال الورقة هي حفاظ للغلاف، والغلاف هو حفاظ للثمرة؛ والجذور مثل الفم، لأنهما يجذبان الطعام.

إذن، لو أردنا أن نقدم تعريفاً كلياً ينطبق على جميع أنواع النفس يجب أن نقول إنّ نفس الكمال الأول هي للجسم الطبيعي الآلي^(١).

(١) حول النفس، ص ٧٥ - ٧٩.

(٢) انواع النفس: إضافة كلمة «الناطقة» (النفس) هي لهذا السبب حتى يتبين أنّ هذه النفس (الروح)، هي غير النفس (الروح) النباتية أو الحيوانية التي تكون حياة الموجودات الحية بفضلها، بل إنّ وجود هذه الروح يعطي إمكانية التعقل والفكر للموجود الحي، وإنّ قراراته الإرادية وحركاته الاختيارية ناتجة عن وجود قيودها.

في الروايات التي وصلت إلينا من أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام)، تم التأكيد على التفاوت بين هاتين الروحين إذ صرح الأئمة الأطهار على وجود روحين لكل إنسان، وهما: (١) الروح أو الحياة الخلوية، (٢) روح العقل التي تعتمد عليها الحياة الإنسانية للإنسان.

وحول هذا الأمر ينقل زرارة عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام):

إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة... أوحى إلى الرّحم أن افتحي بابك... ثم يبعث الله ملكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرّحم وفيها الرّوح القديمة المنقولة في أصلاب الرّجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء...^(١).

وكذلك في رواية سعيد بن المسيّب عن الإمام علي بن الحسين السّجاد (عليه السلام) جاء تصريح الإمام القائل بأنّه لو نفخ روح العقل في الجنين، فإن الجريمة بحقه تستوجب الدّية الكاملة. وإجابةً على سؤال الراوي هل أنّ تطورات الجنين هي بسبب وجود الروح أم يُمكن أن تتحقق من دون الروح أيضاً؟ يقول الإمام (عليه السلام) إنّ هناك نوعين من الحياة في الجنين: حياة خلوية وحياة عقلانية.

قلت له: أرايت تحوّل في بطنها إلى حال بروح كان ذلك، أو بغير روح؟ قال: بروح، عدا الحياة القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء؛ ولولا أنّه كان فيه روح عدا الحياة، ما تحوّل عن حالٍ بعد حالٍ في الرحم، وما كان إذا على من يقتله دية، وهو في تلك الحال^(٢).

(٢) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٤٧.

(١) الكافي، ج ٦، ص ١٣ و ١٤.

بصرف النظر عن المباحث الفلسفية - الكلامية حول إثبات الروح، ونقض والإصرار الموجود حول هذه المباحث، يعتبر وجود الروح أمراً مسلماً به في النصوص الدينية، ويؤكد القرآن الكريم في بعض الآيات على فنائية الجسم والروح: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ عَلَفَةً لِّعَلَّةٍ فَخَلَقْنَا الْعِلْفَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١).

في النصوص الفلسفية الكلاسيكية، إضافة إلى قبول روحاً كهذه من أجل الإنسان، ومن أجل تبرير النظام الطولي للوجود ثم التأكيد على وجود هذه الروح للأجرام السماوية التي اطلق عليها الأفلاك، وسوف نقوم ببحث هذا الموضوع في إدانة هذا البحث.

٣ حشر النفوس الناطقة: في توضيح حشر النفوس الناطقة إلى رب العالمين عز وجل في البداية يقوم صدر المتألهين بتقسيمها إلى صنفين الكامل والناقص، ثم يستدل بشكل إجمالي على النحو التالي:

١ - ٣ - النفوس الكاملة: أي النفوس التي خرجت من حالة بالقوة ووصلت إلى الفعلية وأصبحت من العقول بالفعل، وتُحشر هذه النفوس عند العقل. وبما أن العقل يُحشر إلى رب العالمين، يمكننا أن نقول إن النفوس ستُحشر عند الله أيضاً.

وقد شرح صدر المتألهين هذا الموضوع في كتابه الأسفار على النحو التالي:

الدعوى الثانية في حشر النفوس الناطقة إلى الله تعالى. هذه النفوس إما كاملة كمالاً عقلياً أو ناقصة. أما النفوس الكاملة، فهي التي خرجت ذاتها من حد العقل بالقوة إلى حد العقل بالفعل؛ فصارت النفس عقلاً بالفعل. وكلما صارت النفس عقلاً بالفعل انتقلت عن ذاتها واتحدت بالعقل الذي هو كمالها، فحشرت إليه؛ وكل ما كان محشوراً إلى العقل، كان محشوراً إليه تعالى، لأن المحشور

(١) سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ١٤.

إلى المحشور إلى شيء، كان محشوراً إلى ذلك الشيء؛ فالنفوس الكاملة محشورة إليه تعالى وهو المطلوب^(١).

ومن ثم يقسم النفوس الناطقة الكاملة إلى صنفين الفلكية والإنسانية، ثم يقدم شرحاً مفصلاً حول حشر كلاً منهما.

١ - ١ - ٣ النفوس الفلكية: إنّ خلق وانبعث هذه النفوس دائمي وتدرجي، لأن هناك نفسين (صورتين) للأفلاك: أولهما النفس الحيوانية السارية في جرمها ومادتها، وتفيض بشكل متوالي على جوهر الفلك؛ وثانيهما الصورة والنفس العقلية الباقيتان عند الله تعالى. وهاتان النفسان، بعد اجتيازهما القوة ووصولهما إلى الفعلية، تصبحان كالعقل، وتصلان وتعودان إليه. ومن بين الآراء التي وصلت عن طريق الإغريق إلى الفكر الإسلامي وتقبلها الفلاسفة المسلمون حتى الآن، بل اعتبروها من المُسلّمات، مبحث الأجرام السماوية وتملكها الأرواح.

إثبات وجود النفس الفلكية: من وجهة نظر حكماء علوم الطبيعة، للأجرام الفلكية نفوس ناطقة، لأن هذه الأجرام تتمتع بالحركة الإرادية، وأي موجود له حركة إرادية يجب أن تكون له روح إلزاماً.

وفيما يتعلق بالسؤال القائل بأنه لمّ للكرات السماوية حركة إرادية؟ الجواب هو إن هذه الأجرام تدور حول مدار بيضوي. لذلك، بحركتها تصل إلى الوضعية، ولكن بعد وصولها إلى تلك الوضعية فإنها ستترك تلك النقطة، ولكنها من أجل الوصول إلى تلك الوضعية مجدداً فإنها ستتحرك. وهذه الحركات تُعد إرادية، لأنها إن كانت حركة طبيعية وغير إرادية فينبغي بعد وصولها إلى المقصد أن تصل إلى حالة السكون. ومن الطبيعي أن وجود هذه الحركة الإرادية هو بسبب النفس الناطقة فقط.

وبعد هذا الاستدلال ومن أجل التأكيد على إدعائه يقول المَلّا صدرا:
ولو لم يكن في عالم السماوات من الشرف والفضيلة ما ليس لغيرها من

(١) الأسفار، ج ٩، ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

الجرميات، لما جرى على لسان أكثر الملمين والأمم، إنَّ الله على السَّماء، ولم ترفع إليها الأيدي في الدَّعاء، ولما ورد قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»^(١).

وفي الفصل السابع من كتاب رسالة الإشراق شرح السهروردي هذا الموضوع على النحو التالي:

اعلم أن حركة الأجرام ليست طبيعية، لأن أي جسم يتحرك ذاتياً ينبغي أن يكون له مقصود وجوده لا يفتر عن ذلك الجسم، وإذا كان وجوده وعلمه متساويين، لن يطلبه بالذات. وأي شيء يحصل عليه الجسم بما يناسبه، فإنه سوف يتوقف عن الحركة. وكلما يتحرك - من أجل الوصول إلى مكان - فحين يصل إلى مبتغاه فإنه سيتوقف عن الحركة، فإنه ذاتياً لن يتبعه ويتخلى عن مقصوده، في حين أن الجرم حين يصل إلى النقطة التي قصدها فإنه يهرب منها مجدداً. وإذا تحرك ذاتياً وقصد نقطة ما فإن الأمر لن يخرج من حالتين: إما تكون تلك النقطة مقصده أو طريق مقصده. إن كانت مقصده فيجب أن لا يتعد عنها بعد وصوله إليها، لأنه ما من شيء يتعد عن مقصده. وإن كانت طريق مقصده فيجب ألا يعود هناك مرة أخرى. وإن وجد المقصد فعليه أن يتوقف وألا فلن تكون تلك النقطة طريق مقصده. إذن، عندما يذهب ويعود لن تكون حركته طبيعية، بل هي إرادته. وأي شيء يتحرك بإرادته فهو حي أصلاً^(٢).

لا أظن أنه يلزم من أجل تبرير حركة الأجرام السماوية أن نثبت وجود الروح لها، وأن نعد رفع اليد عند الدَّعاء بمثابة شهادة لهذا الأمر، فأَي شخص له معرفة ولو قليلة بالفيزياء العامة وفيزياء النجوم يدرك بسهولة لماذا للكواكب حركة مستقيمة على المدار البيضوي أو البندولي.

من الطبيعي لو أزيلت قضية النفوس الفلكية فلن يكون هناك أي مجال لفرضية الفلاسفة المشائين في ترتيب نظام الكون.

(١) الشواهد الربوبية، ص ٢٨٣.

(٢) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ٤٨.

٢ - ١ - ٣ النفوس الإنسانية: إن النفوس الإنسانية التي في بداية ولادتها عارية من جميع الأفعال تحوّل مواهبها بالقوة إلى فعلية بجناحي العلم والعمل. وتمتاز هذه النفوس، حسب حجم العمل ووسعت علومها، عن بعضها وتُقسم إلى ثلاث فئات: الكاملة، والناقصة، والمتوسطة.

وبعد تسميته الكاملين في العلم والعمل بالفائزين والمقرّبين، والناقصين في العلم والعمل بأصحاب الشمال والشقاء، والمتوسطين بأصحاب اليمين والسعداء يتصور ابن الهروي، شارح حكمة الإشراق، سبعة وجوه للفئة الأخيرة وهي كالتالي:

- (١) الكاملة في العلم والناقصة في العمل.
- (٢) الكاملة في العلم والمتوسطة في العمل.
- (٣) المتوسطة في العلم والناقصة في العمل.
- (٤) الكاملة في العمل والمتوسطة في العلم.
- (٥) الكاملة في العمل والناقصة في العلم.
- (٦) المتوسطة في العمل والناقصة في العلم.
- (٧) المتوسطة في العلم والعمل^(١).

حشر النفوس الإنسانية: يعتقد صدر المتألهين استناداً إلى الآيتين ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٢) و﴿إِنَّ إِلَكَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾^(٣)، أن روح الإنسان بسبب كونها بالقوة المحض في بداية ولادته فهي في أدنى درجة، ولكنها ترتقي سُلّم الكمال شيئاً فشيئاً وتحوّلها مواهبها إلى الفعلية تصل إلى الكمال المطلق والنور المحض.

(١) الأنوارية، ص ١٨٤ من أجل مزيد من المعلومات عن التقسيمات الأخرى للنفوس الإنسانية المذكورة في الفلسفة الإشراقية راجع كتاب الشيرازي، شرح حكمة الإشراق، ص ٥٠٨، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ٤٣٨.

(٢) سورة الإنسان (٧٦)، الآية ١. (٣) سورة العلق (٩٦)، الآية ٨.

وكما نرى فليس لهذا الشرح علاقة بحشر النفوس الكاملة، بل يدل فقط على هذا المبحث أنّ النفس الإنسانية تصل إلى الفعلية بالتدرّج، ومن الواضح أنه يلزم إثبات هذا الأمر إلى أنه لماذا بعد وصول هذه النفوس إلى الفعلية التامة لها حشر إلى الرب؟

وبعد شرحه بشكل دقيق يشرح ابن سينا في البداية أنه كيف تصل النفس إلى الكمال، ثم يضيف لماذا بعد وصولها إلى هذا المقام فإنها تُحشر إلى الله:

إنّ النفس النّاطقة كمالها الخاص بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكلّ والنّظام المعقول في الكلّ والخير الفائض في الكلّ، مبتدئاً من مبدأ الكلّ، سالكاً إلى الجواهر الشريفة، فالروحانية المطلقة، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما من التعلّق بالأبدان، ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها، ثم تستمر كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كلّها، فتقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كلّها، مشاهداً لما هو الحُسن المطلق والخير المطلق والجمال الحقّ ومتحدّاً به ومنتقشاً بمثاله وهيئته ومنخرطاً في سلكه وصائراً من جوهره^(١).

كما أنه في الفصل الثامن من رسالة معرفة الخالق كتب السهروردي عن الكمال النفس:

الآن نقول: إنّ النفس الإنسانية مثل المادّة المجردة من الصورة، ولها ارتباطان: الأول بهذا الجسم والثاني بذلك العالم الخاص بها. وكذلك لها كمال ونقصان، وكمالها إمّا علمي أو عملي. ولكن العلمي هو أن تنقش بصور جميع الموجودات الروحانية والجسمانية، كما في الوجود الذي بدايته معرفة البارئ تعالى، ومن ثم الجواهر الروحانية الأولى وهي الملائكة المقرّبة، أي العقول، وبعدها معرفة الجواهر الثانية وهي ملائكة أيضاً، أي النفوس وبعد ذلك الجواهر الجسمانية حتى تتصور جميع الموجودات بالنفس بالبرهان اليقيني، وأن تتوحد النفس مع الملائكة بالعلم اليقيني والعمل الصالح بصورة العالم الكلّي، وأن تكون شبيهة لها كما يقول الخواجه السنائي شعراً:

(١) النجاة، ص ٢٩٣.

إن جهدت ستصبح ملاكاً بسبب أن ورقتك أصبحت كالأطلس بالتدريج ولكن العملية هي أن تكون النفس المجردة من العلائق الجسمانية حتى لا يبق أي من الآثار الجسمانية فيها حتى تكون لها انجذاب لهذا العالم السفلي عند الفراق، وكذلك كي لا تكون مرتبطة بالجسم ولا تغيرها اللذة الجسمانية وآلامها ولا يجعلها متاع الدنيا وطياتها مغروراً^(١).

٢ - ٣ - النفوس الناطقة: بعد ذكر سبب حشر النفوس الكاملة إلى الله يذهب صدر المتألهين إلى النفوس الناطقة ويقوم بطرح أسباب حشرها. وفي البداية يصنف النفوس الناطقة إلى فئتين:

(١) النفوس التي ليس لها شوق إلى الكمال العقلي، سواء كانت هكذا ذاتياً كالحيوانات أو بسبب الخصال والأعمال السيئة ابتعدت عن فطرتها. (٢) النفوس المشتاقة إلى الكمال.

من وجهة نظر صدر المتألهين النفوس الفارقة للدافع من أجل الوصول إلى الكمال سوف تنتقل بعد الموت إلى عالم بين العقل والحس، حيث هناك صور مقدارية مثالية موجودة بدلاً عن الصور المفارقة العقلية؛ ولكن بما أن الصور المثالية هي تابعة للعقول في الحدوث والبقاء، فيمكننا أن نقول إن هذه النفوس سُحِشِر إلى العقول النازلة.

ولكن النفوس الناقصة رغماً عن عدم كسبها المعارف فهي مشتاقة للحصول على الكمال، وبعد فراقها عن الأجسام ستبقى لفترة في الجهنم حتى تفقد شوقها للحصول على الكمال: إما بعد وصولها إلى العقليات إن شملت العناية والشفاعة الإلهيتين أو باعتيادها على الأمور السفلية، ونتيجة هذين الأمرين هي إبطال العذاب.

وقد شرح صدر المتألهين في كتابه الأسفار حشر النفوس الناقصة على النحو التالي:

(١) مجموعه مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ٤٣٧.

وأما النفوس النطقية الناقصة، فلا يخلو إما أن تكون مشتاقة إلى الكمال العقلي أولاً. والنفوس غير المشتاقة إلى ذلك الكمال، سواء كان عدم اشتياقتها إليه بحسب أصل الفطرة كما هو حال الأنعام، أو من جهة أمر عارض عليها، كما قال تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ»، فهي محشورة إلى العالم المتوسط بين العقلي والمادي، وهو عالم الأشباح المقدارية وعالم الصور المحسوسة المجردة، وهي قوالب وحكايات وظلال لما في العالم العقلي من الصور العقلية، وبها قوامها ودوامها، وكيفية حشرها ككيفية حشر سائر النفوس البهيمية والسبعية «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً».

وأما النفوس المشتاقة إلى العقلية الغير البالغة إلى كمالها العقلي فهي مترددة في الجحيم، معذبة دهرًا طويلًا وقصيرًا بالعذاب الأليم، ثم يزول عنها الشوق إلى العقلية، إما بالوصول إليها، إن تداركته العناية الإلهية بجذبة ربانية أو شفاعة ملكية أو إنسانية لقوة الشوق وضعف العلاق، أو بطول المكث في البرازخ السفلية والاستئناس إليها، فيزول عنها العذاب وسيكن عند المآب، إما إلى الدرجة العليا وإما إلى المحيط الأدنى، فيحشر إلى الله من جهة أخرى من غير تناسخ كما سيظهر^(١).

٤) حشر النفوس الإنسانية في النصوص السابقة: تمت دراسة مسألة حشر النفوس قبل الملاء صدرًا وفي حكمة الإشراف أيضاً، مع هذا الاختلاف إن شبح الإشراف وشارحي مدرسته بدلاً عن بحث النفوس الكاملة والناقصة تكلموا في حشر النفوس الكاملة والمتوسطة والناقصة.

يقول السهروردي حول حشر النفوس الكاملة: من دون شك أنّ الكاملات في العلم والعمل، تلك التي لم تغلبها مشاغل البرزخ، يكون شوقها إلى عالم نور القدس أكثر من عالم الجسماني، ومهما ازدادت نورانيتها، ازداد شوقها إلى عالم المجردات لتتقرب أكثر إلى حضرة نور الأنوار. بالطبع هكذا نفوس بعد

(١) الأسفار، ج ٩، ص ٣٤٥ و ٣٤٦.

فساد الجسد والصياصي، لن تنجذب إلى أجسام أخرى بل تجذبها عين النور ومعادن الحياة^(١).

ولكن النفوس المتوسطة، تلك التي لم تصل إلى الكمال في العلم أو العمل، ماذا سيحلُّ بها بعد الموت؟

يعتقد السهروردي أنَّ المتوسطات السعيدة والمنتزّعات الزاهدة تنتقل إلى عالم المثل المعلّقة حيث مظهرها بعض الأجرام العلوية؛ انتقال دائم ينشأ من بقاء علاقتها بأجسامها وعدم فساد الأجرام العلوية^(٢).

يعتقد قطب الدين الشيرازي أنَّ قصد السهروردي من المتوسطات ليس المتوسطات في السعادة والتي تشمل جميع النفوس باستثناء الكاملة والناقصة في العلم والعمل، بل إنّ قصده فئة المتوسطة في العلم والعمل فقط، لأنه بغير هذه الحالة سيكون ذكر الزاهدات المنتزّعة الكاملة في العلم والعمل والناقصة في العلم غير صحيح؛ لأن هذه الفئة هي من ضمن المتوسطات وأصحاب اليمين إياهما^(٣).

إن وافقنا على استنتاج قطب الدين ففي هذه الحالة صرف السهروردي النظر عن ذكر نهاية عدة فئات من النفوس أي الكاملة في العلم والناقصة في العلم، الكاملة في العلم والمتوسطة في العلم، المتوسطة في العلم والناقصة في العلم والمتوسطة في العلم والناقصة في العلم، واكتفى بذكر نهاية ثلاث فئات من النفوس فقط، أي المتوسطة في العلم والعمل (السعيدة من المتوسطات)، الكاملة في العلم والعمل والمتوسطة في العلم وكذلك الكاملة في العلم والناقصة في العلم (الزاهدة المنتزّعة).

وفي المقابل يعتقد ابن الهروي أنَّ السهروردي كان في هذه العبارة ناظراً على جميع الأقسام المتوسطة باستثناء المتوسطة في العلم والناقصة في العلم سواء كان خلود هذه الفئة غير ممكن في البرازخ العلوية والأجرام الفلكية، لأنّه بعد

(١) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٣٠. (٣) شرح حكمة الإشراق، ص ١٨٥.

زوال جميع الهيئات الرديئة سيجذبها نور العلم إلى عالم النور والسرور^(١).

على كل حال، حسب رأي الإشراقيين متلحق النفوس المتوسطة بعد موتها إلى الأجرام الفلكية حسب اختلافها في الفضائل والردائل الأخلاقية وكذلك تمتعها بالعلم، ويمكنها هناك أن تشكل صورها حسب تمايلاتها وأهوائها. وحول هذا الأمر يقول ابن الهروي:

ولكن الأقسام الأخرى من أصحاب اليمين ستنتقل إلى الطبقات المثالية حيث مظاهرها أجرام الأفلاك السبعة السيارة وذلك بعد المرور بدركات النيران حيث مظاهرها جو الفلك. وتنتقل كل نفس مطابقة لهيئتها المكتسبة، إلى طبقة من طبقاتها حتى تصل إلى غايات المتوسطين، في طبقة الأعلى، في فلك الزُحل. وظهور أي طبقة من الطبقات الأعلى ألطف من صور الطبقات الأسفل^(٢).

مع أنه من وجهة نظر السهروردي تُعد النفوس المتوسطة مخلّدة وأبدية في الأجرام الفلكية بسببين، أي بقاء العلاقة بالجسم بعد الموت وعدم فساد الأجرام العلوية^(٣)؛ ولكن ذكر شارحو حكمة الإشراق احتمالات أخرى حول كيفية خلودها.

نقل عن افلاطون أنه من وجهة نظره جميع النفوس الكاملة في العلم أو العمل، وذلك بعد عبورها جميع الأفلاك، من فلك القمر حتى الفلك الأعلى، إن كان لها استعداد الخلاص والدخول إلى عالم النور فإنها ستفترق عن الأجرام الفلكية وإلا فإنها سوف تبقى في الفلك الأعلى إلى الأبد^(٤).

وكذلك نُقل عن الحكماء القدماء أن النفوس التي هي كاملة في العمل فقط، ستبقى خالدة في الأجرام الفلكية، ولكن تلك التي كاملة في العلم فقط فسوف تجتاز الأجرام الفلكية؛ ولكن تلك التي كاملة في العلم فقط فسوف تجتاز الأجرام الفلكية وتبقى في عالم النور والسرور المجردين من الصور^(٥).

(١) الأنوارية، ص ١٨٥. (٢) المصدر ذاته، نفس المكان.

(٣) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٢، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٤) شرح حكمة الإشراق، ص ٥٠٩ - ٥١٠. (٥) الأنوارية، ص ١٨٧.

ويعتقد إخوان الصفا أن جميع النفوس، سواء كانت كاملة في العلم أو في العمل ستدخل في النهاية إلى عالم النور وذلك بعد عبورها الأجرام السماوية^(١).

وقد نقل عن الشيخ الرئيس أبي علي سينا أن الفئة التي تعبد الله كي تصل إلى اللذات الجسمانية، بعد فساد أجسامها ستخلق نفوسها ببعض الأجرام الفلكية وسوف تتوهم اللذات المحسوسة بقواها الواهمة وعن هذا الطريق ستلتذ دائماً، وإن كانت ناقصة في العلم؛ وإلا فإنها سوف تنتقل إلى عالم النور والسرور بعد مرور وقت طويل^(٢).

يعتقد قطب الدين أن النفوس التي تنتقل إلى الفلك الأعلى سوف تصل عالم المثل النورية، بعد زوال علاقتها بالعالم الجسماني، ومن هناك سترتقي مرتبة تلو الأخرى حتى تنتقل إلى الفلك الأعلى لعالم المثل المتصل بطبقة أسفل عالم النور؛ وفي النهاية تدخل عالم النور^(٣).

وحسب رأي ابن الهروي يستنبط من الكثير من الآيات القرآنية أن الذين أصبحوا كاملين في العمل فقط وليس في العلم، فإنهم سوف يعيشون في الجنة إلى الأبد. ولإثبات ادعائه يشير إلى هذه الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ﴾^(٤).

يبدو أنه لو أردنا أن نتعرف بشكل أدق على رأي السهروردي حول النفوس المتوسطة، يجب أن نهتم إلى توضيحاته في رسالة المعرفة الإلهية.

في البداية قسّم النفوس الإنسانية إلى البسيطة، والتامة، الطاهرة، والملوثة ثم ادعى في شرح أحوالها: إن النفوس البسيطة الطاهرة مثل نفوس الأطفال والبلهاء بعد تركها أجسامهم، لن تدرك اللذة ولا العذاب بسبب عدم تمتعها بعلّة اللذة والألم. وإن النفوس البسيطة الملوثة بسبب غفلتها عن العالم الروحاني وشدة تعقلها بالأجسام سوف تشعر بالألم شديد، بعد مفارقتها الأجسام؛ ولكن

(١) تاريخ الفلسفة في العالم الإسلامي، ص ٢٣٠. (٣) شرح حكمة الإشراق، ص ٥١٠.

(٢) الأنوارية، ص ١٨٦. (٤) سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٥٨.

بعد مرور وقت طويل سيزول هذا العذاب لتصل إلى حالة تكون فيها النفس بسيطة. والنفوس الكاملة الملوثة بعد مفارقتها الأجسام، ويسبب فراقها عن معشوقها، أي المبدأ تعالى والأجسام، فهي في عذاب حتى تزول هذه الآثار عنها بالتدرج وتصل إلى لذة روحانية. والنفوس الطاهرة غير الكاملة التي لها شوق إلى كسب الكمال ولكنها لم تصل إليه، فهي ستبقى في عذاب أليم إلى الأبد^(١).

بصرف النظر عن جميع ما قيل في باب النفوس المتوسطة، ينقل ابن الهروي عن بعض العلماء أن الأطفال والمجانين وأولئك الذين قضوا فترة من عمرهم في البلاء ولم يكسبوا أي معرفة هم من أهل الأعراف؛ لأنهم لم يجحدوا ولم ينكروا ليصبحوا من أهل النار، وليس لديهم علم ولا معرفة كي يرتقوا إلى عالم النور، ولم يعلموا الصالحات ليكونوا مخلصين في الجنة^(٢).

وربما يكون هذا الموضوع أقرب إلى الصواب، فهناك قرائن لها في كلام أهل العصمة والعترة عليهم السلام^(٣).

ويشرح شيخ الإشراق حال النفوس الناقصة على النحو التالي: ينتقل أهل الشقاء، بعد الخلاص من الجسم المادي، سواء أكان التناقص حقاً أو باطلاً، إلى عالم المثال حسب أخلاقياتهم.

وما مرّ حتى الآن هو توضيح لآراء صدر المتألهين وجذورها التاريخية في حكمة الإشراق؛ ولكن السؤال الرئيس هو هل هناك أدلة وبراهين على هذه الادعاءات؟

ولو أودعنا مبحث النفوس الفلكية إلى تراث تاريخ الفسفية، فلن تبقى مكانة لهذه المواضيع؛ وإذا بحثنا في النصوص الدينية وهي أهم المصادر في أحوال الأرواح الإنسانية بعد الموت، فيجب أن ننسى الكثير من هذه الادعاءات.

(١) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ٤٤٢ - ٤٣٨.

(٢) الأنوارية، ص ١٨٥.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٨، رقم ٤٦، وبحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٣٧، رقم ١٤٩٣.

الفصل الثالث: حشر النفوس الحيوانية؛

إن موضوع البحث في هذا الفصل هو حشر الحيوانات. لو قبلنا أن الحيوانات لها أرواح كالإنسان، فماذا سيحل بها بعد الموت؟ يدّعي صدر المتألهين أن النفوس الحيوانية بعد موتها وفساد جسمها ستعود إلى مدبرها العقلي وهو خالقها نفسه، كما تعود قوى النفس الإنسانية كالإدراك والشهوة والغضب إلى النفس بعد خروجها من الدنيا. لذلك يقدم صدر المتألهين في هذا الفصل ادعائين وكل منهما يدعو إلى التأمل:

الادعاء الأول، عودة النفوس الحيوانية إلى خالقها: من بين الآراء التي دخلت النصوص الفلسفية من أفلاطون وما بعده هي نظرية المُثل. واجهت المُثل الأفلاطونية من بعده انتقادات شديدة من قبل أرسطو وأتباعه في الفكر الإسلامي كابن سينا^(١)؛ إلا أن الفلاسفة الإشراقيين كالسهروردي حاولوا كثيراً أن يثبتوا هذه النظرية بتبريراتهم.

من وجهة نظر أفلاطون أن المحسوسات هي مولودة المُثل ونتيجتها، وبما أن الأثر يجب أن يكون مشابهاً لموثره، فإن الأشخاص المحسوسين لأي نوع يتشابهون مع شخصهم العقلاني.

نظرية المُثل في الحكمة الإشرافية والمتعالية: وضمن نفيه إشكالات الحكماء المشائين وفي دفاعه المستميت عن نظرية المُثل الأفلاطونية يقدم السهروردي في البداية شاهداً من الحكماء الإيرانيين على وجود المُثل ويشرح أنه من وجهة نظرهم لدى «الماء» صنم ملكوتي باسم «خرداد» مثلما كان المثال الملكوتي للأشجار «مرداد». والصنم الملكوتي والمدبر للنار اسمه «ارديبهشت»؛ ثم يشير إلى الاستنتاجات الخاطئة عن المُثل، وفي النهاية يذكر مؤيدات لآيات وروايات لهذه النظرية^(٢).

(١) انظر كتاب الشفاء، الإلهيات، ص ٣٢٤ - ٣١٠.

(٢) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٣، ص ١٥٧ - ١٦٤.

وبعد السهروردي يمكن عدّ صدر المتألهين كأحد المؤيدين الجادين لنظرية المثل. وفي الشاهد الثاني من المشهد الثاني للكتابه «الشواهد الربوبية» يشرح هذه النظرية بشكل مفصل ثم يثبتها عن ثلاثة طرق وهي الحركة، الإدراك، والآثار في الأجسام^(١).

وفي كتاب الأسفار يذكر بحث المثل عدة مرات ويدافع عنها:

أقول: ونحن قد أحببنا - بعون الله تعالى - رسمه في القول بهذه المثل وأحكمنا برهانه وقومنا بُنيانه وشيّدنا أركانه وسهّلنا سبيله وأبطلنا النقوض عليه والتشنيعات التي ذكرها على مذهبه كل من أتى بعده إلى وقتنا هذا تقريباً إلى الله وتشوقاً إلى دار كرامته ومحل أنواره^(٢).

كما أنّ صدر المتألهين يؤكد على هذا الأمر بأن العالم المادي هو نموذج من العالم غير المادي.

وقصدنا من «صور ما في علم الله» في عبارة صدر المتألهين هو حضرة شهادة المضاف والبرزخ بين الأرواح والأجسام؛ ولكن إن كان أفلاطون يقصد هذا الأمر أيضاً فهذا موضوع آخر يجب إثباته. كما أنّ حشر النفوس الحيوانية إلى هذا العالم يحتاج إلى إثبات.

وإضافة إلى ذلك، يقع عالم المثل والخيال المنفصل في قوس النزول وبين عالم الأرواح والأجسام، في حين إنّ الحشر لأي موجود يتحقق، يقع في قوس الصعود وبعد الدنيا.

في الروايات التي تبحث هذا العالم أيضاً، هناك كلام عن وجود موجودات ليست كالأرواح غير مادية مطلقاً ولا كالأجسام مادية محضة، إلاّ أنّه ليس هناك أي مبحث حول موجودات ذلك العالم هل هي رب الموجودات المادية أم لا؟

(١) الشواهد الربوبية، ص ١٨٩، ٢١٦.

(٢) انظر كتاب الأسفار الأربعة، ج ٢، ص ٧٢ و ٧٧، ج ٣، ص ٥٤٥، ج ٥، ص ٣٥٦.

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام :

إن لله مدينتين: أحدهما بالمغرب والأخرى بالشرق، يقال لهما جابلقا وجابرسا، طول كل مدينة منهما اثنا عشر ألف فرسخ، في كل فرسخ باب، يدخلون في كل باب سبعين ألفاً، ويخرج منها مثل ذلك. ولا يعودون إلى يوم القيامة، لا يعلمون أن الله خلق آدم، ولا إبليس ولا شمس ولا قمر. وهم - والله - أطوع لنا منكم، يأتوننا بالفاكهة في غير أوانها موكلين بلعنة فرعون وهامان وقارون^(١).

وكذلك يقول الإمام على بن أبي طالب عليه السلام بعد تصريحه بخلق سكان هاتين المدينتين قبل خلق آدم عليه السلام :

ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس، يذبّون كما يذب الهوام، يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض. كلّهم ذكّران ليس فيهم إناث - ثم أراد الله أن يفرّقهم فرقتين، فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها، تسمى جابرسا... وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكوّن لهم مدينة أنشأها، تسمى جابلقا^(٢).

لذلك إذا وافقنا على حشر النفوس الحيوانية بعد موتها لأسباب نقلية مثل هاتين الآيتين: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(٣) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ يُجَنَّاخِيهِ إِلَّا أُمُّ أُنْثَاكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٤)، أو عقلية، فليس هناك أي سبب أن يكون هذا الحشر إلى خالق أي واحد منها.

الادعاء الثاني، عودة قوى النفس بعد الموت إلى النفس: إنّ هذا الموضوع الذي يُعد تشبيهاً فقط، يشكل الجزء الأكبر من هذا الفصل. ينهي صدر المتألهين مبحث حشر الحيوانات وهو الموضوع الرئيس لهذا الفصل، في عدة أسطر؛ إلاّ أنّه يشرح هذا الموضوع، الذي يبدو غير رئيس، في أكثر من صفحتين.

(٣) سورة التكويد (٨١)، آية ٥.

(٤) سورة الأنعام (٦)، آية ٣٨.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٦.

(٢) قصص الأنبياء، ص ٣٨.

على كل حال، فإن ادعاء صدر المتألهين هو كالتالي: كما أنّ قوى نفس الإنسان تعود إلى النفس بعد موته، وتجتمع فيها فإن نفوس الحيوانات أيضاً تعود إلى خالقها ومدبرها العقلي وذلك بعد موتها. وبما أنّ هذا المدبر النومي هو العقل فيمكننا أن نقول إنّ معاد النفوس الحيوانية هو إلى بعض من العقول، وهذه العقول تعود إلى العقل الأول والعقل الأول بدوره يعود إلى الله تعالى.

وبعد نقله عدّة عبارات عن أفلوطين يستنتج على هذا النحو بما أنّ لمدبر النفوس الحيوانية عقلاً، فإن النفوس الحيوانية أيضاً تتمتع بالعقل.

الأمر الذي يستدعي الانتباه هو صحة هذا التشبيه. كيف يكون اتحاد قوى النفس مع النفس دليلاً على عودة النفوس الحيوانية إلى خالقها؟

الذين يعتقدون بالآلهة، فهم لا يعتبرون الآلهة كالكلي والطبيعي الموجود في جميع أفراد النوع، وليس لديها وجود مستقل ومنفصل عن وجود أفرادها، بل إنّ آلهة أي نوع هي موجود مستقل عن الموجودات المادية لذلك النوع التي تمسك بزمام أمورها وتديرها. في حين إنّ قوى النفس الوجودية ليست منحازة عن النفس، فهي تعتبر من شؤونها.

الغريب في الأمر أنّ صدر المتألهين يستنتج من هذا الكلام العائد لأفلوطين الذي يقول إنّ النفوس الحيوانية لها عقل، بما أنّ آلهتها تملك العقل بسبب تجردها عن المادة، فإنّ النفوس الحيوانية تعود إلى عقول آلهتها.

حشر النفوس الحيوانية وتنوعها: تم بحث حشر الحيوانات في الأسفار أيضاً، إلّا أنّ صدر المتألهين شرح هذا المبحث علنحو آخر.

وقد صنّف الملاً صدرا النفوس الحيوانية في قسمين:

(١) النفوس ذات الخيال بالفعل: لن نزول هذه النفوس بعد فساد أجسامها، بل تُحشر إلى البرزخ متميزة عن بعضها وبشكل متناسب مع هيئتها النفسانية. وتنظم هذه النفوس حسب نوعها إلخالقها وهو من العقول النازلة.

من الواضح جداً أنّ الحيوانات ليست كلها من درجة واحدة أو من مستواً واحداً؛ لأنّ عقولها المدبّرة، بناءً على بُعدها عن النفوس الإنسانية أو قربها منها من جهة، والأجسام الطبيعية من جهة أخرى، لها شرافة متفاوتة وبالتالي فإن شرافة العلة أيضاً تؤثر على شرافة المعلول بشكل تلقائي^(١).

(٢) النفوس المتوقفة في حد الإحساس: تعدد هذه النفوس، التي لا تمتلك الخيال بالفعل إلهتها ومدبّرها العقلي وذلك بعد موتها وفساد أجسامها؛ مع هذا الشرح أنها تفقد ميزتها الشخصية وتصبح بشكل موجود واحد. كما تتحد الحواس الخمس رغماً عن بُعدها في الجسم، في إحساس مشترك وتجتمع في هذا الإحساس.

وبعد هذا يشرح صدر المتألهين أنّ حكم فئتين أخريتين من الحيوانات يصبح معلوماً، وهما النفوس الحيوانية غير المستقلة في الوجود، والنفوس الحيوانية التي ليست قائمة علذاتها أو مستقلة بذاتها ولا تعرف نفسها. وهاتان الفئتان من الحيوانات تتحد مع آلهتها بعد موتها أيضاً، كما تتحد قوالنفس مع النفس، من دون أن تبقمزيتها على الآخر^(٢).

وقد تكلمنا سابقاً بالتفصيل حول الرب وشرحنا أنّ الرب موجود في القوس النزولي وإن حشر النفوس موجود في القوس الصعودي وذلك بعد موتها؛ كما أنّ نسبة الرب بأفراد نوعها ليست مشابهة لنسبة الكلية الطبيعية لأفرادها. لذلك نقول: كيف يمكن أن تعود النفوس الحيوانية إلى المدبّرها العقلي؟ وفضلاً عن ذلك، كيف يمكن أن تفقد النفوس الحيوانية مزاياها وتصبح وجوداً واحداً وتعود إلى المدبّرها العقلي؟ وفي النهاية مع فرض صحة ما علاقة وجدة قوالنفس مع وحدة النفوس الحيوانية؟

* * *

(١) انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

(٢) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

الفصل الرابع: حشر القوة النباتية؛

(١) مفهوم القوة النباتية: كما نعلم أن أي موجود حي له ثلاث سمات علم الأقل تُعرف بالجوانب الحياتية المشتركة، أي التغذية، النمو، والتكاثر. ولكن بعض الموجودات الحية تملك، إضافةً لهذه السمات، الحركة والإدراك أيضاً.

وفي اصطلاح الحكماء يُطلق على السمات الثلاث الأول القوة النباتية وعلى الخاصيتين اللاحقتين القوة الحيوانية^(١).

يدّعي صدر المتألهين أن الدرجة الوجودية للقوة النباتية أعلى من الجمادات، ولهذا السبب فإنها بشكلٍ ما تملك النفس، ويمكنها أن تخطو باتجاه المبدأ الفعّال.

(٢) حشر القوة النباتية: يمكن تقسيم الموجودات التي لها قوة نباتية، إلى قسمين رئيسيين:

(١) بعد عبورها المرحلة النباتية تصل إلى المرحلة الحيوانية وحتى الإنسانية، مثل خلية البذرة.

(٢) تكون محصورة في المرحلة النباتية ولا يمكنها الخروج منها، مثل الأشجار.

من وجهة نظر صدر المتألهين لهاتين الفئتين حشر، ولكن بدرجتين متفاوتتين؛ لذلك بعد زوال جسم النبات فإن القوة الموجودة فيها تعود إلى المدبر النوعي (رب كل نبات) والملكوت الأخرى.

وبعد تكرار بحوثه السابقة، يحاول توضيح المدبر العقلي حيث كتب: هناك عالم آخر بين عالم العقل وعالم الطبيعة، وهو حسب بُعده عن أحدهما أو قربه منهما، له درجات من اللطافة والكثافة؛ وهذا العالم هو عالم حيواني، وإدراكه وفاقده للمادة يطلق عليه عالم الأجسام المجردة.

(١) انظر كتاب صدر المتألهين الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ٣٣٩.

وبناءً على ذلك فإنّ أي نبات يصيبه الجفاف أو يتم قطعه، تصل النفس والصورة النباتية الموجودة فيه إلى عالم الأجسام المجردة، وحسب طعمها ورائحتها الزكيين أو طعمها ورائحتها الكريهين تصبح من نباتات الجنة أو الجحيم.

وتأكيداً على ادعاءاته يشير صدر المتألهين إلى كلام أفلوطين حيث صرّح فيه أنّ أي شيء موجود في عالم المادة له صورة ومثال في عالم غير المادي أيضاً. البحث والنقد: إنّ هذا الأمر القائل بأنّ عالم المادة هو مثال ومظهر للعالم غير المادة وإنّ ما هو موجود في هذا العالم، موجود في العالم الآخر أيضاً، لهو موضوع يحتاج إلى دراسة.

يبدأ صدر المتألهين بحثه في هذا الفصل بحشر القوة النباتية، ولكنه في إدامة البحث يتكلم عن حشر النباتات، ومن الواضح أن:

أولاً، إنّ عنوان هذا الفصل هو حشر القوة النباتية وسائر الطبائع الجسمانية، في حين أنّه لم يتكلم عن سائر الطبائع الجسمانية ولم يشرح رؤيته عن سائر الطبائع الجسمانية.

ثانياً، إنّ القوة النباتية أي التغذية والتكاثر والنمو لا حشر لها، حتى لو تصورنا أن لديها حشر، فإن ذلك يعود إلى النفس النباتية.

ثالثاً، إنّ النفس النباتية هي موضوع غير موضوع النباتات، وأن موضوع بحثنا هو حشر النباتات وليس حشر النفس النباتية فقط. ومثالاً على ذلك لخلية البذرة نفس نباتية، لأنها تملك ثلاث قوى وهي النمو والتكاثر والتغذية، ومن الواضح أنّ هذه القوى تحتاج إلى حامل، تُطلق عليه النفس. ولكن من الواضح أنّ خلية البذرة إذا لم تصل إلى الحد الحيواني أو الإنساني فإن الحشر لن يكون بمعنى المصطلح.

رابعاً، إنّ الكلام القائل بأن الأشجار لها مدبّر ورب موضوع آخر، وإنّ النفوس النباتية تعود إلى مدبّرها الأصلي هو موضوع آخر أيضاً، وإنّ النفوس النباتية تتحول إلى أشجار في الجنة أو في الجحيم فهذا موضوع ثالث.

وفقاً للروايات الموجودة في المصادر الدينية هناك نباتات رغم مرارة طعمها تُعد من أشجار الجنة.

قال ﷺ: «عليكم بالهيلج الأسود، فإنه من شجر الجنة، طعمه مرّ وفيه شفاء من كل داء»^(١).

لا يبدو أنه يمكن اعتبار ادعاءات صدر المتألهين في مبحث حشر النفوس النباتية في هذه الرسالة من المباحث الفلسفية - العقلية.

وقد شرح صدر المتألهين هذا المبحث في كتابه الأسفار أيضاً ويستشهد بجمل من كتاب الأثولوجيا^(٢).

الفصل الخامس: حشر الجمادات

وفي هذا الفصل يحاول صدر المتألهين إثبات حشر الجوامد والمواد المعدنية؛ وفي البداية يشير إلى أصل التشكيك في الوجود وصفاته الكمالية وهكذا يستنتج منه أن لجميع مراتب الوجود مثل هذه الصفات.

(١) برهان صدر المتألهين: لو أردنا أن نذكر كلام صدر المتألهين في قالب برهان، ستكون مقدماته على النحو التالي:

المقدمة الأولى: إن الوجود حقيقة واحدة اختلافها في الأشياء المختلفة هو بالتقدم والتأخر، والكمال والنقص، والوجوب والإمكان.

المقدمة الثانية: إن حقيقة الوجود لها صفات كمالية ذاتية مثل: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة.

النتيجة: إن جميع الأشياء، بقدرها، تتمتع بالصفات الكمالية الذاتية. من الطبيعي أن حقيقة الوجود مهما تحركت من حد الوجوب العارية من

(١) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٣٠٠ والمستدرك الحاكم، ج ٤، ص ٤٠٠ والجامع الصغير، ج ٢، ص ١٧١، رقم ٥٥٥٠.

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٣٥٧ - ٣٥٤.

جميع النقص والعدم إلى المراتب السفلية فسوف تزداد جهاتها الإمكانية كما أن فقرها ونقصها يزدادان أيضاً.

وعلى هذا المنوال، تتجه الصفات الكمالية للوجود أيضاً في مدارجها إلى النقصان؛ ويسبب التشتت في عالم المادة أن تعجز في المراتب النهائية عن معرفته نفسها.

إن الضرورة المنطقية لهذا الموضوع أن الوجود في القوس الصعودي وأثناء طي معارجه، وبعد خروجه من عالم المادة واجتياز حدود العدم سوف يطلع على كمالاته الذاتية ويتمتع بها مجدداً.

وفي إدامة بحثه يشير صدر المتألهين إلى موضوعٍ ينبغي استخدام نتيجته في مسألة الحشر.

(٢) الإثبات الفلسفي للحشر: كما نعلم، بناءً على أصل العلّة في الفلسفة الإسلامية فإنّ المعلول عين الربط بالعلّة وهو ينتمي إليها في الحدوث والبقاء؛ ولذلك فإنّ المعلول يعدّ رشحاً من رشحات وجود العلّة ومرتبّة أدنى منها.

وبناءً على ذلك فإنّ وجود المعلول في مرتبة أدنى يدلّ على وجود علّته في مرتبة أعلى؛ كما أنّ كمالات المعلول في مرتبتها تدلّ على وجودها بشكل ألطف وأكثر بساطة في العلّة. لأن الفعلية والوجوب دائماً ما يتقدّمان على القوة والإمكان وهكذا نستخلص أنّه لجميع صور العنصرية والجمادية ثمة صورة غير مادية موجودة في المرحلة الأعلى لا يمكن إدراكها إلّا بالعقل.

فإذن، ما من موجود من الموجودات الطبيعية، إلّا وله صورة مثالية في الآخرة ولصورته المثالية، صورة عقلية في عالم آخر فوقها، هي دار المقربين ومقعد العلّين.

ويستفيد صدر المتألهين من هذه النتيجة أنّ معاد الصور المحسوسة إلى الصور المثالية، ومعاد الصور المثالية إلى الصور المعقولة هما الشيء ذاته.

بالتأكيد إذا تمكنا أن نصل إلى هذا النتيجة من المباحث السابقة وأن نفسر حشر الموجودات على هذا النحو فهذا موضوع كلي يشمل جميع الموجودات،

وإن ذكره في هذا الفصل ليس مبرراً. كان بإمكان صدر المتألهين أن يثبت حشر
كافة الموجودات بهذا التبرير.

النسبة بين الصور العقلية والمثالية والحسية: وفي إدامة هذا الفصل يحاول
صدر المتألهين شرح وإثبات هذا الموضوع أن الصورة المثالية هي باطن الصورة
الحسية، وإن الصورة الحسية قائمة بها وستعود إليها. وتصدق هذه النسبة في
حالة الصور المثالية والصور العقلية أيضاً، أي أن الصورة العقلية هي باطن
الصورة المثالية وإن الصورة المثالية قائمة بها وستعود إليها.

ومن أجل إثبات هذا الموضوع يستدل على النحو التالي: كلما نحس بشيء،
تتشكل صورة له في قوة حسنا، ويتشكل هذه الصورة يصل الحس إلى الكمال
وتتصوره قوة خيالنا، وبعد ذلك تنتقل الصورة العقلية لذلك الشيء إلى عقلنا.
ويصدق عكس هذا الأمر أيضاً، أي مع اشتداد الصورة في عالم الخيال،
تتمثل تلك الصورة في الخارج ومقابل حسنا، مثل تمثيل جبرائيل أمام مريم عليها السلام
وخاتم الأنبياء عليه السلام.

إن السير من الحس إلى الخيال ومن هناك إلى العقل وكذلك السير من العقل
إلى الخيال ومن الخيال إلى الحس لا يمكن إلا بواسطة العلاقة والارتباط
الذاتي بين المحسوس المتخيل والمعقول.

وفي إدامة الموضوع يكمل صدر المتألهين موضوعه على النحو التالي: إن
الصورة الحسية، هي الهيولى والمادة للصورة النفسانية والصورة النفسانية هي
الهيولى والمادة أيضاً للصورة العقلية، ومن الواضح أن فعلية المادة هي
بالصورة، كما أن بقاءها وكمالها بالصورة أيضاً. ولذلك فإن حشر الأجسام
الطبيعية هو إلى الأجسام الأخروية، وحشر الأجسام الأخروية إلى الصور
العقلية، وحشر الصور العقلية إلى الله.

وقد أورد صدر المتألهين مواضع هذا الفصل مع توضيح وتفصيل أكثر في
كتاب الأسفار أيضاً^(١).

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ٣٦٦ - ٣٥٧.

الفصل السادس، التأكيد على المباحث السابقة،

ومن دون أن يشرح لماذا يكرر المباحث السابقة، يوضح صدر المتألهين أنّ الذات الإلهية لم توقف فيضها أبداً، بل إنّها تفيض بشكل مستمر على المراتب الوجودية.

ولكن بما أنّه لا يجوز إيجاد الممكن الأخرى قبل الممكن الأشرف، فإنّ أول موجود سطع عليه فيض الوجود هو العقل؛ وبواسطة هذا العقل وُجدت النفس، أي الشيء الأقرب إليه؛ وإنّ نور وجود النفس كان سبباً في ظهور صور الأنواع، والطبائع الحيوانية والنباتية وفي النهاية المعادن والمواد.

وفي القوس الصعودي أيضاً ومع فساد العالم، تعود الطبيعة إلى النفس، والنفس إلى العقل والعقل إلى الله الواحد القهار.

يكرر صدر المتألهين كلامه السابق حول النسبة بين عالم المادة وعالم المثال ويدّعي مستشهداً بأحد أقوال أفلوطين إنّ ما هو موجود في العالم كالماء والنار والتراب له صورة أخرى تعود إليها بعد زوال الدنيا.

أنواع الحياة من وجهة نظر ابن عربي: وفي نهاية هذا الفصل ينقل صدر المتألهين عبارة عن كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، تقول إنّ لكل جسم حيتين، الحياة الذاتية للجسم والحياة الناشئة والمنسوبة إلى الأرواح.

ومع اختلافه بين هاتين الحيتين يدّعي ابن عربي أنّ ما يحدث مع الموت هو أخذ الحياة الناشئة من الروح.

يعيب صدر المتألهين على المبحث ويقول: أيّ جسم له حياة ذاتية ليس بجسم مادي، بل هو جسم لا يحتاج إلى المادة والموضوع، وفي حياته لا ينتهي إلى المدبّر العقلي والنفساني الذي يحوله من القوة إلى الفعلية.

بعد ذلك يحاول تبرير كلام ابن عربي إذ كتب: لقد ثبت بالكشف والبرهان أنّ في باطن أي من الأجسام الدنيوية ثمة جسم نفساني - إدراكي وبسيط لا يزول بفساد الجسم.

وقبل هذا قد تكلمنا عن الصور المعلقة وارتباطها بالحشر، ولكن الأمر الذي أراه ضرورياً هو الإشكال الذي يورده صدر المتألهين على كلام ابن عربي.

يبدو أنّ الحق مع ابن عربي، لأنه بناء على قانون بقاء المادّة والطاقة، لا تزول المادّة من جهة، ومن جهة أخرى ما من شيء مادّي لا يوجد فيه حركة الجزيئات (المولكول). تتشكل الذرات المشكلة للجزيئات من الذرات الأساسية كالإلكترون والبروتون والنوترون، وترتيبها هو على شكل يسمح لها بالحركة دائماً، وليس لها أي حالة ركود أبداً. وهذه هي الحياة الذاتية للأجسام إياها التي ذكرها ابن عربي، وليس لها أي علاقة بالروح والنفس بصفتهما موجودين غير ماديّين.

كما إنّنا، بنقل حديثين، شرحنا هذا المبحث أنّ الحياة الخلوية هي غير الحياة الإنسانية، وإنّ الحياة الخلوية هي حياة ذاتية لا تزول أبداً.

وقد جاء هذا الفصل في كتاب «الأسفار» بشكلٍ مفضل أكثر، مع هذا الفرق أنّه وضع عنوانه «تعقيب فيه تأييد لما حصلناه وتأكيد لما أصلناه من عود هذه الطبائع المتجدّدة إلى دار أخرى باقية»، وبدلاً عن وضعه بين فصلين أورده في نهاية المبحث^(١).

* * *

الفصل السابع: معاد الهيولى الأولى والأجسام المادية وغاية الشر والشیطان:

يذكر صدر المتألهين قصده في هذا الفصل على النحو التالي:

إن جميع موجودات الكون حسب فطرتها الرئيسية تتّجه إلى غاية، وبوصولها إليها تصل إلى السكون والهدوء؛ وهذه الغاية ليست إلّا الخير المطلق والعلّة الأولى.

وبناء على هذا فإن انتفاع بعض الموجودات من الوجود هو استعداد قبول

(١) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٣٧٧ - ٣٦٨.

الصورة والكمالات الوجودية كالهیولی، والحركة والجسم المادي الذين يتحركون في مسار الاضمحلال والتلاشي، وإن لم تكن هناك صورة تمنحها للتحصل والوحدة فإنّ الأجزاء ستفترق عن بعضها البعض.

الشيء الذي لا توجد في ذاته الوحدة ليس له وجود أيضاً، كذلك فإن معاده لا يتحقق ولا يمكن أن ينتقل من هذا العالم إلى عالم الآخرة؛ كما أنّ مبدأ وجود هذه الأشياء أمور عديمة، لأن منبع الهیولی هو الإمكان، ومنبع الحركة هو القوة الاستعدادية؛ ومعادها ومرجعها هما الزوال والبطلان.

يجعلنا التناسب بين المبدأ والغاية أن نوافق بأن غاية النفوس هي مثلها أمر غير مادي وغير فان أيضاً؛ في حين إنّ بعض الناس بدلاً من الاهتمام بالغاية الحقيقة والكمال المطلق يهتمون بالغايات الوهمية ويبدلون كل مساعيهم من أجل الوصول إليها. وفي الحقيقة هؤلاء الأشخاص ليسوا عباد الله، بل يبتعدون فراسخ كثيرة عن مولاهم ووليهم الحقيقي، ويمكن تسمية هؤلاء العباد بعباد الطاغوت أو عباد أهوائهم ولذاتهم.

يجب أن يكون بين فصول أي عمل تحقيقي وبحثي، ترتيباً منطقياً على نحو أن يكون لكل فصل موضوع أثبتت أصوله في الفصول السابقة ولكنها لم تدرس بشكل مستقل. وإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون مباحث الفصل، ضمن انسجامها المنطقي، لها وجوه من الاستدلال والبرهان حتى يصل القارئ إلى استنتاج جديد. ويبدو أنّه في هذا الفصل لم تراعى هذه الأصول.

دراسة محتوى مواضيع هذا الفصل

معاد الهیولی الأولى: بناءً على المباني الفلسفية فإن الهیولی الأولى قوة مطلقة وتفتقد أي نوع من الفعلية والتحصّل، وإنّ هذا الشيء لا وجود له في العالم الخارجي، لأنّ فرض الموجدية هو فرض الفعلية والتحصّل. ولهذا السبب فإنّ الكلام عن معاد الهیولی من دون وجود الصورة التي هي سبب فعليتها، أمر عبث وليس له معنى، وإن وصلت الهیولی إلى الفعلية بحصولها

على الصورة سيكون لها وجود خارجي؛ وفي هذه الحالة لم تعد هيولى بل شيئاً خارجياً له صورة جسمية وصورة نوعية خاصة.

وأما الهيولى الأولى، فهي عارية في ذاتها عن جميع مراتب التحصل والتنوع إلا بما ضم إليها، ولذلك لا حقيقة لها إلا بما انضم إليها من صورة جسمية أولاً، ثم من صورة كمالية أخرى ثانياً^(١).

من الواضح لو تحولت الهيولى بصورة خاصة إلى فعلية فإن هذا المبحث لن يكون عن معاد الهيولى بعد، بل إن الكلام عن معاد جسم خاص؛ ومن المؤكد أنه مع معاد جسم فإن المادة الأولى له سيكون لها معاد بالتبع.

يُعد هذا المبحث من المواضيع المهمة يمكن دراستها في مسألة المعاد. هل للأجسام المادية معاد أم لا؟ إن كان لها معاد فما سببه وضرورته؟ وكيف يمكن تصور المعاد لها أصلاً؟

ولكن المهم بالنسبة إلينا هو أن هذا الموضوع لم تتم دراسته في هذا الفصل بتاتاً؛ كما أنه تمت مناقشة مبحث الأجسام في قالب حشر الجماد والعناصر والطبيعة الجسمانية في الفصلين السابقين.

يدّعي صدر المتألهين أنه يريد الإشارة إلى غاية الشر والسيطان، ولكن دراسة ما كتبه في هذا الفصل يبين بشكلٍ جلي أنه ليس فقط لم يتكلم عن الشر والسيطان ولا عن غاية خلقتهم، بل ادعى أن بعضاً من الناس يتبعون أهواءهم النفسية فقط.

السؤال المهم هو أنه أولاً، ما العلاقة بين مبحث معاد الهيولى ومعاد الأجسام المادية وبين غاية الشر والسيطان؟ وثانياً، ما ضرورة الإشارة إلى غاية الشر والسيطان في مبحثي المعاد والحشر؟

يدّعي صدر المتألهين أن فائدة بعض الأشياء مثل الهيولى والحركة من الوجود

(١) المصدر ذاته، ج ٥، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

هي استعداد قبول الكمال والصورة فقط. يمكن تأييد هذا الموضوع في حالة المادة الأولى، ولكن هل يجوز فيما يتعلق بالحركة أيضاً؟

إن مفهوم الحركة من المعقولات الثانية للفلسفة التي تُنتزع من سيلان وجود الجواهر والعرض؛ وإن كانت الحركة في الخارج موجودة أيضاً فوجودها عرضي ويتبع مقولة تحدث فيها. السؤال الذي يُطرح هنا هو كيف يمكن قبول وجود للحركة ذاتها وهي استعداد لشيء آخر.

العدم ومعرفة الأشياء المادية: يدعي صدر المتألهين أن الجسم المادي من دون طبيعة تحفظ وحدته فهي معرضة للتفرقة والتشتت. الشيء الذي ليس له وحدة ذاتية ليس له وجود، ولهذا السبب فإن معاده باتجاه العدم والزوال. ولكن من الواضح أن قصده من الطبيعة هو الصورة النوعية ذاتها؛ كما أن الوجود مساوق مع الوحدة، فأي شيء يصبح له وجود يتمتع بالوحدة تلقائياً. لكن السؤال هنا هو هل هذه الوحدة ضرورية من أجل الوجود؟ ومن جهة أخرى، كيف يمكن الكلام عن معاد شيء ليس له وجود خارجي؟ وكيف يمكن اعتبار معاد شيء عدماً وزوالاً؟ وهل في العالم المادة يكون العدم قابلاً للتصور أم أن المادة تغير شكلها فقط؟

يبدو أن ادعاء صدر المتألهين القائل بأن معاد جسم المادي هو البطلان والبور ليس صحيحاً؛ فالقرآن الكريم لا يتكلم عن زوال الأجسام، بل يناقش تغييرها وتبديلها، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾^(١).

يدعي صدر المتألهين أن مصدر وجود الهيولى هو الإمكان ومصدر وجود الحركة هو القوة، وبما أن الإمكان والقوة هما من الأمور العدمية فيمكن القول إن مصدر وجودهما هو العدم، ولأن غاية شيء كمبدئه لذلك فهو يستنتج أن غاية ومعاد الهيولى والحركة هما العدم والزوال.

هنا الموضوع يدعو للتأمل، هل يمكن للإمكان والقوة أن يكونا مصدرين

(١) سورة إبراهيم (١٤)، الآية ٤٨.

لوجود شيء ما؟ وهل الإمكان أمر عديم؟ وإن كان الإمكان أمراً علمياً فكيف يمكن أن يكون له خاصية الإيجاد؟

الإمكان الذاتي يعني عدم ضرورة الوجود، والعدم هو أمر اعتباري ومن ضمن المعقولات الفلسفية الثانية تُنتزع عن الماهية بالتحليل العقلي ويُحمل عليها. لهذا السبب ليس للإمكان الذاتي وجود منحاز ومستقل في الخارج، بل يمكن لمعروضه ومنشأ انتزاعه أن يكونا موجودين في الخارج.

وبالجملة، الوجود ليس كالإمكان حتى لا يكون بإزائه شيء، يكون المعنى المصدري حكاية عنه^(١).

ومع أنه ليس هناك أي وجود للإمكان في الخارج، لأن موطن الخارج هو موطن الوجود والفعلية، ولكن يجب ملاحظة هذا الأمر أن المفاهيم الذهنية بسبب مفهوميته لا يمكن بأي نحو أن تكون موجودة في الخارج حتى يكون اتصافها بالوجود والعدم صحيحاً؛ وإلا ليس فقط الإمكان بل يجب حسابان جميع المفاهيم الذهنية أعم عن المعقولات الفلسفية الثانية والمنطقية من ضمن العدم.

لذلك اعتبار الإمكان كعدم، كما أشار إليه صدر المتألهين، يعني القصور، والضعف، والقوة، والتنزّل من المرتبة الوجودية؛ وفي هذه الحالة لا يمكن، بالتمسك بتساوي الغايات بالمبادئ، اعتبار معاد الهیولی كعدم وزوال^(٢).

من جهة أخرى فإن اعتبار الهیولی من ضمن الأعدام لن يكون صحيحاً أيضاً، لأن الهیولی - كما يشير صدر المتألهين - هي إحدى حاشيتي الوجود، ولكنها الحاشية التي في نهاية الضعف والقصور^(٣).

ولذلك في موضعين من كتابه الأسفار، في مقام التفاوت بين الهیولی والعدم، يشير صدر المتألهين إلى أمرين:

(٣) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٣٤.

(١) المصدر ذاته، ج ٦، ص ٨٣.

(٢) المصدر ذاته، ج ٥، ص ١٨٦.

الأول، إنّ للهيولى فعلية عدم التحصل، إلّا أنّ العدم يفتقد إلى أي تحصل
وفعلية^(١).

والثاني، إنّ العدم هو معدوم بالذات وموجود بالعرض؛ ولكن الهيولى
موجودة بالذات ومعدومة بالعرض^(٢).

مع هذه الشروح يتبين جلياً أن نقصان وجود الهيولى وتملكها الإمكان الذاتي
لا يمكننا أن يكونا دليلاً على أن معاد الهيولى هو إلى العدم والزوال، خاصةً
وإذا اعتبرنا الإمكان الذاتي دليلاً على هذا الكلام، لأنه بما أن الإمكان الذاتي
هو الوجه المشترك لما سوى الله فيجب أن نعتبر معاد جميع الموجودات العدم
والزوال والبوار: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٣) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٤) وَيَبْقَى وَجْهُ
رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٥).

الشر وغايته: كما نعلم في الفلسفة الإسلامية الوجود هو الخير والعدم هو
الشر؛ لذلك فمهما تمتع الشيء بدرجة وجودية أعلى فإنه يتمتع بدرجة خيرية
أعلى أيضاً، وبالعكس كلما قلت الدرجة الوجودية للشيء فإن درجة شرّيته أعلى.
لازمة هذا المطلب هي أنّ الوجود المحض، أي واجب الوجود - جلّ جنبه
- هو الخير المحض؛ وإنّ ممتنع الوجود بالذات الذي هو العدم المحض، هو
الشر المطلق، وما يقع بين هاتين الحاشيتين، أي ممكن الوجود بالذات يملك
خيراً وشرّاً نسبين، حيث خيريته بسبب جهة الوجود، وشرّيته بواسطة فقدان
الكمال التي يمكنها أن تكون قد نشأت من حدودها الماهوية.

وبهذا التفصيل إنّ الهيولى الأولى بسبب كونها تتمتع بالوجود، فهي الخير
ولذلك لها غاية أيضاً. بعبارة أخرى، إنّ الشر المطلق بسبب كونه عدماً محضاً
لا يتمتع بالوجود لكي تكون فيه غاية، وإنّ سائر الموجودات الأخرى، بواسطة
الوجود الذي فيها وليس لأنها تفتقد إلى كمالات، لها غاية.

(١) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣١ و ٣٢. (٢) سورة القصص (٢٨)، الآية ٨٨.

(٣) سورة الرحمن (٥٥)، الآية ٢٦ و ٢٧. (٤) المصدر ذاته، ج ٧، ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

وفي هذا السياق يمكن مناقشة مبحثي الشيطان وغاية الوجود، لأن الشيطان بلحاظ الوجود الذي لديه هو الخير وبواسطة هذا الخيرية له غاية، وإن هذه الغاية ليست غير الخير المطلق والكمال اللامتناهية^(١).

وبالتالي لا يمكن اعتبار معاد الهولي، بسبب تملكها الإمكان الذاتي، عدماً وزوالاً؛ كما أنه لا يمكن اعتبار معاد الأجسام المعادية كذلك.

وقد شرح صدر المتألهين مباحث هذا الفصل في الدعوى السادسة من الفصل الثالث عشر من كتاب الأسفار^(٢).

* * *

الفصل الثامن: مزية أسلوب صدر المتألهين لإثبات معاد الموجودات

يدّعي الملا صدرا أنّ الأسلوب الذي ذكره في هذه الرسالة لإثبات المعاد هو أسلوب لم يخطر ببال أحد غير المعلم الأول، وقد غفل الحكماء الآخرين عنه.

بالتأكيد يجب أن يكون قصده أفلوطين وليس أرسطو، لأنّ كتاب الأثولوجيا من مؤلفات أفلوطين وقد نُسب بالخطأ إلى أرسطو؛ وقد نقل صدر المتألهين أغلب مباحثه في هذه الرسالة عن هذا الكتاب.

عل كلى حال فهو يقدّم دليلين لإثبات ادعائه:

الدليل الأول، غائية الله: لم يتمكن الحكماء القدماء أن يثبتوا بالبرهان أنّ الواجب تعالى هو غاية جميع الأشياء، وبعد زوال هذا العالم تنتقل جميع الموجودات في حركتها الذاتية الجوهرية إلى عالم الآخرة والواحد القهار.

ويذهي أنّ آخر ما توصّل إليه الحكماء القدماء في مبحث الغاية هو أنّ الموجودات تملك شرف وخسة متفاوتتين، بعضها في السلسلة العلية والمعلولة

(١) انظر كتاب القسبات، ص ٤٣٠.

(٢) انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٣٦٨ - ٣٦٦.

أقرب إلى الله الباري تعالى وبعضها أبعد منه. خاصة وأن أغلب الفلاسفة يعتبرون الوجود أمراً انتزاعياً ومن المعقولات الثانوية؛ وكمفهوم مصدر يصدق على الماهيات. وبما أن الماهيات هي أمور متعارضة ومنفكة عن بعضها من ناحية الذات، فليس هناك أي ارتباط بينها.

يدّعي صدر المتألهين أن هذا الاعتقاد هو حجاب سميك، لا يمكن بوجوده معرفة الأشياء ولا يمكن بسببه اجتياز النقص والوصول إلى الكمال، لأن الحكماء القدماء لم يدركوا الارتباط الوجودي والذاتي بين العلة والمعلولات، كما أنهم لم يدركوا أن الوجود دائرة متصلة لها قوساً النزول والصعود فيهما نقطتان متقابلتان: إحداهما المبدأ المتعالي في قمة الشرف، والثانية هي الهوى في غاية الخسة.

الدليل الثاني، عدم تقبل المعاد الجسماني: لم يستطع الحكماء السابقون أن يدركوا المعاد الجسماني، الذي تصرّ عليه الأديان الإلهية والذي تكلم عنه الأنبياء والأولياء، ولم يتقبلوا ذلك.

ويعد عدم تقبل المعاد الجسماني مفسدة كبيرة تُسبب اختلالاً في الكثير من القواعد الفلسفية. لذلك فقد حاول صدر المتألهين شرح النتائج الخاطئة لعدم تقبل المعاد الجسماني، وأشار إلى هذه الحالات:

(١) بُطلان وتعقيل النفوس الناقصة في العقل بعد الموت، كما يدّعي الإسكندر الأفروديسي.

(٢) ظهور التناسق، لأنهم لم ينتبهوا إلى تجرّد قوة الخيال ولهذا تصوروا أن بعض الأجرام الفلكية موضوعة من أجل تخيلات النفوس الموجودة بين مرحلتي العقل الهولاني والعقل بالفعل.

(٣) عدم الوفاء وبُطلان العقاب والجزاء، وعدم ترتّب الغايات في الطبيعة، وعشوائية الحصول على الشهوات الحيوانية وإعمال الحركات الطبيعية وأمثالها؛ لأن إيجاد هذه الأمور في طبيعة النفس الإنسانية من قبل الرب تعالى، إن كان من أجل الوصول إلى شيء في هذا العالم فإن هذا العالم

هو عالم الزوال، وإن كان من أجل الوصول إلى شيء في العالم الآخر، لا يمكن تحقق هذه الأمور في ذلك العالم.

٤) تكذيب كلام الأنبياء فيما يتعلق بالآخرة، وقد شرح الله تعالى هذا الأمر أيضاً.

٥) تفنيد قاعدة الإمكان الأشرف.

وتنتهي هنا مباحث صدر المتألهين في هذا الفصل، ولكن ما يهمنا هو قيمتها العلمية والفلسفية.

إن ما يدّعيه صدر المتألهين بأن ما قدّمه لم يخطر ببال أي حكيم، وإنّ جميع القدماء كانوا في غفلة مطلقة عنها، فهذا موضوع يجب البحث عن صحته أو خطئه في كتب تاريخ الفلسفة. كما أنّ موضوع دائرة الوجود وتقسيمها على القوسين النزولي والصعودي كان موجوداً في النصوص العرفانية قبل صدر المتألهين وفي النصوص الفلسفية أيضاً. ومن وجهة نظر أهل العرفان تشتمل دائرة الوجوب على قوسي الوجوب والإمكان، والوحدة والكثرة حيث إنّ أحد القوسين ناتج عن التنزّل من مرتبة غيب الغيبي والظهور في المراتب الأحلية والواحدية، من دون التجاني للوجود، والآخر نتج في السير المنعكس عن الواحدية والأحادية.

بعبارة أخرى، في القوس النزولي تظهر أحكام الأسماء والصفات الإلهية، وفي القوس الصعودي يتجلّى التوحيد الحقيقي الذاتي؛ لأن الوجود الواجب والوجود الإمكاناني كلاهما وجود واحد في الحقيقة، وإنّ أي مقيد هو مطلق بالقيّد بالإضافة بالمطلق، وبإسقاطه يصبح عدماً محضاً. إذن، حين ينزل الفيض من المبدأ لن يقبل العروج حتى يصل إلى الحاق الوسط وهو نهاية التنزّل والنقطة المقابلة للوحدة. لذلك يمكن تصوّر الوجود كالدائرة قُسمت إلى نصفين بخط وهمي: نصفها القوس الوجوبي والنصف الآخر القوس الإمكاناني^(١).

(١) بقدر النقود، ص ١٨٣ شرح گلشن راز، ص ٣٧٦.

وقد بحث ابن عربي مبحث دائرة الوجود بأسلوبٍ بديع، كما أنه شرح مراتب الوجود إلى الحق تعالى على النحو التالي:

أما الحق، فيشتاق إلى الخلق من حيثيتين مختلفتين، لأنه من حيث إنه متعين بصورة العبد المشتاق، يشتاق إلى نفسه ومن حيث إنه الأصل، يشتاق إلى نفسه في مرتبة التقييد التي هي مرتبة العبد. فالحب موجود على الدوام. متبادل بين الحق والخلق؛ والشوق والحنين واللقاء موجودة على الدوام أيضاً، لأن الحق دائم الظهور في صور الخلق، يدفعه إلى ذلك الحب الكامن فيه نحو ذلك الظهور. والخلق دائم الفناء يدفعه إلى ذلك الحب الكامن فيه نحو التحلل من الصور والرجوع إلى الأصل. هذه هي دائرة الوجود، أولها حب وفراق، وآخرها حب وتلاق، ومحور الدائرة الحق ومحيطها ما لا يحصى عدده من مجالي الوجود؛ كل يخرج من المركز وكل يرجع إليه^(١).

ومن بين كلام الحكماء يمكن الإشارة إلى هذه العبارة العائدة لسيد الحكماء المير داماد أيضاً:

فليتدبر كيف ابتدأ الوجود من محيط الكمال في أقصى القُصوى وغاية الغاية، متنازلاً من الأشرف فالأشرف، فانتهى إلى مركز الخسة والنقص في الغاية، ثم عاد من مركز النقص في الغاية متصاعداً من الأخس إلى الأشرف فالأشرف؛ ثم عاد من مركز النقص في الغاية متصاعداً من الأخس فالأخس إلى الأشرف فالأشرف، فرجع إلى محيط المجد والكمال في غاية الغاية.

فمحيط المجد والكمال في أقصى الغاية هو الباريُّ الفَعَالُ الواجب بالذات - تعالى عزه وجلاله - وهو أول كل شيء وآخره، ومبدأ كل وجود ومعاده ومركز النقص في الغاية، هو الهيولى الأولى المبهمة في حدّ وحدتها الشخصية وهي الحامل للقوة الانفعالية والقايلية الاستعدادية. ونصف القطر من المحيط إلى

(١) فصوص الحكم، ج ٢، ص ٣٢٧ - ٣٢٦.

المركز متنازلاً سلسلة البدء والنصف الآخر من المركز إلى المحيط متصاعداً
سلسلة العود^(١).

المعاد الجسماني عند الحكماء السابقين: إن نتيجة الدليل الثاني لصدر
المتألهين هي أن الحكماء السابقين لم يتقبلوا المعاد الجسماني المؤكد من قبل
الاديان الإلهية ولذلك اضطروا إلى الرضوخ لأمور تعارض بصراحة المباني
والقوانين الفلسفية.

يدّعي صدر المتألهين أن تفسيره الفلسفي للمعاد الجسماني اختص به هو
وحده ولم يبحث هذا الموضوع قبله أحد قط.

من أجل تبين هذا الموضوع يجب مراجعة سائر مصنفاته لنرى ما المبحث
الذي يقدمه للمعاد، وهل هذا المبحث من ابتكاره هو أم لا؟

مقامات الناس في مسألة المعاد: يرى صدر المتألهين أربعة مقامات للناس
وأهل الإيمان فيما يخص حقيقة الحشر والمعاد:

المقام الأول، يعود إلى أشخاص يعتقدون بأن العالم الآخر هو عالم
محسوس ومادة لا يمكن مشاهدته حالياً، ولكن بالعناية الإلهية وبعد الموت
سيكون أمام أنظار الجميع.

المقام الثاني، هناك فئة تعتقد بأن جميع أمور العالم الآخر هي أمور خيالية
وصور مثالية لن يكون لها وجود خارجي أبداً.

المقام الثالث، يتعلق بأشخاص يعتقدون بظواهر الدين، ومن وجهة نظرهم
تعد الصور الأخروية صور عقلية موجودة في عالم العقول، أو أنها كناية عن
لوازمها، أي السرّات والأوجاع.

المقام الرابع، يختص المقام الرابع بأشخاص يعتبرون أن الأمور الأخروية
موجودات عينية وثوابت حقيقية حيث هي تامة، شديدة وأكثر دواماً من
موجودات العالم المادي من الناحية الوجودية وتحقق القوة^(٢).

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٢٣٦ - ٢٤١.

(١) الفسّات، ص ٣٨٩.

يبدو أنّ صدر المتألهين يقدّم هذا التقسيم للناس كي يميز نفسه عن الحكماء الآخرين فيما يتعلق بمبحث المعاد، ويبين أن ما يقوله في تفسير المعاد ليس الشيء الذي يؤمن به الآخرون.

تصورات المعاد من وجهة نظر الملاء صدرًا: وكأغلب الحكماء يرى صدر المتألهين ثلاثة تصورات جديرة بالدراسة في مبحث المعاد، وهي كالتالي: (١) المعاد الجسماني، (٢) المعاد الروحاني، (٣) المعاد الجسماني والروحاني.

وهذا التقسيم مبني على إجابة لهذا السؤال: هل للإنسان بُعد غير مادي، فضلاً عن جسمه المادي، أم لا؟ وإن كان له هذا البعد فهل مفارقتة الجسم يظهر في المعاد وحده ومن دون حضور الجانب المادي وينضم إلى عالم القدسية لكي يتمتع بالمرات والأوجاع العقلانية، أم أنه سيستمر بالحياة الأخروية بمعية بُعد المادي^(١)؟

المعاد الجسماني: وينقل عن أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث وكبار الشيوخ أنّ المعاد أمر جسماني (مادي)، لأن الإنسان هو البعدين المادي والجسماني إياهما حيث لا توجد حقيقة غير مادية خلفهما.

ويمكن تصور هذه العقيدة بشكلين: (١) إن الإنسان عارٍ من الروح، (٢) يملك الإنسان روحاً مادية وسارية في الجسم، كالنار في الفحم، وماء الزهر في البتلات، والزيت في شجرة الزيتون^(٢).

ومن بين أهل السنة يدّعي إمام الحرمين أن الروح هي جسم لطيف وغير محسوس اختلط بالأجسام المحسوسة وإن السنة الإلهية قررت أنه طالما هذا التركيب باق فإن الجسم المحسوس (الجسم المادي) سيبقى حياً؛ كما يمكن للجسم اللطيف أن يحيا بعد زوال التركيب بالحياة العرضية^(٣).

(٣) شرح المقاصد، ج ٥، ص ٩٨.

(١) المظاهر الإلهية، ص ٨٥.

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٢٢٦.

ولإثبات بطلان هذا الاحتمال يكفي فقط أن نعلم أن أدلة تجرّد النفس الناطقة تثبت الوجود الروحي غير المادي في الإنسان.

المعاد الروحاني: تعتقد فئة من الحكماء والفلاسفة أن ما يتمتع في العالم الآخر (أي البرزخ والقيامة) بالحياة الأبدية، هو البعد غير المادي والجانب الروحي للإنسان فقط.

وتحتوي هذه النظرية بدورها على قسمين:

ثمة معاد للحقيقة الروحية والوجهة غير المادية للإنسان: يمكن الاستناد على دليلين لإثبات هذا الأمر القائل بأن للوجهة غير المادية ثمة معاد:

الدليل الأول، أصالة الروح: إن حقيقة الإنسان روحه، وإنّ الجسم آتة فقط. لذلك فإن حضور الجسم والجسم المادي في عالم الآخر لهو باطل وعبث. وحول هذا الأمر يقول الملام عبد الرزاق اللاهيجي:

إذن، كلما تكون النفس الناطقة كاملة... ففي علم وعمل هذين، حين تفارق الجسم لن تعود بحاجة إلى جسم، لأنّ الحاجة إلى الجسم هي بسبب أنّ الجسم آلة من أجل النفس في تحصيل الكمالين، وحين تحظى بالكمالين المطلوبين لن تعود هناك حاجة إلى الآلة^(١).

الدليل الثاني، نوع الجزاء الأخروي: إنّ الثواب والعقاب الأخروي هما من الأمور العقلية، وبالتالي لا يمكن إدراكهما بالآلات والأجسام المادية.

وحول هذا الأمر يقول الشيخ الرئيس ابن سينا:

ومنه ما يدرك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدّفته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس للثان للأنفس وإن كانت الأوهام هاهنا تقصر عن تصورهما الآن^(٢).

إن عقلانية الثواب والعقاب الأخريين هي بهذا السبب أنّه بعد الموت يبقى

(١) جوهر المراد، ص ٦٣١.

(٢) الشفاء، الإلهيات، ص ٤٢٣.

العقل فقط من بين قوى النفس الأربع، أي العقل والوهم والشهوة والغضب، وما من وظيفة للعقل غير الإدراك.

ولهذا السبب أوردَ الحكماء الإدراك في تعريف اللذة والألم ويقولون:

اللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم إدراك المنافي من حيث هو منافي^(١).

ليس للبعد المادي وجسم الإنسان معاداً: حسب تصور أتباع هذه النظرية، من أجل عودة الأرواح إلى أجسادها المادية يُلزم محذورين.

الإشكال الأول، التناسخ: يذكر صدر المتألهين في الأسفار تعرفين للتناسخ، ويبدو أن التعريف الأول أصح، لأن شرط التناسخ هو تباين جسمين، ولهذا السبب يختلف عن الرجعة أيضاً:

انتقال النفس من بدن عنصري أو طبيعي إلى بدن آخر منفصل عنه^(٢).

استرجاع النفس ونقلها إلى البدن بعد ذهابها عنه تارة أخرى من جهة صلوح مزاجه واستعداد مادته^(٣).

الإشكال الثاني، إعادة المعدم بعينه: القصد من هذا العنوان هو أنه مع كل مشخصاته وعوارضه، كالزمان والمكان، وبعد زواله، يصبح موجوداً مرة أخرى.

وبما أن التناسخ وإعادة المعدم بعينه أمران محالان وممتنعان فلن يكون حضور البعد المادي للإنسان ممكناً في عالم الآخرة أيضاً^(٤).

الارتباط بين التناسخ وإعادة المعدم: يحصل إشكال التناسخ عن تحقق إعادة المعدم في المعاد الجسماني، لأنه إذا أُعِدِمَ جسم الإنسان بعد مفارقة الروح عنه، وأن يكون إعادة المعدم ممتنعاً أيضاً فلا بد إن كان المعاد مادياً سيكون الجسم المادي الأخروي جسماً مغايراً عن الجسم المادي الدنيوي، وفي

(١) تعريفات ١ ص ١٥ و ٨٣، شرح المقاصد، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٧. (٣) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٦٩.

(٤) المصدر ذاته، ج ٩، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

هذه الحالة من الضروري أن يكون للروح جسمان مغايران مع بعضهما، وهذا يعني التناسخ^(١).

التناسخ وإعادة المعدوم في مجال العرفان: وقد تم بحث مسألة التناسخ وارتباطها بإعادة المعدوم في المجال العرفاني.

وضمن إشارته إلى تعريف القونوي عن التناسخ، يؤكد ابن الفناري على هذا الموضوع أنه أولاً: التناسخ المقصود في مبحث المعاد هو غير التناسخ البرزخي الذي يتحقق في عالم الآخرة بواسطة تغيير القلب المثالي للإنسان، وثانياً: عودة الروح إلى جسمها المادي ليس تناسخاً؛ لأن تغيير المرتبة الوجودية للإنسان لا ينافي وحدته الذاتية التي تعد المحور الرئيسي لمبحث المعاد^(٢).

من الواضح أن كلام ابن الفناري لا يمكن أن يكون كافياً لرفع الإشكال، لأن الشيء الذي يستند على التناسخ هو فنائية الجسم، حتى إن كانت وحدة الذات محفوظة أيضاً.

ومن أجل هذه المشكلة يجب أن نقول كالتالي أنه أولاً: لا تعني عودة الجسم الدنيوي عودة المعدوم، لأنه بعد خراب الجسم لا يعدم الجسم. وثانياً: إن عودة الجسم الدنيوي مجدداً إلى عالم الآخرة هي إعادة بناء شيء كان موجوداً في هذه الدنيا سابقاً، وليس إيجاد جسم جديد ليصبح التناسخ ضرورياً ولهذا استخدم القرآن، من أجل إيجاد الجسم الأول في العالم مفردة «إنشاء» ولإعادة بنائه في عالم الآخرة مفردة «إحياء»: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) التناسخ: (Metempsychose) من جذر النسخ؛ والنسخ في مفهومه المصدري يعني الإبطال، الإزالة وتغيير الصورة. وفي المجال الفلسفي مع أنه هناك تعريفات متنوعة عنه ولكن الوجه المشترك لجميعها «انتقال الروح من جسم إلى جسم آخر». من أجل المزيد من المعلومات انظر كتاب رسالة أضحية في أمر المعاد، ص ١٥٨، إيضاح المقاصد من حكمة عين الفوائد ص ٢٢٩ كلمات مكنونة، ص ١٧٥ المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٢٤٦، الكليات، ص ١١٤ تقريب المرام في علم الكلام، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٢) مصباح الأنس، ص ١٠١. (٣) سورة يس (٣٦)، الآية ٧٩.

مع أنّ الغزالي اقترب من هذا الموضوع إلى حد ما، لكنّه لم يستطع أن ينتبه إلى هذا الأمر أنّه إضافةً إلى الوحدة الشخصية المبنية على أصل وحدة الروح، إنّ الجسم هو الجسم ذاته، لأنّ التغييرات القليلة للجسم لا تضرّ بحفظ وحدة الشخصية تلك.

وضمن نقله عبارة الغزالي يدّعي صدر المتألهين أنّ هذا المبحث مجملٌ ولا يمكنه أن يرفع إشكال التناسخ أي تعلق نفسين بجسم واحد.

تذنيب: اعلم أنّ الغزالي صرّح في مواضع من كتبه بأنّ المعاد الجسماني هو أن يتعلّق المفارق عن بدن يبدن آخر، واستنكر عود أجزاء البدن الأوّل.

قال... والظاهر أنّ الإشكال المذكور اللازم للتناسخ غير المتّجوز، وارد هاهنا - أيضاً - من كون بدن واحد ذي نفسين؛ لأنّ كلامه في غاية الإجمال ولم يظهر منه الفرق بين الحشر والتناسخ.

وقد علمت أنّ الحقّ في المعاد، عود البدن بعينه وشخصه كما يدلّ عليه الشرع الصحيح من غير تأويل، ويحكم عليه العقل الصّريح من غير تعطيل^(١).

ومن هذه الناحية ليس لكلام الغزالي إجمالاً، وإنّ إشكال صدر المتألهين عليه لا يصدق عليه أيضاً لأن ملاك التناسخ في مبحث المعاد هو تعلق الروح بجسمه، وليس تعلق روحين بجسم واحد؛ لأن الجسم الأخروي ليس جسماً جديداً يستحق الحصول على روح، بل إنّ الجسم الدنيوي ذاته وقد أحيا مجدداً فلن يكون إشكالا الآكل والمأكول واردين أيضاً.

المعاد الجسماني - الروحاني: ينسب صدر المتألهين هذا الاحتمال إلى الحكماء الكبار، مشايخ العرفاء ومجموعة من المتكلمين كالغزالي، والكعبي، والحليمي، وراغب الأصفهاني، وكذلك كبار علماء الشيعة من أمثال الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والسيد مرتضى، والعلامة الحلي^(٢).

(١) المظاهر الإلهية، ص ٩٤ - ٩٣.

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٢٢٦، شرح المقاصد، ج ٥، ص ٨٨.

وضمن إشارته إلى الاختلاف الموجود في مسألة المعاد ذكر ابن عربي في كتابه:

(وصل) اعلم أنّ الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام، ولم نتعرف لمذهب من يحمل الإعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة، فإنّ ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه، لأنّه جهل؛ إنّ ثمة نشأتين: نشأة الأجسام ونشأة الأرواح وهي النشأة المعنوية، فأثبتوا المعنوية ولم يثبتوا المحسوسة ونحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية، بما خالف فيه^(١).

بل يمكن اعتبار الاعتقاد بالمعاد الجسماني - الروحاني من ضروريات المذهب وحتى الدين الإسلامي المبين.
وحول هذا الأمر كتب المجلسي:

اعلم أنّ القول بالمعاد الجسماني ممّا اتفق عليه جميع المليين، وهو من ضروريات الدين، ومُنكره خارج عن إعداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصّة، لا يعقل تأويلها؛ والأخبار فيه متواتره، لا يمكن ردّها، ولا الطعن فيها^(٢).
كما يدّعي المرحوم الدواني:

المعاد الجسماني هو المتبادر من إطلاق أهل الشرع، وهو الذي يجب الاعتقاد به، ويكفر من أنكره، وهو حق لشهادة نصوص القرآن في مواضع متعدّدة بحيث لا يقبل التأويل^(٣).

يعتقد صدر المتألهين أنّ مؤيدي المعاد الجسماني - الروحاني يختلفون في هذا الموضوع هل أنّ الجسم الأخروي كالجسم الدنيوي أم مثله؟ وهل أنّ هذه العينية والمثلية هما باعتبار جميع أعضاء وأشكال وخطوط الجسم أم باعتبار بعضها؟^(٤)

(١) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٣١١. (٢) شرح العقائد العنصرية، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٤٧. (٤) الأسفار، ج ٩، ص ٢٢٧.

ولكن قبل طرح مبحث مثلية أو عينية الجسم الأخروي والجسم الدنيوي، يجب أن نتكلم عن هذا الموضوع: هل أن الجسم الأخروي الجسماني هو جسم مادي أم غير مادي؟ لأنه من هنا يفترق طريق صدر المتألهين عن الحكماء المسلمين الآخرين.

تفاسير المعاد الجسماني: هناك استنتاجان متفاوتان بالكامل فيما يتعلق بتفسير المعاد الجسماني:

الاستنتاج الأول، الجسم الأخروي هو جسماني ومادي: يمكن دراسة هذه النظرية في فرضيتين عينية ومثلية الجسم الدنيوي والأخروي.

عينية الجسم الأخروي والمادي: في أغلب المتون الكلامية، كلما يذكر كلام عن المعاد يفسر على أن جسم الإنسان المادي سوف يحيا مجدداً، بعد الموت والزوال، في القيامة بالأمر الإلهي.

دليلاً لإثبات العينية: هناك طريقان متفاوتان لإثبات هذا الأمر: (١)

الأول، إنكار امتناع إعادة المعدوم: تعتقد فئة بإنكارها امتناع إعادة المعدوم، عند الله، بعد خراب الجسم وإعدامه حيث إنهما نتيجة لمفارقة الروح عنه، سيحيا الجسم مجدداً في عالم الآخرة (٢).

تم قبول هذا الادعاء من ناحيتين، لأنه من وجهة نظرهم ليس هناك أي دليل على امتناع إعادة المعدوم، وكذلك تحكم المماثلة بين المبدأ والمعاد بجواز الإعادة، لأنه من المحال أن يكون شيء ما ممكناً في زمان وممتنعاً في زمان آخر (٣)؛ إذن، إن كان إيجاد الجسم في المرة الأولى في الدنيا ممكناً، فإن إيجاد الجسم ذاته للمرة الثانية في العالم الأخروي أمر ممكن أيضاً (٤).

(١) انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٢٣٠.

(٢) غاية المرام في علم الكلام، ج ٢، ص ٨٧، «إعادة الخلق بعد العدم ونشأتهم بعد الرسم».

(٣) شرح المقاصد، ج ٥، ص ٨٣.

(٤) بصرف النظر عن الأدلة الموجودة لإثبات امتناع إعادة المعدوم في الكتب الفلسفية - الكلامية، فإن أفضل دليل لذلك هو إدعاء الضرورة؛ ومن أجل المزيد من المعلومات انظر

الثاني، التأليف بعد التفريق: يعتقد بعض المتكلمين أن جسم الإنسان لا يفنى ويعدم بعد الموت، بل تُفَرَّق أجزاؤه عن بعضها، وسوف يجمع الله هذه الأجزاء مع بعضها في عالم الآخرة مجدداً، ويعيد بناء الجسم الأولي.

وفي إشارة إلى هذين المسلكين كتب العلامة الحلبي:

اتفق المسلمون على إعادة الأجسام خلافاً للفلاسفة واعلم أن إعادة تقال بمعنيين: أحدهما جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرقها وانفصالها، والثاني: إيجادها بعد إعدامها^(١).

يمكن البحث عما ذكرناه آنفاً في التعريفات المذكورة حول المعاد في المتن الكلامية أيضاً:

إن أهم دليل ذكره مؤيدو نظرية مادية الجسم الأخروي وعينيته مع الجسم الدنيوي - بصرف النظر عن الأدلة العقلية - هو ظواهر بعض الآيات القرآنية.

وعلى سبيل المثال فمن استناده على الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(٢)، أشار المرحوم الدواني إلى حديث جاء في تفسير هذه الآية، حيث كتب:

قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بن خلف خاصمه رسول الله ﷺ، وأتاه بعظم قدرم وبلى، ففتنه بيده، وقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذه بعد ما رم؟ فقال ﷺ: نعم، ويبعثك ويدخلك النار^(٣).

مثلية الجسم الأخروي والمادي: ومن بين الحكماء هناك من يعتقد بأن الجسم الأخروي هو جسم مادي ولكنه ليس كالجسم الدنيوي، بل مثله ويشبهه. إن قبول مثلية الجسم الأخروي هو بسبب أن إعادة المعدوم بعينه محال، وكما أن صدر المتألهين يؤمن بهذا الاعتقاد فمن ضمن مشخصات الشيء المادي،

- إلى هذين الكتابين: المباحث المشرقية، الفصل العاشر، ج ١، ص ٤٨، شرح المقاصد، ج ٥، ص ٨٥ و ٨٤.

(١) شرح الباقوت، ص ١٩١. (٢) سورة يس (٣٦)، الآية ٧٧.

(٣) شرح العقائد العنصرية، ج ٢، ص ٢٤٧.

الزمان والمكان؛ وبما أنه لا يمكن إعادة هذين العنصرين، فلا يمكن أن يكون القول بالعينية صحيحاً.

من الواضح أنّ هذه المثلية لا تعني تباين الجسم الأخرى عن الجسم الدنيوي، لأنّه بناءً على قانون بقاء المادّة والطاقة فإنّ المادّة لا تفتنى، وبما أنّ تشخيص الإنسان بمادّته وصورته الخاصة، ولكن من جهة ليس من الضروري التآليف الشخص لأجزاء الجسم، ومن جهة أخرى فاصل «العينية» بين الجسمين الأخرى والدنيوي محفوظ، في التآليف الثانوي.

وحول هذا الأمر كتب القاضي عضد الإيجي:

إنّ الشخص إنّما يتشخص ويتخصّص بخصوصية أجزائه مادّةً وصورةً وبدناً وروحاً. وليس خصوص التآليف معتبراً في الشخص، بل المعتبر أشخاص الأجزاء، بتآليف نوعي لا شخصي باقي بعينه. ثمّ إذا بطل التآليف وانحلّ التركيب المعتبر، لم يبق الشخص الأوّل، لا لزوال الأجزاء، فإنّها باقية بأشخاصها وأعيانها، بل لزوال النّظم والتآليف المعتبر بينها نوعاً، ثمّ إذا حصل مرّة أخرى من نوع التآليف المعتبر بين الأجزاء الباقية بعينها، عاد الشخص الأوّل بعينه.

بعبارة أخرى، إن اعتبار المماثلة هو من أجل المقارنة بين الجسم الثاني (الجسم الأخرى) وبين الجسم الأوّل (الجسم الدنيوي)، بصرف النظر عن النفس والروح اللذين يعدّان حافظي وحدة الإنسان وشخصيته.

ومعنى الحشر والنشر والبعث والإعادة ليس أن يعطوه وجوداً بعد الفناء بل أن يعطوه قالباً، بهذا المعنى أن يعدّوا قالباً لقبول تصرفه مجدداً كما فعلوا ذلك في السابق، وستكون هذه المرة أسهل لأنّه في البداية كان يجب خلق القالب والروح أيضاً، وفي هذه المرة الروح موجودة في مكانها وأعني أنّ روح الإنسان وأيضاً أجزاء قالبه موجودة في مكانها، وإنّ جمعها أسهل بكثير من اختراعها^(١).

لذلك فإنّ مماثلة جسمين لا تعارض عينية الإنسان الأخرى والإنسان

(١) كهياه السعادة، ص ٨٠.

الدينيوي، لأن ملاك الوحدة هو النفس الإنساني التي لا تزول بالموت وتتعلقها
المجدّد بالجسم الجديد، سيكون الإنسان الدينيوي ذاته؛ كما أنّ الإنسان الدينيوي
على الرغم من التغيرات الحاصلة في جسمه وأجزائه، لا يفقد وحدته^(١).

وفي تفسيره شرح الجنابذي هذا الموضوع على النحو التالي:

إنّ الإعادة، وإن كانت بأشخاصهم بعينها، لكنّها بأبدانهم بأمثالها بوجه^(٢).

ومن أجل إثبات صحة هذه الصورة عن المعاد، يمكن الاستناد إلى بعض
الآيات القرآنية وكذلك أحاديث أهل البيت والعصمة عليهم السلام، لأنّه إجابة على كلام
الكفار هذا ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًّا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(٣). يقول الله في
سورة الإسراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ﴾^(٤)؛ وكذلك في ذكر هذه المثلية جاء في سورة يس المباركة: ﴿أَوَلَيْسَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

ومن الواضح أنّ القادر على إيجاد شيء، قادر على إيجاد شيء مثله، إن كانا
متساويين في الجنس^(٦).

وضمن تأكيده على مماثلة الجسم الأخروي والدينيوي صرح الإمام جعفر
الصادق عليه السلام في حديث أنّ ملاك هذه المماثلة، سريان أصل «العينية» على
جسمين.

فإذا قبضه الله إليه، صير تلك الرّوح إلى الجنّة في صورة كصورته، فيأكلون
ويشربون؛ فإذا قدم عليهم القادم، عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا^(٧).
الاستنتاج الثاني، إنّ الجسم الأخروي جسماني وغير مادي: جمع صل.

(١) الميزان، ج ١٢، ص ١٩٤. (٢) بيان السعادة، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٣) سورة الأسراء (١٧)، الآية ٩٨. (٤) سورة الأسراء (١٧)، الآية ٩٩.

(٥) سورة يس (٣٦)، الآية ٨١.

(٦) النيان، ج ٦، ص ١٥٢٤ منهج الصادقين، ج ٥، ص ٣١٧.

(٧) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٢٩.

المتألهين في مسألة المعاد بين موضوعين : (١) عينية الجسم الأخروي والدينيوي.
(٢) كون الجسم الأخروي غير مادي.

عينية الجسم الأخروي والجسم المادي: وحول هذا الأمر كتب صدر
المتألهين:

إنَّ المُعَاد في المَعَاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وإنَّ المبعوث
في القيامة هذا البدن بعينه، لا بدن آخر مباين له، عنصرياً كان... أو مثالياً^(١).

ملاك العينية: السؤال الأهم الذي يُطرح هنا هو: ما ملاك هذه العينية،
وكيف يمكن أن يكون الجسم الأخروي كالجسم الدينيوي؟

وقد ذكر الملا صدرا طريقتين لإثبات عينية هذين الجسمين في كتابه الحكمة
المتعالية:

الملاك الأول، أصل «العينية»: من وجهة نظر صدر المتألهين إنَّ ملاك
الجسم الأخروي والجسم الدينيوي هو أنَّه حين يرى شخصٌ إنساناً ما في عالم
الآخرة، في قلبه الأخروي، فإنه سيقول إنَّ هذا هو جسمه الدينيوي، مع أنَّه
حصلت فيه تغييرات وتحولات أيضاً^(٢).

الحق أنَّ المُعَاد في المَعَاد هو بعينه بدن الإنسان الشخصي الذي مات بأجزائه
بعينها لا مثله، بحيث لو رآه أحد، يقول إنَّه بعينه فلان الذي كان في الدنيا^(٣).

الملاك الثاني، أصل «وحدة الوجود»: وفي تفسير آخر يعتبر المحقق
السبزواري أصل وحدة الوجود دليلاً على العينية.

فالبدن الصوري الأخروي بعينه هو البدن المادي الدينيوي، لأن وجودهما
الذي هو أصل محفوظ فيهما، واحد^(٤).

كون الجسم الأخروي غير مادي: يرى صدر المتألهين إنجازَه الأهم في

(١) الأسفار، ج ٩، ص ٢٧٥ و ٢٧٦، وأيضاً الكتاب ذاته، ص ٢٨٩.

(٢) انظر كتاب المبدأ والمعاد، ص ٢٨٩ والأسفار، ج ٩، ص ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٣) المبدأ والمعاد، ص ٢٧٤. (٤) شرح المنظومة، ص ٣٤٧.

مبحث المعاد في هذا الموضوع، حيث يعد الجسم الآخرى كالجسم الدنيوي من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر الجسم الآخرى جسم غير مادي.

وحول هذه الأمر جاء في رسالة «المبدأ والمعاد»:

والتحقيق إنّ الأبدان الآخرى مسلوب عنها كثيرة من لوازم هذه الأبدان، فإنّ بدن الآخرى كظل لازم للروح وكعكس ومثال له، بخلاف هذا البدن المستحيل الفاسد^(١).

وكذلك كتب في «مفاتيح الغيب»:

إنّ المحشور إليه الإنسان في القيامة هو من الأبدان الآخرى المثالية الملكوتية للأرواح بحسب أعمالهم وأخلاقهم وملكاتهم واعتقاداتهم^(٢).

أرى من الضروري الانتباه إلى هذا الأمر أنّ صدر المتألهين، في بعض أعماله، وخلافاً لما ذكر، أكدّ على لزوم مثلية ومادية البدن الآخرى؛ حيث كتب في ذيل الآية ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٣):

أما الجسماني، فلأنّه يعاد مثل بدنه الذي اضمحل وتلاشى وصار عظماً نخرة... الخالق لكلية الأجسام كيف لا يقدر على أن يخلق بدنأ شخصياً جزئياً من أبدان الحيوان؟ بل هذا بالطريق الأولى، كما قال: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» وهذه مبالغة أخرى في تحقيق إعادة الأجسام الذاهبة إلى حيز الفساد. وإنّما ذكر المثل لخلق الشخص الثاني في موضعين من كتابه تنبيهاً على... إعادة المعدوم بعينه محال، بل الممكن إعادة مثله لا عينه كيف يكون ذلك ممكناً وكل فاسد لا بد من فساد، فساد مُشخصاته من الزمان والمكان وغيرهما؟... وهو محال^(٤).

(٣) سورة الأسراء (١٧)، الآية ٩٩.

(١) المبدأ والمعاد، ص ٣١٨.

(٤) مفاتيح الغيب، ص ٦١٦.

(٢) مفاتيح الغيب، ص ٦١٦.

وكذلك ضمن رفضه تأويل الآيات القرآنية التي تبدو في الظاهر أنّ الجسم الآخرى مادياً، كتب في «شرح الهداية»:

سبما على ما ذكرنا من القول بكون البدن المعاد مثل الأول لا عينه^(١).

كما أنّه يؤكد في كتاب العرشية أن الجسم الآخرى هو جسم مادي، ولكنه مغاير عن مادته الدنيوية الأولى:

إنّ المعاد في يوم المعاد، هذا الشخص الإنسان المحسوس الملموس المركب من الأضداد، الممتزج من الأجزاء والأعضاء، الكائنة من المواد، مع أنّه يتبدّل عليه في كلّ وقت أعضاؤه وأجزاؤه وجواهره وأعراضه... فقد علم أنّ هذا البدن محشور في القيامة مع أنه بحب المادة غير هذا البدن^(٢).

وفي شرحه على الهداية الأثرية جمع صدر المتألهين بين المثالية والمادية، حيث كتب:

ثمّ اعلم أنّ إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا، مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة، كما نطق به الشريعة من نصوص التنزيل وروايات كثيرة متظاهرة لأصحاب العصمة، غير قابلة للتأويل... أمر ممكن غير مستحيل، فوجب التصديق بها لكونها من ضروريات الدين وإنكارها كفرٌ مبين^(٣).

بصرف النظر عن هذا الاختلاف الموجود في كلمات صدر المتألهين، فإن نظريته المعروفة هي ذاتها التي شرحناها سابقاً، أي عينية الجسم الدنيوي والآخرى وكونه غير مادي.

أصول المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ذكر صدر المتألهين أصولاً ليتمكن من إثبات نظريته في مبحث المعاد.

وهذه الأصول التي ذكرت مع بعض الاختلاف في كتب الأسفار «العرشية»،

(١) شرح الهداية، ص ١٣٨٤ وأيضاً انظر كتاب: المبدأ والمعاد، ص ٣١٨.

(٢) كتاب العرشية، ص ٢٥٠. (٣) شرح الهداية، ص ٣٨١.

والشواهد الربوبية، والمبدأ والمعاد، و«زاد المسافر»، ويعد حذف
المشتركات هي كالتالي:

- (١) الأصل في موجودية أي شيء هو الوجود.
- (٢) إنَّ تحصيل أي ماهية مركبة نوعية يعود إلى فصله الأخير.
- (٣) إنَّ طبيعية الوجود بنفس الذات له إمكانية الشدة والضعف.
- (٤) إنَّ الوجود الشخصي بالحركة الجوهرية له إمكانية الشدة والقوة.
- (٥) إن الوحدة الشخصية لأي شيء وهي عين وجوده، ليست بالدرجة ذاتها.
- (٦) إنَّ القوام المركب لأي شيء هو بصورته وليس بمادته.
- (٧) إنَّ المادة الضرورية في وجود الحوادث والتغيرات، حقيقتها هي الإمكان
الاستعدادي إياه الذي ينشأ من إمكانه الذاتي.
- (٨) إنَّ هوية الجسم وتشخصه هما من النفس وليس بمادته.
- (٩) إن القوة الخيالية هي جوهر مجرد وغير قائم بالجسم.
- (١٠) إنَّ الصور الخيالية والإدراكية قائمة من نفس بنحو قيام الفعل بالفاعل.
- (١١) تُحصل الصور المقدارية من الفاعل أحياناً بمشاركة المادة، وأحياناً
أخرى من دون مشاركة المادة.
- (١٢) إنَّ نفس الإنسان قادرة بإبداع صور غائبة عن الحواس ومن دون مشاركة
المادة.
- (١٣) إنَّ التصورات والإدراكات العقلية والحسية للإنسان ليست منفصلة عن
الذات، ولا متباعدة عنه.
- (١٤) إنَّ التصورات والأخلاق والملكات النفسية مستتبعة من الآثار الخارجية.
- (١٥) إنَّ عوالم الوجود ثلاثة: الصور الطبيعية، والصور الإدراكية الحسية،
والصور العقلية والمثالية.
- (١٦) لكل إنسان سبب وجودات وأكوان متعددة مع بقاء تشخصه.
- (١٧) إنَّ النفس والفصور في الوجود الناتجين من الإمكان، يسببان بتحصيل
الكمال والفعالية.

١٨) إنّ سبب عروض الموت الطبيعي هو استكمال النفس واستقلالها في الوجود وبالتالي ينقطع تعلّقها عن هذا الجسم لتنضم إلى جسم آخر مكتسب من أخلاقه وهيئاته النفسانية.

١٩) إنّ الإبصار والرؤية ليسا بانطباع الشبح المرئي في العضو ولا بخروج الشعاع ولا بالإضافة الإشراقية؛ بل باختراع نفس تصبح صورة مساوية مع الصورة الخارجية في صقع النفس^(١).

وبعد جمعه بين هذه الأصول يصل صدر المتألهين إلى نتيجتين تبدوان غير متطابقتين:

النتيجة الأولى: وفي كتابه الشواهد الربوبية يستنتج على النحو التالي: «إنّ شخص المعاد في يوم القيامة، من حيث النفس ومن حيث الجسم، هو الشخص ذاته الذي كان يعيش في الدنيا، وإنّ التبدل في خصوصيات الجسم لا يضرّ البقاء الشخصي للجسم؛ لأنّ تشخص وتعين أي جسم مرهونان فقط ببقاء نفسه مع المادة العامة وغير المعلومة التي تتحقق ضمن أي مادة خاصة محدّدة، مهما تغيرت خصوصيات كل واحد منها»^(٢).

وتحتوي هذه النتيجة على أمرين:

إنّ تشخص الإنسان بنفسه لا بجسمه: ذكر صدر المتألهين هذا الأمر في كتابه «المبدأ والمعاد» على النحو التالي:

إنّ العبرة في تشخص كل إنسان إنّما هو بنفسه، وأمّا بدنه من حيث هو بدنه، فليس له تشخص إلّا بالنفس؛ بل ليس له من هذه الحيثية حقيقة ولا ذات حتّى يكون له في ذاته تعين بهذا الاعتبار^(٣).

كما أنه من أجل إثبات هذا الموضوع، إنّ تشخص الإنسان بنفسه وليس

(١) من أجل المزيد من المعلومات انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٢٦٢ - ٢٧٤، العرشية،

ص ٢٥٠ - ٢٤٥ زاد المسافر، ص ١٨ - ١٥ الشواهد الربوبية، ص ٣١١ - ٣١٦.

(٢) الشواهد الربوبية، ص ٣١٦. (٣) المبدأ والمعاد، ص ٢٨٩.

بجسمه، أشار إلى أصل ثبات شخصية الإنسان في تغييرات الجسد المستمر؛
وكتب:

لهذا يقال للشخص من الضبا إلى الشيخوخة إنه هو بعينه وإن تبدلت الصور
والمقادير... ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب: إنها عقاب لغير
الجاني^(١).

إن الجسم الأخروي كالجسم الدنيوي هو أمرٌ ماديٌّ: جاءت هذه النتيجة بعد
تصوره أن أصل وجود المادة العامة نسبةً إلى الجسمين الدنيوي والأخروي،
أصلٌ مسلمٌ به، ويرى تفاوتهما في بعض الخصوصيات.

وفي شرح الهداية ضمن قبوله كلا المبحثين، يقول صدر المتألهين في مقام
الإجابة عن هذا السؤال إنه بفرض قبول المادة، هل أن الشخص الذي يحصل
على ثواب أو عقاب هو غير الشخص الذي بدرت منه الطاعات والمعاصي؟ كما
يلي:

قلنا العبرة في ذلك بالجوهر هو المدرك وهو النفس ولو بواسطة الآلات وهي
باقية بعينها وكذا المادة والسنخ كالأجزاء الأصلية في البدن أو غيرها^(٢).

النتيجة الثانية: وفي مصنفاته الأخرى يستنتج صدر المتألهين من الأصول
المذكورة آنفاً أن الجسم الأخروي هو جسم غير مادي، أي مثالي ومتأثر بقوة
الخير.

وفي مفتاح الغيب شرح هذا الأمر على النحو التالي:

فالنفس إذا فارقت البدن وفارقت هذا العالم، حملت معها القوة المتخيلة
المدركة للصور الجسمانية، فيشاهدها ولا يزاحمها حينئذ شيء من حواس
البدن... ويتصور الإنسان - عند ذلك - ذاته بصورته الجسمانية التي كانت تحس
بها في وقت الحياة البدنية الحسية، كما في المقام^(٣).

(١) كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٢٢٧.

(٢) شرح الهداية، ص ١٣٨٢ أيضاً انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٢٢٧ و ٢٢٨.

(٣) مفاتيح الغيب، ص ٦٠٦.

وكذلك كتب في المبدأ والمعاد:

إذا مات الإنسان وفارقت نفسه وهي عالمة بذاتها، ومعها القوى المدركة للجزئيات، فتخيل ذاتها مفارقة عن دار الدنيا، ويتوهم نفسها عين الإنسان المقبور الذي مات صورته ويجد بدنها مقبوراً^(١).

الجمع بين النتيجةين: يمكن جمع هاتين النتيجةين كالتالي: بما أن الجسم الأخروي هو مادي، إلا أن ماديته تعود إلى أن النفس الإنسانية تتصوره مادياً، وليس لأنه مادي حقاً. لذلك فإن الجسم الأخروي هو نتيجة جهة فاعلية النفس، وليس جهة قابليتها^(٢).

وحول هذا الأمر كتب صدر المتألهين في الرسالة العرشية:

وبالجملة النفس أبداً تعين البدن وأجزائه، لا البدن يعين النفس إلى شيء من المراتب؛ فما أشد سخافة قول من جعل المواد الأخيرة والقشور الكثيفة الخارجية من جهة الوحدة الاعتدالية ممّا يفوز يدعو النفس إلى التعلق بالبدن بالطبع^(٣).

بصرف النظر عن أن الجسم الأخروي هو غير مادي ومحصول قوة تخيل الإنسان، يجب أن نرى ما تفاوته عن الجسم الدنيوي المادي؟

ومع أنه في هذه الدنيا تعد القوة مقدّمة على الفعل من الناحية الزمانية، ولكن في الآخرة أن الفعل مقدّم على القوة؛ كما أنه في الدنيا الفعل أشرف من القوة، ولكن في الآخرة القوة أشرف من الفعل، لأن عالم الآخرة هو ظهور النتائج وانعكاس العمل^(٤). يضع صدر المتألهين عدة اختلافات بين هذين الجسمين:

(١) كتاب المبدأ والمعاد، ص ٣٠٠. (٢) المصدر ذاته، ص ٢٩٠.

(٣) كتاب العرشية، ص ٢٥٥.

(٤) ما استخدمه صدر المتألهين بصفة القوة والفعل في ما يتعلق بالدنيا والآخرة، لهما اشتراك لفظي فقط، لأن القوة في مكانٍ تُعني قوة مكان الصورة ومنفعلة عن جهة الفعلية، وفي مكانٍ آخر تعني قوة فاعلة الصور في الآخرة. وبعبارة أخرى، تتحول القوة في الدنيا إلى

(١) إنّ الأجساد الدنيوية قابلة للنفوس، إلّا أنّ النفوس في الآخرة هي فاعلة الجسم.

(٢) إنّ الجسم في الآخرة له روح وحياة.

(٣) إنّ عدد الأجسام في الآخرة غير متناه.

(٤) إنّ أجساد الآخرة موجودة في السعداء بوجود واحد، ولكنها ليست كذلك في الأشقياء، لأن نفوس السعداء محيطة على منشأتها، إلّا أنّ نفوس الأشقياء محاطة بجهنم^(١).

وقد ناقش الفيض الكاشاني مثل هذا المبحث في خاتمة كتاب «أصول المعارف» بعنوان «في تفصيل وجوه الفراق بين الدنيا والآخرة في نحو الوجود جسماني»، حيث ذكر فيه واحد وعشرين اختلافاً بين الدنيا والآخرة من ناحية الوجود الجسماني؛ نذكر أهمها ما يلي:

(١) بما أنّ الدنيا وسيلة فهي فانية ولكنها باقية في الآخرة ببقاء الله.

(٢) تصبح القوة الخيالية في الدنيا غير الحواس الظاهرية، ولكنها تصبح مثلاً في الآخرة.

(٣) إنّ الشهوات في الدنيا تابعة للمشتبهات ولكن، المشتبهات في الجنة تابعة للشهوات.

(٤) إنّ باطن الإنسان في الآخرة ثابت كظاهره، ولكن في الدنيا ظاهر الإنسان ثابت وباطنه متغير.

(٥) خلافاً للدنيا، الوصول إلى الشهوات في الآخرة لا يمنع تجليها.

(٦) إنّ المادة الحاملة للصور الدنيوية تحتاج إلى فاعل متباين معها، ولكن المادة الحاملة للصور الأخروية هي قوة نفسانية لحمية ومركبة من الأخلاط إلّا

- القدرة في الآخرة ونسبتها بالصور الأخروية هي كنسبة الفعل بالفاعل؛ ومن أجل المزية في المعلومات راج كتاب: أصول المعارف، ص ١٩٧، تعليقة الأستاذ الأشتياني.

(١) كتاب العرشية، ص ٢٥٢ - ٢٥١، الشواهد الربوبية، ص ٣١٨ و ٣١٩.

أنّ الأجساد الأخروية ليست كذلك، لا يمستهم فيها نصب ولا يمستهم فيها لغوب لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى^(١).

على كل حال ما يهّمنا في هذا المبحث هو أن نعلم أنّه من وجهة نظر صدر المتألهين سر جسمانية هكذا معاد (مادي تخيلي) هو تجرّد قوة الخيال في الإنسان.

كما نعلم، بناءً على التعليمات الفلسفية، تُعدّ قوة الخيال كإحدى قوى الأجساد الباطنية والتي يطلق عليها «المصورة». وهذه القوة حافظة للصور الموجودة في باطن الإنسان التي تُقسم إلى صنفين: المتصلة والمنفصلة (المقيدة والمطلقة).

ويعرّف الفارابي قوى الخيال كما يلي:

قوة تحفظ رسوم المحسوسات بعد اختفائها عن الحس؛ وتقوم في وقت النوم وكذلك في وقت الصحو بتركيب بعض هذه رسوم المحسوسات مع البعض الأخرى أو تجزئة وفصل بعضها عن البعض الآخر^(٢).

وفي توصيف قوة الخيال وكذلك ارتباطها بمسألة المعاد كتب صدر المتألهين ما يلي:

إنّ القوة الخيالية للإنسان جوهر مجرّد عن العالم... وليست هي مجردة من الكونين، وإلا لكانت عاقلاً ومعقولاً، بل وجودها في عالم الآخرة يحذو حذو هذا العالم... وجميع ما يدركه الإنسان ويشاهده بقوة خيالية وحسّه الباطن، ليست حالة في جرم الدماغ... بل هي قائمة بالنفس... كقيام الفعل بالفاعل...؛ ولما كانت النفس الخيالية أشدّ قوةً وأقوى جوهرًا وأكثر رجوعاً إلى ذاتها، وأقلّ التفاتاً إلى شواغل هذا البدن واستعمال قواها المتحركة؛ كانت الصورة المتمثلة عندها، أتمّ ظهوراً وأقوى وجوداً... وفيه سرّ المعاد وحشر الأجساد^(٣).

(١) أصول المعارف، ص ٢٠٢ - ١٩٦؛ أيضاً انظر كتاب الأسفار، ج ٩، ص ٣١٠ - ٣١٢.

(٢) السياسات المدنية، ص ٧٦. (٣) المراثية، ص ٢٣٩.

وكذلك جاء في كتاب المبدأ والمعاد حول هذا الأمر:

أمور الآخرة أقوى وجوداً... فإنَّ وجودها العيني هو تخيلها ووجودها الخيالي، فالتخيل - هناك - نفس الوجود العيني وعين التحصل الخارجي؛ فلهذا يترتب علي التخيل ما يترتب علي الوجود العيني^(١).

وما مرَّ سابقاً هو تقرير موجز عن تفسير المعاد الجسماني من وجهة نظر صدر المتألهين، الشيء الذي لم يذكر في هذه الرسالة أبداً.
وهنا نرى من الضروري ملاحظة عدة أمور:

استنتاج متفاوت حول الجسمانية: كما لاحظنا، فمن وجهة نظر صدر المتألهين يعد الجسم الأخرى للإنسان جسماً غير مادي ومحصول قوة تخيله. لذلك، فإن إطلاق عنوان «الجسمانية» عليه وعلى ما تم نقده ودراسته من قبل الفلاسفة والمتكلمين القدماء هو بسبب اشتراكهما اللفظي فقط؛ لأن مفردة «الجسمانية» من وجهة نظر البعض هي بمعنى المادي ومن وجهة نظر البعض الآخر بمعنى غير المادي ولكنها تشبه الجسم المادي.

وهكذا تصور عن المعاد لم يتم نقضه ولا الإصرار عليه من قبل الحكماء والمتكلمين قط. ومن ينكر المعاد الجسماني، لا ينكر معاداً كهذا؛ ومن يصرُّ عليه، لم يكن لديه استنتاج كهذا عن المعاد الجسماني أيضاً.

إن كان الكلام عن تفرق الأجزاء أو إعادة المعدوم، فهو عن الجوانب المادية في الجسم الإنساني، فمن قدّم شبهة الأكل والمأكول ومن أجاب عليها لم يكن لديه تصور كهذا عن المعاد قط.

تُستخدم الآيات القرآنية أيضاً إلا أنَّ مُنكري المعاد ليس لهم تصور كهذا عنه، بل إنَّ الكلام هو عن إحياء العظام الرميمة والمتحولة إلى تراب. انتبهوا إلى بعض هذه الآيات: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الظَّالِمِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكُونَا لَهَا﴾^(٢)، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَبَوَىٰ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُنِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٣).

(٣) سورة يس (٣٦)، الآية ٧٨.

(١) المبدأ والمعاد، ص ٣٠٠.

(٢) سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٩.

﴿وَقَالُوا لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَعْنَا لَوْذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(١)، ﴿أَيَبَدُّكَ أَتُكْذِرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَمًا أَتُكْذِرُ تَخْرُجُونَ﴾^(٢)، ﴿قَالُوا أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا لَوْذَا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٣)، ﴿قَالُوا أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا لَوْذَا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٤)، ﴿لَوْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا لَوْذَا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٥)، ﴿وَكَاثُرًا يَقُولُونَ أَيْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا لَوْذَا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٦)، ﴿أَوَإِذَا كُنَّا عِظَمًا نُخْرِجُكَ﴾^(٧)، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾^(٨).

وحول هذا الأمر كتب الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري:

يقول أمثال الملا صدرا إنّ المعاد جسماني، إلّا أنهم أخذوا جميع المعاد الجسماني إلى داخل الروح وعالم الأرواح إياهما؛ بعبارة أخرى قالوا إنّ هذه الخصائص الجسمانية موجودة في عالم الأرواح؛ وحول هذه المسافة بين الروح والجسم، التي يقول بها القدماء من أمثال أبي علي سينا حيث يعتبرون العقل فقط روحياً ولا يرون غير العقل روحياً، يجب أن نقول إنه لا توجد أي مسافة. لكن بالطبع هذا الكلام لا يحل المشكلة أيضاً، أي لا يمكننا مطابقة هذا الأمر مع مجموع الآيات القرآنية. ومع أنه كلام جيد ويمكن تأييده بالأدلة العلمية أيضاً، إلّا أنه لا يمكن تبرير المعاد القرآني بهذا المبحث، لأنّ المعاد القرآني ليس روح الإنسان فقط^(٩).

وبناءً على استنتاج صدر المتألهين من المعاد الجسماني، ستحضر روح الإنسان في عالم الآخر مع جسم غير مادي؛ إلّا أنّ هذا الاستنتاج لا يختلف هنا جاء في الحكمة المشائية التي تطلق عليه المعاد الروحاني.

لم ينكر أي حكيم أو متكلم وجود جسم غير مادي لروح الإنسان الذي يطلق عليه أحياناً الجسم البرزخي - المثالي، سواء من قبل من يرى المعاد روحانياً أو

- | | |
|---------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة الأسراء (١٧)، الآية ٤٩ و ٩٨. | (٦) سورة الواقعة (٥٦)، الآية ٤٧. |
| (٢) سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٣٥. | (٧) سورة النازعات (٧٩)، الآية ١١. |
| (٣) سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٨٢. | (٨) سورة القيامة (٧٥)، الآية ٣. |
| (٤) سورة الصافات (٣٧)، الآية ١٦. | (٩) كتاب المعاد، المطهري، ص ١٩٤. |
| (٥) سورة الصافات (٣٧)، الآية ٥٣. | |

من تقبل المعاد بشكل جسماني مادي؛ لأنه من وجهة نظر المشائين الذين يعتقدون بالمعاد الروحاني أيضاً، بما أن تخيل النفس في عالم الآخرة يحتاج إلى موضوع من أجله، فإن وجود نوع من الجسم الذي يُعد حد ماهوي لروح الإنسان ملاك امتياز النفوس الإنسانية عن بعضها، أمرٌ مسلمٌ به.

وفي شرح حال بعض الأرواح كتب ابن سينا:

فإنهم إذا تنزهوا، خلصوا من البدن إلى سعادة تليق بهم، ولعلمهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعاً لتخيلات لهم. ولا يمتنع أن يكون ذلك جسمٌ سماوي أو ما يشبهه، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين^(١).

كما أن قطب الدين الشيرازي الذي يعد من أتباع الحكمة الإشرافية، كتب حول هذا الموضوع:

ليس مستبعداً أن يكون لعدة نفوس جسمٌ واحدٌ حيث ترى كل واحدة منها صوراً فيه، ولا يمكنها تحريك ذلك الجسم حتى تمتنع باختلاف الإرادة. وليس مستبعداً أن يكون للأشقياء جسمٌ آخر أو أجسام لتتخيل بواسطتها صور مؤذيات توعدها بذلك، وغير ذلك^(٢).

كما أن المحقق اللاهيجي ضمن قبوله ضرورة وجود جسم للأرواح في البرزخ والتي ليست جرماً فلكياً بالضرورة، ويمكنها أن تكون من جنس الدخان أو البخار، كتب:

وكذلك لا بد للنفوس الرذيلة غير الذكية أن تكون متعلقة بجسم حيث يكون موضوع تخيل المؤذيات الواردة في الشريعة. وأجازوا أن يكون جسماً متولداً من الأدخنة والأبخرة على نحو لا يكون مستعداً لتعلق النفس بتعلق التلبيير والتصرف^(٣).

(١) شرح الإشارات، ج ٣، ص ٣٥٥. (٢) جوهر المراد، ص ٦٤٢.

(٢) درة التاج، ص ٧٤٩.

ومع أنّ ابن سينا يحتمل أن يكون هذا الجسم من جنس الهواء أو الدخان، إلا أنّه صرّح أن الجسم الأخروي للإنسان، الذي أطلق عليه الجرم، يجب أن يكون متقارباً للروح من ناحية الجنس.

ويجوز أن يكون هذا الجرم متولداً من الهواء والأدخنة، ويكون مقارناً لمزاج الجواهر المسمى روحاً الذي لا يشك الطبيعيون أنّ تعلق النفس به لا بالبدن، وأنّه لو جاز أن لا يتحلل ذلك الرّوح مفارقاً للبدن والأخلاط ويقوم، لكانت النفس تلازمه الملازمة النفسانية^(١).

لذلك، فإن المعاد الروحاني، بهذا المعنى أنّ الروح العارية والمجرّدة من أي نوع جسم، حتى الجسم المثالي، ستُحشر في عالم الآخرة، ليس لهذا الرأي أي أتباع لكي يقف أمامه المعاد الجسماني الخاص بصدر المتألهين.

وحول هذا الأمر كتب الأستاذ الآشتياني:

وهذا المعنى مسلّم به عند أهل الحق أيضاً بأن النفس لن تتخير إلى العقل الصرف أبداً؛ بهذا المعنى إنها يجب أن تكون بشكل كامل وبتمام المراتب، ووجود المعقول والمعنى البحت وأن تزول جهة تجسّمها، كما عليه المشهور - مع أنها حسب درجات الوجود وجامعيتها وكمال التحقيق، هي أكمل من العقل. ودائماً ما تكون النفس مُضافة على الجسم، والإضافة على الجسم كأنها كيفية وجود النفس حيث لا تنسلخ من هذا الوجود بتاتاً، ولكن في الأجسام التفاوت ملحوظ. والجسم المضاف للنفس - أعم على جسم الجنين وجسم الطفل تام الوجود في الرحم والطفل المسافر إلى عالم خارج رحم أمه ووجود الطفل في المهد وتكامل هذا الجسم حتى البلوغ إلى مرحلة الصبا والمراهقة والتكليف وطى مراتب الشباب ودخول مرحلة الرجولة واجتياز درجات الرجولة والوصول إلى مرحلة الشيخوخة - هو دائماً ما يكون جسماً مضافاً للنفس بنحو إبهام وغير متعين (لا نقصد الإبهام المفهومي وعدم التحقّل الجنسي، بل الإبهام اللازم

(١) المهد والمعاد، ص ١١٤ شرح الإشارات، ج ٣، ص ٣٥٦.

للحركات الجوهرية الخاصة للموجود المتحقق في عالم الطبيعية). والجسم في العالم، بعد الموت وعالمي البرزخ والآخرة، مضاف بالنفس أيضاً، على نحو لو تمت مشاهدة الإنسان الموجود في الدين في عالم الآخرة، سيكون مشهوداً بالجسم المتشخص والمتقدر الموجود في الدين^(١).

وبملاحظة هذا الأمر يدعي المدرس الزنوزي: «ما من حكيم يعتبر المعاد روحانياً»^(٢).

ومما ذكرناه نستنتج أن هناك نقطة مشتركة بين المعاد في الحكمة المتعالية والمعاد في الحكمة المشائية، وهي حضور أرواح الإنسان بأجسام وقوالب غير مادية في عالم الآخرة، سواء أكانت هذه الأجسام من منشآت النفس حسب تجرّد الخيال أم حصيلة العمل الدنيوي للإنسان حسب القول بعدم تجرّد الخيال. وبناءً على هذا المبحث وفي مقام الجمع بين هاتين النظريتين كتب المرحوم السبزواري:

والحاصل أنه يمكن التوفيق بإرجاع قولهم في الفلك ولا سي ما قول الشيخ المتأله إلى قول صدر المتألهين في المعاد الجسماني وهو ما اخترناه^(٣).

سابقة الاعتقاد بالصور الخيالية: إن الاعتقاد بالوجود الخارجي للصور الخيالية في عالم الآخرة، هو عقيدة موجودة أيضاً بين المتفكرين المسلمين قبل صدر المتألهين.

وحول كون الصور الخيالية القائمة بالذات كتب التفتازاني:

إنّ ما يشاهد من تلك الصور في الخيال - مثلاً - ليست عدماً صرفاً، ولا من عالم الماديات وهو ظاهر، ولا في عالم العقل لكونها ذوات مقدار، ولا مرتسمة في الأجزاء الدماغية لامتناع ارتسام الكبير في الصغير في تخيل صورة الجبل مثلاً؛ فيجب أن تكون موجودات خارجية قائمة بذواتها وهو المطلوب^(٤).

(١) شرح على رسالة زاد المسافرين، ص ١٥٥ - ١٥٤.

(٢) انظر كتاب: رسالة سبيل الرشاد في علم المعاد.

(٣) شرح المنظومة، ص ٣٤٥.

(٤) شرح المقاصد، ج ٣، ص ٣٧١.

وفي قالب سؤال أيضاً أشار الإمام الفخر الرازي إلى هذا المبحث:

إنّ الصور الذهنية إن لم تكن مطابقة لما في الخارج كانت جهلاً، وإن كانت مطابقة، فلا بدّ من أمر في الخارج... وإنّ الصور المتخيلة لم لا يجوز أن تكون موجودة قائمة بأنفسها - كما قاله أفلاطون - أو بغيرها من الأجرام الغائبة عنّا^(١).
وفضلاً عن ذلك، وضمن شرحه بأنّ الصور الخيالية - وجوداً وعدمًا - تابعة لنفس فاعلها، صرح الملاً صدرا أنّ الصورة الجسمانية في المعاد هي أمر موهوم وخيالي.

إن هذه الصور الخيالية باقية ببقاء توجه النفس والتفاتها إليها واستخدامها المتخيلة في تصويرها وتثبيتها؛ فإذا أعرض عنها النفس، انعدمت وزالت، لا أنّها مستمرة الوجود، باقية لا بإبقاء النفس وحفظها إياها^(٢).

«ويتصور الإنسان - عند ذلك - ذاته بصورته الجسمانية»^(٣).

«ويتوهم نفسها عين الإنسان المقبور الذي مات صورته»^(٤).

وقبله أورد الغزالي في كلماته هذه الصورة عن المعاد أيضاً:

النفس إذا فارقت البدن، وحملت القوّة الوهمية معها كما ذكرنا، وتجردت عن البدن منزّهة، ليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدّنيا، متوهمة نفسها عين الإنسان المقبور الذي مات على صورته، كما كان في الرؤيا تتخيل وتتوهم. وتتخيل بدنّها مقبوراً وتتخيل الآلام الواصلة إليها على سبيل العقوبات الحسيّة على ما وردت به الشرائع الصادقة، فهذا عذاب القبر؛ وإن كانت سعيدة، تتخيل صوراً ملائمة على وفق ما كان يعتقد من الجنّات والأنهار والحدائق والغلمان والولدان والهور العين والكأس من المعين، فهذا ثوابك القبر^(٥).

(٤) المبدأ والمعاد، ص ٣٠٠.

(٥) المبدأ والمعاد، ص ٣١٦.

(١) شرح الإشارات، ج ٢، ص ٣١٥.

(٢) الأسفار، ج ١، ص ٣٥٣.

(٣) مفاتيح الفهم، ص ٦٠٦.

وكذلك فإن هذه الصور الخيالية الناتجة عن تصور الإنسان وتوهمه، سواء كانت من وجهة نظر صدر المتألهين أو من وجهة نظر شيخ الرئيس أبي علي سينا، هي حصيلة الأعمال الدنيوية للإنسان ونتيجتها التي ستظهر في عالم الآخرة.

وفي إحدى رسائله، وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال «ماذا سيفعل الإنسان في البرزخ؟»، كتب الشيخ الرئيس:

إنّا نكون في البرزخ أبقاظاً، وأخذنا اللذات الروحانية والصور التي تصحبنا من هذا العالم من العلم والعمل في الخير والشرّ تصير فينا محكمة ذاتية متفرّعة متميزة؛ وبالجملّة، تكون في البرزخ كالنطفة في الرحم والبذر في الأرض، تنبت وتثمر على ما في أصلها التي جاءت بها من ظهر أمها...^(١).

كما أنّ صدر المتألهين كتب حول هذا الأمر:

فيشاهد الصور العينية الموجودة في الآخرة... التي هي من نتائج الأعمال والأفعال^(٢).

ومن جهة أخرى صرح ابن سينا أنّ الصور البرزخية أكثر شدة وقوة من الصور التي تتشكل من قبل نفس الإنسان والتي تُرى في المنام. ومع أنّ الصور البرزخية بالذات لها أثر ولكنها تستطيع أيضاً أن يكون لها وجوداً خارجياً بالعرض وينبع النفس، وأن تكون مؤثرة.

فإنّ الصّور الخيالية ليست تضعف عن الحسّية، بل تزداد عليها تأثيراً وصفاء... على أن الأخروي أشدّ استقراراً من الموجود في المنام بحسب قلّة العوائق وتجرد النفس وصفاء القابل...؛ وليست الصّورة التي ترى في المنام، بل ولا التي نحس في اليقظة - كما عملت - إلّا المرتسمة في النفس، إلّا أنّ أحدهما تبتدئ من باطن وتنحدر إليه، والثانية تبتدئ من خارج وترتفع إليه. إنّما

(١) انظر كتاب: شرح الهداية، حاشية، ص ٣٧٤.

(٢) المبدأ والمعاد، ص ٣١٦.

يَلْذُ وَيُؤْذِي - بالحقيقة - هذا المرتسم في النفس لا الموجود في الخارج، وكلّما ارتسم في النفس فَعَلُ فَعَلَهُ، وإن لم يكن بسبب من خارج؛ فإن السبب الذاتي، هو هذا المرتسم، والخارج هو سبب بالعرض أو سبب السبب^(١).

ومن الجدير ذكره أنّ صدر المتألهين يستخدم عبارات ابن سينا هذه، التي تُقْبَر عن استنتاجه عن المعاد الروحاني، على نحو وكأته هو ناظر على المعاد الجسماني.

وقبل تكراره كلام شيخ الرئيس، كتب صدر المتألهين:

وللشيخ الرئيس إشارة خفيفة في آخر إلهيات الشفاء إلى وجه صحة المعاد الجسماني بقوله...^(٢).

من وجهة نظر ابن سينا وأتباعه فإن اللذة والعذاب العقلي (الإدراكي) يمكنهما أن يجتمعا مع الجسم المادي وبتبعها لذاته وآلامه الجسمانية، وأن يكون لكليهما وجود في عالم الآخرة؛ مع أنّه مهما ازداد الكمال المعنوي للإنسان يقل اهتمامه بالذات المادية - الجسمانية.

ومنه ما يدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدّفته النبوة... والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية؛ بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك وإن أعطوها، ولا يستعظمونها في جنبه هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الأول^(٣).

لا أعلم هل يمكن اعتبار هذا الكلام كتوضيح لهذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿رَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ مَكِينٌ فِي جَنَّاتٍ مَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)؟

كما أنّه في جمعه بين اللذات العقلية ووجود جسم مادي ولذات جسمانية ناتجة عنه، كتب قطب الدين الشيرازي:

(٣) الشفاء، الإلهيات، ص ٤٢٣.

(٤) سورة التوبة (٩)، الآية ٧٢.

(١) الشفاء، الإلهيات، ص ٤٣٢.

(٢) شرح الهداية، ص ٣٧٧.

ولكن لو بعد الموت تعلقت بشيء من الأجسام فذلك لا يمنع حصول لذات
وآلام عقلية عنها، وإن الآلام الناتجة هي بسبب تعلق الجسم^(١).

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الرسالة يمدح صدر المتألهين مباحثه، ويذكر قارئه بحجم
أهميتها.

يدّعي صدر المتألهين بأنه ذكر في هذه الرسالة أصول وقوانين بعيدة عن فهم
القدماء، وإن أغلب الحكماء المشائين والإشراقيين عجزوا عن فهمها.

ويوصي القارئ إلى أن يقدر أهمية وقيمة هذا الكنز الذي يعد تحفة إلهية،
وأن يشكر الله صباحاً ومساءً على فك هذه الأسرار وجعلها من العلوم ليهدي
عباده.

وبعد ذلك يقول ألا تستمع إلى كلام مُنكري المعاد والمتشبهين بالفلاسفة إذ
سيضلّونك عن طريق الله، ما يجعلك أن تفقد الكثير من الخير، وسيصيبك
الغضب الإلهي، وسيصيبك البلاء في عالم الطبيعة. وحافظ على هذه الرسالة
وأبعدها عن الأغيار، ولا تضعها في متناول يد المخدوعين إذ أغلب الناس هم
كذلك، باستثناء قلة لا يعرفهم غير الله أحد، وهم مستورون عن الناس.

وفي هذه الأيام خيم الظلام على كل الأنحاء وازداد عدد عابدي الشيطان.
ومن يظهر مباحث كهذه هو مثل الشخص الذي يشعل ناراً في ليلة باردة ظلماء
وحاصفة، كالنبي موسى عليه السلام، الذي كان يبحث عن النور في مسار مجهول لم
يبق فيه غير طريق صعب ومصابيح مطفأة. اجتياز هذا الطريق غير ممكن إلا من
قبل الذين اهتموا بالعناية الإلهية.

يدّعي صدر المتألهين أن التأمل في مباحث وأسرار هذه الرسالة يحول روح

(١) درة الناج، ص ٧٤٨.

الإنسان إلى ملاك مقرب، وأن تسير النفس الإنسانية في مسارٍ مستقيم وأن تهتدي بنور العقل إلى الله، وأن يفقد الإنسان خصوصياته المادية والحيوانية، ويتجلى الحق في مرآة وجوده يزول الصدا عن قلبه ويصبح موجوداً قُدياً وملكوياً؛ لأن الإنسان يملك مراحل ومراتب متعددة ويمكنه الوصول إلى المقام العُلّين بسيره المعنوي وأن يصبح قلبه خزانة الأسرار الإلهية.

وبعد ذلك يؤكد على هذا الأمر أن جميع الوجودات تملك نوعاً من الحياة والإدراك ومنشغلة بالتسبيح الإلهي وتقديسه، وهذا كله ليس إلا من مظاهر وتجليات أسمائه وصفاته.

ويؤكد صدر المتألهين مجدداً على هذا الأمر بما أن الغافلين والضالين ازداد عددهم، فيجب الحفاظ جيداً على هذه الرسالة ومطالبتها، ويُقسم القارئ بالله ألا يكون من الذين يعرفون الحقيقة ولكن لا يعملون بها.

وفي النهاية، وضمن استناده بآيات من القرآن المجيد يصرّح بأن مسألة المعاد وزوال الدنيا وعودة جميع الموجودات إلى الله ذُكرت في القرآن كثيراً^(١).

(١) نوصي القارئ العزيز أن يقرأ حتماً ملاحظة المدقق في نهاية هذه المجموعة. وفي هذه الملاحظة القصيرة تم بحث أطروحات المصحح على أسلوب تحقيق صدر المتألهين (المراجع).

حشر الأشياء

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الحمد لله رب^(٢) الآخرة والأولى، ومبدأ الوجود والمُنتهى؛ والصلاة^(٣) على غاية الأرض والسماء، وأقرب الخلق إليه في البدأ والرجعى، وآله^(٤) الذين أذهب الله عنهم رِجس^(٥) الشيطان، وطهرهم تطهيراً، ونور قلوبهم بآيات الحكمة والإيمان تنويراً.

أما بعد^(٦)، فقد سألت يا أخي - أطل الله بقاءك في سبيل المعرفة والهُدى! سدّدك^(٧) في سلوك المحجّة البيضاء! - عن حشر جميع الأشياء إليه تعالى حتّى طبائع^(٨) الجماد والنبات والعجماء، فضلاً عن ذوات العلم والحياة، وكلّ ما في الأرض والسمّاءات؛ فأجبتُ مسؤولك ومُبتغاك، وسعيتُ^(٩) في قضاء مأمولك ومدّعاك، وإن لم أكن أهلاً لذلك^(١٠)، إلّا أنّي أعانني مُجيب الدعوات، وأرشدني مُنزل الخيرات، وواهب الحكمة والآيات.

فأقول بعون الله وتوفيقه: إنّ الممكنات على طبقات:

الطبقة الأولى المفارقات العقلية، وعالمهم عالم القضاء الإلهي، وهي صور

(١) آس ١: + وبه ثقتي/ مج ٢: + وبه نستعين/ مج ١: - بسم الله الرحمن الرحيم.

(٢) مج ٢: يا رب/ دا: - الحمد لله/ آس ١، مج ١: بسم لله رب.

(٣) مج ١: السلام. (٤) مج ٢: أئمة.

(٥) آس ١: الرِجس.

(٦) آس ١: وبعد/ مج ٢، دا، آس ٢: - أمّا بعد.

(٨) مج ٢، دا: - طبائع.

(٧) مج ٢: سدّدك.

(٩) آس ٢: - وسعيت.

(١٠) آس ٢، مج ١: لذلك.

علم الله^(١) بالأنواع الكائنة، ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وخزائن الرحمة التي ما ينزلها إلا بِقَدَرٍ معلوم^(٢).

الطبقة^(٣) الثانية هي الأرواح المدبرة العقلية المتعلقة بالأجرام العلوية والسفلية ضرباً من التعلق، عالمهم عالم القدر الرباني ولوح المحو والإثبات.

الطبقة^(٤) الثالثة هي الأرواح المدبرة الجزئية والنفوس الخيالية المتعلقة بالأجرام السفلية الدُّخَانِيَّة و^(٥)النَّارِيَّة، ومنها ضرب من الإنس والجن^(٦) والشياطين.

الطبقة^(٧) الرابعة هي النفوس^(٨) النَّبَاتِيَّة وغيرها من الطبائع السارية في الأجسام، المحركة^(٩) إياها، المتحركة بتحريكها^(١٠)، المتجددة بتجديدها^(١١) في كل آن، وهي المشار إليها بقوله: ﴿غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَمُوتُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١٢) وإنما جمعت بصيغة ذوي^(١٣) العقول، لمدبرها العقلي ومحركها الروحاني، كما ستعلم. ومن^(١٤) هذه الطبقة أيضاً - من الجهة التي أومأنا إليها -^(١٥) الزبانية وسدنة الجحيم، المأمورون بقوله تعالى^(١٦): ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾^(١٧) ثُمَّ لَجَّيْمٌ سَلُوهُ^(١٨) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ^(١٩)؛ ومنها^(٢٠) المعوكلون على السحاب والأمطار والبحار والجبال والأرض والمعادن والنباتات وغيرها.

(١) مع ٢، دا: صورة علم الله تعالى.

(٢) اشاره است به سورة انعام، آية: ٥٩ وسورة حجر، آية: ٢١.

(٣) آس ٢، مع ٢، دا: والطبقة.

(٤) آس ٢، مع ٢، دا: والطبقة.

(٥) آس ١، آس ٢، مع ١: أو.

(٦) مع ٢، دا، آس ٢: الجن والإنس.

(٧) آس ١، مع ٢، دا: والطبقة.

(٨) آس ١: النفوس هي.

(٩) آس ١: المتحركة.

(١٠) دا: بحركتها/ آس ٢: بتحريكها.

(١١) مع ١، مع ٢، دا، آس ٢، بتجديدها،

(١٢) سورة تحریم (٦٦)، آية: ٦.

(١٣) دا: ذي.

(١٤) مع ١: في.

(١٥) آس ١: من جهة... إليها.

(١٦) دا، آس ٢: - تعالى.

(١٧) سورة حافه (٦٩)، آيات: ٣٠ تا ٣١.

(١٨) مع ١، آس ١، آس ٢: منهم.

الطبقة^(١) الخامسة هي الأبعاد والأجرام، وهي أسفل السافلين^(٢) ومهوى النازلين.

فإذا تمهّد هذا، فلنرجع إلى كيفية حشر كلّ من هذه^(٣) الطبقات إليه تعالى، بياناً على التفصيل، بعد ذكر إجمالي يعتمها، و^(٤) هو: إنّ الله^(٥) تعالى لم يخلق شيئاً إلّا لغاية، فإنّه ما من موجود ممكن، إلّا وله فاعل وغاية. ومن الموجودات - وهي^(٦) المركّبات - ما له علل أربع، هي^(٧): هما مع المادّة والصورة، إلّا أنّ البسيط لا يكون له من العلل إلّا الفاعل والغاية، لأنّ صورته^(٨) - بعينها^(٩) - ذاته، ولا مادّة له. وقد ثبت بالبرهان أنّ الغاية الأخيرة في فعله تعالى هي ذاته^(١٠)، وذاته^(١١) غاية الغايات، كما أنّه مبدأ المبادئ؛ ولا شكّ أنّ غاية الشّيء، ما^(١٢) له بالذات أن يصل إليه وينتهي به، إلّا أن يعوقه عاقه. وكلّ ما لا يمكن^(١٣) الوصول إليه، لم يكن إطلاق اسم الغاية عليه، إلّا بالمجاز؛ فلا يكون غاية بالحقيقة، وقد فرض أنّه^(١٤) غاية؛ هذا خلف.

فثبت بما ذكر^(١٥) أنّ جميع الممكنات - بحسب الجبلّة الغريزيّة - طالبة له تعالى، متحرّكة إليه تعالى^(١٦) حركة معنوية، مشتاقة إلى لقائه بالوصول.

وهذه الحركة والرغبة، لكونها مرتكزة من الله في ذاتها، يجب أن لا يكون عبثاً ولا معطلاً؛ فلا محالة كائنة متحقّقة - في غالب الأمر - بلا عائق^(١٧) وقاسر. والقسر على الطبع - كما ثبت في مقامه - لا يكون دائماً^(١٨) ولا

-
- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) آس ١، مج ٢، دا: والطبقة. | (١٠) مج ٢: - هي/ دا: - هي ذاته. |
| (٢) مج ٢: سافلين. | (١١) آس ٢: + تعالى. |
| (٣) مج ٢، دا: - هذه. | (١٢) دا: - ما. |
| (٤) آس ٢: - و. | (١٣) مج ١، آس ١: لم يمكن. |
| (٥) آس ١: وإذا تمهّد... إجمالها... هو الله. | (١٤) دا: إطلاق الغاية عليه... أنّها. |
| (٦) آس ١: - هي. | (١٥) مج ١: فذكرنا. |
| (٧) مج ٢: وهي. | (١٦) مج ١، دا: - تعالى. |
| (٨) مج ١: صورة. | (١٧) مج ١: بعائق. |
| (٩) مج ٢: بعينها. | (١٨) آس ١: ودائمة/ آس ٢: ذاتياً. |

أكثريةً، فيزول - لا محالة - ولو بعد زمان طويل؛ فيعود حكم الطبيعة إليه^(١).
ومن هنا يُعلم أن كل طبيعة نوعيّة تؤدّي^(٢) يوماً إلى غايتها الأصليّة؛ وغاية
الشيء أشرف من الشيء ذي الغاية، وغاية الجوهر أكمل جوهرية منه وأقوى
وجوداً في ذاتها. وننقل الكلام إلى نفس تلك الغاية^(٣) وتوجّهاً الذاتي إلى غاية
الغاية، وهكذا إلى أن ينتهي إلى غاية لا غاية^(٤) وراءها، وهي غاية الغايات،
ومنتهى الحركات والرغبات وماوى العشاق الإلهيين^(٥) والمشتاقين من فوي
الحاجات.

وأما البيان التفصيلي، فلنورده في فصول^(٦).

-
- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------|
| (١) آس ١ : + إليه. | (٤) آس ١ : إلى غاية الغاية. |
| (٢) مج ١ ، مج ٢ ، آس ٢ : يؤدّي. | (٥) مج ٢ : ماوى العشاق الإلهي. |
| (٣) آس ١ : - وغاية الجوهر... الغاية. | (٦) آس ١ : - وأما... فصول. |

الفصل الأول^(١)

في حشر^(٢) العقول الخالصة إلى الله وفنائها عن ذواتها
وبقائها^(٣) ببقاء الله بوجوه من البراهين

[البرهان] الأول^(٤): إنّ هويّاتها^(٥) وجودات محضة بلا ماهية، وأنوار صرفة بلا ظلمة؛ وإنّما التّفاوت بينها وكذا بينها^(٦) وبين^(٧) نور الأنوار ليس إلّا^(٨) بالتمام والنّقص والشّدة والضعف؛ ومتى كان^(٩) كذلك، لم يكن مفصولة^(١٠) الهويّات عن الإنّيّة^(١١) الإلهيّة.

أمّا^(١٢) الصّغرى، فلما برهنّا^(١٣) عليه في كتبنا الحكّمية - سيّما في الأسفار الإلهيّة - تارة على لسان الإشراف وتارة على طريقة المشائين.

وأمّا الكبرى، فلأنّ الشّيء مع تماميّته هو بالحقيقة^(١٤) ذلك الشّيء لا مع نقصه؛ والنّقص عدميّ، والعدم قد يكون خارجيّاً وقد يكون اعتباريّاً مخضاً^(١٥).

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) مج ٢، دا: - الفصل الأوّل. | (٢) آس ١: في عشر. |
| (٣) دا: - وبقائها. | (٤) مج ٢، دا: - الأوّل. |
| (٥) آس ١: هويّتها. | (٦) آس ١: - وكذا بينها. |
| (٧) مج ١، مج ٢: - بين. | (٨) مج ٢، دا، آس ٢: - ليس إلّا. |
| (٩) مج ١: كانت. | (١٠) مج ٢، دا: مفصول. |
| (١١) مج ٢: - الإنّيّة. | (١٢) مج ١: + و. |
| (١٣) مج ١، مج ٢، دا: آس ١، برهن. | |
| (١٤) مج ٢، دا: تمامه بالحقيقة/ مج ١، آس ٢: تمامه هو بالحقيقة. | |
| (١٥) آس ١: - مخضاً. | |

أما الأول، فيكون له حكم وضرب من الكون، وذلك إنما يوجد^(١) في الأجسام والجسمانيات وصورها ونفوسها، ولهذا لا يخلو شيء منها من شرور وأعدام وقوى وإمكانات. وأما القسم الثاني، فلا أثر له في الذوات العقلية بحسب نفس الأمر، لأنّ الذي في نفس الأمر هو الفعلية^(٢) والوجوب؛ وحالة الإمكان إنما يعرض لها بمجرد فرض العقل وجودها مع قطع النظر عن مقوم وجودها ومحصل هويّاتها^(٣).

وفرض وجود الشيء بدون مقومه، كفرض الماهية بدون مقومها - كفصلها أو^(٤) جنسها - وإذا كان كذلك، فلا امتياز بينها وبين بارئها ومقومها^(٥) في نفس الأمر، إلّا بضرب من الاعتبار العقلي بحسب نحو من الملاحظة والمقايضة الذهنية؛ ونحن قد بسطنا القول^(٦) في كُتبنا في إثبات أن^(٧) المجعول بالذات فيما له وجود وماهية - من الطبائع المادية - هو وجودها لا ماهياتها.

وهذه الإنبات العقلية لا ماهية لها، إذ ليست لها في^(٨) الخارج مرتبة إمكانية سابقة على وجوداتها، أو مادة حاملة لإمكاناتها، ليتصوّر فيها^(٩) ماهية غير الوجود؛ فعالم العقل، عالم الوجوب الصّرف بلا إمكان، والوجود البحث بلا عدم. ولأجل ذلك^(١٠) حكمنا في بعض كُتبنا أنّها من مراتب الإلهية، وليست بداخلة^(١١) في العالم وما سوى الله، لينافي دوائها حدوث العالم الذي أثبتناه بالبراهين. فثبت أنّها عائدة الذوات إلى الواحد الحقّ، راجعة إليه^(١٢)؛ فعين بدئها منه تعالى، عين رجوعها إليه سبحانه.

(١) مع ١: بوجود.

(٢) مع ٢، دا: لأنّ الذي لها في نفس الأمر الفعلية/ آس ٢: لأنّ الذي لها... هو الفعلية/ آس ١: - لأنّ الذي... الأمر.

(٣) آس ٢: هويّتها.

(٤) مع ٢، دا: و.

(٥) مع ١: مفهومها.

(٦) آس ١: الكلام.

(٧) دا: - أن.

(٨) آس ٢: - لها في.

(٩) مع ١: ب.

(١٠) مع ١، مع ٢، آس ١، دا: + ما.

(١١) آس ١: داخلة.

(١٢) آس ٢: عائدة إلى... إليه سبحانه.

البرهان الثاني^(١): إنَّ قاعدة الإمكان الأشرف، تقتضي أن يكون بين^(٢) نور الأنوار وبين ما يفرض أنه النور الأقرب، اتّصال معنوي؛ وكذا بينه وبين ما يفرض تالياً له^(٣) من الأنوار العقلية المتفاوتة بالشدة والضعف، وإلا لزم بين كلّ مرتبتين وجود أنوار غير متناهية مترتبة مجتمعة، مع كونها أيضاً محصورة بين حاصرين^(٤).

وذلك المحال لا مخلص عنه^(٥) إلا بأن يقال: إنها من^(٦) شؤون الإلهية ومراتب نزول الحقّ في تلك المقامات، لأنّه رفيع الدّرجات ذو العرش؛ وهي أشعة إلهية^(٧) متفاوتة النّورية، لا على وجه المبانيّة والانفصال، وإلا يلزم ما ذكرناه من المحال، فكلّها موجودة^(٨) بوجود واحد، وحيّة بحياة واحدة^(٩).

والنّظر إلى هويّة النفس ومقاماتها الذاتيّة الشخصيّة - من حدّ العقل بالفعل إلى حدّ الوهم والفكر والخيال وهلمّ^(١٠) إلى مراتب الحس، حتّى الإدراك اللّمسي التي كلّها موجودة^(١١) بوجود النفس، حيّة بحياتها على الوجه الجزئيّ الحضوري - يؤيد ما قرّرناه وينور ما ذكرناه، لأنّ هويات^(١٢) المشاعر والحواس، ليست بشخصيّاتها^(١٣) ووجوداتها، مبانيّة لهويّة النفس ووجودها. لا^(١٤) أنّها أعراض قائمة بالنفس - كما زعم - أو بالبدن - كما توهم -؛ ولا أنّ^(١٥) استخدام النفس إياها كاستخدام أحدنا للخادم والأجير؛ ولا أنّها جواهر منفصلة الذات عن

(١) مج ٢، دا: - البرهان الثاني.

(٢) مج ٢، دا: - بين.

(٣) آس ١: لها.

(٤) آس ١: لها.

(٥) آس ١: - لا مخلص/ مج ٢: لا مخلص لها/ آس ٢: لا مخلص منه.

(٦) مج ١، آس ١: عن.

(٧) مج ٢، آس ١: الإلهية.

(٨) مج ٢: والآلزم... موجود/ دا: والآلزم... موجودة.

(٩) مج ١: بوجود واجب... راجده.

(١٠) آس ١: هم.

(١١) مج ٢: الحسّ حقّ الإدراك... موجود.

(١٢) آس ١: الهويات.

(١٣) آس ١: بشخصيّتها.

(١٤) آس ٢: ولا.

(١٥) مج ٢، دا: - أنّ.

النفس ولا أن^(١) النفس بحسب مقاماتها العقلية^(٢) مدركة لهذه الجزئيات؛ ولا أن الحواس هي المدركة^(٣) دون النفس كما توهم -؛ ولا أنهما متشاركتان^(٤) في هذه الإدركات؛ بل النفس، هي - بعينها - العاقل المتصور المتخيل الحساس الشام الذائق اللامس المدبر المحرك النامي الغازي المولد الأكل الشارب النائم القاعد. وهذا^(٥) باب من التوحيد، يفتح بمفتاح معرفة النفس على هذا الوجه؛ فتدبر واهتد.

البرهان الثالث^(٦): إنَّ العقل حيث^(٧) لا حجاب بينه وبين الحق الأول، له أن يشاهد بذاته ذات الحق، وإن لم يكن ذلك على وجه الاكتناء، وإلا لكان محيطاً به، قاهراً عليه، هذا محال جداً. وإذا لا واسطة بينهما ولا حجاب يوجب البيئونة، فلا محالة يتجلّى^(٨) عليه الحق. والتجلي هناك إنما يكون بصريح الذات، إذ لا جهة ولا صفة زائدة عليه تعالى، ولا حيثية أخرى زائدة عليه^(٩)؛ فذات العقل، كأنها مرآة مجلاة يترأى فيها صورة الحق. وكما ليس في صفحة المرآة شيء وجودي إلا الصورة المرئية، ولا الصورة المرئية غير الصورة الحقيقية؛ فكذلك ليس في ذات العقل شيء^(١٠) إلا صورة الحق وتجليه. وليس هناك أمران: وجود العقل وتجلي الحق عليه، إذ^(١١) محال أن يتكرر للشيء الواحد وجودان، ولا أيضاً يمكن أن يصدر عنه^(١٢) تعالى بجهة واحدة صورتان؛ ولهذا قالت العرفاء: «إنَّ الله لا يتجلّى^(١٣) في صورة مرتين»^(١٤).

(١) آس ١: لأن.

(٢) آس ١، مج ١: مقامها العقلي/ آس ٢: مقاماتها العقلية.

(٣) آس ٢: المدرك.

(٤) آس ١: أنها متشاركون/ مج ٢، دا: متشاركان.

(٥) مج ٢، دا: + من.

(٦) مج ٢: - البرهان الثالث.

(٧) دا: - حيث.

(٨) مج ١: متجلي/ آس ١: يتجلي.

(٩) مج ١، آس ١، آس ٢: - عليه.

(١٠) مج ٢: - شيء.

(١١) آس ١: + هو.

(١٢) آس ١: منه.

(١٣) آس ١: يتجلي.

(١٤) «الفوحات المكية» ج ١، ص ٦٧٩: «إنَّه تعالى لا يتجلّى في صورة مرتين ولا لشخصين في»

فُعَلِمَ من ذلك، أَنَّ وجود العقل بعينه عبارة عن تجلّيه تعالى بصورة ذاته عليه؛ وصورة ذات الحق، إنّما هي نفس ذاته، لا أمر زائد عليه، وهذا هو المطلوب.

قال المعلم الأول^(١) في الميمر الثامن^(٢) من كتاب معرفة الربوبية:

إنّ الباريّ الأوّل، لَمَّا كان هو الفاضل التامّ الفضيلة، [وفضيلته أتمّ وأكمل من جميع ذوي الفضائل] ذ كان [هو سبب فضيلة كلّ ذي فضيلة^(٣)] [من الذين هم دونه وكان هو علّتهم وهم معلولون]؛ كان الواجب أن يكون هو الذي يفيض [أولاً] الحياة والفضيلة على الأشياء [كلّها] التي هي دونه وهي معلولة، فيفيض عليها على درجاتها ومراتبها؛ فما كان منها أكثر قبولاً، أخرى أن يقرب^(٤) منه، ويكون القابل الأوّل [لشرف جوهره وحُسن] بهائه^(٥)، ولذلك يتوسّط بين الباريّ و^(٦) سائر المعلولات [أن يجعل هذا الشيء الشريف الفاضل الجوهر أوّل من يقبل ما يفيض عليه]^(٧) من الحياة والفضائل^(٨)، و[يكون هو الذي] يفيض [بعد ذلك]^(٩) على ما دونه^(١٠) [مِمَّا قد قبل من الباريّ تعالى ويكون قبوله الحياة والفضائل المفاضة عليه من الباريّ دائماً وإفراغه وفيضه على ما دونه دائماً، إلّا أنّه إذا كان هو القابل الأوّل وفي درجته العلّيا القريبة من الباريّ تعالى]، كان^(١١) الواجب أن يكون [هو]^(١٢) أتمّ

= صورة واحدة، ج ٢، ص ٦١٤ وج ٤، ص ١٨٦: «الحق لا يتجلّى في صورة مرّتين»؛ «مصباح الأنس»، ص ١٠١: «الحق لا يتجلّى لشخص ولا لشخصين في صورة مرّتين».

- (١) آس ١، آس ٢، مج ١: الأوّل.
- (٢) آس ١، آس ٢: الثالث/ مج ٢: الثاني.
- (٣) مج ٢، دا: لفيل.
- (٤) آس ١: يفيض الحياة... أن يضرب.
- (٥) همه نسخة ها: لشرفه وبهائه.
- (٦) همه نسخة ها: المتوسط بينه وبين.
- (٧) همه نسخة ها: فهما قبل منه.
- (٨) همه نسخة ها: دائماً.
- (٩) همه نسخة ها: + منه.
- (١٠) همه نسخة ها: + دائماً و.
- (١١) همه نسخة ها: + من.
- (١٢) همه نسخة ها: القابل الأوّل.

وأفضل من جميع ما تحته، لقربه^(١) من الباري وشرف جوهره
[وحسن قبوله الفضيلة والحياة].

ولذلك صار بحيث كان المثال الأول الذي فيه تظهر^(٢) فضائل الباري^(٣)
[سبحانه وإليه تفيض الفضائل الكريمة]؛ ولذلك^(٤) يجب أن يفيض منه - [أعني
من العقل] على النفس، فإنها^(٥) مثال [من] العقل، [كما أن المنطق الظاهر هو
منطق العقل] وفعلها كله، [إنما هو بمعونة العقل، والحياة التي تفيضها على
الأشياء إنما هي] من العقل بأسره. والعقل والنفس - هما - بمنزلة النار
والحرارة. أما^(٦) العقل الكلّي فكالنار؛ و^(٧) النفس كالحرارة [المنبئة من النار
على شيء آخر]^(٨). (انتهى قوله ملخصاً^(٩)).

وقال في الميمر العاشر منه:

إن الواحد الحق الذي هو فوق التمام لما أبدع الشيء التام، التفت
ذلك^(١٠) التام إلى مُبدعه، وألقى بصره عليه^(١١)، وامتلاً منه نوراً
وبهاء؛ فصار عقلاً^(١٢).

ثم قال: فلما صارت الهوية الأولى المُبتدعة^(١٣) عقلاً، [تحكي
أفاعيلها الواحد]^(١٤) الحق، لأنها لما ألفت بصرها عليه^(١٥)، ورأته

(١) آس ١: به. (٢) همه نسخة ها: يظهر.

(٣) مج ٢، دا: الثاني/ آس ١: للباري. (٤) همه نسخة ها: وكذلك.

(٥) همه نسخة ها: + هي. (٦) آس ٢: وأما.

(٧) همه نسخة ها: أمّا.

(٨) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٩) مج ١، آس ٢: تلخيصاً/ آس ١: تلخيصاً.

(١٠) آس ٢: - ذلك. (١١) همه نسخة ها: إليه.

(١٢) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٣٥.

(١٣) مج ٢، دا: الأولى المبدعة/ آس ٢: الأولى مبتدعة.

(١٤) همه نسخة ها: يحكي... للواحد.

(١٥) آس ١، مج ١: إليه.

على قدر قوتها، وصارت [حينئذ] عقلاً، أفاض عليه الواحد الحق قوًى كثيرة عظيمة^(١). (انتهى كلامه^(٢)).

أقول: ليس المراد من قوله^(٣) «ألقى بصره إليه وامتلأ منه، فصار^(٤) عقلاً»، ما يوهمه^(٥) ظاهر العبارة من أنه لم يكن المجعول الأول مُلقياً بصره عليه تعالى بحسب أول الفطرة، ثم ألقاه ثانياً؛ أو لم يكن ممتلئاً منه نوراً، ثم امتلأ من نوره ثانياً؛ أو لم يكن عقلاً، ثم صار عقلاً؛ بل وجوده بعينه هو ملاحظته للحق؛ وامتلاؤه بنوره وفيضانه من الحق^(٦)، هو بعينه صيرورته عقلاً.

وليس في العقل وجودان: أحدهما^(٧) صورة ذاته، والآخر صورة زائدة على ذاته، هي صورة الحق. وصورة الحق^(٨) ليست إلا ذاته؛ إذ^(٩) كل صورة زائدة مرتسمة في ذات المدرك، فهي معنى كليّ يحتمل الكثرة والشركة، وهي مغايرة لذي الصورة الموجودة^(١٠)؛ فلم يكن المعلوم بالحقيقة، ذلك الأمر العيني^(١١).

وقوله: «أفاض عليها قوًى كثيرة»، معناه - كما يستفاد من مواضع^(١٢) من كتاب أنطولوجيا - أن^(١٣) العقل فيه الأشياء كلّها على وجه بسيط، وليس معناه أنه أفاض عليها صوراً^(١٤) متغايرة أو^(١٥) قوًى كثيرة حالة^(١٦) فيها؛ لأنّ ذلك يؤدي

(١) أنطولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٣٥ و ١٣٦.

(٢) آس ١: - انتهى كلامه/ مج ٢، دا: - كلامه.

(٣) آس ٢: بقوله. (٤) مج ٢، دا: صار.

(٥) آس ٢: توهمه.

(٦) آس ٢: ما توهمه... بحسب الفطرة... منه نوره... بنور فيضانه من الحق/ دا: بنور وفيضان الحق.

(٧) آس ٢: + هو. (٨) دا: - وصورة الحق.

(٩) آس ١: أو.

(١٠) مج ١، آس ١: الموجود/ آس ٢: فهو معنى كليّ... مغايرة لذوي الوجود.

(١١) آس ١: الغيبي. (١٢) مج ٢، دا: - من مواضعه.

(١٣) مج ١: أي. (١٤) آس ١، آس ٢: صورة.

(١٥) مج ٢: و/ دا: - أو.

(١٦) آس ١: خالية.

إلى انشلاخ الوحدة، إذ الواحد الحقيقي لا يصدر منه إلا الواحد في أول الأمر.

قال الشيخ الرئيس في رسالة العشق:

الخير الأول، بذاته [ظاهر] متجلّ لجميع الموجودات، ولو كان ذاته محتجباً عن [جميع] الموجودات، [بذاته] غير متجلّ لها، لما عُرف ولا نبيل منه^(١) [بثّة]؛ ولو كان ذلك في ذاته [بتأثير الغير]^(٢)، لَوَجِبَ أن يكون في ذاته المتعالية [عن] قبول [الغير] تأثير [للغير]^(٣)، وذلك خُلف؛ بل ذاته بذاته متجلّ، ولأجل قصور بعض الذوات عن قبول تجلّيها [يحتجب]^(٤).

فبالحقيقة، لا حجاب إلا في المحجوبين، والحجاب هو القصور والضعف والنقص. وليس تجلّيه إلا حقيقة ذاته، إذ لا [يتجلّى]^(٥) بذاته في ذاته، إلا ما هو صريح ذاته^(٦)، كما أوضحه الإلهيون؛ فذاته^(٧) [الكريم] متجلّ لهم، ولذلك [ربّما] سمّاه الفلاسفة، صورة العقل^(٨).

فأول^(٩) قابل لتجلّيه هو المَلَك الإلهي الموسوم بالعقل الكلّي؛ فإنّ [جوهره ينال]^(١٠) تجلّيه [نحو]^(١١) الصّورة الواقعة في المرآة لتجلّي الشخص الذي هي مثاله. ويقرب^(١٢) من هذا المعنى [ما] قيل^(١٣)؛

-
- (١) آس ١: الخبر الأول بذاته منجل... غير متجلّ لها ولا ينل منه/ آس ٢: غير منجلّ بها/ مج ٢: دا: لا ينل عنه.
(٢) همه نسخه ها: تأثيراً لغيره. (٣) همه نسخه ها: الغير.
(٤) همه نسخه ها: محتجب. (٥) همه نسخه ها: معنى له.
(٦) آس ١: إلا ما هو الصريح الذات. (٧) مج ٢، دا، آس ١: فبلاته.
(٨) مج ٢: الفعل. (٩) آس ٢: - فأول.
(١٠) همه نسخه ها: تجوهره ينل.
(١١) مج ٢، دا، آس ٢: تجوهر مج ١، آس ١: بجوهر.
(١٢) مج ١، آس ١: بتقريب/ مج ٢، آس ٢: بتقريب.
(١٣) آس ١: فاقبل.

إنَّ العقل الفَعَّال مثاله، فَاخْتَرِزْ أَنْ تقول^(١) مثله، وذلك هو الواجب الحق^(٢).

البرهان الرَّابِع^(٣): إِنَّه لَمَّا ثَبَتَ - بِمَا مَرَّ ذَكَرَهُ - أَنَّ العقل مُدْرِك ذاتِ المُبْدِع^(٤) الحقِّ، لَعَدَم الحِجَاب بَيْنَهُ وَبَيْن المُبْدِع الحقِّ - وَهُوَ النُّور الَّذِي فِي غَايَةِ الظُّهُور - فَيَعْقِل ذَاتَهُ بِلا صُورَةٍ أُخْرَى؛ وَكَلَّمَا يَعْقِل صُورَةً مَعْقُولَةً بِالذَّاتِ، فَيَصِيرُ هُوَ وَذَلِكَ^(٥) المَعْقُول بِالذَّاتِ شَيْئاً وَاحِداً، لِمَا بَيَّنَّا بِالْبَرْهَانِ مِنْ^(٦) اتِّحَادِ الْعَاقِلِ بِالْمَعْقُولِ حَسْبَمَا نَقَلَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ^(٧)، لِأَنَّ وَجُودَ الْمَعْقُولِ فِي نَفْسِهِ هُوَ بَعِينُهُ وَجُودُهُ لِلْمُدْرِكِ^(٨)؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ^(٩) الْمُدْرِكُ شَيْئاً وَالصُّورَةُ الْمَعْقُولَةُ شَيْئاً آخَرَ مَبَايِناً لَهُ فِي الْوُجُودِ. بَلْ يَجِبُ^(١٠) أَنْ يَكُونَ تِلْكَ الصُّورَةُ صُورَةً ذَاتَهُ الَّتِي ذَاتُهُ^(١١) بِهَا تَكُونُ بِالْفِعْلِ، سَوَاءٌ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَصَوَّرَهَا، بِالْقُوَّةِ - كَمَا فِي النَّفْسِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ^(١٢) عَقْلاً بِالْفِعْلِ - أَوْ كَانَ كَذَلِكَ دَائِماً، كَمَا^(١٣) فِي الْعُقُولِ الْفَعَّالَةِ.

وهذه المسألة يحتاج^(١٤) تحقيقها إلى خوض شديد وبحث عميق، لكننا أوضحناها بالبرهان في باب اتحاد العقل والمعقول من^(١٥) كتابنا المستمى

(١) آس ٢: + فَاخْتَرِزْ مِنْ أَنْ يَقُولَ / مَج ٢، دا: فَاخْتَرِزْ أَنْ تقولَ / آس ١: فَاخْتَرِزْ أَنْ تقولَ.

(٢) رسائل الشيخ الرئيس، «رسالة في العشق»، ص ٢٣.

(٣) مَج ٢، دا: - البرهان الرَّابِع.

(٤) مَج ٢، دا: بِدْرِكِ المُبْدِعِ / آس ٢: يَدْرِكُ ذَاتِ المُبْدِعِ.

(٥) مَج ٢: دا: فَيَصِيرُ ذَلِكَ / آس ١، مَج ١: فَيَصِيرُ هُوَ ذَلِكَ.

(٦) آس ١: بَرْهَانٍ مِنْ / آس ٢: الْبَرْهَانِ فِي.

(٧) مَج ٧: الْمُتَقَدِّمِينَ. (٨) آس ١: وَجُودَ الْمُدْرِكِ.

(٩) آس ١: - يَكُونُ / دا: تَكُونُ. (١٠) مَج ١: بِحَسَبِ.

(١١) مَج ٢، دا: - الَّتِي ذَاتُهُ / آس ٢: الَّتِي ذَاتُهَا.

(١٢) آس ١: كَمَا الْمُدْرِكَةُ فِي النَّفْسِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ / مَج ٢: كَمَا أَوْ النَّفْسِ / دا، آس ٢: يَصِيرُ.

(١٣) آس ١: - كَمَا.

(١٤) آس ١: فِي... يَحْتَاجُ / مَج ١، آس ٢: ... نَحْتَاجُ.

(١٥) مَج ١، آس ٢: بَابُ الْعَقْلِ... مِنْ / مَج ٢، دا: بَابُ الْعَقْلِ... فِي.

بـ«الأسفار الأربعة» وفي غيره، بحيث^(١) كادت أن تكون من الأوليات لسنة
الوضوح.

فقد ثبت وتحقق أن عالم العقل والصّور^(٢) الإلهية كلّها راجعة إليه تعالى،
فانية من هويّاتها، باقية ببقاء الله تعالى.

* * *

(١) آس ١ : تجب.

(٢) آس ١ : لقد ثبت وتحقق ذلك... الصّورة.

الفصل الثاني^(١)

في حشر النفوس الناطقة إلى الله تعالى

هذه النفوس^(٢) إمّا كاملة كمالاً عقلياً، أو ناقصة.

أمّا النفوس الكاملة التي خرجت ذاتها من القوّة إلى الفعل وصارت عقلاً بالفعل، فهي^(٣) لا محالة محشورة إلى العقل، والعقل محشور إلى الله تعالى، كما سبق. والمحشور إلى المحشور إلى الشيء محشور^(٤) إليه؛ فالنفس محشورة إليه.

وهذه النفوس على قسمين: فلكيّة وإنسانيّة.

أمّا الفلكيّة، فخلقها وبعثها في كلّ حين على^(٥) الاتصال التدريجي، لأنّ لها صورتين: حيوانيّة سارية في جرميّة الفلك، تتجدّد بتجدّد فيضاتها^(٦) على جوهر الفلك؛ و^(٧) صورة عقليّة باقية عند الله، تصل إليها حيوانيّة الفلك في كلّ حين، عند خروجها من القوّة إلى الفعل. وإذا خرجت من^(٨) القوّة إلى الفعل، وصارت متشبّهة بالعقل، واصلة إليه، عائدة إليه، فاضت وترشّحت منه حيوانيّة

(١) مج ٢، دا: - الفصل الثاني.

(٢) آس ٢: - النفوس.

(٣) دا: عن القوّة العقلية... فهي/ مج ٢: من القوّة العقلية... فهي/ آس ١: من القوّة العقلية إلى العقل فهي.

(٤) آس ٢: والعقل محشورة... محشورة/ آس ١: والعقل محشورة... محشور.

(٥) آس ٢: فخلقها وتعيّنها على.

(٦) مج ١: الفلك يتجدّد فيضاتها/ مج ٢، آس ٢: الفلك يتجدّد فيضاتها/ دا: الفلك يتجدّد بتجدّد فيضاتها.

(٨) مج ٢: - من.

(٧) آس: أو.

أخرى على مادة الفلك؛ فالإشراق الرّشحية تابعة للاتصالات العقلية^(١)،
والرّشحات الحيوانية الجزئية معدّة للاتصالات الكلّية، وهكذا إلى^(٢) ما شاء
الله، وليس هذا المقام موضع بيانها.

وأما النفوس^(٣) الإنسانيّة، فهي في أوّل تكوّنها ناقصة غاية^(٤) النقص إلى
حيث يكاد أن يكون من جملة الأعدام^(٥) والإمكانات، كما قال تعالى: ﴿مَلَأْنَا
عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٦). ثمّ يتدرّج شيئاً فشيئاً في
الاستكمال ويتطوّر^(٧) في الأطوار، حتّى يعرج بعد طي الطبقات والمرور في
سبع سموات، إلى المنتهى والماوى^(٨)، ﴿إِنَّ إِلَٰهَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾^(٩).

وأما النفوس الناقصة^(١٠)، فهي إمّا حيوانية غير مشتاقة إلى الكمال العقلي؛
إمّا بحسب أصل الفطرة - كما في البهائم - وإمّا بحسب أمور طارئة عليها من
أعمال وأفعال صارت موجبة^(١١) لسقوطها عن الفطرة، كما أعرب الكتاب
الكريم عن حالها بقوله تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ﴾^(١٢)؛ أو^(١٣) مشتاقة
إلى الكمال.

أما النفوس الإنسانيّة السّاقطة^(١٤) عن درجة قوّة الكمال، فهي محشورة إلى
عالم متوسط بين العقل والحس، ولها اتّصال بصورة مثالية^(١٥) مقدارية.
والصورة التي في عالم القدر هي حكايات وقوالب وأمثال لما في العالم

-
- (١) آس ١: ترشّحت حيوانية... فالإشراق... الكلّية/ مج ٢، دا: ترشّحت حيوانية...
فالإشراقات... العقلية/ آس ٢: ترشّحت عنه حيوانية... والإشراقات... العقلية.
- (٢) مج ٢: - إلى. (٣) مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: - النفس.
- (٤) آس ١: + في. (٥) آس ٢: الأعداد.
- (٦) سورة انسان (٧٦)، آية: ١. (٧) آس ١: ثمّ يتدرّج... يتطوّر.
- (٨) مج ٢: + و. (٩) سورة علق (٩٦)، آية: ٨.
- (١٠) آس ١، مج ٢، دا: الناطقة. (١١) مج ٢: معه.
- (١٢) سورة حشر (٥٩)، آية: ١٩. (١٣) مج ١: + هم.
- (١٤) مج ١، مج ٢: الإنسيّة السّاقطة/ آس ١: الإنسانيّة السّاقطة.
- (١٥) آس ٢: مثالية.

العقلي^(١) من الصّور المفارقة، وبها قوامها ودوامها^(٢) وحياتها؛ وكما أنّ حياة البدن وبقاءه^(٣) بالنفس، كذلك^(٤) حياة النفوس الحيوانية المتصورة^(٥) بالجسد البرزخي، بالعقل وبقاؤها به؛ فهي^(٦) أيضاً راجعة إلى العقول النازلة، بل إلى بعض قواها المتوسطة^(٧) بين العقل والحس.

قال معلّم الفلاسفة اليونانية^(٨):

إنّ النفس إذا سلكت من التسقّل علواً، ولم [تبلغ]^(٩) إلى المقام الأعلى بلوغاً تاماً^(١٠) ووقفت بين العالمين، [كانت من الأشياء العقلية والحسية وصارت متوسطة بين العالمين] أي بين عالم العقل والحس^(١١) والطبيعة؛ غير أنّها إذا أرادت أن تسلك^(١٢) علواً، سلكت بأهون [السعي ولم يشتد ذلك عليها]^(١٣)، بخلاف ما إذا كانت في العالم السفلي، ثمّ أرادت^(١٤) الصعود إلى العالم العقلي، فإنّ ذلك ممّا يشتدّ عليها^(١٥).

(١) دا: ناخوانا. (٢) آس ٢: قويا وذواتها.

(٣) مج ٢، دا: بقاؤها. (٤) آس ١: - كذلك.

(٥) مج ٢: المتقّرة. (٦) مج ٢: هي.

(٧) آ ١: المتوسط.

(٨) مج ١، آس ٢: الفلسفة اليونانية / آس ١: الفلاسفة الثانية.

(٩) همه نسخه ها: يبلغ.

(١٠) دا: ... تبلغ إلى المقام... / آس ٢: سلكت في... يبلغ المقام... / آس ١: علو وبلغ إلى مقام الأعلى بلوغاً تاماً وإن لم يبلغ إلى المقام الأعلى.

(١١) آس ٢: وقعت... بين العقل... وبين الحسّ / مج ٢: وقعت... بين العقل...

والحسّ / مج ١: وقعت... بين العقل... وبين الحسّ / دا: وقعت... بين العقل... والحسّ.

(١٢) مج ١ مج ٢، دا، آس ١: يسلك.

(١٣) همه نسخه ها: سعي ولم يشتد عليها ذلك.

(١٤) آس ١: إذا أردت... ثمّ أردت.

(١٥) أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١١٣٨ دا: - بخلاف... عليها.

وأما النفوس^(١) المشتاقة إلى الكمال، فهي بعد انقطاعها عن هذا البلد الطبيعي، مترددة^(٢) في الجحيم، معذبة دهرًا طويلاً أو قصيراً بالعذاب الأليم، ليزول عنها الشوق إلى العقليّات، إما بالوصول إليها - لو تداركته العناية أو^(٣) الشفاعة - أو بطول المكث والاستئناس إلى السُفليّات، فيزول عنها العذاب ويسكن^(٤) عند المآب، إما إلى الدرجة العليا وإما إلى المهبط الأدنى، فيعثر إلى الله من جهة أخرى من غير تناسخ، كما ستعلم^(٥).

(١) آس ١ : + غير.

(٢) آس ١ : متزودة.

(٣) مع ٢ : و.

(٤) آس ٢ : لكن.

(٥) آس ١ : - كما ستعلم.

الفصل الثالث^(١)

في حشر النفوس الحيوانية

وأما نفوس سائر الحيوانات، فهي عند موتها و^(٢)فساد أجسادها راجعة أفراد كل نوع منها إلى مدبرها العقلي الذي هو ربّ طلسمها ومصوّر صنمها وصورة عقلها ومعقولها، كرجوع قوى النفس الإنسانية من المشاعر الإدراكية والمبادئ الشهوية والغضبية إليها^(٣) عند انقطاعها عن هذا العالم. وقد تحقّق^(٤) في مظانّه أنّ هذه المشاعر والقوى النفسانية، كلّها في النفس على وجه الطف وأبسط؛ وهي إنّما اختلفت وتفرّقت في مواضع البدن، لأنّ عالم الطبيعة عالم التفرقة والتضاد، يُعدها^(٥) عن عالم الوحدة.

ومن نظّر في الحواس الخمس وافتراقها في أعضاء البدن واتّحادها في الحسّ المشترك، سهّل عليه التصديق بأنّ قوى النفس الواحدة مجتمعة فيها، متفرقة في الأعضاء. بل هذه الأعضاء أيضاً في مقام النفس^(٦) واحدة؛ ليس موضع العين غير موضع السمع، ولا موضع اليد غير موضع الرجل، ولا مواضع^(٧) الأعضاء كلّها هناك مختلفة؛ لأنّ النفس - كما علّم - أمر روحاني، وجميع أعضائها روحانية.

(١) مج ٢، دا: - الفصل الثالث. (٢) مج ٢، دا: أمّا... أو.

(٣) آس ١: نوع منها... إلى المبادئ الشهوية والعصية فيها.

(٤) آس ٢: من فقد العالم وقد حقّق.

(٥) مج ٢، دا: في مظانّها... كلّها على... وليُعدها.

(٦) آس ١: - النفس. (٧) آس ١، مج ٢، دا: موضع.

والروحانيات لا تزاحم ولا تضايق^(١) بينها، سواء^(٢) كانت النفس عقلانية وأعضاؤها عقلية^(٣)، أو حيوانية وأعضاؤها مثالية؛ كما أوضحه معلّم الفلسفة ويّين أنّ في الإنسان الحسي، الإنسان^(٤) النفسي والإنسان العقلي؛ ويّين أنّ جميع الأعضاء التي في الإنسان الحسي، هي في الإنسان النفسي على وجه اللفظ؛ وكذا جميع الأعضاء التي في الإنسان^(٥) النفسي، هي أيضاً^(٦) في الإنسان العقلي على وجه أعلى وأشرف. وأمعن في ذلك إمعاناً شديداً لو نقلنا ما ذكره، لأدّى إلى الإطناب^(٧).

فَعَلِمَ أَنَّ هذه القوى الطبيعية والحواس المتوزعة^(٨) في البدن الطبيعي الحسي، كلّها متّصلة بالنفس المتخيّلة، محشورة إليها؛ وهي بجميع قواها وحواسها المثالية متّصلة بالعقل الفعّال في أنفسنا المعبر^(٩) عنه بـ«الإنسان العقلي» الذي^(١٠) هو الرّوح المضاف إلى الله في قوله^(١١): ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١٢). وهي كلمة الله وأمره، المشار إليهما بقوله^(١٣): ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١٤)، قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١٥). وهي التي^(١٦) من الله مشرقها وإلى الله مغربها. وفي

(١) مع ٢: لا تزاحم/ دا: لا تزاحم. (٢) آس ١: + إن.

(٣) مع ٢، دا: عقلانية.

(٤) آس ١: الفلسفة وكذا لا اختلاف في الإنسان الحسي والإنسان.

(٥) آس ١: - الحسي... في الإنسان. (٦) مع ١: - أيضاً.

(٧) أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ٦٩: «وأقول: إنّ الإنسان الحسي إنّما هو صنم الإنسان العقلي، الإنسان العقلي روحاني، وجميع أعضائه روحانية، ليس موضع العين غير موضع اليد، لا موضع الأعضاء كلّها مختلفة، لكنّها كلّها في موضع واحد؛ فلذلك لا يقال هناك: لِمَ كانت العين، أو كانت اليد؛ فأما هاهنا، فمن أجل أنّه صار كلّ عضو من أعضاء الإنسان في موضع غير موضع صاحبه، وقع عليه: لِمَ كانت اليد، ولِمَ كانت العين؟».

(٨) آس ١: الطبيعة... المتوزعة/ آس ٢: المتوزعة.

(٩) آس ١: هي مجمع... المعبر. (١٠) آس ٢: - الذي.

(١١) مع ١: - في قوله. (١٢) سورة حجر (١٥)، آية: ٢٩.

(١٣) مع ١، مع ٢، دا: إليهما في قوله/ آس ١: إليها بقوله/ آس ٢: إليها في قوله.

(١٤) سورة طاهر (٣٥)، آية: ١٠. (١٥) سورة اسراء (١٧)، آية: ٨٥.

(١٦) مع ٢، دا: انبة.

الحديث عن بعض أئمتنا الظاهرين عليه السلام ^(١): «إنَّ روح المؤمن لأشدَّ اتِّصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها» ^(٢).

فإذن، كما أنَّ قُوَى النَّفس الإنسانيَّة العقليَّة راجعة إليها، متَّصلة بها اتِّصال الأشعة ^(٣) بالشَّمس؛ فكذلك نفوس كلِّ واحد من أنواع الحيوان يتَّصل عند الرَّجوع بعقل ^(٤) ذلك الحيوان. إذ ^(٥) التحقيق أنَّ لكلِّ ^(٦) حيوان عقلاً مفارقاً - كمال قاله الفيلسوف الأوَّل - إلَّا ^(٧) أنَّ الحياة والعقل ^(٨) - كما ذكره - في بعضها أبين وأظهر، وفي بعضها أخفى:

بل نقول هي في بعضها أضوء وأشدَّ نوراً من بعض ^(٩)، وذلك أنَّ من العقول ما هو قريب من العقول الأولى، فلذلك صارت أشدَّ ^(١٠) نوراً من بعضها؛ ومنها ما هو ثاني له؛ ومنها ما هو ثالث. فلذلك ^(١١) [صار] بعض العقول [التي] هاهنا [هي] إلهيَّة ^(١٢)، وبعضها ناطقة، وبعضها غير ناطقة ^(١٣) لبعدها من تلك العقول الشريفة. وأمَّا هناك، فالحي الذي نسميه هاهنا [غير] ناطق ^(١٤) هو ناطق؛ والحي الذي لا عقل له هاهنا، هو هناك ^(١٥) ذو عقل.

-
- (١) مج ٢: ائمتنا عليهم السلام / آس ٢: + صلوات الله عليهم أجمعين.
(٢) «كافي»، ج ٢ / ص ١٦٦، شماره ٤: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه، وجد ألم ذلك في سائر جسده؛ وأرواحهما في روح واحدة، وأنَّ روح المؤمن لأشدَّ اتِّصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها».
(٣) آس ١: + الشَّمس. (٤) آس، دا: يعقل.
(٥) آس ١: و. (٦) مج ١: كلَّ.
(٧) مج ٢: - إلَّا. (٨) آس ١: - العقل.
(٩) آس ١، مج ١، مج ٢، دا: - بل... بعض.
(١٠) آس ١: أشدَّ. (١١) مج ١، آس ١: فكذلك.
(١٢) مج ٢، دا: ثان لها... فلذلك... إلهيَّة / مج ١: فكذلك... ههنا إلهيَّة / آس ١: فلذلك بعض العقول ههنا إلهيَّة.
(١٣) آس ١: ناطق.
(١٤) آس ١: نسميه... ناطقاً / مج ١: نسميه ناطقاً. (١٥) مج ٢: لا عقل لها هناك.

وذلك أن العقل الأول الذي [للفرس]^(١)، هو عقل؛ فلذلك صار
 الفرس عقلاً، وعقل الفرس هو فرس البتة. ولا يمكن [أن يكون]
 الذي يعقل^(٢) الفرس، إنجماً هو عاقل الإنسان، فإن ذلك محال في
 العقول الأولى، وإلا كان العقل الأول، يعقل شيئاً ليس هو يعقل؛
 فإن^(٣) كان ذلك محالاً، كان العقل الأول إذا عَقَلَ شيئاً ما، كان
 هو وما عَقَلَهُ إياه، سواء، ويكون^(٤) العقل والشيء واحداً، فكيف
 صار أحدهما عقلاً وصار الآخر - أعني الشيء المعقول - لا عقل
 له؟^(٥)

وقال أيضاً:

إنّ العقل الكائن في بعض الحيوان ليس بعدام^(٦) للعقل الأول.
 وكلّ جزء من أجزاء العقل هو كلّ يتجزأ به العقل^(٧). فالعقل للشيء
 الذي هو^(٨) عقل له، هو بالقوة الأشياء كلّها؛ فإذا صار بالفعل،
 صار خاصاً وإنما يصير بالفعل أخيراً. وإذا كان أخيراً بالفعل^(٩)،
 صار فرساً أو شيئاً^(١٠) آخر من الحيوان. وكلّما سلكت الحياة إلى
 الأسفل، صار حياً دنيئاً خسيساً؛ وذلك أن القوى الحيوانية^(١١)

(١) همه نسخه ها: يعقل الفرس.

(٢) آس ٢: عقل ولذلك... هو فرسيته وأن يكون يعقل/ مع ٢: عقل فلذلك صار عقلاً...
 يعقل آس ١: ... لا يعقل.

(٣) آس ١، مع ٢، دا: فإذا. (٤) آس ١، آس ٢، دا: فيكون.

(٥) أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٥٠ و ١٥١.

(٦) آس ١، مع ١: بعدام.

(٧) آس ١: تجزى به عقل/ مع ٢، دا: هو به يتجزى به عقل/ آس ٢: هو كلي يتجزى به عقل.

(٨) آس ١: - هو.

(٩) مع ١، دا، آس ١، آس ٢: بالفعل أخيراً/ مع ٢: - أخيراً.

(١٠) آس ١: شيء.

(١١) آس ٢: كلّما سلك... حياً دنيئاً خسيساً وذلك القوى العقلية/ آس ١: كلّما... إلى
 الأسفل صار دنيئاً... القوة الحيوانية/ مع ١: كلّما أسلكت... صار دنيئاً... الحيوانية/
 مع ٢: صار دنيئاً... الحيوانية.

كلّما سلكت إلى أسفل^(١)، ضعفت وخفيت بعض أفاعيلها، وكلّما خفيت بعض أفاعيلها العالية، حدثت^(٢) من تلك القوى في خسيس دنيّ، فيكون ذلك الحيّ ناقصاً ضعيفاً؛ فإذا صار ضعيفاً، احتال له^(٣) العقل الكائن فيه، فيحدث الأعضاء القويّة بدلاً ممّا نقص عن قوّته؛ فلذلك صار لبعض الحيوان أظفار، وبعضه مَخالب، وبعضه قُرُون، وبعضه أنياب^(٤)، على نحو نقصان قوّة الحياة فيه^(٥).
(انتهى كلامه).

فظهر ممّا ذكره أشدّ ظهوراً^(٦) أنّ معاد هذه النفوس الحيوانيّة إلى طائفة من العقول التي كان مبدؤها منها، كما أنّ معاد تلك العقول إلى^(٧) العقل الأوّل ومعاده إلى الواحد الحقّ^(٨)؛ وكذلك معاد أبدان هذه الحيوانات إلى نفوسها المتوسّطة بين العالمين.

فإن قلت: فلا فرق بين الإنسان وغيره من الحيوانات في أنّ للجميع نشأة آخرة، والمشهور عند^(٩) الجمهور - كما هو المأثور - أنّ الإنسان مختصّ بالبقاء الأخرويّ.

قلنا: إنّ كلّ واحد من أفراد الإنسان، بهويّته الشخصيّة المتميّزة عن غيره، باقية محفوظة الذات المدركة لأنانيّتها؛ وليس في سائر الحيوانات كذلك^(١٠). بل حكمها حكم سائر القوى النفسانيّة في أنّ وجودها وجود رابطي غير

(١) آس ١: الأسفل.

(٢) مج ١: فإذا خفيت حادث/ مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: فإذا خفيت حدث.

(٣) آس ٢: - فإذا صار ضعيفاً/ آس ١: احتمال له/ مج ٢، دا: - له.

(٤) مج ٢: أظفاراً وبعضه قرون وأنياب/ آس ٢: أظفاراً... لبعضه/ دا: أظفار وبعضه قرون/ آس ١: أنياباً.

(٥) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٥١. (٦) مج ١، آس ٢: ظهور.

(٧) دا: مع. (٨) آس ١: - الحقّ.

(٩) مج ٢: من.

(١٠) آس ٢: بالذات المدرك لا ثانيها وليس سائر... كذلك/ مج ٢، دا: وليس كذلك سائر الحيوانات/ آس ١: - لي.

مُدرك^(١) لذاته؛ كما أنَّ قُوَّة البصر فينا^(٢) ليست لها هوية استقلالية غير هوية قُوَّة السَّمع، حتَّى يدرك كلَّ منها ذاتها لذاتها. بل النَّفس الدَّرَاكَة، هي الهوية الجامعة لهما، الحاضرة لذاتها المُدركة لهما^(٣)، المدركة بهما سائر الأشياء.

فالباقية بذاتها في القيامة وفي النِّشأة الأخرى الباقية هي النَّفس القائمة^(٤) بذاتها وبذات مُبدعها وقيومها؛ وسائر قواها^(٥) باقية ببقائها. فكذلك النَّفوس الحيوانية الغير المستقلة في شعورها بذاتها ويمشاعرها ولا القائمة بذاتها دون مادة جسمانية طبيعية لا ينتقل^(٦) من هذه النِّشأة إلى نشأة أخرى بهوياتها الشخصية؛ بل يكون متصلة عند اضمحلال مادّتها وانفساخ قالبها - كسائر المشاعر الحيوانية - بمبدئها^(٧) الجامع الإدراكي، متاخدة به^(٨)، راجعة إليه، باقية ببقائه.

* * *

-
- | | |
|----------------------------|------------------------------------|
| (١) مج ٢، دا: مدركة. | (٥) آس ١: + لذاتها. |
| (٢) آس ٢: فيها. | (٦) مج ١: ينقل. |
| (٣) آس ١: - المُدركة لهما. | (٧) مج ٢، دا: بمبدعها. |
| (٤) آس ١: - القائمة. | (٨) آس ٢: متاخدة به/ آس ١: مناحلة. |

الفصل الرابع^(١)

في حشر قُوّة النَّبات وغيرها من طبائع الأجساد

أمّا^(٢) قُوّة النَّبات، فدرجتها في الوجود أرفع من درجة^(٣) الجماد والعنصر، لأنّ لها ضرباً ما^(٤) من الحياة والشّعور، لما يشاهد من بعض أفعالها وآثارها؛ ولهذا يطلق عليها^(٥) اسم النَّفس في أفاعيلها الثلاثة من التغذية التّمية والتّوليد؛ فلها حشر يقرب من حشر الحيوانات السّفلية. ولها^(٦) في هذا الوجود الطّبيعي ضرب من الاستكمال وتقرب^(٧) إلى المبدأ الفعّال ونوع منها - وهي السّارية في النّطف^(٨) - ينتهي في التّرقّي والاستكمال إلى درجة الحيوان.

ومن هذا النّوع، ما يتخطّى بها خطوة أخرى إلى مقام الإنسانيّة، فيكون^(٩) حشرها أتم^(١٠)، وقيامها في القيامة عند الله أقرب. وأمّا ما سواها من الأنواع، فهي مقتصرة^(١١) في حركتها وسعيها إلى الله تعالى على كمالها التّباتي، لتأكّد وجودها الغذائي^(١٢) وإتيانها النّشويّة^(١٣) والتّوليدية^(١٤). والتّأكّد للشيء في درجة

(١) مج ٢، دا: - الفصل الرابع.

(٢) مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: + صورة. (٣) آس ١، آس ٢، مج ٢، دا: - ما.

(٤) آس ٢: عليه. (٥) آس ١، آس ٢، مج ٢، دا: يقرب.

(٦) آس ١، آس ٢، مج ٢: التّلف. (٧) مج ١: ليكون.

(٨) آس ١، آس ٢: - أتم. (٩) مج ٢: مفطرة.

(١٠) مج ٢، دا: التّباتي. (١١) آس ١: كمالها النّباتية... النّشوية.

(١٢) آس ٢: فهي مفطرة... وسعنها إلى... إتيانها النّشوية التّولد به.

سِفْلِيَّةٌ يَمْنَعُ عَنْ^(١) التَّرْقِيِ عَنْهَا إِلَى كَمَالٍ^(٢) أَتَمَّ، فَيَكُونُ مَعَادَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْحَشْرِ فِي مَقَامٍ أَنْزَلَ. فَإِذَا قُطِعَ النَّبَاتُ مِنْ أَصْلِهِ أَوْ يَبَسَ الشَّجَرُ، رَجَعَتْ قُوَّتُهُ إِلَى مُدَبِّرِهَا النَّوْعِيِّ وَمَلَكُوتِهَا الْآخَرِيِّ.

قال الفيلسوف الأول في كتاب الربوبية:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنْ كَانَتْ قُوَّةُ النَّفْسِ تَفَارِقُ الشَّجَرَةَ^(٣) بَعْدَ قَطْعِ أَصْلِهَا، فَأَيْنَ تَذْهَبُ^(٤) تِلْكَ الْقُوَّةُ أَوْ تِلْكَ النَّفْسُ؟ قُلْنَا: تَصِيرُ^(٥) إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَفَارِقْهُ وَهُوَ الْعَالَمُ الْعَقْلِيُّ. وَكَذَلِكَ إِذَا فَسَدَ [جُزْءٌ مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ، تَسْلُكُ]^(٦) النَّفْسِ الَّتِي [كَانَتْ] فِيهَا إِلَى أَنْ تَأْتِيَ الْعَالَمَ الْعَقْلِيَّ؛ وَإِنَّمَا تَأْتِي ذَلِكَ الْعَالَمَ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْعَالَمَ^(٧) هُوَ مَكَانُ النَّفْسِ، وَهِيَ الْعَقْلُ؛ وَالْعَقْلُ لَا يَفَارِقُهُ. وَالْعَقْلُ^(٨) لَيْسَ فِي مَكَانٍ، فَالْنَّفْسُ إِذْ لَا لَيْسَتْ فِي مَكَانٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَكَانٍ، فَهِيَ لَا مُحَالَةَ فَوْقَ وَأَسْفَلَ وَفِي الْكُلِّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْقَسِمَ وَتَتَجَزَّأَ بِتَجَزُّؤِ الْكُلِّ؛ فَالْنَّفْسُ [إِذْ] فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَتْ^(٩) فِي مَكَانٍ^(١٠). (انتهى كلامه).

وَاعْلَمْ أَنَّ بَيْنَ عَالَمِ الْحَسِّ وَالطَّبِيعَةِ وَبَيْنَ عَالَمِ الْعَقْلِ عَالَمٌ آخَرٌ مُتَوَسِّطٌ^(١١) بَيْنَ الْعَالَمَيْنِ؛ وَلَهُ أَيْضاً طَبَقَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ فِي اللَّطَافَةِ وَالْكَثَافَةِ، مُتَّصِلٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. وَكُلٌّ مَا يَرْتَقِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، يَصِلُ أَوَّلًا إِلَى ذَلِكَ الْعَالَمِ، وَهُوَ عَالَمُ الْأَجْسَامِ الْمَجْرُودَةِ، وَيَكُونُ الْجِسْمُ الَّذِي فِيهِ^(١٢) عَيْنَ الْإِدْرَاكِ، لِأَنَّهُ عَالَمُ حَيَوَانِي

(١) مَج ١، دأ: عنه. (٢) آس ٢: - كمال.

(٣) آس ١: كتاب الربوبي... الشجر.

(٤) آس ٧: يفارق الشجرة بعد أصلها، فأين يذهب/ دأ: يذهب.

(٥) آس ٢: يصير. (٦) همه: نسخه ها: الجزء البهيمي يسلك.

(٧) آس ١: - العالم. (٨) آس ٢: - والعقل.

(٩) مَج ٢، دأ: ليس.

(١٠) أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٣٨.

(١١) مَج ١، دأ: متوسطة. (١٢) آس ١: - فيه.

إدراكي لا مادة^(١) فيه. والحسّ هناك^(٢) بعين التّخيّل، والبرهان عليه ذكرناه^(٣) في كتبنا من طريقي قاعدة الإمكان الأشرف الماثورة من القدماء، وقاعدة الإمكان الأخس^(٤) التي وضعناها.

فالتّبيعة لا ترتقي^(٥) في الاستكمال إلى درجة عالية إلّا وتصل^(٦) قبلها إلى درجة أدنى؛ فصورة الثّبات إذا قطع أو جفت، يسلك^(٧) أولاً إلى عالم الصورة المقداريّة بلا هيولى؛ فيصير من أشجار الجنّة إن كانت ذات طعم جيّد - كحلاوة أو نحوها - طيبة الرّائحة؛ أو من أشجار الجحيم إن كانت رديئة الطعم، مُرّة المذاق^(٨)، كريهة الريح، كشجرة الرّقوم طعام الأثيم. وأصول^(٩) هذه الأشجار تنتهي^(١٠) إلى سدرة المنتهى، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (١٥) إِذْ يَفْشَى الْيَسْرَةُ مَا يَفْشَى (١١)؛ كما أنّ جميع النفوس ينتهي إلى النفس^(١٢) الكلّيّة التي فوقها العقل الكلّي، وهو مأوى النفس الكلّيّة، كما أنّها منتهى النفوس الجزئيّة؛ تأمل، تدرك إن شاء الله تعالى.

قال الفيلسوف المعلّم^(١٣):

إنّ^(١٤) كلّ صورة طبيعيّة في هذا العالم هي في^(١٥) ذلك العالم، إلّا أنّها هناك بنوع أفضل وأعلى؛ وذلك أنّها هاهنا متعلّقة بالهيولى، وهي هناك بلا هيولى. وكلّ صورة طبيعيّة هاهنا فهي صنم للصّورة التي هناك، الشّبيهة بها^(١٦)؛ فهناك سماء وأرض وهواء وماء ونار. وإن كان هناك هذه الصّور^(١٧)، فلا محالة أنّ هناك نباتاً أيضاً^(١٨).

(١٠) مج ١، مج ٢، آس ١، دا: ينتهى.

(١١) سورة نجم (٥٣)، آية: ١٥ و ١٦.

(١٢) آس ٢: تنتهى إلى نفس.

(١٣) دا: المعلّم الفيلسوف.

(١٤) مج ١: - إنّ.

(١٥) آس ١: - في.

(١٦) آس ١: الشّبهة بها/ آس ٢: - بها.

(١٧) آس ١: هواء ومادة... الصّورة.

(١٨) دا، آس ٢: - أيضاً.

(١) مج ٢: لا محالة.

(٢) آس ٢: هنا.

(٣) مج ٢، دا: ذكرناه.

(٤) آس ٢: الآخر.

(٥) ممّا نسخه هاجز «آس»: يرتقى.

(٦) آس ٢: يصل.

(٧) مج ١: سلك.

(٨) آس ٢: المزق.

(٩) آس ٢: - أصول.

فإن قال قائل: إن كان في العالم الأعلى نبات، فكيف هي^(١) هناك؟ وإن كان ثمة نار وأرض، فكيف هما^(٢) هناك؟ فإنه لا يخلو، إما أن يكونا^(٣) هناك حيّين أو ميتّين؛ وإن كانا ميتّين - مثل ما هاهنا - فما الحاجة إليهما هناك؟ وإن كانا حيّين، فكيف يحييان هناك؟

قلنا: أمّا النبات، فنقدر أن نقول^(٤): إنه هناك حيّ، لأنّه هاهنا [حيّ أيضاً]^(٥)؛ وذلك أنّ في النبات كلمة فاعلة محمولة على الحياة^(٦)، وإن كانت كلمة النبات الهيولانية حياة^(٧)، فهي إذن لا محالة نفسٌ ما أيضاً. وأحرى أن تكون^(٨) هذه الكلمة في النبات الذي^(٩) في العالم الأعلى حيّة^(١٠) وهو النبات الأول، إلّا أنّها فيه بنوع^(١١) أعلى وأشرف^(١٢). (انتهى).

فقد عُلم من كلامه في هذا الموضع وفي غيره أنّ لهذا النبات الطبيعي [صورتين آخرتين]^(١٣): أحدهما نفسانية موجودة في عالم النفس؛ والأخرى عقلية موجودة في العالم العقلي. وسننقل من كلامه في فصل^(١٤) آخر أنّ لهذه الأرض أيضاً كلمة نفسانية، هي حياتها؛ ولها أيضاً^(١٥) أرض عقلية في العالم

-
- (١) آس ١: - هي.
 (٢) آس ٢: هي.
 (٣) آس ١، آس ٢: يكون.
 (٤) آس ١: يقول.
 (٥) همه نسخه ها: أيضاً حيّ.
 (٦) مج ١: كلمة محمولة علىّ/ آس ١: هيولانية حيّة.
 (٧) آس ١، آس ٢: الهيولاني حيّة.
 (٨) آس ١، آس ٢، مج ٢، دا: يكون.
 (٩) همه نسخه ها: + هو.
 (١٠) مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: الذي في... الأعلى.
 (١١) آس ١: - فيه/ مج ١: نوع.
 (١٢) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٥٣.
 (١٣) آس ١، آس ٢، مج ٢، دا: صورتان أخريان/ مج ١: صورتان آخرتان.
 (١٤) مج ٢، دا، آس ٢: أصل.
 (١٥) مج ٢، دا، آس ٢: - أيضاً.

العقلي^(١)؛ وهكذا للماء^(٢) والتار وغيرهما^(٣).

فإذن، قد بان ووضح أنّ لهذه الأجسام المينة هاهنا، المقبورة في مقبرة
الهيولى بعثاً وحشراً وعوداً إلى النشأة الآخرة.

* * *

(١) أس ١: العقل.

(٢) مج ١: كذا الماء/ دا، أس ٢: كذا للماء والأرض/ مج ٢: + والأرض.

(٣) أس ١، أس ٢، مج ٢: غيرها.

الفصل الخامس^(١)

في حشر الجماد والعناصر

يجب عليك يا حبيبي - هداك الله إلى طريق الحق - أن تعرف أولاً أن الوجود حقيقة واحدة، مختلفة في الأشياء، بالتقدم والتأخر، والكمال والنقص، والوجوب والإمكان. وهي مع صفاتها^(٢) الكمالية التي كلها عين ذاتها - كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام^(٣) - موجودة في كل شيء بحسبه.

فهي في الذات الأحدية مقدسة عن^(٤) شائبة العدم والقصور من جميع الوجوه؛ وكذلك في المقامات العقلية، لانجبار نقائصها المعلولية بوصوله إلى تمامها العلي^(٥) وكمالها الوجوبي؛ فلم يبق لها شائبة عدم نقصاني و^(٦) ظلمة إمكانية في نفس الأمر، إلا^(٧) وقد انجبرت بنور القيوم الحق، ولهذا يقال لها^(٨) عالم الحبروت وهي^(٩) الكلمات التامات.

وبعد مراتبهم، مراتب الموجودات الناقصة التي يشوبها أعدام خارجية، ولا يخلو شيء منها، ما دام في عالمها من نقص وقصور. وآخر الدرجات - نقصاناً وضعفاً - هي الأجسام الطبيعية. وهي، مع أن حقيقتها الوجودية هي عين العلم والحياة والعقل، إلا أنها انتشرت^(١٠) وتفرقت في الأقطار المادية، وتباعدت

-
- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| (١) مج ٢، دا: - الفصل الخامس. | (٦) آس ٢: نقصانية و/مج ١، آس ١: أو. |
| (٢) مج ٢، دا، آس ٢: صفاته. | (٧) آس ١، آس ٢: - إلا. |
| (٣) آس ١: الكل. | (٨) مج ٢، دا، آس ٢: - لها. |
| (٤) دا، آس ٢: غير. | (٩) مج ١: هو. |
| (٥) آس ١: العقل. | (١٠) آس ١: احشرت. |

أجزاؤها في الأبعاد المكانية^(١)، وتعاينت مع الأعدام، وغابت عن^(٢) نفسها من غير حضور، ونسيت^(٣) ذاتها في هذه القبور. ولن تقدر^(٤) على التذكر، لفقدان^(٥) الجمعية الحضورية، لغيبتها^(٦) عن نفسها ومفارقته عن حيزها^(٧) الأصلي ومقامها الجمعي وموطنها الثوري، كما في قوله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَارُ﴾ **حَقَّ زُتُّ الْمَقَارِ** ﴿١﴾^(٨).

لكنها مع ذلك لكونها من^(٩) حقيقة النور وسنخ الحضور قابلة لأن تقبل^(١٠) من عناية الله ضرباً من الحياة وقسطاً من النور، لتتخلص من الموت، كيلا تلتحق^(١١) بالعدم الصّرف والهلاك البحت، وتنطلق من قيد الظلمات الفاشية والحُجب الغاشية^(١٢) والقبور الدائرة. فأول كسوة نور ألبستها الرحمة الأزلية، وحياة أفادتها العناية الإلهية، هي الصورة المُمسكة لها عن التفرّق والسيلان؛ ثم الحافظة لتركيبها عن المُفسد الضار^(١٣)؛ ثم المؤاتية لها ما يقوّيها ويغذيها^(١٤) من الخارج بدلاً عما يتحلّل، ويزيدها في الأعظام والأحجام^(١٥) التي يتم^(١٦) بها كمالها الشخصي؛ ثم المُدِمة لبقائها النوعي بتوليد المثل؛ ثم العناية الإلهية عاطفة على المواد^(١٧)، هادية لصورها إلى^(١٨) سبيل القرب والاتحاد بالتلاحق

(١) آس ١: الكائنة/ آس ٢: والمكانية. (٢) آس ٢: غاية عن/ آس ١: غابت في.

(٣) آس ١: نسبت/ دا: نسبته/ آس ٢: نسبه.

(٤) آس ١، مج ٢: يقدر/ دا، آس ٢: وأن يقدر.

(٥) آس ٢: لقصد أن. (٦) آس ٢: تعيّن.

(٧) آس ١: خبرها/ حاشيه مج ١: + عن الحيز الأصلي في المقام الجمعي والموطن الثوري... الأجسام الطبيعية هو الحقيقة الوجودية التي هي عين العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر الإرادة والكلام.

(٨) سورة تَكَارُ (١٠٢)، آية: ١ و٢. (٩) آس ٢: هي.

(١٠) آس ٢، مج ٢، دا: يقبل.

(١١) آس ١: يلتحق/ مج ٢، دا، آس ٢: يلتحق.

(١٢) آس ١: - والحُجب الغاشية. (١٣) مج ١: المضاد.

(١٤) مج ١: لها يقوّيها ويعذبها/ آس ١: لها ما تقوّيها ويعذبها.

(١٥) آس ١: الأحجاب. (١٦) مج ٢: تنم/ آس ٢: تم.

(١٧) آس ١: لبقاء النومي... لنوله... المراد. (١٨) آس ٢: على.

والاستعداد شيئاً فشيئاً؛ و«لَمْ» ^(١) إلى أن يرجع ^(٢) إلى عالم المعاد ورتبة العقل المستفاد؛ فهذا أصل.

ثم نقول: قد أشرنا سابقاً إلى أن الأشياء كلها قابلة ^(٣) للحياة الأشرف والكمال الأرفع مما هي فيه؛ لكن المانع لها عن القبول هو التسفل والتنزل في منزل ^(٤) التفرقة والتضاد والاستمساك ^(٥) بهوية جزئية مضادة ^(٦) لما يقابلها، أكيدة في الضدية والمباينة ^(٧). فكلما ضعفت فيها قوة التضاد ^(٨)، استعدت المادة بصورة أكمل ^(٩) وأبسط، وأقل تفرقة ومضادة، وأكثر جمعية وحيطة ^(١٠).

فهذه العناصر الأسطقسية ^(١١)، بعيدة - للتضاد ^(١٢) الذي فيها - عن قبول الحياة النفسانية والعقلية. فكلما ^(١٣) انكسرت سورة كيفياتها وكمالاتها الخاصة، وانهدمت قوة تضادها، قبلت ^(١٤) ضرباً آخر ^(١٥) من الوجود أرفع، و ^(١٦) قوة اعتدالية أشرف وأبسط؛ كأنها متوسطة بين الكل بوجه خالية عن الكل، بوجه ^(١٧) جامعة لها بوجه اللطف من غير تضاد. ثم، كلما امتنعت في الخروج عن ^(١٨) هويات ^(١٩) الأطراف المتضادة بالانكسار والانهدام، نالت حياة أشرف، وصورة أتم ^(٢٠)، وكمالاً أجمع وأبسط، حتى بلغت متدرجة ^(٢١) في الكمال إلى درجة

(١) آس ١: - و/ مج ٢: - مَلَمْ. (٢) مج ٢: ترجع.

(٣) آس ١: إلى الأشياء... قابل.

(٤) آس ١: - في/ مج ٢، دا، آس ٢: عن منزلة.

(٥) آس ٢: الاستمساك. (٦) مج ١: متضادة.

(٧) آس ١: لما يقابلها... المباينة. (٨) دا: + و.

(٩) آس ٢: الحمل.

(١٠) آس ١: فكلما ضعف... تفرقة ومضادته وأكثر جمعته وحيطته.

(١١) آس ١: الأسطقسية. (١٢) مج ٢: + و/ آس ٢: المضادة.

(١٣) آس ١: وكما. (١٤) دا: قبلت/ آس ٢: وقبلت.

(١٥) آس ١: - آخر. (١٦) دا: ٨ و/ آس ٢: الوجود ورفع.

(١٧) آس ١: لوجه خيالية... لوجه. (١٨) آس ٢: بل.

(١٩) آس ١: كلما امضت... الهويات. (٢٠) آس ٢: - أتم.

(٢١) آس ١، آس ٢، مج ١، مج ٢: مندرجة.

تقبل^(١) صورة النفس المتّحدة مع^(٢) العقل الفعّال الذي هو نور الله ومثاله^(٣) الأكرم، واسمه الأعظم؛ فهذا^(٤) أيضاً أصل.

ثمّ نقول: كلّ صورة كمالية توجد^(٥) فيها الصّورة التي دونها في الرتبة الوجودية، على وجه الطف وأكمل وأبسط. وكلّ صورة ناقصة لا يمكن وجودها إلّا بصور^(٦) متّمة لها، محيطة بها، مُخرجة إياها من القوّة إلى^(٧) الفعل، ولولاها لم يكن^(٨) لهذه الناقصة وجود، إذ^(٩) الناقص لا يقوم بذاته إلّا بالكامل^(١٠). والقوّة والإمكان لا يوجدان إلّا بالفعل والوجود؛ فالكمال - أبداً - قبل النقص، والوجود - دائماً - قبل الإمكان، وما بالفعل - البتّة -^(١١) قبل ما بالقوّة، قبلية بالذات.

والذي يوقع الناس في الغلط والاشتباه، ما يرون في هذا العالم، تقدّم القوّة والنقص على الفعلية^(١٢) والكمال تقدّماً بالزمان، كالبذر على الثمرة، والنطفة على الحيوان؛ ولم يعلموا أنّ هذا التّقدّم^(١٣) الزماني ليس عن^(١٤) الأسباب الذاتية للشيء المعلول، بل هو مهيتّ^(١٥) للمادة ومُعَد لقبول الصّورة من مبدئها الذاتي.

فإذن، ثبت وتحقّق أنّ لكلّ من الصّور^(١٦) العنصرية والجمادية، صورة أخرى كمالية في ذاتها، غائبة عن أبصارنا، قريبة منها، وليست هي بعينها العقل الفعّال بلا متوسط^(١٧)؛ لأنّا قد أشرنا إلى أنّ الأدنى، لا يصدر من الأعلى، إلّا

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) آس ١، آس ٢، مج ٢ دا: يقبل. | (٢) آس ٢: إلى. |
| (٣) آس ١: مثال. | (٤) دا: فهذه. |
| (٥) مج ٢، دا، آس ٢: أقول... يوجد/ آس ١: يوجد. | (٦) مج ٢، آس ١: بصورة. |
| (٧) دا: على. | (٨) آس ١: تكن. |
| (٩) مج ١: إذا. | (١٠) مج ٧، دا، آس ٢: بالكمال. |
| (١١) آس ١: - البتّة. | (١٢) آس ١: العقلية. |
| (١٣) مج ١: للتقدّم. | (١٤) مج ٢، دا، آس ٢: من. |
| (١٥) مج ٢، دا: منهية. | (١٦) مج ١: الصورة. |
| (١٧) آس ١: - بلا متوسط. | |

بمتوسط^(١) مناسب للجانبين. فلكل^(٢) من هذه الصور^(٣) صور غيبية، هذه شهادتها، والآخر^(٤)، هذه دُنياها؛ إلا أن^(٥) منازل الآخرة كمنازل الدنيا متفاوتة في اللطافة والكثافة، ومرتبة في القرب^(٦) من الله تعالى والبُعد عنه، ومبعاد الخلائق في الآخرة على حَسَب مراتبها في الدنيا؛ فالأشرف يعاد^(٧) إلى الأشرف، والأخس إلى الأخس. ومتى انتقلت صورة في هذا العالم من خسته إلى شرف، ومن نقص إلى كمال - كما انتقلت صورة الجماد إلى النبات، أو صورة النبات إلى صورة الحيوان - كان معادها إلى معادٍ ما^(٨) انتقلت إليه. وكان ذلك، كما أن الرجل الكافر إذا أسلم أو الرجل الفاجر الفاسق إذا تاب عن فسقه وفجوره، وصار مرءً فاضلاً صالحاً؛ انتقل^(٩) معاده الذي كان إلى بعض طبقات الجحيم^(١٠) وأبوابها، كائناً إلى^(١١) بعض طبقات الجنان^(١٢) وأبوابها على حَسَب مقامه وحاله في الدنيا.

فإذن، ما من موجود من الموجودات الطبيعية، إلا وله صورة مثالية في الآخرة، ولصورته^(١٣) المثالية صورة عقلية في عالم آخر^(١٤) فوقها هي دار المقربين ومقعد العليين. والدليل على أن كل صورة حسية، باطنها^(١٥) صورة مثالية يتقوم بها وتعود إليها^(١٦)، وكل صورة مثالية باطنها صورة عقلية يتقوم^(١٧)

(١) آس ١ : + متوسط.

(٢) مج ١ : ولكل.

(٣) آس ٢ : الصورة.

(٤) دا : شهادته والآخرة / مج ٢، آس ٢ : شهادته وآخرة / آس ١ : شهادتها وآخرة.

(٥) آس ٢ : من.

(٦) آس ١ : الضرب.

(٧) مج ٢، دا، آس ٢ : - يعاد.

(٨) آس ٢ : إلى الأشرف... النبات وصورة... معادنا.

(٩) مج ١ : + من.

(١٠) آس ٢ : الجسم.

(١١) آس ١ : على.

(١٢) آس ٢ : الخيال.

(١٣) آس ١ : لصورته / آس ٢ : الصور.

(١٤) آس ١ : الآخرة.

(١٥) مج ٢ : - صورة حسية باطنها.

(١٦) آس ١ : + وكل صورة مثالية باطنها صورة مثالية تتقوم بها وتعود إليها.

(١٧) دا، آس ١، آس ٢ : مثالية تتقوم... عقلية تتقوم.

بها ويحيى بحياتها وتعود إليها؛ أنا^(١) متى أحسنا بشيء ووقعت صورته في قوة حسنا واستكمل حسنا بها^(٢)؛ تصورت بها أيضاً قوة خيالنا - التي أقمنا البراهين في كتبنا على تجرّدها وتجرّد ما تصوّر فيها وتمثّل لها - وكذلك^(٣) انتقلت في عقلنا في صورتها العقلية؛ فلولا أنّ بين محسوسها ومتخيّلها و^(٤) متعلّها علاقة ذاتية، لما كان الأمر كذلك. وكذلك الأمر بالعكس متى تعلّنا^(٥) صورة عقلية، وقعت منها حكاية تطابقها^(٦) في خيالنا. وإذا اشتدّ وجود الصورة في عالم^(٧) الخيال، تمثّلت بين يدي حسنا منها^(٨) صورة في الخارج، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٩).

ومن هذا القبيل رؤية النبي ﷺ^(١٠) صورة جبرئيل عليه السلام^(١١) كأنه طبق الخافقين؛ وكذا التي^(١٢) يراها الإنسان في عالم الجنان^(١٣) من الأشجار والأنهار والغرفات والقصور^(١٤) الحسنان والحُور والغلمان؛ وكذا ما يراها أصحاب الجحيم من السلاسل والأغلال والحميم^(١٥) والزّقوم والعقارب والحيات وغير ذلك إنّما يبرز^(١٦) من الباطن إلى الظاهر، لأنّ الصّور الحسّية قوالب للخيالية وهي أرواحها، والخيالية قوالب للعقلية وهي حقائقها.

فإذن، حشر الأبدان الطبيعية إلى الأبدان الأخروية، وحشر تلك الأبدان إلى

(١) آس ١: نحى... لأنّا.

(٢) آس ١: متى أحسنا بشيء وقعت... بها و/آس ٢: متى أحسنا... استكمال حسنا/ دا: - بها/ مع ٢: حسّياتها.

(٣) آس ١: لذلك. (٤) آس ١: - و.

(٥) آس ١: تعلّها.

(٦) مع ٢، دا، آس ٢: مطابقتها/ آس ١: تطابقها.

(٧) آس ١: العالم. (٨) مع ١: - منها.

(٩) سورة مريم (١٩)، آية ١٧.

(١٠) مع ١: عليه وآله السلام/ آس ١: روي النبي عليه وآله السلام.

(١١) مع ١، مع ٢، دا، آس ١: - عليه. (١٢) مع ٢، آس ٢: الذي.

(١٣) مع ١، دا، آس ١، آس ٢: الصّور. (١٤) مع ١، دا، آس ١، آس ٢: الصّور.

(١٥) آس ١: الجحيم. (١٦) آس ١: برزت.

الصور العقلية، وحشرها إلى الله تعالى^(١).

وكل صورة حسية هيولى^(٢) للصورة النفسانية، وهي للعقلية^(٣). وقد علمت أن الصورة تمام الهيولى التي بها تصوير موجودة بالفعل، وبها بقاؤها وكمالها، بقاء الحسّ بالنفس، وبقاء النفس بالعقل، وبقاء العقل بالبارئ. الحقّ فاعل الكل^(٤) وغاية الكلّ ومنتهم صورة الكلّ.

ونقول أيضاً: إنّ الصور الحسية قالب للخيالية وهي أرواحها، والخيالية قوالب للعقلية^(٥) وهي حقائقها؛ فإذن، حشر الأبدان الطبيعية إلى الأبدان الأخروية وحشر تلك الأبدان إلى الصور العقلية وحشرها^(٦) إلى الله تعالى^(٧).

قال الفيلسوف في الميمر الثامن:

إنّ هيولى العقل شريفة جداً، لأنها بسيطة عقلية، غير أنّ العقل أشدّ منها^(٨) انبساطاً وهو محيط بها؛ و^(٩) [نقول] إنّ هيولى النفس شريفة جداً، لأنها بسيطة عقلية نفسانية، غير أنّ النفس أشدّ انبساطاً منها^(١٠)، وهي محيطة بها ومؤثرة فيها^(١١) الآثار العجيبة بمعونة العقل؛ فلذلك صارت^(١٢) أشرف وأكرم^(١٣) من الهيولى، لأنها تحيط^(١٤) بها وتصور فيها^(١٥) الصور العجيبة. والدليل على ذلك، العالم الحسيّ، فإنّ من رآه، [لم يلبث أن] يكثّر منه عجه؛ و^(١٦) لا

(١) دا، آس ١: - لأنّ الصور الحسية... تعالى/ مج ٢، آس ٢: - إنّما يبرز... تعالى.

(٢) مج ٢، دا، آس ٢: مبدأ. (٣) آس ١: العقلية.

(٤) مج ٢، دا، آس ٢: ويقاؤها... فاعل الحقّ.

(٥) آس ١: للعقل. (٦) آس ١: الصورة العقلية وحشره.

(٧) مج ١: - إنّ الصور الحسية... تعالى. (٨) آس ١: شريفة لأنها... العقل منها.

(٩) مج ٢، دا: محيط بها وهو/ آس ٢، مج ١: وهو محيط بها و.

(١٠) آس ١: منها انبساطاً/ آس ٢: - وهو محيط... منها.

(١١) مج ١، دا: به. (١٢) آس ١: فلكذلك صار.

(١٣) مج ١، مج ٢: أكمل. (١٤) آس ٢، مج ١، مج ٢، دا: يحيط.

(١٥) مج ٢، دا، آس ٢: تصور فيها/ آس ١: تصور فيها/ مج ١: تصور عنها.

(١٦) مج ٢. فإنّ من رآه يكثّر منه عجبه و/ دا: عجبه و/ آس ٢: عجيته و/ آس ٢: - و.

سيّما إذا رأى عِظَمه وحُسَنه وشَرَفه وحركته المتّصلة الدّائمة السّائرة
التي فيها^(١)، الظّاهرة منها والخفيّة^(٢)؛ والأرواح السّاكنة في هذا^(٣)
من الحيوان والهوام والنّبات وسائر الأشياء كلّها.

فلذا رأى هذه الأشياء الحسيّة التي^(٤) في هذا العالم السّفلي
الحسيّ، فليزق^(٥) بعقله إلى العالم الأعلى الحقّ الذي إنّما^(٦) هذا
العالم^(٧) مثال له، ويُلقي بصره عليه^(٨)؛ فإنّه سيرى الأشياء كلّها التي
رآها في هذا العالم^(٩)، غير أنّه يراها عقليّة دائمة [متّصلة
بفضائل]^(١٠) وحياة نقيّة، ليس يشوبها شيء من الأدناس^(١١). ويرى
هناك العقل الشّريف قيّماً عليها ومدبّراً لها، بحكمة لا توصف
بالقوّة التي جعل فيه مبدع العالمين جميعاً؛ ويرى هناك^(١٢) الأشياء
الممتلئة^(١٣) [نوراً و]عقلاً وحكمةً [وليس هناك هزء ولا لعب، لأنّ
الجِد المحض هناك] إنّما [هو] من أجل النور الفاضل^(١٤) عليها.
و[لأنّ] كلّ واحد منهم، يحرص^(١٥) على التّرقّي إلى درجة صاحبه
وأن يدنو من^(١٦) النور الأوّل الفاضل على ذلك العالم، [وذلك

(١) مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: - السّائرة التي فيها.

(٢) آس ١: الحقيقة.

(٣) مج ١، مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: + العالم.

(٤) مج ٢، دا، آس ٢: - في هذا العالم... التي.

(٥) مج ٢، دا، آس ٢: فليزق/ مج ١، آس ١: فليزق.

(٦) مج ٢، دا، آس ٢: - إنّما/ مج ١، آس ١: + هو.

(٧) آس ١: السّفلى الحسيّ... هذا العالم.

(٨) مج ١: تلقى/ مج ٢، دا، آس ٢: يلقى/ آس ١: يلقى إليه.

(٩) همه نسخة ها: + هناك. (١٠) همه نسخة ها: ذات فضائل.

(١١) مج ١: الأدناس.

(١٢) مج ٢، آس ١، آس ٢: - العقل الشّريف... هناك.

(١٣) مج ٢، دا، آس ١: ممتلئة/ آس ٢: ممتلئة. (١٤) مج ١: الفياض.

(١٥) مج ٢، دا: تحرص/ آس ٢: تحرص. (١٦) مج ٢: أن منه.

العالم^(١) محيط بالأشياء كلها، الدائمة التي لا تموت ومحيط بجميع العقول والأنفس كلها^(٢). (انتهى كلامه).

فثبت وتحقق من جميع^(٣) ما ذكرناه ونقلناه أن لكل صورة حسية صورة نفسانية في عالم الغيب، هي معاد هذه الصورة ومرجعها التي يحشر إليها^(٤) بعد زوالها عن هذا العالم، عالم الحس والشهادة؛ وهي الآن أيضا^(٥) متجصلة بها، راجعة إليها. لكنّها^(٦)، لما كانت مغمورة في الهيولى مشوبة بالتقائص والأعدام محجوبة بالغواشي، لا يتبين حشرها إلى^(٧) تلك الصورة^(٨) النفسانية لمن أراد أن يراها ويشاهدها، إلا أهل المعرفة الذين يشاهدون أحوال^(٩) الآخرة بعين البصائر^(١٠).

فإذا انفسخت صورتها^(١١) المادية وتجردت عن هذه الغواشي الجسمانية التي هي بالحقيقة مقبرة ما في علم الله^(١٢)، برزت إلى ذلك العالم وحشرت إلى الدار^(١٣) الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيُرْزَقُ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾^(١٤). والجحيم التي ستبرز في الدار الآخرة^(١٥)، بحيث يشاهدها الخلائق عند ذلك بعلم

(١) مج ١، مج ٢، آس ٢، دا: العلم والعلم / آس ١: بالعلم والعلم.

(٢) أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١١٠.

(٣) آس ١: ثبت تحقيق من جميع / مج ٢: فثبت من تحقيق من جميع / دا: ثبت من تحقيق جميع / آس ٢: ثبت من تحقيق جميع.

(٤) مج ١: الذي... إليه / آس ١: الذي... إليها / مج ٢، آس ٢، دا: التي... إليه.

(٥) مج ٢: - أيضاً. (٦) آس ١: ولكنها.

(٧) مج ١، آس ١: على. (٨) مج ٢، آس ٢، دا: الصور.

(٩) آس ١: إلا المعرفة... أحوال أهل.

(١٠) مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: بأعين البصائر. (١١) آس ١: الصورة.

(١٢) آس ١: باقي علم الله / آس ٢: + تعالى. (١٣) مج ٢: دار.

(١٤) سورة نازعات (٧٩)، آية: ٣٦.

(١٥) آس ١: - الدار / دا، آس ٢: - كما قال... الآخرة.

اليقين^(١) أولاً، ثم بعين اليقين^(٢)؛ هي باطن هذه الصور السفلية الطبيعية^(٣) التي تحرق نارها^(٤) الأبدان، وتبدل^(٥) الجلود بالاستحالة والذوبان^(٦)؛ لكنها مستورة هاهنا على هذه الحواس الدائرة الغائبة^(٧).

فإذا خرجت النفوس عن هذه العالم، ويُعثَر ما في القبور وحصل ما في الصدور^(٨)، تراها ذلك^(٩) اليوم بصورتها الكامنة اليوم، كما في قوله^(١٠) تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾^(١١). ومن العجب أنه كما أن باطن هذه النار الحسية نار أخروية؛ كذلك باطن الماء وغيره من الصور السفلية نار^(١٢) أخروية أيضاً، كما قال تعالى: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾^(١٣) وقوله^(١٤): ﴿وَإِذَا أَلْحَاؤُا سُجِرَتْ﴾^(١٥).

ويروى عن ضحكك في قوله تعالى: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾^(١٦): «هي^(١٧) في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحرقون^(١٨) من جانب آخر»^(١٩)؛ وعن

-
- (١) آس ٢: باليقين.
 (٢) مج ٢، دا، آس ١: - أولاً/ آس ٢: - أولاً... اليقين.
 (٣) آس ١، آس ٢: الصورة... الطبيعة.
 (٤) مج ٢، دا، آس ٢: يحرق نارها/ آس ١: تحرق نار في.
 (٥) دا، آس ١ آس ٢: يبدل.
 (٦) آس ١: فالذوبان.
 (٧) آس ١: الدائر الغائبة/ آس ٢: الغائبة.
 (٨) آس ٢: - حصل/ آس ١: + إن ربهم، الآية/ اشاره دارد در اين جملات به آيات ٩ و ١٠ سورة مباركة عاديات (١٠٠).
 (٩) مج ٢، دا: - ذلك.
 (١٠) آس ١: الكامنة كما قال.
 (١١) سورة تكاثر (١٠٢)، آيات: ٥ تا ٧.
 (١٢) آس ٢: ماء.
 (١٣) سورة نوح (٧١)، آية: ٢٥.
 (١٤) دا: + تعالى.
 (١٥) سورة تكوير (٨١)، آية: ٦.
 (١٦) مج ٢، آس ٢: - هي.
 (١٧) آس ١: - وقوله... ناراً.
 (١٨) مج ٢، آس ١: يحترقون/ آس ٢: يعرفون من جانب ويحرقون.
 (١٩) «زاد السمر»، ج ٨ ص ١٠١: «قال الضحكك: فأدخلوا ناراً في الدنيا وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب».

بعضهم: «يا بحر، متى تصير»^(١) ناراً، وهي النار التي وقودها الناس والحجارة»^(٢)، وهذه النار غير نار النفسانية الموقدة ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَقْيَدَةِ﴾^(٣)، وهما جميعاً غير نار الحقّة التي هي صورة عقلية يفيض عنها الصورة^(٤) النفسانية النارية؛ وهذه النار المحسوسة هي كسائر الأمور التي لها صورة حسية في هذا العالم، وصورة مثالية حيوانية في عالم الآخرة؛ وهي التي تعود وتحشر إليها هذه المحسوسة عند تبدّل نشأتها الهيولية^(٥)؛ وصورة عقلية في عالم آخر فوق العالمين، وهي التي تعود وتحشر إليها هاتان الصورتان^(٦)، كما مرّت الإشارة إليه.

-
- (١) آس ١: عن بعضهم ماء المخبر متى تصير/ آس ٢: يصير.
 (٢) اقتباس از سورة بقره، آيه: ٢٤. (٣) سورة هُزْء (١٠٤)، آيه: ٧.
 (٤) آس ١: عليها الصورة/ آس ٢: عنها الصُور.
 (٥) آس ١: الهيولة.
 (٦) آس ٢: - الصُورتان.

الفصل السادس^(١)

في تأييد ما ذكرناه

وتأكيد ما قرّرناه من عود هذه الحسيّات

الطبيعيّة المتجدّدة الكائنة الفاسدة إلى دار أخرى باقية^(٢)

قد ذكرنا أنّ القوّة الإلهيّة لم تقف ولا تقف عند ذاتها^(٣) من غير^(٤) أن يفيض على ما دونها من الأشياء فيضاناً دائماً؛ بل أفاض أولاً على العقل وصوره^(٥) على مثاله قبل أن أفاض على غيره، إذ لم يجز في العناية الواجبيّة^(٦) صدور الممكن الأخس قبل الأشرف؛ بل لا بدّ من فيضان الأشرف أولاً، ثمّ الأشرف فالأشرف إلى^(٧) الأخس فالأخس؛ فلا جرم، صدر من الواجب أولاً إنّيّة العقل تامّاً كاملاً. ولَمّا كان العقل تامّاً كاملاً بعد الأوّل تعالى، لم يجز أيضاً^(٨) وقوفه عند ذاته، إلّا أن يصدر عنه^(٩) ما يشابهه غاية ما يمكن للمعلول أن يشابه^(١٠) العلّة، فأفاض من نوره وقوّته^(١١) على النفس.

(١) دا: الفصل السادس.

(٢) آس ١: الحسيّات بالطبيعة... الآخرة باقية.

(٣) آس ٢: لم تقف عند ذواتها/ دا: ذواتها. (٤) مج ٢: - غير.

(٥) آس ٢: فيضاً دائماً... صورة/ مج ٢، آس ١: صورة.

(٦) آس ١: لم يجبر... الواجبة/ مج ٢، آس ٢: الواجبة.

(٧) مج ١: ثمّ إلى مشرف فالأشرف إلى/ دا: على.

(٨) مج ١، مج ٢: - لم/ دا، آس ٢: - أيضاً.

(٩) مج ١: عند/ دا: - عنه. (١٠) مج ١: شابه.

(١١) آس ٢: - وقوّته.

وكذلك النفس^(١)، لَمَّا امتلأت نوراً وقوة^(٢) وغيرها من الفضائل والخبرات، لم يقدر على الوقوف^(٣) على ذاتها، لعلّة أنّ تلك الفضائل التي أفادها العقل تشوّقها^(٤) إلى العقل، فسلكت سبلاً ولم تسلك علواً، إذ لم يقو^(٥) على ذلك، فأفاضت^(٦) من نورها وفضائلها على كلّ ما تحتها، وملأت هذه العالم من نورها وبهائها وحُسنه^(٧) من صور الأنواع وطبائع الحيوان والنبات والمعادن والأسطفتات.

وأما الطبيعة والصورة الحسيّة، فهي أيضاً في غريزتها العقل^(٨) على ما دونها والوجود^(٩) على ما تحتها بالناموس الإلهي والسنة^(١٠) الربانيّة؛ لكنّ^(١١) الطبيعة لَمَّا كانت آخر الجواهر الصوريّة وأدناها، فلم تقو^(١٢) على شيء غير الهبولى التي هي القابلة المحضة^(١٣)، وشأنها إمكان الأشياء واستعدادها، وغير الحركة التي هي خروج الشيء من القوة إلى الفعل. فالهپولى والحركة شأنهما^(١٤) الحدوث والذثور، والأخذ والترك، والشروع والانتهاء، والتجدّد والانقضاء؛ فلا جرم، سيخرب^(١٥) هذا العالم ويزول جميع ما في الأرض والسماء إلى العدم والفناء، فتكرّر الطبيعة راجعة^(١٦) إلى عالم النفس، والنفس راجعة^(١٧) إلى عالم العقل، والعقل راجع^(١٨) إلى الواحد القهار كما قال الله تعالى^(١٩): ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٢٠).

-
- (١) آس ١: - وكذلك النفس.
(٢) آس ١: الرفوق.
(٣) آس ٢: ولم يقو/ آس ٢: يقدر.
(٤) آس ٢: تحتها ملأت هذا/ آس ١: هذا العالم... حسناً.
(٥) آس ٢، ٢: الفعل.
(٦) آس ١: النسبة.
(٧) آس ١: فلا يقو.
(٨) آس ١: حركة/ آس ١، ٢: شأنها.
(٩) آس ١: راجعة.
(١٠) آس ١: وراجعا.
(١١) آس ١: سورة زمر (٣٩)، آه: ٦٨.
(١٢) آس ١: فوق.
(١٣) آس ٢: شوقها.
(١٤) آس ١: فافاض.
(١٥) آس ١: ملأت هذا العالم... حسناً.
(١٦) آس ١: الوجود.
(١٧) آس ٢: لأن.
(١٨) آس ٢: المختصة.
(١٩) آس ٢، ٢: سحرت.
(٢٠) آس ١، ٢: والسماء... راجعة.
(٢١) آس ١، ٢: آس ١: - الله تعالى:

فإذا رجعت الأشياء إلى معادها الأصلية، بعد خروجها عن عالم الحركات والاستحالات والشُرور والآلام والأحزان، بالموت والفساد أو الفزع والضيق؛ يعطف عليها الرحمة الإلهية تارة أخرى بالحياة^(١) التي لا موت فيها، والبقاء الذي^(٢) لا انقطاع لها؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنْظَرُونَ﴾، قال تعالى^(٣): ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٤). وتلك الأرض الأخروية المقبوضة ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾^(٥)، هي صورة ذات حياة نسبتها إلى هذه الأرض^(٦) التي نحن الآن عليها، نسبة السماء إلى الأرض؛ جميع ما في ذلك العالم صورة حيوانية إدراكية ليس لها موضوع أو مادة، لا حياة لها، كهيولى هذا العالم وأجسادها التي تكون^(٧) الحياة عرضية لها، عارية عليها من النفس. وكذلك^(٨) الماء والنار والهواء والشجر والجبال والأبنية والبيوت، كلها موجودة هناك بوجود^(٩) صوري نفساني، بلا مادة وحركة وقوة وإمكان، لأن صورتها معلقة قائمة لا في مادة، على أنها ليست إلا جزئية مشاهدة^(١٠) محسوسة بحواس غير دائرة ولا فانية، لأن كلها في موضوع^(١١) النفس كأنها قوة واحدة، مع أنها كثيرة الصور المرئية والأشكال العظام والمقادير الجسام؛ وهذا من العجائب التي يسهل إدراكها^(١٢) والإذعان بوجودها لأولى البصائر، وإن صعب على غيرهم الإذعان إلا من^(١٣) طريق السماع والتقليد.

وبالجملة، فقد انكشف أن لهذه^(١٤) الصور الحسية الهيولية من الماء والنار

(١) آس ٢: معادها الأمهلية... الآلام والآخرا... والفزع... تارة بالحياة.

(٢) دا، آس ٢: التي. (٣) مج ١، مج ٢، آس ١. دا: - تعالى.

(٤) سورة زمر (٣٩)، آية: ٦٩.

(٥) سورة زمر (٣٩)، آية: ٦٧، مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: - والأرض... مطويات.

(٦) دا: آس ٢: - الأرض. (٧) دا، آس ١: يكون.

(٨) آس ٢: ذلك. (٩) آس ١: موجود.

(١٠) آس ٢: شاهدة. (١١) آس ١: موضع.

(١٢) مج ٢، دا، آس ٢: دركها. (١٣) آس ١: - من.

(١٤) آس ١: انكشف أن هذه.

وغيرهما^(١) صورة أخروية سترجع هذه وتحشر^(٢) إليها، باقية عندها، حياة
بحياتها النفسانية، لما مرَّ من أنه لا صورة إلا ولها نفس وعقل.

قال الفيلسوف المعلم^(٣) في الميمر الثامن:

و^(٤) صفة النار هي^(٥) مثل صفة الأرض أيضاً^(٦)، وذلك أن النار إنما
هي كلمة ما في الهيولى، وكذلك سائر الأشياء الشبيهة بها. والنار
لم تكن من تلقاء نفسها^(٧) بلا فاعل، ولا [هي] من احتكاك^(٨)
الأجسام - كما ظنَّ، وليست الهيولى أيضاً ناراً بالقوة ولا هي
تحدث^(٩) صورة النار؛ لكن في الهيولى كلمة فعالة تفعل صورة النار
وصورة سائر الأشياء؛ والهيولى قابلة لذلك^(١٠) الفعل. والكلمة
التي فيها، هي النفس [الكليّة التي] تقوى أن تصوّر^(١١) [في الهيولى
ناراً]^(١٢) وسائر الصّور [السّمائيّة]، وهذه النفس إنما هي حياة النار
وكلمة فيها، وكلتاها شيء واحد، أعني الحياة والكلمة، ولذلك
قال أفلاطون^(١٣): «إنّ في كلّ جرم من الأجرام المبسوطة نفساً
وهي الفاعلة لهذه النار الواقعة تحت الحسّ» فإن^(١٤) كان هذا
هكذا، قلنا: إنّ الشيء الذي يفعل هذه النار، إنما هي حياة ما^(١٥)
نارية، وهي النار الحقيقة^(١٦).

(١) آس ١، مج ١، مج ٢، دا: غيرها.

(٢) دا، آس ٢: - المعلم.

(٣) دا، آس ٢: - هي.

(٤) آس ١: صفة النار/ مج ٢، دا، آس ٢: - أيضاً.

(٥) دا، آس ٢: تكن... أنفسها/ مج ١، مج ٢: يكن.

(٦) مج ١: احتكاك/ مج ٢: اصطكاك/ آس ٢: فاعل لا من احتكاك.

(٧) مج ٢، دا، آس ٢: يحدث.

(٨) (١٠) آس ١: كذلك.

(٩) (١١) آس ١: التي هي فيها النفس يقوى أن يصدر/ دا، آس ٢: يقوى أن يصدر/ مج ٢: يقوى

أن يصوّر/ مج ١: يصوّر.

(١٢) (١٣) همه نسخة ها: أفلطن.

(١٤) (١٥) آس ١: - ما.

(١٦) (١٦) مج ٢: الخفة/ مج ١، آس ١، دا: الخفية.

فالنَّار - إذن - التي فوق هذه النار في العالم الأعلى، هي أخرى أن تكون^(١) ناراً؛ فإن كانت ناراً حقاً^(٢)، فلا محالة أيضاً حياة^(٣)؛ فحياتها أرفع وأشرف من حياة هذه النار، لأن هذه النار، إنما هي صنم لتلك النار. فقد بان وصحَّ أن النار التي في العالم الأعلى هي حياة، وأن تلك الحياة هي القيمة بالحياة على هذه^(٤) النار؛ وعلى هذه الصفة يكون الماء والهواء هناك أقوى، فإنهما هناك حيّان - كما [هما]^(٥) في هذا العالم - إلا أنهما في ذلك العالم أكثر حياة؛ لأن تلك الحياة هي التي تفيض^(٦) على هذين اللذين هاهنا الحياة^(٧). (انتهى).

وقال في الميمر العاشر:

إن لهذه الأرض حياة ما^(٨) وكلمة فاعلة، والدليل على ذلك صورها المختلفة، [وذلك] أنها تنمو وتنبت الكلاً^(٩) والجبال والمعادن، فإنها نبات أرضي؛ [وفي داخل الجبال حيوان كثيرة ومعادن وأودية وغير ذلك] وإنما تكون هذه فيها، لأجل الكلمة ذات النفس التي فيها، فإنها هي التي^(١٠) تصوّر في داخل الأرض هذه الصور. وهذه الكلمة، [التي] هي صورة الأرض التي تفعل في باطنها، كما تفعل^(١١) الطبيعة في باطن الشجرة^(١٢)؛ فالكلمة الفاعلة في باطن الأرض الشبيهة^(١٣) بطبيعة الشجر هي ذات نفس^(١٤)، لأنه لا يمكن

(١) مج ٢، دا، آس ٢: يكون.

(٢) آس ١: خفياً/ مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: الخفية.

(٣) آس : أنها فيه الحياة/ مج ١: حياة حسية. (٤) آس ١: هذا.

(٥) آس ٢: + هي. (٦) مج ١، مج ٢، دا، آس ١: يفيض.

(٧) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ٩٧. (٨) آس ٢: - ما.

(٩) آس ١: تنمو وتنبت/ دا: تنمو لتبت الكلاء.

(١٠) مج ١: يظل فيها و/ مج ٢، آس ١، آس ٢، دا: + يفعل فيها و.

(١١) مج ١، مج ٢: يفعل.

(١٢) مج ٢: + الكلمة الفاعلة.

(١٣) مج ٢: المشبهة.

(١٤) آس ١: النفس.

أن تكون مينة و[أن] تفعل هذه الأفاعيل العجيبة العظيمة في الأرض، فإن كانت حية، فإنها ذات نفس لا محالة^(١). فإن كانت هذه الأرض الحية التي هي صنم^(٢)، [حية] فبالحري أن تكون تلك الأرض العقلية^(٣) حية أيضاً، وأن تكون هي الأرض الأولى، و[أن] تكون^(٤) هذه [الأرض] أرضاً ثانية^(٥) لتلك الأرض، شبيهة بها^(٦).
(انتهى كلامه^(٧)).

وقال الشيخ محيي الدين الأعرابي في الباب الرابع عشر وثلاث مائة كتابه:

فاعلم^(٨) أن الحياة في جميع الأجسام حياتان: حياة عن سبب^(٩) وهي الحياة التي ذكرناها و[نسبناها]^(١٠) إلى الأرواح، وحياة أخرى ذاتية للأجسام كلها، كحياة الأرواح للأرواح، غير أن حياة الأرواح يظهر لها [أثر] في الأجسام [المدبرة] بانتشار ضوئها فيها^(١١)، وظهور قواها [التي ذكرناها]؛ وحياة الأجسام الذاتية^(١٢) ليست كذلك، إذ ما خلقت مدبرة، فحياتها الذاتية [التي لا يجوز زوالها عنها، فإنها صفة نفسية لها بها] تسبح ربها دائماً^(١٣)، سواء كانت

(١) آس ١: - فإن... لا محالة.

(٢) مع ٢، دا، آس ٢: الأرض التي هي صنم حية/ آس ١: صنمهم.

(٣) مع ٢، دا، آس ٢: - العقلية.

(٤) مع ١، مع ٢، دا: يكون تلك... يكون هي... ويكون/ آس ٢: يكون تلك/ آس ١: ويكون.

(٥) آس ٢: ثابتة.

(٦) أنولوجيا (أفلوطين عند العرب)، ص ١٥٣ و ١٥٤.

(٧) مع ٢، دا، آس ٢: - انتهى كلامه. (٨) مع ١: اعلّموا.

(٩) آس ٢: - عن سبب. (١٠) آس ١: نسبناها.

(١١) مع ٢، دا، آس ٢: - فيها. (١٢) مع ١: الذاتية.

(١٣) آس ٢: مدبرة فحياتها/ مع ٢، دا: فحياتها/ مع ١: فحياتها... يسبح/ آس ١: دائماً/ مع ١، مع ٢، دا، آس ١، آس ٢: + لأنها صفة ذاتية.

الأرواح فيها [أو لم تكن] وما^(١) يعطيها أرواحها فيها، إلا هيئة أخرى عرضية^(٢) في التسييح بوجودها [خاصة].

وإذا فارقتها الروح، فارقها ذلك الذكر الخاص^(٣)، [وهو الكلام المتعارف بيننا المحسوس، تسييحاً كان أو غيره]، فيدرك المكاشف الحياة الذاتية التي في الأجسام كلها. وإذا اتفق على أي جسم كان، أمرٌ يخرجُه عن نظامه^(٤)، مثل كسر آنية^(٥) أو كسر حجر أو^(٦) قطع شجر، فهو مثل قطع يد إنسان أو رجله، يزول عنه^(٧) حياة الروح المدبّر له، ويبقى عليه حياته^(٨) الذاتية له؛ فإنه لكل صورة في العالم، روح مدبرة وحياة ذاتية تزول لروح بزوال تلك الصورة كالقتيل، وتزول^(٩) الصورة بزوال [ذلك] الروح كالميت الذي مات على فراشه [ولم تضرب عنقه]؛ والحياة الذاتية لكل جوهر [فيه]، غير زائلة^(١٠). (انتهى كلامه).

أقول: إن الكشف والبرهان شاهدان على أن الجسم الذي حياته ذاتية له، ليس هذا الجسم الذي هو مادة مستحيلة كائنة^(١١) فاسدة، لأننا^(١٢) قد أوضحنا بالبراهي القطعية العقلية وبالحجج^(١٣) السمعية الشرعية وباتفاق عظماء^(١٤)

(١) مج ٢، دا، آس ٢: الأرواح أولاً وما/ آس ١: لا.

(٢) مج ١: الأخرى عرضية/ آس ١: عرضية.

(٣) آس ١، آس ٢: إذا فارقها ذلك الذكر الخالص/ آس ٢: الخاص.

(٤) مج ١، مج ٢: يخربه عن نظامه/ آس ٢: يخرجُه بل العامة.

(٥) آس ١: ابنية. (٦) آس ٢: و.

(٧) مج ١: عنها. (٨) مج ١: حياتها.

(٩) مج ٢: يزول.

(١٠) الفتحاحات المكية، ج ٣، ص ٦٦ و ٦٧. (١١) آس ٢: كانت.

(١٢) دا، آس ١، آس ٢: لأنها.

(١٣) آس ١: بالبرهان العقلية وبالحجج/ مج ١: بالبراهين العقلية والحجج.

(١٤) آس ١: عظام.

الفلاسفة وأئمة الحكمة أنّ هذه الأجسام التي في^(١) أمكنة هذه العالم - سمائه وأرضه^(٢) وما بينهما - كلّها حادثة دائرة متجددة الأكوان، كائنة و^(٣) فاسدة في كلّ حين، لا تبقى لحظتين^(٤)؛ فكيف يكون حياتها ذاتية؟

إنّما الجسم الذي حياته ذاتي - بل هو عين الحياة - هو الجسم الآخر الذي لا يفتقر إلى مادة وموضوع، ولا يحتاج أيضاً إلى مدبّر روحاني يدبّره^(٥)؛ ولا إلى نفس يتعلّق به ويخرجه من القوة إلى الفعل، لأنّه عين النفس، فلا يحتاج إلى^(٦) نفس أخرى.

وقد قلنا مراراً: إنّ ذلك الجسم جسم إدراكيّ حيّ بذاته، وصورته صورة إدراكية بالفعل، لا يحتاج إلى مجرد يجردّها ونازع ينزعها^(٧) من المادّة، ليصير^(٨) مدركة بالفعل بعد ما كانت مدركة بالقوّة، لأنّ ذلك محال، إذ لا مادة له بالقوّة.

وكلّ صورة إدراكية - سواء كانت عقلية أو نفسانية - وجودها في نفسها بعينه وجودها لمُدركها، لا تعدّد في الحيتين له، لا بالذات ولا بالاعتبار.

وقد أشرنا إلى ما رأيناه في^(٩) اتّحاد المُدرك والمُدرك، والعاقل والمعقول؛ فإذن، لزم أن يكون لذلك الجسم حياة ذاتية، لأنّه عين الحياة والنفس، لا كهله الأجسام الدنيوية الكائنة الفاسدة؛ فالذي أفاده الشيخ - نور نور الله سرّه^(١٠) - ليس بظاهره^(١١) حقّاً؛ لكن هاهنا دقيقة يمكن أن يحمل كلامه عليها، وهي^(١٢) أنّ المكشوف عند البصيرة والمعلوم بالبرهان أنّه في^(١٣) باطن كلّ جسم من هله

(١) مج ٢: - التي في/ دا: - في. (٢) آس ١: سمائها وأرضها.

(٣) مج ٢، دا: فانية و/ آس ١: كائنة/ آس ٢: فانية.

(٤) مج ٢، آس ١: لا يبقى لحظتين/ آس ٢: لا يبقى لحظتين.

(٥) آس ٢: إلى مدبّرة روحاني مدبّرة. (٦) آس ٢: ولا يحتاج إلى/ آس ١: - إلى.

(٧) مج ٢، آس ١، تجرّدها آس ٢: تجرّدها... ينتزعها.

(٨) مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: لتصير. (٩) آس ١، آس ٢: من.

(١٠) آس ١: نوره سرّه. (١١) آس ٢: بظاهره.

(١٢) آس ٢: هو. (١٣) مج ٢: + كلّ/ دا، آس ٢: من.

الأجسام الدنيوية جسم نفسي إدراكي، بتوسطه إنما يقبل هذا الجسم الدنيوي^(١) تصرف الأرواح والقطائع؛ وليس ذلك الجسم الثوراني هو الذي نسميه الأطباء الروح^(٢) الحيواني، وهو المنبعث في الحيوان اللحمي من^(٣) دم القلب والكبد، ويسري في البدن بواسطة العروق والشرايين؛ وذلك لأن ذلك مركب وهذا بسيط، ولأن ذلك ظلماني في ذاته وهذا نوراني، ولأن ذلك^(٤) يقبل الحياة بسبب من خارج^(٥) وعند زوال السبب، يموت ويبرد، وهذا حياته^(٦) ذاتية له، لأنه صورة إدراكية وجوده عين الإدراك والشعور.

* * *

-
- (١) آس ١: الجسم الدنيوية / آس ٢: الجسم الي هو.
(٢) مع ٢: نسمي / آس ١: نسميه الروح / آس ٢: نسميه ... روح.
(٣) مع ٢: - من.
(٤) آس ٢: ذاك مركب / آس ١: ذاك مركب ... ذاك ظلماني ... لأن ذاك.
(٥) مع ١: - وذلك لأن ذاك مركب ... من خارج.
(٦) ها: نموت ... هذه حياته / آس ١: هذا حياة / آس ٢: هذه الحياة.

الفصل السابع^(١)

في معاد الهيولى الأولى والأجسام المادّية
والإشارة إلى غاية الأشرار والشيّاطين

لَمَّا علمت أَنَّ الموجودات العالميّة^(٢) كلّها متوجّهة بِحَسَبِ فطرتها الأصلية نحو غايات حقّة وأغراض صحيحة، تصل إليها وتسكن^(٣) لديها؛ بل الغاية لكلّ شيء واحد هو الخير^(٤) الأقصى والعلة الأولى؛ فاعلم أَنَّ بعض الأشياء حفظها من الوجود^(٥) أَنَّها استعدادات وإمكانات لأشياء أخرى هي^(٦) الصّور والكمالات الوجوديّة، مثل الهيولى والحركة، وكذلك^(٧) الجسم المادّي الذي شأنه الاضمحلال والتفرّق والانقسام لولا النّفوس والطّباع المُمسكة إيّاه عن التفرّق والانفصال، إذ^(٨) مع قطع النظر عن تلك المحصّلات الصّوريّة المفيدة إيّاه ضرباً من الوحدة، كان يقتضي^(٩) كلّ جزء منه الغيبة والمفارقة^(١٠) عن صاحبه والبعد عنه. وما لا وحدة له في ذاته، لا وجود له.

فإذن معاد هذه الأشياء إلى العدم والبوار^(١١)، ولا يمكن انتقالها من هذا العالم الذي هو معدن الشّرور والظلمات إلى تلك الدّار؛ فمآل الحركة والهيولى

(١) دا، مج ٢: - الفصل السابع/ مج ١: فصل السابع.

(٢) مج ٢، دا: العالية.

(٣) مج ٢٢ يصل/ مج ١، آس ١، ٢: يصل إليها ويسكن.

(٤) آس ١: لكلّ... الخير. (٥) آس ٢: - من الوجود.

(٦) مج ٢، آس ٢، مج ١: - هي. (٧) آس ٢: ذلك.

(٨) آس ١: أو. (٩) آس ٢: الصّورة المفيدة... تقتضي.

(١٠) مج ١، مج ٢، دا: المفارقة والمغيبه. (١١) آس ١: البوار.

إلى البوار والبطلان والانعطاع؛ وكذا الجسم المستحيل الكائن الفاسد^(١). فكما أن مبدأ وجود مثل هذه الأمور أمور^(٢) عدمية من باب النقص والقصور، فإن منبع الهبولى هو الإمكان، ومنبع الحركة هو القوة^(٣) الاستعدادية؛ فكذا معادها ومرجعها إلى الزوال والبطلان، فإن الغايات على نحو المبادىء؛ فكما^(٤) علمت هذا في الجسمانيات، فقس عليه نظيره في النفسانيات.

واعلم، أن هاهنا غايات آخر وهمية، زينت لطوائف من الناس من الاعتقادات الفاسدة والأمانى الباطلة والآراء الوهمية؛ فهم سالكون إليها في لبس وعمارة^(٥) من غير بصيرة ودراية. فهؤلاء الطوائف مع ولي^(٦) الوجود في شقاق بعيد^(٧)، فهم ليسوا عباد الله^(٨) في الحقيقة، ولا الله مولاهم وسيدهم؛ بل ليس لهم مولى في الحقيقة يتولونه إلا بمحض^(٩) الحُسبان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١٠). وحيث ما يتولونه بمجرد الزعم والحُسبان^(١١)، فله لا محالة ولي، وهو شيطان^(١٢) من الطواغيت، كما قال الله^(١٣) تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَطْلَمَتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(١٤)؛ والظلمات هي الأعداء، إذ لا ظلمة أشد من الفقد والبطلان.

فإن شئت، سمّهم «عبدة الهوى»^(١٥)، وإن شئت سمّهم «عبدة الطاغوت»،

(١) آس ٢: هذا العالم إلى ولي هو معدن... الفاسدة.

(٢) مج ١: - أمور.

(٣) آس ٢: أمور وعدمية... الحركة والقوة.

(٤) آس ١: فهكذا معادها... الغايات نحو المبادىء لكما.

(٥) آس ١: لبس وغمارة/ آس ٢: عمادة. (٦) مج ٢: - مع ولي.

(٧) اشاره است به سورة حج (٢٢)، آية: ٥٣: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَطْلَمَتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

(٨) آس ٢: عبادي. (٩) مج ٢: لمحض.

(١٠) سورة محمد (٤٧)، آية: ١١.

(١١) آس ١: - كما قال تعالى... الحُسبان.

(١٢) مج ٧، آس ٢: ولي الشيطان/ آس ١: الشيطان.

(١٣) مج ١، آس ١: - الله. (١٤) سورة بقره (٢)، آية: ٢٥٧.

(١٥) آس ٢: الهبولى.

فقد ورد لكل^(١) ذلك القرآن؛ قال تعالى^(٢): ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَلَمْ يُدْرِ عَلَىٰ عِلْمِهِ﴾^(٣)، وقال تعالى^(٤): ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَلِخَنَازِيرٍ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ لِأَهْلِ مَكَاةَ وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٥).

فمن تولّى الله^(٦) وسلك سبيله وأحب لقاءه وجرى على ما أجرى عليه الظاهر الحقيقي واتبع الهدى، تولاه الله برحمته، وهو يتولّى الصالحين؛ ومن تعفّر ذلك وطفئ وتولّى الطواغيت واتبع الهوى؛ فلكلّ نوع ممّا تولاه من الهوى طاغوت؛ فشخص لكلّ معبوده^(٧)، ووجّه إليه. وليعلم أنّ هذه النظمات الربّية والغايات الجزئية تضمحل ولابقى^(٨)؛ فكلّ من كان^(٩) وليّه الطاغوت والطاغوت من جوهر هذه النشأة الفانيّة - فكلّما أمنت^(١٠) هذه النشأة في^(١١) العدم، ازداد الطاغوت اضمحلالاً، فيذهب^(١٢) ممعناً في وروده العدم، مغلباً به^(١٣) في الدركات حتّى يحلّه^(١٤) دار البوار. عصمنا الله وإخواننا في البقين من متابعة الهوى والركون إلى زخارف الدنيا، وجعلنا من عباده الصالحين الذين تتولّهم^(١٥) رحمته يوم الدين.

-
- (١) مج ١، آس ١، آس ٢: بكلّ.
 (٢) سورة جاثية (٤٥)، آية: ٢٣.
 (٣) مج ١، مج ٢، آس ٢، آس ١: - تعالى.
 (٤) سورة مائدة (٥)، آية: ٦٠.
 (٥) مج ٢: - الله.
 (٦) آس ١: لا يبقئ / آس ٢: لا يبقئ.
 (٧) آس ١: اضمحت.
 (٨) آس ١: - فيذهب.
 (٩) مج ١، مج ٢، آس ٢، آس ١: - كله.
 (١٠) مج ٢، آس ٢: يتولّاهم.
 (١١) مج ١، مج ٢، آس ٢، آس ١: - تعالى.
 (١٢) سورة مائدة (٥)، آية: ٦٠.
 (١٣) مج ٢: - الله.
 (١٤) آس ١: لا يبقئ / آس ٢: لا يبقئ.
 (١٥) آس ١: اضمحت.
 (١٦) آس ١: - فيذهب.
 (١٧) مج ١، مج ٢، آس ٢، آس ١: - كله.
 (١٨) مج ٢، آس ٢: يتولّاهم.

الفصل الثامن^(١)

في التنبية على شرف هذا^(٢) المنهج الذي نهجناه في إثبات
المعاد لجميع الموجودات حتى العناصر والجما

اعلم^(٣) أن هذا المنهج الذي بيّناه في إثبات المعاد^(٤) للأشياء والوصول إلى
الله تعالى والدار الآخرة علم شريف، ومقصد عالٍ ومطلب غالي^(٥)، وكنز من
كنوز الإيمان، وخزينة من خزائن الرحمان التي لا يوجد جوهرة^(٦) منها في
مخزونات أحد من مشاهير الحكماء من أتباع المشائين وغيرهم ما خلا المعلم
الأول، لأنه^(٧) نبأ عظيم. والقوم جميعهم عنه لفي^(٨) ذهول عظيم، وغطاء
شديد، وأنتك أيضاً ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
خَبِيرٌ﴾^(٩).

وذلك من وجهين:

أحدهما: إنه لم يتيسر لم^(١٠) بالبرهان أن الواجب - جلّ ذكره - هو غاية
كل شيء، بمعنى أنه يتوجّه إليه الأشياء، وتنحو نحوه في حركتها الذاتية

(١) مج ٢: - الفصل الثامن. (٢) مج ١، آس ١، دا: هذه.

(٣) مج ٢، دا، آس ٢: واعلم.

(٤) آس ١: - لجميع الموجودات... المعاد. (٥) مج ١: عالي... غالي.

(٦) آس ١: للوجود جوهرة/ مج ٢، دا، آس ٢: جوهرة.

(٧) آس ٢: ولأنه. (٨) دا: القوم آس ٢: القوام... نفى.

(٩) سورة ق (٥٠)، آه: ٢٢. (١٠) آس ١: يتصر لهم/ دا: - لهم.

الجوهريّة التي يتطوّر بها الجوهر^(١) الواحد في أطواره الوجوديّة من أدنى المراتب إلى أقصاها، وتتبدّل^(٢) بها الأرض غير الأرض، وتنطوي بها^(٣) السماوات ويخرب هذا العالم وما فيه، وينتقل^(٤) في نشأتها الذاتيّة إلى عالم الآخرة لدى^(٥) الواحد القهار، ويصير ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾^(٦). وغاية ما أدركوه واستفادوه من بحث الغاية وأفادوه^(٧)، هي أنّ الموجودات بحقائقها وأجناسها مترتبة في الشرف والخسة^(٨)، والعليّة والمعلوليّة، بعضها أقرب إلى الباري في درجة المعلوليّة، وبعضها أبعد، سيّما وقد جعل أكثرهم الوجود المشترك أمراً انتزاعياً من المعقولات الثانية، والمفاهيمات المصدريّة الصادقة على الماهيات.

ولا شكّ أنّ الماهيات لا ارتباط بينها، إذ كلّ واحدة منها من حيث هي هي ليست إلّا^(٩) هي؛ فالأشياء عندهم أمور متخالفة متفاصلة الذات^(١٠)، لا اتحاد ولا ارتباط بينها. وهذا الاعتقاد حجاب^(١١) غليظ لا يمكن معه^(١٢) معرفة الأشياء كما هي، ولا العبور من نقص إلى كمال، ولا الارتقاء من درجة سُفلى إلى مقام عالٍ^(١٣)، لعدم تفضّظهم بالرابطة الوجوديّة والعلاقة الذاتيّة^(١٤) بين العلل والمعلولات، ولا بأنّ الوجود كلّ كدائرة واحدة متصلة تدور على^(١٥) نفسها؛

(١) آس ٢: الجواهر. (٢) مج ١: تبدّل / آس ١: تبدّل.

(٣) مج ٢: نطوي لها / آس ٢: ينطوي بها. (٤) مج ١: تنتقل.

(٥) آس ١: لذي. (٦) سورة فرقان (٢٥)، آية: ٢٦.

(٧) مج ٢، دا، آس ٢: - وأفادوه. (٨) آس ١: الخسر.

(٩) آس ١: واحدة من حيث ما ليست إلّا ما.

(١٠) آس ٢: عندهم أموراً... متفاصلة الذات / آس ١: الذات.

(١١) دا، آس ٢: + عظيم. (١٢) مج ٢، آس ٢: - معه.

(١٣) آس ١: السفلى - العالي / مج ٢، دا، آس ٢: - ولا الارتقاء... عال / مج ٢، دا: ولا الارتقاء... عال.

(١٤) مج ٢، دا، آس ٢: الذاتيّة.

(١٥) مج ٢: يدور عليها / مج ١، آس ١: مدور عليه.

إحدى قوسيهما نزوليّة والأخرى صعوديّة، ولهما نقطتان متقابلتان، كلّ منهما بداية^(١) قوس ونهاية الأخرى؛ إحداهما - أعني المبدأ الأعلى - في غاية الشرف والعلوّ، والأخرى - أعني الهيولى الأولى - في نهاية^(٢) الخسّة والدثور.

وثانيهما: إنهم لم يتفطنوا ولم يدعنوا بثبوت المعاد^(٣) الجسماني الذي ورد^(٤) به الشرائع الإلهيّة، وأخبر به سائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام^(٥)؛ وهذه مفسدة^(٦) عظيمة توجب الاختلال في كثير من القواعد الحكميّة، فضلاً عن الشرعيّة:

منها: لزوم بطلان النفوس الناقصة في العقل وكونها معظلة بعد البدن، كما ذهب إليه إسكندر^(٧) الأفروديسي.

ومنها: لزوم التّناسخ من ارتكابهم - لعدم تفطنهم بتجرّد النفس الخياليّة - أن يكون بعض من الأجرام الفلكيّة موضوعاً لتخيّلات النفوس^(٨) المتوسّطة بين العقل الهيولاني والعقل بالفعل.

ومنها: لزوم عدم الوفاء، وبطلان المكافأة والجزاء، وعدم ترتّب الغايات في الطّبيعة، وكون ارتكاب^(٩) الشهوات الحيوانيّة والأشواق الحسيّة^(١٠) في الجبّلات، وانغراس^(١١) الميول والحركات، وطلب الأغذية للنّمو والاستعلاء في غرائز النباتات وغيرها^(١٢) عبثاً وهباءً، لأنّ رسوخ^(١٣) هذه الأشواق والشّهوات والميول من قبل الله في هذه الطّباع، إن كانت لأجل البقاء على ما هو الأفضل

(١) مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: بذاته.

(٢) آس ٢: على المبدأ... على الهيولى ونهاية/ دا: - الأولى ونهاية.

(٣) مج ٢، دا، آس ٢: الخسّة والدثور... لم يدعنوا بالمعاد.

(٤) آس ١: - ورد. (٥) آس ٢: - عليهم السلام.

(٦) آس ٢: مقدّمة.

(٧) مج ١: - ذهب/ نسخه ها جز ٢٢: الإسكندر.

(٨) دا، آس ٢: موضوعات لتخيّلات المتوسّطة/ مج ٢: - النفوس.

(٩) مج ١، آس ١: إرتكاز. (١٠) آس ٢: - الحسيّة.

(١١) مج ٢، دا، آس ٢: انغراض.

(١٢) مج ٢: الثّبات/ دا، آس ٢: الثّبات وغيرها.

(١٣) مج ٢: - رسوخ.

في هذه الدّار، فقد بيّن بالبرهان أنّ مآل هذه الدّار إلى البوار؛ و^(١) إنّ كانت لأجل غايات توجد^(٢) في عالم آخر، فتلك الغايات أمور شخصيّة وأغراض^(٣) نفسيّة وسعادات خياليّة، لا يمكن تحقّقها^(٤) في العالم العقلي الصّرف، بل في دار أخرى محسوسة بحواس النّفس.

ومنها: لزوم تكذيب الأنبياء ﷺ فيما أخبروا به من أشكال الآخرة وهيئاتها، وإنكار ما نطق به كلام الله^(٥) صريحاً، بحيث لا مجال للتّأويل.

ومنها: انتقاض قاعدة الإمكان^(٦) الأشرف، كما علمت.

* * *

-
- (١) مع ١: - إلى / مع ٢: - إنّ كانت لأجل... البوار و.
(٢) مع ٢، دا، آس ١، آس ٢: يوجد.
(٣) آس ٢: الغايات والشخصيّة وأغراض / مع ٢: أغراض.
(٤) آس ١: - في عالم آخر... تحقّقها.
(٥) مع ٢: - كلام الله.
(٦) مع ١، مع ٢، آس ٢: إمكان.

ختم ووصية^(١)

اعلم يا حبيبي، بأنني قد^(٢) أودعتُ لك في هذه الرسالة أصولاً وقوانين خلت عنها زُبر المتقدمين والمتأخرين، وذهلت عن دركها أذهان^(٣) أكثر الحكماء من المشائين^(٤) والرواقيين والإسلاميين.

فَعَظُم قدر هذه النفائس الزاهرة والذُرر الفاخرة التي جاءت بها^(٥) يد الرحمان؛ ومهر هذه الأبقار التي لم يطمئن إنس ولا جان، واشكر ربك كثيراً وسبّحه بالعشي والأبكار^(٦)، حيث أنزل الله بعلمه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة هذه^(٧) الأسرار، وأفاض بنوره ورحمته ما نهتدي^(٨) به في ظلمات ذه الأكوان من الأنوار.

ولا تصغ إلى ما قاله المنكرون والمتفلسفون، ولا تقعد بكلّ صراط توعدون وتصّدون عن سبيل الله؛ وإلا فيفوتك الخير الكثير، وينتقم منك قيم الملكوت، وتهبط إلى شواغل الطبيعة في خدمة قوى هذا الناسوت. وعليك بصون^(٩) هذه الرسالة، وسترها عن أعين الأغيار^(١٠)؛ وإياك وأن تبذلها لأهل الاغترار، وهم أكثر أبناء الزمان، بل كلّهم إلا النذر القليل من الذين لا يعرفهم غير الله، لأنهم

(١) مج ٢، دا: - ختم ووصية. (٢) مج ٢، دا، آس ٢: - قد.

(٣) آس ٢: إدراكها أذهان/ مج ٢: - أذهان. (٤) آس ١: + المتقدمين.

(٥) آس ١: جادت بها/ مج ٢: - بها.

(٦) اشاره اسه به سورة الرحمن، آية: ٧٤، وسورة آل عمران، آية: ٤١.

(٧) آس ١: إلى الشهادة هذا. (٨) آس ١: تهتدي.

(٩) آس ١: بصون.

(١٠) مج ٢، دا، آس ٢: - حيث أنزل... الأغيار.

المستورون تحت قباب الرحمة عن أعين الخلق من الإنس و^(١)الجان.

واعلم أنّ الظلمات فاشية في هذه الأوان، والغلبة في هذا العالم لأبناء الشيطان؛ والمُبَرَز لهذه المعاني المشير إليها^(٢) كقَداح زناد في^(٣) ليلة ظلماء سوداء ذات رياح عاصفة داهية باردة، كحال موسى كليم الله ﷺ^(٤)، يريد الاستضاءة بنوره في طريق اندرست معالمها، وذهبت دلائلها، فلم يبق إلا مسالك صعبة، ومناهج وعرة، وعلامات دائرة، ونجوم منكسفة، يصعب السلوك فيها والعبور عليها، إلا على أصحاب الاقتفاء^(٥) الآثار المستورة بمعرفة قد اهتدى بها من سبقت لهم العناية بالحُسنَى، وخفيت عن^(٦) الذين يريدون ليطفئوا نور^(٧) الله بأفواههم^(٨)، لئلا ترتفع حجة الله من أرضه وتمنحي آثار حكمته^(٩).

واعلم أنّك^(١٠) إذا تأملت ما وصفناه^(١١) لك في هذه الرسالة من الأسرار اللطيفة والأنوار الشريفة وتحققت بها^(١٢). تهياً لك أن تصير بروحك^(١٣) ملكاً كريماً، وبنفسك صراطاً مستقيماً، وب عقلك نوراً هادياً إلى ربك القدم، بأن تصير صورتك الكائنة الفاسدة نفسانية، وقوتك الروحانية قُديسة، وصورتك العقلية مادة إلهية؛ وتزول عنك الصورة الحيوانية، والصفة البهيمية، والشهوات المذمومة الحسية، وتتجلى مرآة ذاتك عن هذه الأصدية والريون، فتجلى^(١٤) فيها صورة الرحمان، ويتراءى بها كلّ ما وجد في طبقات الجنان.

فلنأخذ نَبْهناك مِراراً على أنّ للإنسان أن يتطوّر^(١٥) بالأطوار، وينجوهر

(١) مج ١، ٢، آس ٢: أر.

(٢) آس ١: عليهما.

(٣) آس ١: زنادقي.

(٤) آس ١: على نبيّنا وآله ﷺ.

(٥) مج ١: افتقار.

(٦) آس ١: على.

(٧) مج ١: أنوار.

(٨) اشارة است به سورة توبه، آية: ٣٢.

(٩) مج ٢، آس ٢: - بل كلّهم إلا... حكمته. (١٠) دا، آس ٢: - أنّك.

(١١) مج ١، آس ١: وصفنا. (١٢) مج ٢، دا، آس ٢: - وتحققت بها.

(١٣) مج ٧: بأن تصير / دا: نصير روحك / آس ٢: يصير روحك.

(١٤) آس ١: مادة الالهية... البهيمية... الشهوات الذنوبية... فتجلى.

(١٥) آس ١: للإنسان مسلك.

بالحفائق والأنوار، وترقى، في تقلبه في الساجدين، إلى أن يبلغ إلى مقام العليين^(١)، ويقوم عند رب العالمين، فإن الله قد أودع في صورته من سره ما لم يودعه في غيرها، لأنه عالم صغير أولاً، مطابق للعالم الكبير؛ فإذا سلك مسلك الاهتداء بنور الله، يصير عالماً كبيراً مثله.

وقد وقع التنبيه على أن العالم كله حيوان ناطق حساس، لكن تختلف^(٢) أجسامه بالكثافة واللطافة، ويختلف حواسه بالصفاء والكدورة، وقواه بالعلوية والسلفية؛ وهو الناطق بالتسبيح والتقديس، المتجلى عليه دائماً بالتجلي الذاتي^(٣) الدائم؛ فما في الوجود شيء إلا الله وأسماءه الحسنى وأفعاله، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن. فالوجود^(٤) كله حق، ما فيه شيء من الباطل؛ وكله نور، ليس فيه شيء من الظلمة إلا ما هو من باب الأعدام، وما يوسوس به الشياطين للأوهام، بها يضل الناس عن الطريق، ويميلهم عن سنن التحقيق ومنهج الهداية والتوفيق.

واعلم يا حبيبي، بأنه متى كثر^(٥) أهل الإنكار، وشاع الجهل والإصرار في البلاد والديار، وجب صون الحكمة والأسرار عن الأشرار وأهل الاعتذار، وهم المعتذرون^(٦) بلامع سراب الحكايات عما يرد على القلوب من الأنوار.

وهذه الطائفة المنكرون للحق الجاحدون لأهله كانوا في زمن كل نبي وولي، وهم الذين إذا ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٧)، وقد أفصح القرآن عن جحودهم وعتوهم إنكارهم للحق، واعتذارهم^(٨) في كثير من الآيات كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

-
- (١) مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: عليين.
 (٢) آس ١: الثاني.
 (٣) آس ١: بأنه مشرقة.
 (٤) آس ١: آس ١: وجود.
 (٥) آس ١: آس ١: المغترون.
 (٦) آس ١: آس ١: اغترارهم.
 (٧) سورة غافر (٤٠)، آية: ٨٣.
 (٨) سورة اعراف (٧)، آية: ١٥٢، مج ١، مج ٢، دا، آس ١، آس ٢: + الذين يفترون على الله الكذب وهم لا يعلمون.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ^(١)، وقوله: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِضُلُولِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يُلَاقِيَهُمْ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ^(٢)﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ^(٣)﴾.

فأنشدك^(٣) الله، يا حبيبي، أن لا تكون مثل كثير من أصحابي الذين يسمعون القول ولكن لا يتبعون أحسنه، وكثير منهم، كما حكى الله تعالى عن نوح^(٤) النجبي عليه السلام في حق قومه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا^(٥) قُلْتُ يَذُكُّ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا^(٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُسْغِيَةً فِي عَادَاتِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا يَدَيْهِمْ وَأَمَرُوا فَاكْبُرُوا^(٧) اسْتَكَبَرُوا^(٨) إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا^(٩) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَانْتَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا^(١٠)﴾^(٥).

ثم العجب أنه ذكر في السورة تجدد طبيعة الإنسان في شؤونها الذاتية، فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا^(١١)﴾، كما قال في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقْبِهِ^(١٢)﴾، وأشار في مواضع كثيرة من^(١٣) القرآن إلى مسألة المعاد ورجوع^(١٤) الأشياء كلها إليه، كما هو عادة كتابه العزيز من التكرار في كل مسألة شريفة غامضة، يصعب فهمها على أذهان أكثر^(١٥) أهل الأنظار من الحكماء وغيرهم من أصحاب الفكر والاعتبار، إلا بهداية الله وتعليمه لمن يشاء من خُلص عباده^(١٦). فكم من آية قرآنية وقعت فيها الإشارة إلى زوال الدنيا وفناء أهلها وكل من في الأرض والسماء بانتقالها إلى نشأة الآخرة^(١٧)، ورجوع الكل

(١) سورة انعام (٦)، آية: ١١٩. (٢) سورة انعام (٦)، آية: ١١٦ و ١١٧.

(٣) آس ١: وأنشد.

(٤) مع ١: تعالى النوح.

(٥) سورة نوح (٧١)، آيات: ٥ تا ١٩ مع ٢ دا، آس ٢: - بنفسك صراطاً مستقيماً... أسراراً/ دا، آس ٢: + وعلى هذا القياس.

(٦) سورة نوح (٧١)، آية: ١٤. (٧) سورة انشقاق (٨٤)، آية: ٦.

(٨) مع ١، آس ١: في. (٩) آس ٢: برجوع.

(١٠) مع ٢، دا، آس ١: كثير.

(١١) مع ٢، دا، آس ٢: - من الحكماء... عباده.

(١٢) آس ١: وانتقالها... الآخرة/ مع ١، مع ٢، دا، آس ٢: الأخرى.

بالضعف الذاتي والمحو الكلّي إلى^(١) الواحد الحي القيوم، وهو المبدأ والمتهى.

فمنها قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَلَيِّ السَّجَّلِ لِلْكَثُوبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٧)، أي بما عند الله من حقائقها وأصولها وأجل مسمى، لأن وجودها الطبيعي متجدد زمني، مؤجل بأجل مسمى، مقدر^(٧) بقدر معلوم^(٨).

وقوله: ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي^(٩) إلى عالم القيامة وما عند الله من الصور الإلهية والمثل العقلية، ثم إليه ترجعون بفناء الكل. وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(١٠)، لأن قوامها بمادتها^(١١) وصورها العقلية؛ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾^(١٢) بانقطاع الآجال ونفاد الأفعال ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(١٣). وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(١٤) في

(١) دا آس ٢: زوال الدنيا ورجوعها إلى / مج ٢: زوال الدنيا وفناء أهلها ورجوعها إلى.

(٢) سورة أنبياء (٢١)، آية: ١٠٤. (٣) سورة مؤمنون (٢٣)، آية: ١١٥.

(٤) سورة عنكبوت (٢٩)، آيات: ١٩ و ٢٠.

(٥) سورة عنكبوت (٢٩)، آية: ٦٤؛ آس ١: - إن الله ... يعلمون.

(٦) سورة روم (٣٠)، آية: ٨.

(٧) آس ٢: متجددة ... مقدر / آس ١: متجددة ... مقدور.

(٨) مج ٢، دا: - مأجل ... معلوم / آس ٢: - زمني ... معلوم.

(٩) مج ١، مج ٢: - أي. (١٠) سورة روم (٣٠)، آية: ٢٥.

(١١) (١٢) سورة روم (٣٠)، آية: ٢٥.

(١١) آس ١: بمادتها.

(١٣) سورة روم (٣٠)، آية: ٢٥.

(١٤) سورة روم (٣٠)، آية: ٢٧؛ آس ١: - من الأرض ... يعيده.

سلسلتي^(١) البدء والرجوع. وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) لَانَّ مَثَلُ الْأَكْوَانِ الطَّبِيعِيَّةِ^(٣) وهي الصور المفارقة للمادة التي أثبتتها الأفلاطون^(٤)، موجودة عنده تعالى، باقية ببقائه، لأنها^(٥) ليست هي من العالم وما سوى الله، كما مر ذكره سابقاً، ولهذا قال: ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾^(٦). وقوله: ﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْفِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٧)، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْثَىٰ دَخِيرَةٍ﴾^(٨)؛ إلسى غير ذلك من الآيات المشيرة إلى دثور الطبيعة وزوال تعيناتها^(٩)، ورجوع كل ما في الأرض والسمااء إلى الحق تعالى^(١٠).

وبالجملة، لا شك في^(١١) أن محرك الأفلاك ومُجري الكواكب، لا بد وأن^(١٢) يكون له غاية حكمة، لأن محركها ومدبرها ومُجري سفينتها ومُرسبها فاعلٌ حكيمٌ و^(١٣) قادرٌ عليمٌ.

والفاعل المختار إذا بلغ غرضه في فعله^(١٤)، ونال حكمته في تحريك ما يحركه، فسبيله^(١٥) أن يمسك عن فعله، وينتهي عن صنعه؛ فمحرك الفلك الدوار، ومُجري الكواكب السيار سبيله أن يمسك عن تحريك الفلك، وإدارة الكواكب، ويقطع الفعل والعمل^(١٦)؛ وإذا أمسك محرك^(١٧) الأفلاك عن

-
- (١) مج ١: سلسلة.
(٢) سورة روم (٣٠)، آية: ٢٧.
(٣) أس ١: الطبيعة.
(٤) مج ١: الأفلاطونيون.
(٥) مج ١: وأنه.
(٦) سورة يونس (١٠)، آية: ٦٤.
(٧) سورة فصلت (٤١)، آية: ١١.
(٨) سورة نمل (٢٧)، آية: ٨٧.
(٩) مج ١، مج ٢، دا، أس ٢: تعينها.
(١٠) مج ٢، دا، أس ٢: ثم إليه ترجعون وهكذا الآيات الكثيرة.
(١١) مج ٢، دا، أس ٢: - لا شك في/ أس ١: - في.
(١٢) مج ١، دا: محرك الأفلاك لا بد أن/ أس ٢: لا بد أن.
(١٣) مج ٢، دا، أس ٢: - ومُجري سفينتها ومُرسبها/ مج ١، مج ٢، أس ١: - و.
(١٤) أس ١: - في فعله.
(١٥) مج ٢، دا، أس ٢: في تحريكه فسبيله.
(١٦) أس ١: أن يمسك... إرادة الكواكب ويقطع الفعل.
(١٧) مج ١، مج ٢، دا، أس ٢: تحرك.

التحريك، ومسحّر الكواكب عن الإجراء، ووقفت^(١) الأفلاك عن الدوران والكواكب عن الجريان، وبطل ترتيب الزّمان، وانهدم هذا البناء الرّفع المكان، وفستت العناصر والأركان، ووقف^(٢) الكون والفساد والحرث والنّسل، و^(٣) انتقل الأمر إلى نشأة الآخرة^(٤)، كما قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَمُوجُّ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٥)، هذا مقدار يوم الفصل في القيامة الكبرى.

وأما^(٦) مقدار يوم الجمع، وهو يوم رجوع الكلّ إليه في القيامة العظمى، فكما^(٧) قال: ﴿مَتَّعُ الْمَلَكُكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٨)، والأول من أيام الربوبية، كما قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٩).

وهذا هو^(١٠) اليوم الإلهي من أيام السّنة السّرمديّة الأزليّة الذي تضبطه^(١١) المدارك العالية، مشتمل على سبعة أسبوع، كلّ أسبوع سبعة^(١٢) أيام من أيام الربوبية بحسب سير الكواكب السّبعة، لكلّ منها يوم بالانفراد، وستّة أيام بالاشتراك مع الكواكب الباقية.

فهذه الأدوار الكوكبيّة جميعاً هي الحاصلة من ضرب سبعة في مثلها،

(١) مع ٢، دا، آس ٢: - عن فعله... عن الإجراء/ مع ٢، دا، آس ٢: فوقفت/ آس ١: وقفت.

(٢) آس ١: وقفت. (٣) مع ١: - و.

(٤) مع ٢، دا، آس ٢: - عن الجريان... الآخرة.

(٥) سورة سجده (٣٢)، آية: ٥٥ مع ٢، دا: - ممّا تعدّون.

(٦) آس ٢: وهذا مقدار... ولا. (٧) مع ١: وكما.

(٨) سورة معارج (٧٠)، آية: ٤.

(٩) سورة حج (٢٢)، آية: ١٤٧ دا: - في يوم... تعدّون.

(١٠) مع ٢: - هو.

(١١) مع ٢: الذي يضبطه/ دا: التي يضبطه/ آس ١: هي يضبطه/ آس ٢: يضبطه.

(١٢) مع ٢، آس ١: العالّة بأنّه يشتمل/ دا، آس ٢: العالّة بأنّه يشتمل... سبعة أسبوع سبعة.

فيتحصل^(١) تسعة وأربعون، فالكل مع كسورها وكبائسها^(٢)، خمسون ألف سنة؛ والله أعلم.

وليكن^(٣) هذا آخر ما قصدنا^(٤) في هذه الرسالة إظهاره، وكشفنا عن أسرار، حامدين لله، مستغفرين مستبحين له، مصلين لنبيه وآله أجمعين^(٥). كتبه الفقير المحتاج إلى الله محمد المدعو بصدر الدين الشيرازي عفى عنه.

وقد أوفضت في نقله من صورة المنقول من خط يد مصنفه صدر الحكماء المتألهين وأسوة العرفاء المتجبرين، أسكنه الله في حظائر قدسه وسمرادق أنسه. وقد وقع الفراغ منه في السابع شهر ربيع الأول سنة خمس ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية الباهرة صلوات الله على الصادع بها وعترته الطيبة الظاهرة وأنا العبد الضعيف محمد رفيع المشهدي عفى الله عنه ولأبويه^(٦).

(١) مج ٢، دا، آس ٢: الباقية فمدة هذه... فيحصل.

(٢) مج ٢، دا، آس ٢: - وكبائسها.

(٣) آس ١: فليكن. (٤) آس ١: قصدناه.

(٥) مج ٢، دا: - والله... أجمعين/ مج ٢، دا: تمت الرسالة بعون خاتم الرسالة نسال الله الغفران الفوز بالرضوان والترقي إلى درجات الجنان والتنفس من نفس الرحمان، بحق سيد الإنس والجان في سنة ١٢٣٢/ آس ٢: - الرسالة؛ آس ٢: الغفور بالرضوان/ دا: - في سنة ١٢٣٢.

(٦) مج ١، مج ٢، دا، آس ٢: - كتبه الفقير... لأبويه/ آس ٢: كتب (ناخوانا) الذائرة محمد يوسف بن محمد الطبري في رابع شهر رجب المرجب سنة تسعة وثلاثون ومئتين بعد ألف من الهجرة النبوية المصطفوية عليه وعلى آله التحية والثناء ١٢٣٩.

رسالة الحشرية

تقديم وتحقيق

علي أصغر جعفري ولني

المقدمة

هناك رسالة حكمية باللغة العربية، في شرح القيامة وأحوال ما بعد الموت حتى القيامة الكبرى وكذلك مواقفها وأحوالها، موجودة بشكلٍ موجز في فصول بدون خطبة ومقدمة وذكّرت فيها رسائل متعلّقة بعذاب القبر، والحياة المجدّدة، والميزان، وصحيفة العمل، وأقسام الخلائق في يوم القيامة، والجنة والجحيم والعرصات في تسعة فصول. ومضامين هذه الرسالة كما جاءت في آثار الملل الأخرى، أُحيلت إليها حتى المقدور.

يعد البعض هذه الرسالة من مؤلفات صدر المتألهين المسلم بها، ويرون أنه ما من شك في صحة انتسابها إلى الملا صدرا، ولتبرير وجهة نظرهم يذكرون انسجام محتوى هذه الرسالة بآراء الملا صدرا في آثاره الأخرى وكذلك إلى أسلوبها. وفضلاً عن ذلك، تحتوي إحدى مخطوطات هذه الرسالة، التي سنذكرها لاحقاً، على هوامش أحد أساتذة فن الحكمة والتصوّف ومدرس الأسفار - أي الملا محراب الغيلاني^(١) - الذي كان يعيش في أصفهان بعد قرن من الملا صدرا، وهذا يمكن أن يكون دليلاً على أن هذه الرسالة من تأليف صدر المتألهين.

يعتقد البعض الآخر أنه بما أن مضامين هذه الرسالة - عيناً أو بشكل النقل عن المضمون - موجودة في كتب الملا صدرا الأخرى، فلا يمكن عدّ هذا العمل رسالة مستقلة عن الملا صدرا. كما أن هناك اختلاف في وجهات النظر حول اسم هذا العمل، حيث يقول البعض إنّ اسمه يُكتب بالفارسية بما يعادل

(١) الشيخ الملا محراب الغيلاني المتوفى سنة ١٢١٧ هـ.ق. هو أحد طلاب المولى سيد قطب الدين التبريزي.

«گلام في باب الحشر»، وأطلق عليه البعض «رسالة في المعاد»، والبعض الآخر يسميه «الرسالة الحشرية». كما أن گاتب إحدى المخطوطات ذكر هذه الرسالة باسم «الاعتقادات».

وأسلوب تصحيح الرسالة كما هو مرسوم في «مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية»، حيث لم تُتخذ أي من المخطوطات كأصل، بل عند اختلاف المخطوطات اخترنا الانتخاب الأصح للنص، وجاءت الخيارات الأخرى بذكر رمز المخطوطة في الهوامش. وفي حال گانت المخطوطات الثلاث غير صحيحة، انتخبنا العبارة أو الكلمة الصحيحة للنص في داخل هذه العلامة [...]. بأسلوب قياسي، ودُكرت رموز هذه المخطوطات في الهوامش. وفي تصحيح هذا العمل استخدمنا ثلاث مخطوطات:

(١) دا: المخطوطة المرقمة ٤٢١/٢ التابعة للمكتبة المركزية لجامعة طهران. تُعد هذه المخطوطة من ضمن مجموعة المخطوطات المهداة من قبل مكتبة المرحوم سيد محمد مشگوة. وتاريخ گتابتها: ١١٩٥ هـ ق، وگاتبها غير معروف.

في هذه المخطوطة هوامش قيمة ومفيدة للعالم المحقق الملاً محراب الغيلاني. وقد جاءت هذه الرسالة في نهاية گتاب المبدأ والمعاد، كما أنه في نهاية هذه الرسالة أُشير إليها بعبارة «الرسالة المتعلقة بالكتاب».

(٢) م ١: المخطوطة المرقمة ٤٨٧٠ التابعة للمكتبة الوطنية بدون رقم وتاريخ.
(٣) م ٢: المخطوطة المرقمة ٣٠٧ التابعة للمكتبة الوطنية. الگاتب: محمد صادق بن الملاً عظیم قره داغي، وتاريخ گتابتها: ١٢٥١ هـ ق.

بداية المخطوطة: فصل في أن عذاب القبر حق بقول مجمل، فگل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا نراه مشحوناً بأنواع المؤذيات وأوصاف السباع مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها.

نهاية المخطوطة: حتى يطلع الخلائق من هول مشاهدتها على عدلهم وفعالهم فنشرة شررة لولا أن حبسها الله لأحرقت السماوات والأرض.

* * *

ولا تفتقر في حبيب الله العبد المذنب المذنب
 العبد المذنب المذنب المذنب المذنب المذنب
 ولا تفتقر في حبيب الله العبد المذنب المذنب
 العبد المذنب المذنب المذنب المذنب المذنب

والرياض والمصاحف واما اسباب دفع الفاسد فهي العقوبات التي
 منها كالأمر بقتال الكفار واهل البغي والظلم والحث عليه والجدد
 والعزائم والتعزيرات والديارات والقصاص واما القصاص
 في اهلل الانفس بالاطراف واما حد التوبة وقطع الطريق
 فدفع لما يسهل كبر الاموال التي هي اسباب المعاش واما
 حد الزنا واللواطه والقذف فدفع لما يشوش امر الدنيا
 والتسل بالانساب ويضد طريق التجارث والتسائل
 واما جهاد الكفار وقتالهم فدفع لما تعرض للجاحدين
 للحق من تشويش اسباب المعيشة والديانة اللتان هما
 الوصول الى الله تعالى واما قتال البغي فلما يظهر من الاضرار
 بسبب انزول المارقين عن ضبط السياسة الدينية
 التي تولاها فانما السالكين الى جود الله تعالى وكافل
 ما يبا من سول رب العالمين لحفظ حدود الله والام
 حكام الدينية والدينية من الحلال والحرام تمت
 بغيره كما وتوفيه

من هذا ما ذكره في كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه

في شرح كتابه في شرح كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه
 في شرح كتابه في شرح كتابه

طنه
 فان مذاب القبح بقول يحمل كل من شاهد بنود البصيرة با
 في الدنيا لراء مشقنا بانواع المزيات واصناف السباع مثل

فكان يكون له غيرة في غير ذلك
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة

الزينة والاستعداد لبشاق الكواكب مع من الكبر والجلال
 بجزت ليتصل التبر والبر ويخجل الفوق في التفت والتأثر
 ويحضر الخلق في كلهم عروحات القبة فاذا هم بالتأهق وتكثف
 الاظلمة وشهد الحجل اهل البرازخ وتوقع الحواجز واذا القبول
 بعثت ويقام الخلق في من مواقف الجمال الى مواقف كنف الا
 وقومهم انهم مسئولون عما يتخلصون عنده لك من مجالس
 البرائح يتوجهون الى حضرة الربوبية فاذا هم من الاجد
 الى رقيم يفسلون ويطلب ويقطع ويكن التعم والالام
 من التوام والحوام والافعام لينهدم اطراف التفتا فيقطع
 اسباب الطلاع والعتاد من ذرى التورود والافا والمعاسي
 والبنيات وفي الحديث لو وجد النعم من الفضل والناجين
 الذين في القرن من الكبر لا يرون فيها شمساً ولا نهراً
 والموت كونه سبب هلاك الخلق كل واحد من كل واحد
 يقام بين الجنة والنار مودة كثر المحل ويذبح ليطهر الخلق
 والجود المطلق لموت وجنة المودة والجم يتخلصون
 على مودة بعد وجي يومئذ يحتم ليشاهد اهل العيان فيفت
 الجحيم لمن يطلع الخلق في من هول شامدا على عداهم
 فتشعر شدة لولا ان جنبها الله لا حوت السموات والارض

فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة

سور

الزور
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة

فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة

فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة
 فكلما كان من بينه وبين غيره
 ما هو فيه من الغيرة

الحشرية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين^(١)

فصل [١]

في أنّ عذاب القبر حق بقول مجمل

كلّ من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا^(٢) لرآه^(٣) مشحوناً بأنواع المؤذيات وأصناف السباع مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرئاء وغيرها؛ وهي التي لا تزال^(٤) تفرسه وتنهشه، إن سها عنها بلحظة. إلا أنّ أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها. فإذا انكشف الغطاء ووضع في قبره. عاينها، وقد تمثّلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها. فيرى بعينه العقارب والحيات قد أهدقت. وإنّما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن^(٥) في نفسه، وقد انكشف^(٦) له^(٧) صورها الطبيعية، فإنّ لكلّ معنى صورة تناسبه؛ فهذا عذاب القبر إن كان شقيّاً ومقابله إن كان سعيداً^(٨).

وتحقيق ذلك على ما حقّقه بعض الأكابر: أنّ بالموت يتجرّد النفس عن البدن ليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية. وهي عند الموت عارفة بمفارقة البدن عن دار الدنيا مركبة ذاتها بقوّتها الوهمية عين الإنسان المقبور^(٩) الذي مات على

(١) م ١: وبه ثقني / دا: - بسم الله... نستعين.

(٢) م ٢: + له. (٣) م ١، م ٢: ليراه.

(٤) م ١، م ٢: لا يزال. (٥) م ١: إلا أنّ.

(٦) م ١: انكشفت. (٧) م ١: أنّ.

(٨) ر. ك: «الأسفار الأربعة»، ج ٩، ص ٣٠٦.

(٩) م ٢: المقبور.

صورته، كما كان في الرؤيا يشاهد نفسها على صورتها التي كانت في الدنيا بعينها، ويشاهد الأمور مشاهدة عينياً^(١) لا بحسها الباطني^(٢)، فيرى بلنها مقبورة^(٣) ويشاهد الآلام الواصلة^(٤) إليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الحقة وهو عذاب القبر. وإن كانت سعيدة، فيتخيّل^(٥) ذاتها وصور أعمالها ونتائج ملكاتها وسائر المواعيد النبوية على فوق ما [كان]^(٦) يعتقدونها من الجنّات والأنهار والحداثق والغلمان والحدور العين والكأس من المعين، فهذا هو^(٧) ثواب القبر. و^(٨) لذلك قال النبي ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»^(٩). فالقبر الحقيقي هذه^(١٠) الهيئات وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناه.

وأما البعث، فهو خروج النفس^(١١) عن غبار هذه الهيئات^(١٢) المحيطة بها، كما يخرج الجنين من القرار المكين. وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ دنياك ليست إلّا خلقك^(١٣) قبل الموت، وآخرتك ليست إلّا حالتك بعد الموت. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١٤).

-
- (١) م ١: عنا.
(٢) (٢) دا: لا بحسها الباطن.
(٣) م ٢: - ويشاهد الأمور... مقبورة.
(٤) (٤) دا: المواصلّة.
(٥) (٥) دا: فتخيّل.
(٦) (٦) همه نسخها: كانت.
(٧) م ١: - هو.
(٨) م ٢: - و.
(٩) (٩) جامع ترمذي ج ٤ ص ٦٤٠.
(١٠) م ١: هذا.
(١١) م ٢: - النفس.
(١٢) (١٢) دا: - الهيئات.
(١٣) م ١: حالتك / م ٢: حالك.
(١٤) (١٤) سورة يس، آية: ٧٠ / ر. ك: الشواهد الربوبية، ص ٣٤٠ و ٣٤١.

فصل [٢]

في الإشارة إلى حقيقة الحشر

اعلم أن الزمان علة التغير والتعاقب مطلقاً، والمكان علة الاختفاء والغيبة مطلقاً، فهما منشآن لاحتجاب الموجودات بعضها عن بعض^(١)؛ فإذا ارتفعا في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلائق، فجتمع الخلائق كلهم^(٢) الأولون والآخرين، فهي يوم الجمع^(٣): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾^(٤). ويوجه آخر يوم الفصل، لأن الدنيا دار اشتباه ومغالطة، يتشابه فيها الحق والباطل، ويتعانق فيها الخير والشر، ويتقابل^(٥) المتخاصمان، والآخرة دار الفصل والتميز والافتراق و^(٦) يتفرق المختلفان^(٧): ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾^(٨)، ويتميز المتشابهات: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(٩)، وينفصل الخصمان^(١٠) ويحق الحق ويبطل الباطل: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١١)، ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾^(١٢). ولا منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع، بل هذا يوجب ذلك^(١٣): ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾^(١٤). والحشر أيضاً بمعنى الجمع: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(١٥).

-
- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| (١) دا: - من بعض. | (٩) سورة انفال، آية: ٣٧. |
| (٢) دا: - فيجتمع الخلائق كلهم. | (١٠) م ١: الحصان. |
| (٣) دا: يجمع. | (١١) سورة انفال، آية: ٤٢. |
| (٤) سورة تغابن، آية: ٩. | (١٢) سورة انفال، آية: ٨. |
| (٥) دا: يقابل. | (١٣) م ١: ذاك / م ٢: ذاك. |
| (٦) م ٢، م ٢: - و. | (١٤) سورة مرسلات، آية: ٣٨. |
| (٧) م ١، م ٢: المختلفات. | (١٥) سورة كهف، آية: ٤٧. |
| (٨) سورة روم، آية: ١٤. | |

كشّف حال لتنميم [مقال]^(١): حشر الخلائق على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وملكاتهم، فلقوم على سبيل الوفد^(٢): ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٣)؛ ولقوم^(٤) على وجه التعذيب ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾^(٥). وبالجملّة لكل أحد إلى ما يعمل لأجله ويحبّه: ﴿لَنَحْشُرَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(٦)؛ وكذا قوله^(٧) سبحانه^(٨) تعالى^(٩): ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾^(١٠)، حتى إنه لو أحبّ أحدكم حجراً لحشّر^(١١) معه. وقد سبق أنّ تكرر الأفاعيل يوجب حدوث الأخلاق والملكات، [فكل]^(١٢) صفة وملكة تغلب على الإنسان في الدنيا يتصوّر له في الآخرة بصورة تناسبها^(١٣).

ولا شك أنّ أفاعيل الأشقياء المدبرين إنّما هي بحسب همهم القاصرة عن الارتقاء إلى عالم الملكوت النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية المقتضية للأعمال الشهوية والغضبية والبهيمية والسبعية، فلا جرم يكون تصوراتهم مقصورة على أغراض حيوانية تغلب^(١٤) على نفوسهم ويحشر على صور تلك الحيوانات^(١٥) في الدار الآخرة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(١٦)، «يحشر بعض الناس على صورة»^(١٧) يحسن عندها القردة^(١٨) والخنازير. وهكذا يتصوّرون بصورهم الحقيقية^(١٩) الأخروية لأهل الكشف وأصحاب الشهود، ويعاينون لهم في صقع باطنهم على أشكال وهيئات تقتضيها^(٢٠) صفات النفوس وهيئات^(٢١) الأرواح

- | | |
|------------------------------|---|
| (١) همه نسخه ها: حال. | (١٢) همه نسخه ها: فكل. |
| (٢) م ١، م ٢: + و. | (١٣) م ٢: تناسبهما. |
| (٣) سورة مريم، آية: ٨٥. | (١٤) دا، م ١: يغلب. |
| (٤) م ١: لقولهم/ دا: لقومهم. | (١٥) دا: الحيوان. |
| (٥) سورة فصلت، آية: ١٩. | (١٦) سورة تكوير، آية: ٥. |
| (٦) سورة صافات، آية: ٢٢. | (١٧) م ١، م ٢: صورته. |
| (٧) م ١: + قوله (مكرر). | (١٨) م ١، م ٢: الصورة/ م ٢ (نسخه بطلت). |
| (٨) م ٢: - سبحانه. | القردة. |
| (٩) دا: - تعالى. | (١٩) دا، م ٢: الحقيقة. |
| (١٠) سورة ميم، آية: ٦٨. | (٢٠) م ٢: تقتضيها. |
| (١١) م ١: حشر. | (٢١) م ١: هيئات. |

وذلك لظهور سلطان الآخرة على قلوب أهل الحق: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

والتحقيق في ذلك أنّ كمال الإنسان - بحسب الأعمال المتضادة الآثار - التخلص عن موجباتها والتشبه بالملائكة في التنزه عنها، وهم منفكون عن هذه الأوصاف المتضادة، وليس في وسع الإنسان إمكان الانفكاك عنها بالكلية، فكلفه^(٢) الله تعالى بما يشبه الانفكاك وما هو بمنزلة وهو التوسط؛ فإنّ المتوسط بين الضدين كأنه خال عنهما، كالماء الفاتر لا حار^(٣) ولا بارد مع عدم خروجه بالكلية عن جنس الحرارة والبرودة كالجرم الفلكي. فنسبة المعتدل العنصري في الأوصاف الجسمانية إلى الفلك كنسبة^(٤) العدل في الأوصاف النفسانية إلى الملك؛ لأن^(٥) الملك متقدس^(٦) عن الأخلاق المتضادة بالكلية، والمتوسط فيها متشبه به^(٧) نازل منزلته. فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين هذه الأطراف ولا عرض له، فهو أدق من الشعر، ولذلك خرج من القدرة البشرية الوقوف عليه. فلا جرم يرد أمثالنا وروداً ما يقدر^(٨) الميل عنه، لقوله^(٩) تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(١٠).

-
- | | |
|---|---------------------------|
| (١) سورة رعد، آه: ٤. | (٢) دا: فكلف. |
| (٣) دا: حر. | (٤) دا: كنسبه. |
| (٥) م ٢: فإن. | (٦) دا (نسخه بدل): متشبه. |
| (٧) دا: - ٤. | (٨) دا، م ٢: يقدر. |
| (٩) م ١: بقوله. | |
| (١٠) سورة مريم، آه: ٧١ / ر. ل: «المظاهر الإلهية»، ص ١١٦ تا ١٢٠. | |

فصل [٣]

في الإشارة إلى الصراط^(١)

الصراط طريق الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^(٢)، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف. أما الدقة، فلأن الانحراف منه إلى أحد الطرفين يوجب الهلاك: ﴿وَلَا تَزْكُرُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٣)، وأما الحدة، فلأن الوقوف عليه أيضاً مما يقتضي الهلاك، ومن وقف عليه شقه؛ فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم، حتّى^(٤) عليه و^(٥) مرّ مستوياً على ذلك الصراط ولم يمل إلى أحد الجانبين، وذلك لأجل تَعَوُّده على^(٦) التحفظ^(٧) عن الميل مدّة الكون في الدنيا حتى صار طبعاً له، فإنّ العادة طبيعة خامسة، كما قال الله تعالى حكاية عن النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٨)، أي مروا على صراط^(٩) الآخرة مستوياً من غير ميل وانحراف. وجاء في الخبر: «يمرّ المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف»^(١٠).

وأما أهل الجحيم فلأجل انحرافهم عن الصراط المستقيم وصدّهم عن جادة اليقين وضلالهم عن الطريق القويم، يقفون في الحميم^(١١)، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا

(١) م ٢: فصل في القيامة (نسخه بدل: في الصراط).

(٢) سورة شورى، آيتان: ٥٢، ٥٣. (٣) سورة هود، آية: ١١٣.

(٤) دا: حيث. (٥) همه: نسخه ها: + من.

(٦) م ١، م ٢: عن. (٧) دا: الحفظ (نسخه بدل: التحفظ).

(٨) سورة انعام، آية: ١٥٣. (٩) دا: - صراط.

(١٠) اللزّ المنثور، ج ٤، ص ٣٣٩. (١١) دا: يقعون في الجحيم.

يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِّرَنَّ^(١)، وكلا جانبي الصراط جحيم بالقياس إلى طائفة هم أهل الأعراف وهم الموحدون، «اليمين والشمال مضلة»^(٢) الجنة على يمينهم والنار على شمالهم وإن كان اليمين والشمال اللذين على وجه أعلى وأرفع ممّا لغيرهم كلاهما يمين^(٣) : «كلتا يدي الرحمان يمين»^(٤).

* * *

(١) سورة مؤمنون، آية: ٧٤. (٢) «نهج البلاغة»، خطبة ١٦.

(٣) فإ: - يمين.

(٤) ر. ك: «الشواهد الربوبية»، ص ٣٤٤ تا ٣٤٧.

فصل [٤]

في الإشارة إلى كيفية وزن الأعمال وذكر الميزان^(١)

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٩). إن كل أثر وفعل ينشأ من فاعله الطبيعي^(٣) المناسب له يجب الاطمئنان في نفس فاعله، ويقتضي له القوة والاستقرار؛ فإن كل فاعل يقوى بفعله الذاتي. أو لا ترى أن كثرة الأفكار العلمية توجب قوة في العاقلة؟ وأن الطبائع^(٤) العنصرية يتقوى ذاتها - بل من غيره قسراً ومنه - عند حصولها في أحيازها الطبيعية، يستقر عند ذلك ويسلب عنه الاضطراب والتزلزل.

وكل أثر وفعل لا ينشأ من فاعله الطبيعي بسبب مصادفة^(٥) أمور غريبة^(٦) يوجب الاضطراب والتزلزل في نفس فاعله، كحركة المرتعش الحاصلة لعضو الإنسان، يقتضي طبيعة العضو [الامتناع] عن قبول ما يوجب^(٧) النفس الحيوانية، وهما مختلفان^(٨) في الفاعلية، وهذا هو السبب في حصول الإعياء^(٩) لطبائع المركبات؛ فالنفس الإنسانية لكونها من عالم القدس يتقوى ذاتها عند أفاعيلها^(١٠) الخاصة من اكتساب العلوم والخيرات، فيحصل لها الاطمئنان

- | | |
|----------------------------------|--------------------------|
| (١) م ٢: في الإشارة إلى الميزان. | (٦) م ١: غريبة. |
| (٢) سورة اعراف، آيات: ٨ و ٩. | (٧) م ١، دا: يوجد. |
| (٣) م ٢: + و. | (٨) م ١، م ٢: متخالفان. |
| (٤) دا: وإن الطبائع (مكرر). | (٩) م ٢: للإعياء. |
| (٥) م ١: مصادفة. | (١٠) م ١، م ٢: أفاعيلها. |

والاستقرار، ويضعف ذاتها عند الأفاعيل الشهوية والغضبية لأجل مقارنة^(١) القوى^(٢) الحيوانية، فيحصل لها الاضطراب والتزلزل، فنسبة ما يوجب للنفس الاطمئنان والاستقرار إلى الثقل أولى.

أو لا ترى أن الأثقال والمثقلات تسكن النفس عن الحركات المختلفة والاضطرابات؟ ونسبة كل ما يقتضي تحرك النفس^(٣) وضعفها واضطرابها ومتابعتها الأهواء المختلفة والأغراض المتفرقة إلى الخفة أولى؛ فإن الخفيف يتغير بأدنى حركة وتغير يحدث في الهواء^(٤) ويكون [حركاته]^(٥) خالية عن النظام^(٦). ثم إن اطمئنان^(٧) القلب يوجب^(٨) الرضاء، فلا جرم ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٩) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ^(١٠) واختلاف حركات النفس بمتابعة الهواء ينجر^(١١) ويذهب بها إلى الهاوية، فلا جرم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(١٢) ﴿فَأُمُّهُ مَكَوِيَةٍ﴾ ^(١٣)؛ وأيضاً خلق الله سبحانه^(١٤) الشيطان من النار والإنسان من الطين ﴿خَلَقْنِي مِنْ تَابِرٍ وَخَلَقَنِي مِنْ طِينٍ﴾ ^(١٥)، ومقتضى طبيعة النار الخفة والحركة ومقتضى طبيعة الأرض الثقل والسكون. فالأفاعيل الإبلسية^(١٦) توجب الخفة والاضطراب، والأعمال الإنسانية تقتضي^(١٧) الاستقرار والاطمئنان: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ ^(١٨).

قال بعضهم: الميزان، كلمة «لا إله إلا الله»؛ وعلامة هذا المعنى ومصادقه أن الوجود في كفة وجانب منه، والعدم^(١٩) في كفة أخرى وجانب آخر منه.

-
- | | |
|--|---------------------------|
| (١) م ١: مفارقة. | (٢) دا: الصور. |
| (٣) م ٢: - بحر النفس. | |
| (٤) م ١، م ٢: - المختلفة والأغراض... الهواء. | |
| (٥) م ١، م ٢: حركاتها. | (٦) م ٢: - عن النظام. |
| (٧) م ١: الطمئنان/ م ٢: طمئنان. | (٨) م ١، دا: توجب. |
| (٩) سورة فارع، آيتان: ٦ و٧. | (١٠) م ٢: يتجرد. |
| (١١) سورة فارع، آيتان: ٨ و٩. | (١٢) م ٢: تعالى. |
| (١٣) سورة اعراف، آية: ١٢. | (١٤) م ٢: الإبلية. |
| (١٥) م ٢: تقتضي. | (١٦) سورة إسراء، آية: ٨٤. |
| (١٧) م ٢: في كفة... العدم. | |

وحرف الاستثناء التي لها وجه إلى العدم ووجه إلى الوجود^(١) بمشابة الشامين^(٢)، وهو العمود الذي يقوم به الكفتان، وهذه^(٣) الكلمة [فاصلة]^(٤) بين الكفر والإيمان فارقة بين الجحيم والجنان: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٥). وأما ما ورد من أن^(٦) هذه الكلمة^(٧) خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، فلأنها هي بالنسبة^(٨) إلى طائفة موزون وميزان وهما واحد في حقهم^(٩).

-
- | | |
|--|-------------------------|
| (١) دا: + و. | (٢) م ٢: - الشامين. |
| (٣) م ١: هلا. | (٤) همه نسخه ها: حاصلة. |
| (٥) توحيد صلوق، ص ٢٢. | (٦) دا: - من أن. |
| (٧) دا: كلمة. | (٨) دا: ها النسبة. |
| (٩) ر. لا: «المظاهر الإلهية»، ص ١٢٨ و ١٣١. | |

فصل [٥]

في الإشارة إلى صحائف الأعمال وكرام^(١)
الكاتبين و^(٢) نزول الملائكة على الأخيار
ونزول الشياطين على الأشرار

إنّ القول والفعل ما دامت حقيقتها في أكوان^(٣) الأصوات والحركات فلا
حظّ لها من البقاء والثبات؛ فإذا تكوّنت بالوجود الكتبي^(٤)، حصل لها مرتبة من
البقاء والثبات^(٥)؛ وكذا كلّ مَنْ فعل فعلاً وتكلّم بكلام، حصل منه أثر في
نفسه^(٦) وحال يبقى زماناً. إذا تكرّرت الأفاعيل والأقاويل، استحكمت الآثار
في النفس وصارت الأحوال ملكات يصدر بسببها الأفعال بسهولة من غير روية
وقصد وحاجة إلى تجشّم اكتساب^(٧) ومزيد أعمال^(٨) بعد ما لم يكن كذلك.
ومن هذا النمط يستنبط الصنائع ويتعلّم المكاسب العلمية والعملية؛ ولو لم يكن
للآثار الحاصلة في النفس من الأعمال والأقوال^(٩) دوام وثبات وقوة واشتداد في
الحصول يوماً فيوماً إلى حدّ يصير ملكة راسخة فيها، لم يكن لأحد تعلّم شيء
من الحرف^(١٠) والصنائع، ولم ينجع فيه التأديب والتهذيب، ولم يكن في تأديب

(١) م ٢: الكرام.

(٢) م ٢: في.

(٣) م ٢: أكون.

(٤) م ١: الكسبي.

(٥) م ٢: - فإذا تكوّنت... الثبات.

(٦) دا: - في نفسه.

(٧) م ٢: الاكتساب.

(٨) دا: احتمال.

(٩) م ١، م ٢: + و.

(١٠) م ١، م ٢: الحروف.

[الأطفال] ^(١) وتمرنهم ^(٢) الأعمال فائدة، ولا لهم تفاوت في الأحوال من أول الحداثة إلى آخر حدّ الكمال.

فعلم أنّ الآثار ^(٣) الحاصلة من الأفعال والأقوال ^(٤) في القلوب والأرواح ^(٥) بمنزلة النقوش الكتابية في الألواح: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ^(٦)، وتلك الألواح النفسية يقال لها صحائف الأعمال وتلك الصور والنقوش الكتابية يُحتاج في حصولها وانتقاشها في تلك الأرواح إلى المصوّر والكاتب ^(٧)، لأنها معلولة والمعلول لا ينفصل ^(٨) عن علّة قريية من جنسه. فالمصوِّرون والكتاب هم الكرام الاتيون ^(٩)، وهم ضرب من الملائكة المتعلقة بأعمال العباد ^(١٠) وأقوالهم، وهم طائفتان: ملائكة اليمين وهم الذين يكتبون أعمال أصحاب اليمين، وملائكة الشمال وهم الذين يكتبون أعمال أصحاب الشمال: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الثَّالِثَتَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ^(١١). وفي الخبر: «إنّ كل من ^(١٢) عمل حسنة يخلق الله منها ^(١٣) ملكاً يثاب به ومن اقترف ^(١٤) سيئة يخلق الله منها شيطاناً ^(١٥) يعذب به» ^(١٦). ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ^(١٧). وفي مقابله: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٣﴾﴾ ^(١٨). وكذلك: ﴿وَمَن يَعْمَلْ عِثْرًا يُجْزَئْهُ مِثْرًا مَّا يُعْمَلُ بِحَيْثُ كَانَ يُعْمَلُ﴾ ^(١٩).

- | | |
|-----------------------------------|--|
| (١) همه نسخه ها: الأفعال. | (١١) سورة ق، آية: ١٧. |
| (٢) دا: شيمتهم (نسخه بدل): شتمهم. | (١٢) م ٢: - من. |
| (٣) م ٢: للآثار. | (١٣) م ٢: منهما. |
| (٤) م ١: لأفعال ولاقوال. | (١٤) دا: اقترن (نسخه بدل: اقترف) / م ٢: اقترف. |
| (٥) م ١: لقلوب ولأرواح. | (١٥) م ٢: شيطان. |
| (٦) سورة مجادلة، آية: ٢٢. | (١٦) دا: يعذب. |
| (٧) دا، م ٢: المكاتب. | (١٧) سورة فصلت، آيات: ٣٠ و ٣١. |
| (٨) م ٢: لا ينفصل. | (١٨) سورة شعراء، آيات: ٢٢١ و ٢٢٢. |
| (٩) م ١، م ٢: الكاتين. | (١٩) سورة زحرف، آية: ٣٦. |
| (١٠) م ٢: العهد. | |

وقد مرّ منّا القول^(١) آنفاً في بيان السبب الملهم للخير^(٢) المسمّى بالملك، والسبب الموسوس للشر^(٣) المسمّى بالشیطان؛ فتذكره^(٤) لينفعك^(٥) في هذا المقام. وبالجمله هذا هو المبدأ المؤثر في النفوس الداعي لفعل الخير، ومقابله الداعي لفعل^(٦) الشر هو المسمّى بالملكة^(٧) عند الحكماء ويأسم الملك أو الشیطان في لسان الشریعة، والمعنى واحد. ولو لم يكن لتلك^(٨) الملكات^(٩) من البقاء والثبات ما يبقى أبد الآباد، لم يكن لخلود^(١٠) أهل الطاعات والمعاصي في الثواب و^(١١)العقاب وجه؛ فإنّ منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل والقول على سبيل الإيجاب، وهما زائلان^(١٢)، فكيف يتصور بقاء المعلول مع زوال السبب الموجب؟ وإن كان منشؤهما تلك على سبيل الإعداد^(١٣) والمعدّ لا يغني عن السبب المقتضي، فلا بدّ من موجب قريب يكون باقياً أبداً. والفعل الجسماني الواقع في زمان معین قليل المقدار كيف يكون [موجباً] للجزاء^(١٤) الواقع في الزمان الغير المتناهي؟

ثم إنّ مثل هذه المجازاة والمكافأة لا يليق بالحكيم الذي لا يكون شيء من أفعاله على وجه الاتفاق والجزاف^(١٥)، بل جميعها على سبيل الإحكام والإلزام^(١٦). وقد قال^(١٧): ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١٨)، وقال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(١٩). ولكن إنّما يخلّد أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار بالثبات والدوام الحاصلين للأخلاق والملكات الموجبة للثواب والانتقام. فكلّ من فعل

- | | |
|------------------------------------|---------------------------|
| (١) م ١، م ٢: - القول. | (١١) دا: + المعاصي و. |
| (٢) م ١: لتخير. | (١٢) دا، م ٢: زائدان. |
| (٣) دا: بالشر. | (١٣) م ٢: الأعداد. |
| (٤) م ١: فتذكره. | (١٤) م ٢: للجزاء. |
| (٥) م ١، م ٢: ينفعك. | (١٥) م ٢: - الجزاف. |
| (٦) م ٢: - لفعل. | (١٦) دا: - والإلزام. |
| (٧) همه نسخة ما جز «م»: بالملائكة. | (١٧) م ٢: + تعالى شأنه. |
| (٨) م ١، م ٢: بتلك. | (١٨) سورة ق، آية: ٢٩. |
| (٩) دا: الملكات. | (١٩) سورة بقره، آية: ٢٢٥. |
| (١٠) م ٢: - لخلود. | |

بمثقال^(١) ذرة في الخير و^(٢) الشر، يرى^(٣) أثره^(٤) مكتوبة في صحيفة ذاته أو صحيفة أرفع من ذاته مخلداً أبداً، وإذا حان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته عند فراغه عن اشتغاله الحياة الدنيا وما يورده^(٥) الحواس والتفاتة^(٦) إلى صحيفة^(٧) باطنه^(٨) ووجه قلبه^(٩) وهو المعبر عنه بقوله: ﴿وَإِذَا أُلْهِفُ قُتِرَتْ﴾^(١٠)، فمن كان في غفلة عن أحوال نفسه وروحه يقول عند حضور ذاته لذاته^(١١) ومطالعة صفحة قلبه: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^(١٢)، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١٣). وفي الخبر: «من قال سبحان الله أو فعل حسنة يخلق الله في الجنة من الحور العين من يتمتع^(١٤) به أبداً». وكذا الحكم في جانب السيئة، فيخلق الله من سيئات^(١٥) المجرمين^(١٦) والمنافقين ما يكون سبب عقوبتهم وآلامهم دائماً أبداً إلا ما شاء الله، كما قال سبحانه^(١٧) في قصة ابن نوح: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(١٨). وفي الخبر «خلق الكافر من ذنب المؤمن».

ويؤيد هذا كلام فيثاغورس الحكيم: «إنه سيعرض لك في أقوالك وأفعالك وسيظهر لك من كل حركة قولية أو فعلية إلى آخره». ونظائره كثيرة في الأحاديث والأخبار والآثار. ومنشأ ذلك كما نبهنا لك^(١٩) مراراً أن^(٢٠) كيفية^(٢١) تجسم الأعمال والأخلاق في الآخرة ليست من جنس هذه^(٢٢) الدار، بل هذه دار

(١٢) سورة كهف، آية: ٤٩.

(١٣) سورة آل عمران، آية: ٣٠.

(١٤) م ١: يمنع / م ٢: يتمتع.

(١٥) دا: - من سيئات.

(١٦) م ٢: - المجرمين.

(١٧) م ٢: الله.

(١٨) سورة هود، آية: ٤٦.

(١٩) م ٢: نبهناك.

(٢٠) همة نسخة ها: + من.

(٢١) دا: - كيفية.

(٢٢) م ١: هذا.

(١) م ١، م ٢: مثقال.

(٢) م ١، م ٢: أو.

(٣) م ٢: ير.

(٤) م ١، م ٢: + و.

(٥) م ١، م ٢: ما يورده.

(٦) م ١: التفاته.

(٧) م ١، م ٢: صفحة.

(٨) م ٢: باطنه.

(٩) م ٢: لقلبه.

(١٠) سورة تكمير، آية: ١٠.

(١١) دا: - لذاته.

الشهادة وهي دار الغيب، وهذه هي الماهية الجاهلية وهي الجنة العالية: ﴿وَلِكِ
الْذَّارِ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وذلك لأن مواد الأشخاص^(٢)
الأخرية هي التصورات الباطنية والتأملات القلبية كما يظهر من كلام فيثاغورس
وغيره من الأخبار والأحاديث كحديث «إنَّ^(٣) الجنة قاع صفصف وإنَّ غراسها^(٤)
سبحان الله»^(٥). فالإنسان إذا انقطع عن الدنيا وانكشف عنه الغطاء وتجرد عن
مشاعر^(٦) هذا العالم، كانت رؤيته الباطنية^(٧) ناهضة، وكان الغيب بالقياس إليه
شهادة: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٨). وللتنبية على أنَّ الحياة^(٩)
الدنيا واستعمال هذه الحواس مانعة عن الوصول إلى الحياة الأخرية واستعمال
المشاعر الباطنية وأنَّ الإنسان ما لم يمت عن هذه الحياة^(١٠) لم يحيي بالحياة
الآخرة، قال سبحانه^(١١): ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّارِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١٢). فقد غلبه^(١٣) سلطان الآخرة
على باطن الإنسان ينقلب العلم في حقه عيناً والغيب شهادة والسر علانية، ويرى
الأشياء كما هي. فكلَّ أحد^(١٤) من الناس يكون بعد كشف غطاءه ورفع حجاب
و[مد]أ^(١٥) بصره مبصراً لتتأج أعماله مشاهداً لآثار أفعاله قارئاً^(١٦) لصفحة كتابه
مطلعاً على حساب حسناته أو سيئاته: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لَحْظُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ
لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ^(١٧) كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾^(١٨).

- | | |
|---|----------------------------|
| (١) سورة عنكبوت، آية: ٦٤. | (٢) دا: أشخاص. |
| (٣) دا: + في. | (٤) م ١، م ٢: عز اسمها. |
| (٥) سنن ترمذي، ج ٥، ص ٥١٠. | (٦) م ١: شاعر. |
| (٧) دا: روية الباطنة. | (٨) سورة ق، آية: ٢٢. |
| (٩) م ١، م ٢: حيوة. | (١٠) م ٢: + الدنيا. |
| (١١) م ٢: - قال سبحانه. | (١٢) سورة انعام، آية: ١٢٢. |
| (١٣) م ١، م ٢: غلبته. | (١٤) م ٢: حد. |
| (١٥) ممة نسخة ها: ممة. | (١٦) م ٢: قارئاً. |
| (١٧) م ١، م ٢: كتابه مطلعاً على... القيامة. | |
| (١٨) سورة اسراء، آيات: ١٣ و ١٤. | |

ثم إن الإنسان إما أن يكون أفكاره الباطنية^(١) وتصوراتهِ من باب التعقّلات الكلية والخيرات والأمر القدسيّة، فيكون إمّا السابق بالخيرات وهم المقربون، أو من أصحاب اليمين وهم السعداء؛ وإما أن يكون أفكاره وتخيالاتهِ من باب الأعراض الجزئية والشُرور الدنياوية، فيكون من أصحاب الشمال؛ فيحكم المناسبة والجنسية وبحسب^(٢) «كما تعيشون تموتون»^(٣) وكما تموتون تبعثون» أوتي كتابه من الجهة التي تناسبه^(٤). فمن كان من أصحاب اليمين والأبرار أوتي كتابه بيمينه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾^(٥)؛ أو^(٦) كان من السابقين المقربين يكون كتابه في عليّ؛ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٩﴾﴾^(٧). ومن^(٨) كان من أصحاب الشمال والمنكوسين والفجار المنافقين فقد أوتي كتابه بشماله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾^(٩)؛ أو من^(١٠) وراء ظهره ويكون كتابه في^(١١) سجّين؛ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سَجِّينَ ﴿١٢﴾﴾، لأنّه من المجرمين المنكوسين^(١٣): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿١٤﴾﴾.

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) دا: الباطنة. | (٨) م ٢: إن. |
| (٢) دا: بحسب. | (٩) سورة الحاقة، آيات: ٢٥ و ٢٦. |
| (٣) دا: - تموتون. | (١٠) م ١، م ٢: + كان. |
| (٤) دا، م ١: تناسبه. | (١١) م ١، م ٢: من. |
| (٥) سورة الحاقة، آية: ١٩. | (١٢) سورة مطففين، آية: ٧. |
| (٦) م ١، م ٧: + من. | (١٣) دا: المنكرين. |
| (٧) سورة مطففين، آيات: ١٨ - ٢١. | (١٤) سورة سجده، آية: ١٢. |

فصل [٦]

في الإشارة إلى طبقات أهل الحساب

الناس يوم الحساب على طائفتين: إحداهما^(١) طائفة يرزقون فيها بغير حساب، وهم على ثلاثة أصناف: منهم المقربون وأهل الأعراف الكاملون في المعرفة الحقة والتجرد للشهود^(٢). فهم لتنزّهم عن الحساب والشواغل يدخلون الجنة بغير الحساب، كما ورد في الخبر في باب حساب الفقراء يوم القيامة: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣). ومنهم جماعة من أهل اليمين وهم الذين لم يقدموا^(٤) في الدنيا على معصية، ولم تعرفوا^(٥) سيئة، لصفاء^(٦) قلوبهم واقتدار نفوسهم بحسب القوة العملية على فعل^(٧) الطاعات والاجتناب من المناهي^(٨) والسيئات. ومنهم جماعة تكون^(٩) صحيفة أعمالهم^(١٠) ساذجة عن الأعمال، ونفوسهم خالية عن النقوش الحاصلة من الأفعال.

والطائفة الثانية هم أهل الحساب، وهم أيضاً على ثلاثة أصناف: منهم من يكون صحيفة أعمالهم^(١١) خالية عن الحسنات. ومنهم من وقع فيهم ﴿وَحِطُّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٢) ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ

- | | |
|--------------------------|-------------------------------|
| (١) م ٢: أحدهما. | (٧) م ١، م ٢: قوى. |
| (٢) م ٢: الشهود. | (٨) دا: عن المعاصي. |
| (٣) سورة انعام، آية: ٥٢. | (٩) م ١: يكون. |
| (٤) م ١: يتقدموا. | (١٠) دا (نسخه بدل): كالأطفال. |
| (٥) دا: لم تعرفوا. | (١١) م ٢: - أعمالهم. |
| (٦) م ١: لصفاء. | (١٢) سورة هود، آية: ١٦. |

هَبَاءَ مَنُورًا^(١). ومنهم قوم هم المحاسبون في الحقيقة حيث ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(٢)، وهم على قسمين: أحدهما من يحاسب مع نفسه في الدنيا لقبوله وامتناله أمر^(٣) «حاسبوا أنفسكم قبل أن يحاسبوا»^(٤)، فعمل بمقتضاها^(٥)، وهو من الذين يعرفون أن لكل فعل حسن أو قبيح خاصية وعاقبة ترتب عليه، فيخافون سوء^(٦) العاقبة إذا اترفوا^(٧) فعل معصية على سبيل الهواء وعجز النفس عن معاصية^(٨) الدواعي الشيطانية. فلا جرم لا يعذبون^(٩) كثيراً بالمناقشة في الحساب. والقسم الثاني يقابلهم، فمن نوقش معهم في الحساب. والحساب عبارة عن جمع^(١٠) آثار الحسنات و^(١١) السيئات الواقعة في الحياة الدنيا لتجزي كل نفس ما عملت. ومن كان له أعمال متفرقة نافعة وضارة مقربة ومبعدة لا يعرف فذلكتها^(١٢) وقد لا يحضره^(١٣) آحاد متفرقاتها؛ فإذا أحضرت^(١٤) المتفرقات وجمع^(١٥) مبلغها، كان حساباً. فلا شك أن في قدرة الله تعالى أن يكشف^(١٦) في لحظة واحدة^(١٧) للخلق متفرقات أعمالهم ومبلغ آثارها المترتبة عليها من غير غلط وتشويش، فهو إذن أسرع الحسابين. وأما أهل الكشف والإيقان فهم لا يزالون يشاهدون موقف الحساب، فلا جرم لا يؤخر^(١٨) حساب^(١٩) الموقف^(٢٠) إلى يوم القيامة^(٢١).

- | | |
|--|------------------------------|
| (١) سورة فرقان، آية: ٢٣. | (٢) سورة توبه، آية: ١٠٢. |
| (٣) دا: أو. | (٤) «اصول كافي»، ج ٨، ص ١٤٣. |
| (٥) م ١: بمقتضا / م ٢: بمقتضاه. | (٦) م ١: سواء. |
| (٧) م ٢: اترفوا. | (٨) دا: معاصيه. |
| (٩) دا: لا يعزبون (حاشيه: أي لا ينسون). | (١٠) م ١، م ٢: جميع. |
| (١١) دا: أو. | (١٢) م ١، م ٢: قد لكنها. |
| (١٣) م ٢: لا يحضره. | (١٤) دا: حضرة. |
| (١٥) م ١، م ٢: جميع. | (١٦) م ٢: ينكشف. |
| (١٧) م ٢: - واحدة. | (١٨) دا: فلا يؤخر. |
| (١٩) دا: - حساب. | (٢٠) م ٢: الموقف. |
| (٢١) ر. ل: «المظاهر الإلهية»، ص ١٣٢ و ١٣٣. | |

فصل [٧]

في ذكر^(١) أصناف الخلائق يوم الآخرة

وذكر الجنة والنار بوجه سرّي

قال بعض الحكماء: الناس بالقياس إلى سلوك الآخرة على ثلاثة أصناف: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾^(٢). وكذلك قوله^(٣): ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ﴾^(٤). فالسابقون هم أهل التوحيد والعلماء بالله والأحرار المرتفعون عن عالم السلوك والسير، لوصولهم إلى فهم المقصود الحقيقي، بل هم مقصد السالكين: ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾^(٥). وهم الذين قيل في وصفهم: «إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا»^(٦). وأما أهل اليمين فهم^(٧) أهل السلوك^(٨) والعمل وهم الأبرار، ولهم مراتب على حسب أعمالهم، ودرجات في ثواباتهم حسب درجات الجنان: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلٌ ۖ﴾^(٩). وأما أهل الشمال فهم^(١٠) الأشرار المقيّدون بالسلاسل والأغلال، ولهم أيضاً درجات بحسب درجات الجحيم وكلّهم في العذاب مشتركون. واعلم أنّ كلّاً^(١١) من الثلاثة لا بدّ لهم من مرور^(١٢) الجحيم كما أشرنا إليه

(٧) دا: هم.

(٨) م ٢: السلوك.

(٩) سورة احقاف، آية: ١٩.

(١٠) دا: وهم.

(١١) دا: كل.

(١٢) م ١، م ٢: دون.

(١) دا: - ذكر.

(٢) سورة واقعه، آيات: ٧ - ١١.

(٣) م ٢: + تعالى.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٢.

(٥) سورة كهف، آية: ٢٨.

(٦) «اصول كافى»، ج ٢، ص ٢٣٩.

سابقاً: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا﴾^(١)، لكن السابقين^(٢) يمرّون على الصراط كالبرق الخاطف من غير أن يصل إليه أثر من^(٣) حرّها، كما قال واحد من أهل بيت^(٤) النبي ﷺ «مرناها»^(٥) وهي خامدة^(٦) وأما أهل الشمال^(٧) فتعيدون فيها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾^(٨)؛ والسابقون أهل الأعراف: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسَمَتِهِمْ﴾^(٩)؛ ومن علاماتهم تشابه أحوالهم، لارتفاعهم بحسب علومهم الحقّة عن تغيرات^(١٠) المواد والأجسام وإطلاعهم على سرّ القدر: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(١١)، ولاطمئنان أرواحهم ورسوخ علومهم وارتفاع منزلتهم عن التغير في الأحوال، واستقامة ذاتهم عن التبدل والتحول^(١٢) من حال إلى حال، والتجدد في الأوضاع والأفعال^(١٣) وتساوي نسبتهم إلى جميع الأمكنة والجهات والأزمنة والآجال؛ كانت الأمكنة كلّها^(١٤) بالقياس إليهم معبداً^(١٥) واحداً ومسجداً ومحراباً واحداً، والأوقات^(١٦) كلّها عيداً واحداً وجمعة واحدة، وهم في صلاتهم راكعون^(١٧).

وهذه الحالة لهم على ضدّ أحوال حاهل^(١٨) الشمال، فهؤلاء أهل^(١٩) التضاد - كما أنّ أولئك أهل التوحيد - لتعبدتهم^(٢٠) بعالم الأجساد المتضادة المتخالفة الصور والمواد المنقلبة في أحوالها المتنقضة^(٢١)، كالوجود والعدم

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة مريم، آية: ٧١. | (١٢) دا: - والتحول. |
| (٢) م ٢: السابقون. | (١٣) م ٢: الأغوال. |
| (٣) م ٢: - من. | (١٤) م ٢: - كلّها. |
| (٤) م ٢: البيت. | (١٥) م ١، م ٢: سعيداً. |
| (٥) م ١: حرّناها/ م ٢: حرّ نارها. | (١٦) م ١: الاوقات. |
| (٦) «جامع صغير»، ج ١ ص ١٣٢. | (١٧) م ١، م ٢: دائمون. |
| (٧) دا: السماء. | (١٨) همه نسخها: - أهل. |
| (٨) سورة مريم، آية: ٧٢. | (١٩) م ٢: ضدّ. |
| (٩) سورة اعراف، آية: ٤٦. | (٢٠) م ٢: لتعبدتهم. |
| (١٠) م ٢: تغير. | (٢١) دا: - في أحوالها المتنقضة. |
| (١١) سورة حديد، آية: ٢٣. | |

والكون^(١) والفساد والحياة والموت^(٢) والنوم واليقظة والصحة والمرض والقدرة والعجز واللذة والألم والراحة والتعب، وذلك لتعبدتهم بذواتهم وهوياتهم الكاتبة المستحيلة بحيث لم يرتفعوا^(٣) عن خصوصيات هوياتهم. وإذا لا نجاة للشخص من نفسه وذاته، فكيف من لوازمه وحالات؟ ﴿كَلِمًا نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ بِذَلَّتْهُمْ جُلُوتًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٤)، وأي عذاب أشد من أن يكون الشخص متعذباً^(٥) من نفسه، فكيف^(٦) معاقباً بمعصية هي ذاته ووجوده؟ و^(٧) وجودك ذنب لا يقاس^(٨) به ذنب^(٩).

فلا جرم يكونون أبداً في الجحيم بين أمور متضادة، كالسموم^(١٠) والزمهرير، يترددون في الهاوية بين طرفي التضاد. فإن الهاوية من منح هذه الدار كما أشير^(١١) إليه. يبرز^(١٢) يوم القيامة عند كشف الغطاء: ﴿وَيُرْزَقُ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾^(١٣)؛ فمن كان فيها، فهو متعذب^(١٤) تارة^(١٥) بأحد الضدين وتارة بالآخر: ﴿لَهُمْ مِّن قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾^(١٦). و^(١٧) إنهم لما كانوا أول الأمر^(١٨) في الدنيا خارجين عن قيد الشرع وعقال العقول، مسترحين في أرض الشهوات خالعين عذار العقل وزمام الشرع^(١٩)، فلا جرم يقيدون في الآخرة بالسلاسل والأغلال، يعذبون بفنون العذاب والنكال محتجبون بأنواع الحجب: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَن يَخْرِجُوا مِنهَا أَعْبِدُوا فِيهَا﴾^(٢٠).

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) دا: الكفر (نسخه بدل: الكون). | (٢) م ١، م ٢: والموت والحيوة. |
| (٣) م ١: نفعا/ م ٢: لم ينفعا. | (٤) سورة نساء، آية: ٥٦. |
| (٥) دا: معذباً. | (٦) م ٢: + يكون. |
| (٧) دا: - و. | (٨) م ٢: للقياس. |
| (٩) دا: ذنبه. | (١٠) م ١، م ٢: كالحموم. |
| (١١) م ٢: أشرنا. | (١٢) م ٢: - يبرز. |
| (١٣) سورة نازعات، آية: ٣٦. | (١٤) دا: يتعذب. |
| (١٥) م ٢: - تارة. | (١٦) سورة زمر، آية: ١٦. |
| (١٧) م ١، م ٢: - و. | (١٨) م ٢: - الأمر. |
| (١٩) م ١، م ٢: - وعقال العقول... وزمام الشرع. | |
| (٢٠) سورة سجده، آية: ٢٠. | |

وأما الأبرار فلهم الارتقاء من كمال إلى كمال لهم من^(١) فوقهم غرف ومن تحتهم؛ وهم^(٢) المتخلصون^(٣) المتزّهون من^(٤) عذاب أهل التضاد: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥). وهما هنا دقيقة لأهل الاعتبار وهي أن السعداء حيث كانوا في الدنيا مجبورين على طاعة الحق وامتنال أوامر الله ورسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٦)، فلا جرم يكون لهم الخيرة^(٧) في الآخرة مطلقاً: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾^(٨)، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(٩). وحال الأشقياء بالعكس من ذلك كما مر، حيث كانوا في الدنيا متمردين عن^(١٠) طاعة الله [مستبدين]^(١١) برأيهم غير مقيدين بقيود شرعية ولا عقلية؛ وفي الآخرة على ضد^(١٢) ذلك يكونون مجبورين^(١٣) بالعذاب الشديد مضطرين بالمحن العظيمة معلّقين بيد مالك السلاسل^(١٤) والأغلال، ليكون لكل من السعداء والأشقياء نصيب من الاختيار.

مكاشفة: لما بين في مقامه أن جميع ما هو ثابت في العالم الأدنى^(١٥) والمرتبة السفلى من الأحوال والصفات فهو ثابت في [العالم]^(١٦) الأعلى والمنزلة القصوى على وجه أرفع وأصفى، حتى إن التضاد الواقع في العالم الأدنى^(١٧) الذي يتصف به أصحاب الشمال ويكون منشأ تعذيبهم يوجد في أهل الجنان وأصحاب اليمين، كن ملابستهم إياه ليس على وجه التضاد الحقيقي، بل على وجه شبح ومثال للتضاد^(١٨). فإن التضاد في عالم التفرقة يوجب الفساد والزوال، وفي عالم

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) م ٢: - من. | (٢) م ٢: - وهم. |
| (٣) دا: الخاصون/ م ٢: متخلصون. | (٤) م ١، م ٢: + أنواع. |
| (٥) سورة بقره، آية: ٦٢. | (٦) سورة احزاب، آية: ٣٦. |
| (٧) م ١، م ٢: الحسرة. | (٨) سورة نحل، آية: ٣١. |
| (٩) سورة زخرف، آية: ٧١. | (١٠) دا: من. |
| (١١) دا: مستبدين/ م ١: ستبدين/ م ٢: سيندين. | (١٢) م ١، م ٢: حد. |
| (١٣) م ١، م ٢: محجوبين. | (١٤) م ١، م ٢: المالك بالسلاسل. |
| (١٥) م ١، م ٢: العوالم. | (١٦) م ٢: الأولى. |
| (١٧) م ٢: الأولى. | (١٨) م ٢: الأولى. |

الجمعية يوجب التمام و^(١) الكمال ولا يوجب العذاب والنكال فتضاد أهل الجحيم كحرارة السموم وبرودة الزمهرير، وتضاد أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾^(٢) ﴿وَيُشْفَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾^(٣)؛ فالكافور والزنجبيل ليسا متضادين في حقهم، لأن عالمهم أرفع من عالم التضاد وكذلك التنازع الالق بينهم ليس إلا تنازعاً مجازياً مثالياً لا حقيقياً: ﴿يَشْرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَوْنُ فِيهَا وَلَا نَائِبٌ﴾^(٤)، لصفاء قلوبهم وارتفاع جوهرهم عن عالم التضاد ومضيق التصادم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥).

وأما مخاصمة^(٦) أهل النار فهي حقيقية^(٧): ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ﴾^(٨)؛ ولذلك ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(٩). فقد علم مما ذكر أن المتضادين قد يكونان منشأ^(١٠) لارتياح^(١١) بعض النفوس الذين^(١٢) في مقام الجمعية الوجودية، كما ذكرنا في مثال^(١٣) الكافور والزنجبيل، وذلك لأن كلا من المتضادين نحو من الوجود والوجود مطلقاً خير محض. وبأنحاء يوجب الارتياح^(١٤) ما لم يكن الشخص تضيق وجوده مختصاً بأحد الأطراف؛ ولذلك يكون كلا الطرفين موجباً للسلامة بالقياس إلى قوم: ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِِبْرَاهِيمَ﴾^(١٥)، لكونهم من أهل برد اليقين. وقد يكون كل من الطرفين موجباً للعذاب بالقياس إلى من يقابلهم: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوَاءِ﴾^(١٦).

(١) م ١، م ٢: ورد.

(٢) سورة انسان، آية: ١٧.

(٣) سورة حجر، آية: ٤٧.

(٤) م ٢: حقيقته.

(٥) سورة ص، آية: ٦٤ / م ٢: - فهي حقيقة... النار.

(٦) سورة اعراف، آية: ٣٨.

(٧) م ٢: لارتياح.

(٨) م ١، م ٢: المثال.

(٩) سورة انبياء، آية: ٦٩.

(١٠) سورة فتح، آية: ٦ / م ٢: - للعذاب بالقياس... السوء / ر. ل: «الأسفار الأربعة»، ج ٩، ص ٤٢٤ تا ٤٢٦.

(١١) م ٢: ٢١٢

فصل [٨]

في الإشارة إلى خازن الجنة وخازن الجحيم وكيفية
وصول الخلق إلى الفطرة الأصلية التي لهم
في النشأة الأولى لحصول التطابق
التعاكسي بين النشاطين

اعلم أن الخلق كالإنسان اتصف [أولاً]^(١) بالوجود^(٢) ثم بالقدرة ثم بالإرادة،
لأنه قد ﴿أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ اللَّذَرِّ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٣)، وهو أي عدم كونه
شيئاً مذكوراً أشد مرتبة^(٤) له في المعدومية والفقدان. ثم صار أمراً ما^(٥) بالقوة
كالهيولى الأولى^(٦) والجسمية المبهمة الوجود، ثم [تصوّر]^(٧) بصورة التراب
وهي أحسن الصور، ثم بصورة سلالة من^(٨) ماء مهين، وهكذا حتى صار جنيناً
بلجه^(٩) الحياة والروح وقوة الحركة، ثم يصير طفلاً سميعاً بصيراً، ثم يقوى
ويبلغ أشده ويظهر منه ويخرج فيه^(١٠) من القوة إلى الفعل: القوة العقلية
المتميزة^(١١) بين الضار والنافع فيه^(١٢)، فيصير بعد حصول هذه القوى مريداً
للنافع وكارهاً^(١٣) للضار. وحيث كان المعاد عوداً ورجوعاً إلى الفطرة الأولى،

-
- | | |
|--|---------------------------------------|
| (١) م ٢: - اتصف أولاً/ دا، م ١: لقولا. | (٨) م ١، م ٢: - من. |
| (٢) م ٢: بالموجود. | (٩) م ١: جنياً بلجة/ م ٢: جنياً بلجة. |
| (٣) سورة انسان، آية: ١. | (١٠) م ٢: - فيه. |
| (٤) دا: - أشد مرتبة. | (١١) م ٢: المميزة. |
| (٥) دا: - ما. | (١٢) م ١، م ٢: - فيه. |
| (٦) م ٢: الأول. | (١٣) دا: كادهاً. |
| (٧) م ١، م ٢: تصديره/ دا: تصدر. | |

فينبغي أن ينتفي منه أولاً الإرادة حتى يستهلك إرادته في إرادة الحق موجد^(١) الواحد المطلق، ويستغرق فيها، بحيث لم يبق منه إرادة أصلاً؛ لأن وجود جميع الممكنات إنما يقع تبعاً لإرادة^(٢) الحق سبحانه الذي هو الفيض الحق.

وإذا ثبت وتحقق له هذا الاعتقاد وتيقن به، حصل له مقام الرضا^(٣) بما قضى الله واستراح نفسه من الآلام والأحزان^(٤)، فيكون أبداً^(٥) في الجنة^(٦)، لكونه مطيعاً لأمر الله راضياً بقضائه: ﴿لَمْ تَأْ بِشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٧). والدليل على أن من رضى الله^(٨) بما قضى الله تعالى^(٩) يكون أبداً في الجنة هو أن رحمته واسعة والفيض عام، وكل ما قضى الله تعالى^(١٠) يكون خيراً وكمالاً بحسب الواقع، والشروع الجزئية الواقعة في الدنيا والآخرة حاصلة بالعرض. أما الواقع منها في الدنيا، فلأجل مقارنات^(١١) أسباب اتفاقية وعلل قسرية وجودها يكون على سبيل الندرة لبعض الأشخاص لازمة لأمر في وجودها [خيراً]^(١٢) كثير يتبعه شر قليل.

وأما في الآخرة، فحيث لا يكون^(١٣) الأسباب والعلل هناك إلا ذاتية^(١٤)، فسبب الشر هناك ليس إلا الكفر والمعاصي المؤدية إلى رداءة الخلق، وكل ذلك ينافي صفة^(١٥) الرضا^(١٦) بالقضى^(١٧). فمن رضى^(١٨) بقضائه^(١٩) تعالى لا يصادف شراً و^(٢٠) لا يصادفه شر في الآخرة، لانتفاء ذينك^(٢١) السببين للشر

- | | |
|------------------------|------------------------------|
| (١) دا: موجد. | (١٢) همه نسخه ها: حتى. |
| (٢) م ٢: لإعادة. | (١٣) م ٢: يكون. |
| (٣) م ٢: الرضى. | (١٤) م ٢: - ذاتية. |
| (٤) دا، م ١: الآخرين. | (١٥) دا: صنعة. |
| (٥) م ١، م ٢: - أبداً. | (١٦) م ١، م ٢: - الرضا. |
| (٦) دا: + و. | (١٧) م ٢: بالقضاء. |
| (٧) سورة ق، آية: ٣٥. | (١٨) دا: رضا. |
| (٨) م ١، م ٢: - الله. | (١٩) دا: بقضاء الله. |
| (٩) دا: - تعالى. | (٢٠) م ٢: - لا يصادف شراً و. |
| (١٠) م ١: - تعالى. | (٢١) دا: ذينك. |
| (١١) دا: مصادمات. | |

بالقياس إليه . كيف وقد ثبت أنّ وضع العوالم والنشآت على أبلغ نظام في الخير والتمام، فلا قصور ولا شرّ إلّا في نظر^(١) المحجوبين . فإذا خلص من أغاليط الروم ووساوس الشيطان وصحّ إدراكه العقلي، رأى الأشياء في غاية الحسن والجودة والنظام والخير وكلّ خير لذيد لا محالة لمن أدركه ملائماً وحسناً، فيكون رابطاً به^(٢) .

فمن كان رأى^(٣) جملة العالم^(٤) على أحسن الوجود^(٥) في الكمال والخيرية، يلتذّ بها^(٦) راضياً، فيكون في جنة عرضها السماوات والأرض . ولهذا الوجه يستمى خازن الجنة رضواناً، لأنّ الإنسان ما لم يصل إلى هذا المقام في المعرفة بالله تعالى وبكيفية إيجاده الموجودات، وبأنها على أحسن الوجوه في الخير والتمام^(٧)؛ ومن^(٨) لم يكن راضياً بقضائه مطمئناً بقدره، لم يكن له لذة من نعيم الجنان: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٩) . وفي الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي^(١٠) ولم يصبر^(١١) على بلائي، فليعبد ربّاً سوائى وليخرج من أرضي وسماي^(١٢)» .

ثمّ بعد ذلك المقام لا بدّ أن ينتفي عن السالك القدرة حتى لا يرى لنفسه قدرة مغايرة لقدرة الحق سبحانه^(١٣) التي لا^(١٤) شيء^(١٥) من المقدورات، فيكون في مقام التوكّل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾^(١٦) . ثمّ بعد ذلك لا بدّ أن ينتفي^(١٧) منه^(١٨) العلم ويستهلك علمه في علمه تعالى الذي لا

(١) دا: النظر .

(٢) دا: رابطاً به (نسخه بدل: رابطاً به) م ١، م ٢: رابطاً .

(٣) دا: أي . (٤) م ٢: العوالم .

(٥) دا: الموجود . (٦) دا: ملتذاً بها .

(٧) دا: المقام . (٨) دا: - من .

(٩) سورة توبه، آيه: ٧٢ . (١٠) م ١: لم يجر .

(١١) م ٢: تعالى . (١٢) م ٢: بتالي عنه .

(١٣) م ٢: بتالي عنه . (١٤) م ٢: بتالي عنه .

(١٥) م ٢: بتالي عنه . (١٦) سورة طلاق، آيه: ٣ .

(١٧) م ٢: ينتفى . (١٨) م ١، م ٢: - منه .

يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء حتى لا يرى لنفسه بنفسه^(١) علم بالاشياء، وهذا مقام التسليم: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

ثم بعد ذلك لا بد أن ينتفي وجوده في^(٣) وجود الحق الأول الذي به وجود كل شيء، لئلا يكون له بنفسه عند نفسه وجود، وهذا مقام أهل الوحدة وأولياء الله، أولئك الذين أنعم الله عليهم.

وكل من لم يسلك طريقة أهل الوحدة وكان أفعاله على حسب^(٤) إرادته، فلا محالة يقتضي إرادته الأهواء المختلفة المتخالفة^(٥) لإرادة الحق ومشيتته^(٦): ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٧). فبالضرورة يصير ممنوعاً مما استدعاه وهواه، محروماً عما اقتضاه ومبناه^(٨) ومشتهاه ﴿وَجِلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٩)؛ فوقع لا محالة في سخط الله: ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(١٠) ويضل^(١١) ويهوى به الهدى إلى الهاوية: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ﴾^(١٢). ففي هذه الحالة يكون محبوساً عن جميع الحفظوظ التي كان تصوورها^(١٣) مغلولاً بالسلاسل والأغلال، كما هو صفة الممالك^(١٤) المجرمين: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(١٥) في الحميم ثم في النار يُسْجَرُونَ^(١٦). ولهذا الوجه يسمى خازن الهاوية بالمالك، فيكون لها بإزاء درجة التوكل دركة الخذلان: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١٦).

- | | |
|---------------------------|--------------------------------------|
| (١) م ٢: نفس. | (٩) سورة سبا، آية: ٥٤. |
| (٢) سورة احزاب، آية: ٥٦. | (١٠) سورة آل عمران، آية: ١٦٢. |
| (٣) دا: - في. | (١١) دا: يصل. |
| (٤) م ٢: بحسب. | (١٢) سورة حج، آية: ٣١. |
| (٥) م ٢: المخالفة. | (١٣) دا: قصوراً. |
| (٦) دا: مشيته. | (١٤) م ٢: المهالك. |
| (٧) سورة مؤمنون، آية: ٧١. | (١٥) سورة مؤمن (غافر)، آيتان: ١، ٧٢. |
| (٨) م ١، م ٢: سباه. | (١٦) سورة آل عمران، آية: ١٦٠. |

وبإزاء درجة التسليم دركة الهوان: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾^(١)، وبإزاء درجة الوحدة دركة^(٢) اللعنة: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٣). فكما أنّ انتفاء القدرة والعلم والوجود في الطائفة يقتضي لهم القدرة الغير المتناهية والعلم الذاتي والوجود الأبدي، فكذلك في هذه الطائفة بإزاء ذلك^(٤) ينتج استيادتهم^(٥) بهذه الصفات عجزاً غير متناهٍ وجهلاً كلياً وهلاكاً سرمدياً: ﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(٦).

* * *

-
- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة حج، آية: ١٨. | (٤) م ٢: - ذلك. |
| (٢) م ١، دا: درجة. | (٥) م ١، م ٢: استيادتهم. |
| (٣) سورة بقره، آية: ١٥٩. | (٦) سورة نوبه، آية: ٦٣. |

فصل [٩]

في الإشارة إلى حالات يحدث يوم القيامة

و^(١) إلى وقوف^(٢) الخلق في العرصات^(٣)

الشمس تفيض منها الأنوار الحسية الكلية على الأشخاص في هذا العالم والقمر خليفة لها في إفاضة الأنوار عند غيبتها والكواكب هي مبادئ^(٤) أنوار جزئية؛ فمن قامت عليه القيامة - سواء كانت الصغرى عند موته، والكبرى عند فناء الكل في الواقع، أو العظمى عند فناء الكل في شهوده - ظهر له نور الأنوار، وانكشف عليه ضوء الوجود الحقيقي، وتجلّى له وجه القيوم الأحدي^(٥)، فلم يبق لأنوار^(٦) الكواكب^(٧) عنده ظهور: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾^(٨)، بل لم تكن لها وجود: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝٣﴾^(٩)، ومحا نور القمر؛ وإذا اتحد ذو النور مع النور، لم يبق من الإضافة^(١٠) أثر ولا من الاستفاضة خير: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ۝١١﴾. والجبال لكونها من ذوات الأوضاع الشخصية المجتمعة من موادّ وصور وأعراض مختلفة الحقائق، التي يكون لها نحو وجود محسوس مظهره^(١٢) الحس وانفعاله لا غير، فليس لها

- | | |
|----------------------|-------------------------------|
| (١) م ١: -و. | (٧) م ٢: الكوكب. |
| (٢) م ٢: فوق. | (٨) سورة تكوير، آيتان: ١ و ٢. |
| (٣) م ٢: العرضات. | (٩) سورة انفطار، آية: ٢. |
| (٤) م ١، م ٢: سماوى. | (١٠) دا: الافاضة. |
| (٥) م ٢: الأحد. | (١١) سورة ناسان، آية: ١٣. |
| (٦) دا: أنوار. | (١٢) م ٢: مظهره. |

في مشهد آخر هذا النحو من الوجود الذي ينفعل ويتأثر منه الحس، بل يدرك ويشاهد من سبيل آخر بمشعر أخروي يتنور بنور الملكوت، شأنه التحليل إلى البساط^(١)؛ فينتفش^(٢) فيه مرة كالعهن المنفوش، وينسف في الآخر: ﴿وَمَسْئَلُكَ عَنْ لَبَالٍ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾^(٣). و^(٤) البحار التي لا يمكن العبور عليها^(٥) إلا بركوب السفينة، والاستدلال بثواقب الكواكب يرفع من البين ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ ۖ﴾^(٦) ليتصل البر والبحر ويتحد الفوق والتحت والسماء والأرض، ويحضر الخلائق كلهم في عرصات القيامة: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ﴾^(٧)، وينكشف الأغطية وستر^(٨) الحجب لأهل البرازخ وترفع الحواجز ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ﴾^(٩)، ويقام الخلائق من^(١٠) مواقف الحجب إلى مواقف كشف الأسرار: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئَلُونَ ۖ﴾^(١١).

فالمخلصون عند ذلك من مجالس البرازخ يتوجهون إلى الحضرة الربوبية: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۖ﴾^(١٢)، ويسلب ويقطع ويكسر السموم والآلام^(١٣) والقرون من السوام^(١٤) والهوام والأنعام، لينهدم أطراف التضاد وينقطع أسباب التنازع والعناد من ذوي الشرور والآفات^(١٥) والمعاصي والسيئات. وفي الحديث: «لوجد السم من البصل^(١٦) والنباب^(١٧) من الذئب والقرن من الكبش»، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ﴾^(١٨). والموت لكونه سبب هلاك الخلق^(١٩) بكل واحد^(٢٠) من طرفي التضاد يقام بين الجنة والنار في صورة

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| (١) دا: البسيط. | (١١) سورة صافات، آية: ٢٤. |
| (٢) م ٢: فينتفش. | (١٢) سورة يس، آية: ٥١. |
| (٣) سورة طه، آيات: ١٠٥ - ١٠٧. | (١٣) م ١: الأسما/ م ٢: الأسنام. |
| (٤) م ١: - و/ م ٢: + أمّا. | (١٤) دا: التوام. |
| (٥) م ٢: عليها العبور. | (١٥) م ٢: اللغات. |
| (٦) سورة تكوير، آية: ٦. | (١٦) دا: الفضل (نسخه بدل: العسل). |
| (٧) سورة نازعات، آية: ١٤. | (١٧) م ١، م ٢: النات. |
| (٨) م ١، م ٢: يترف. | (١٨) سورة انسان، آية: ١٣. |
| (٩) سورة انفطار، آية: ٤. | (١٩) م ٢: الخلائق. |
| (١٠) م ١، م ٢: عن. | (٢٠) دا: كل واحد. |

كبش أملح ويذبح، ليظهر الحياة الحقيقية^(١) والوجود^(٢) المطلق لموت الموت وحياة الحياة. والجحيم يظهر ويحضر^(٣) في العرصة^(٤) على صورة بعير ﴿وَجَاءَ بِمُؤْمِنِيَّ بِجَهَنَّمَ﴾^(٥)، ليشاهدها^(٦) أهل العيان ﴿وَبُرُزَّتْ لَلْبَحِيثِ لِنَ يَرَى﴾^(٧)، حتى يطلع الخلائق^(٨) من هول مشاهدتها على عدلهم^(٩) وفعالهم، فنشرة شررة^(١٠) ولو لا أن جسها^(١١) الله لأحرقت السماوات والأرض^(١٢).

تَمَّت الأوراق بمئة وفضله عصر الأحد أول جمادى الأول من شهر سنة أربع وتسعين ومائة بعد ألف من هجرة النبوة المصطفوية في المدرسة الجديد السلطانية من مدارس محروسة إصفهان. والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

(١) م ٢: الحقيقة.

(٢) م ٢: للوجود.

(٣) دا: - ويحضر.

(٤) م ٢: يحظر في العربة.

(٥) سورة فجر، آية: ٢٣.

(٦) دا: ليشاهد.

(٧) سورة نازعات، آية: ٣٦.

(٨) م ٢: الخلاق.

(٩) دا: علمهم.

(١٠) م ١، م ٢: شرره.

(١١) دا: صينها.

(١٢) ر. ك: «المظاهر الإلهية»، ص ١٢٤ و ١٢٥ / دا: + تَمَّت الرسالة المتعلقة بالكتاب يوم

الاثنين من ربيع الأول سنة ١١٩٥ / م ٢: + تَمَّت الاعتقادات المنسوبة إلى صدر المحققين الشيرازي طاب الله ثراه وجعل الجنة.

رسالة في خلق الأعمال

تحقيق وتقديم

الدكتور مهدي دهباشي

المقدمة

الحكيم صدر المتألهين رحمته الله - المتوفي عام ١٠٥٠ هـ - مؤسس مدرسة أصفهان الفلسفية، الذي حلّ الكثير من المشكلات والغوامض الموجودة في المسائل العقلية للنحل والمدارس الفلسفية والكلامية القدسية بأسلوبه الجديد في الفلسفة الإسلامية وبدرأيته الفريدة، وبنبوغه وضع الفلسفة والحكمة الإلهية في مسارٍ جديد وأوصلهما إلى قمة الكمال. وقد ألّف الملاً صدراً أعمالاً نفيسة جداً وكتب رسائل قيّمة في الأمور العقلية والكشفية حيث تستطيع كل واحدة منها أن تحلّ المُعضلات الحكمية والكلامية للعالم الإسلامي؛ ومن بين هذه الأعمال والرسائل يمكن الإشارة إلى رسالة خلق الأعمال التي يُطلق عليها أحياناً «رسالة الجبر والاختيار».

وفي هذه الرسالة وبإيجاز غير مُخلّ يهتم صدر المتألهين بالبحث عن كيفية أعمال الإنسان الاختيارية حيث يقوم بمقارنة هذه الأعمال مع الأفعال الإلهية والمسائل المتعلقة بها. وفي تعريف محتوى المخطوطة مع البحث الدقيق والتحقيق الذي قمنا به توصلنا إلى أنّ رسالة خلق الأعمال، في بعض مواضعها، هي تلخيص واقتباس لبعض عبارات كتاب الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية^(١) تحت عنوان: «في شمول إرادته لجميع لأفعال»؛ مع هذا الاختلاف أنّ الاستشهادات بالآيات والروايات وتفصيل مواضعها المنسجمة مع الفصول السابقة واللاحقة في نص الأسفار أكثر، ومع أنّ هناك في بداية المبحث تشابه في العبارات، إلا أنّ القسم النهائي لنص الأسفار يختلف في نص الرسالة.

(١) ج ١، ص ٣٧٦ ملى ٣٨٦.

على كل حال، بما أن أكثر كتب المَلّا صدرا تفصيلاً هو كتابه الأسفار، لذلك يجب البحث عن تفاصيل ما جاء في رسائله في هذا الكتاب. في البداية حاول المؤلف أن يتعرض إلى هذه المباحث، كما في الأسفار وكتبه الأخرى، وأن يقوم بدراسة الموضوع في حين أن للمَلّا صدرا رأيه الخاص في كيفية تبين صدور فعل العبد والشرور، وسوف نُشير إليه في نهاية هذه المقدمة.

من بين المباحث الكلامية المثيرة للجدل منذ صدر الإسلام بين الفرق الكلامية ومن بعدها بين الفلاسفة، هي مسألة خلق أعمال الإنسان. ومحور هذه الدراسة هو هل أن الأفعال الاختيارية للإنسان نتيجة قدرته ونتاجة عنه، أم أن هذه الأفعال خلقت من قبل الله حيث تتحقق بواسطة قدرته الإلهية؟ ولكن يتفق الجميع على أن الفعل الذي يصدر عن الإنسان - كالجلوس أو القيام ومثلهما - بما أنه قائم به فإنه يعود إلى الإنسان، مع أن الرب هو الموجد الرئيسي له. وقد دخل الحكماء الإسلاميون وفي مبحث الإلهيات في هذه المقولة حيث قاموا ببحثها ودراستها بدقة أكثر.

وفي دراسة تاريخ هذا المبحث نرى أقوالاً متعددة، ونشير هنا إلى بعضها بإجمال.

الأشاعرة: تعتبر هذه المجموعة أن الله الفاعل الحقيقي والفعل لما يريد، ولا يتصور أتباعها خالقاً ومبدعاً ومحدثاً غيره. وتنتهي هذه العقيدة إلى هذه النتيجة: إن الأفعال الاختيارية للإنسان - من بينها الكفر والإيمان والطاعة والمعصية - تنتمي إلى سلطة الحق ومخلوقة من قبل الله، وإن الكسب أو الاكتساب فقط يعودان إلى الإنسان. ويُطلق على تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور، الكسب أو الاكتساب: «إنه المقدور بالقدرة الحادثة»^(١)؛ «الكسب بأن ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى»^(٢)؛ «إن الله يخلق الفعل من غير أن يكون

(١) غاية المرام في علم الكلام، ص ٢٢٣.

(٢) كشف المرام في شرح نهج الاعتقاد، العلامة الحلي، ص ٢٣٩، قم، مكتبة المصطفوي.

للعبد فيه أثر البتة، لكنّ العبد يؤثر في وصف كون الفعل طاعة أو معصية^(١). ويمكن إطلاق تسمية الجبرية المتوسطة لهذه الفرقة أمام الجُهميّة^(٢).

الجُهميّة: في مقابل الأشاعرة، تتبع هذه المجموعة النظرية المتطرفة المعروفة بمصطلح الجبر المطلق، وتعتبر هذه المجموعة أفعال الإنسان مخلوقة من قبل الله، وإن الإنسان فاقد للقدرة الخلاقة الفاعلة والكاسبة، وأتّه ما من فرق بين الإنسان والجماد^(٣).

المعتزلة: خلافاً للأشاعرة تعتقد هذه المجموعة بأن الإنسان خالق جميع أفعاله، وإنّ صدور أفعال الإنسان بسبب قدرته فقط، وإنّ الله فوّض الأمر إلى الإنسان، وليس له أي تأثير في أعمال الإنسان ولا يتدخل فيها؛ ولذلك يطلق على هذه المجموعة القدرية والتفويضية^(٤).

متكلمو الإمامية والحكماء: تعتبر هاتان المجموعتان الإنسان من دون واسطة فاعلاً وخالق أفعاله، وأنّ الله خالق الأفعال الإنسانية بالواسطة. وقد اتخذ الخواجة نصير الدين الطوسي الحديث الشريف «لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين» بهذا المعنى، وفي استناد الأفعال على الإنسان يدّعي الضرورة^(٥).

ومع أنّ ابن عربي يُعيب أحياناً على عقيدة الأشاعرة إلّا أنّه غالباً ما يميل إلى عقائدهم. وقد انجر مبحث خلق الأعمال إلى الجبر والاختيار بشكل تلقائي، وهما من المسائل المهمة الكلامية الفلسفية والعرفانية، حيث خلال قرون نرى أقوالاً متعددة في هذا الباب. وقد توسع هذا المبحث بحيث نرى الكثير من العبارات والتوجيهات المتعدّدة حول أي من النظريات المطروحة

(١) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٢٣.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري، ج ٢، ص ١٢٤٣؛ كشف المراد، العلامة الحلي، ص ٢٤٠ و٢٣٩؛ مذاهب الإسلاميين، المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، ص ٥٥١.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ٨٧ و٨٦؛ شرح گلشن راز، محمد لاهيجي، ص ٤٣٠.

(٤) رسالة الجبر والاختيار، خواجة نصير الدين طوسي، ص ١٨؛ شرح گلشن راز، ص ٤٢٩.

(٥) گوهر المراد، عبد الرزاق لاهيجي، ص ٢٣٥؛ كشف المراد، ص ٢٣٩.

أنفأ، ومن بينها معنى «أمر بين الأمرين» التي يقوم فيها أتباع هذه العقيدة بتبريرها على نحو ما.

وبشكل موجز في نظرية الجمع، يُنسب فعل الإنسان إلى الله، وفي نظرية التفويض يُنسب فعل الإنسان إليه نفسه. والبعض كالجهمية وبعض المتصوفة يُعدّون من الجبريين المحض، والبعض كالأشاعرة من الجبريين المتوسطين، ومجموعة أخرى كالمعتزلة يعرفون بالقدرين. في حين أنّ الإمامية يقولون بالأمر بين الأمرين، ويعتبر بعض أهل العرفان مثل ابن عربي الجبر عبارة عن الاستعداد والافتضاء الذاتي وآلا يتغير من الأعيان^(١).

وعطفاً على الأقوال المتعددة في خلق الأعمال والجبر والاختيار قام الملاء صدرًا بدراسة ونقد العقائد المختلفة، وفي هذه الرسالة المختصرة، أي رسالة خلق الأعمال، قدّم تحليلاً لهذا الموضوع وذكرَ بحوثاً من أهمها يمكن الإشارة إلى ما يلي:

- (١) أهمية مسألة خلق الأعمال والقدر في أفعال العباد في المذاهب الكلامية، وحساسية الأمر فيما يتعلق بالتوحيد.
- (٢) الإعراض في إفشاء سر قدر الأفعال التي حصل عليها في كشفياته الشهودية، ومراعاته للاحتياط في دراسة الموضوع.
- (٣) ذكر العقائد والمذاهب المختلفة ونقدها في بداية البحث.
- (٤) ترجيحه لطريقة الأئمة المعصومين عليهم السلام وتبريرها بناءً على أصالة ووحدة الوجود.

وبذكره النظريات الأربع قام الملاء صدرًا بنقضها:

- (١) تعتقد مجموعة بأن الله بتفويضه الأمور للإنسان جعله مستقلاً في تنفيذ أعماله. وبناءً على هذه النظرية فرض الله الإيمان على الإنسان وعد الكفر من السيئات. وفي هذه العقيدة تم الاهتمام بفائدة التكليف بالأوامر والنواهي،

(١) فصوص الحكم، ابن عربي، ص ١٠٦ تا ١١٥، مكتبة الزمراء، ١٣٦٦ هـ.

وفائدة الوعد والوعيد، واستحقاق ثواب وعقاب العباد، وتنزيه الحق تعالى من السيئات وإيجاد الشرور التي من بينها الكفر والمعاصي.

ويعتقد صدر المتألهين أنّ هذه المجموعة بهذه العقيدة تقول بوجود شريك لله في تنفيذ الأمور وذلك في تبرير أفعال الإنسان، وباعتقاد الملام صدرًا فإن نتيجة هذه العقيدة هي أنّ الأمور لا تتحقق وفقاً لإرادة الحق وبالتالي يحدث خلل في حاكمية الرب المتزه من أي عيب ونقص.

ب) تعتقد المجموعة الثانية بأنّ الله في عالم الوجود ليس له أي شريك في تسيير الأعمال؛ ويرون أنّ «لا مؤثر في الوجود إلّا الله»، من دون الاعتبار بحسن الأعمال وقُبْحها، كدلالة على أنّ الحق تعالى مطلق العنان في الأفعال. ومن جهة أخرى لا يستطيع العقل أن يُقيّم الأفعال الإلهية ويمدحها أو يذمها كيفما اتفق حتى إذا قام الله بأعمال سيئة من قبيل الظلم في حق عباده وعذاب الأنبياء وتكريم وتنعيم الكفار في الآخرة وانتخاب شريك لنفسه... لا تستند هذه النظرية على الأسباب والعلل والحكمة في الأمور، وتُجيز الترجيح بلا مرجح.

ستكون نتيجة وجهة النظر هذه، إبطال قيم حكم العقل والحكمة في إقليم الوجود والأفعال الإلهية. وبما أنّ أساس قيمة الكتاب والسنة هما العمل والمبادئ العقلية فبالتالي سينهار أساس النقل، وقبول هذه العقيدة وسيستفي عالم الأسباب والعلل المبني على قاعدة «أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها». يقول الله الحكيم الذي أتقن الصنع: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، كيف تُجيز هذه المجموعة بأن تُزلزل البيان المرصوص لصنع الحكيم بأوهامها وأن تغفل عن قيمته وتنكرها؟

ج) وترى مجموعة أخرى القدرة الإلهية في إيجاد الأمور وتنفيذها مطلقاً، ولكنها تعتبر الموجودات المختلفة في تقبل إرادته وقدرته والانتفاع منهما حسب

(١) سورة النمل، الآية ٨٨.

قابليتها واستعداداتها المختلفة. وبالتالي تُصدر بعض الموجودات من قبل الحق تعالى من دون واسطة وبعضها عن طريق واسطة الأسباب والعلل؛ ومع أن الحق تعالى منزّه عن الحاجة إلى الأسباب والعلل إلا أن مقتضى ذات الناقص وحد مستوى قابليتها؛ كأنما تطالب هذه المجموعة بالأسباب والعلل من أجل قبول الإرادة وقدرة الحق باقتضاء الذات:

والحاصل أن النقائص والذمائم في وجودات الممكنات ترجع إلى خصوصيات المحال والقوابل، لما إلى الوجود بما هو وجود...^(١) ولسان جميع الشرائع الحقّة ناطق بأن وجود كلّ كمالٍ وخير سلامة يضاف إلى الحق تعالى، ولزوم كل شر وآفة وقصور - ولو باعتبار من الاعتبارات - يضاف إلى الخلق^(٢).

وبناءً على الاختلاف في الاستعداد والقابليات الموجودة وامتزاجها بالكثرات وغيرها والبعد عن ساحة القدس الربوبية تظهر الشرور النسبية بالتبع، وإلا فإن الله خلق عالم الوجود بأحسن وجه^(٣)، على نحو فإن أقل شائبة تغيير في هذا النظام الأحسن والصنع الأتقن يسبب تزلزلاً في عالم الوجود: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٤). ولكن بما أن منشأ الوجود هو الوجود المحض، ومنشأ وجود المحض هو الخير والكمال المحضان لذلك فكل ما يأتي من ناحيته ويتقبل لونه الوجود، من الموجودات العلوية والسُفلية، فكله خير من وجهة «يلي الربّي». لذلك فالخير بالذات له الغلبة في عالم الوجود، والشر يصبح له الاعتبار عن طريق القابليات والكثرات وامتزاج الوجود النسبي والعدم النسبي في مقام كثرة الخلق.

ولكن يجب أن نقول بأن اعتبار الشرور هو حصيلة تقابل الخير الأعلى والخير الأدنى، وتقابل الكمال الأتم والأنقص حيث يخلط هذا الاعتبار في ناحية «يلي الخلق»؛ وإلا لكل ما هو موجود في ناحية «يلي الربّي» هو الوجود

(١) الأسفار الاربعة، ج ٢، ص ٣٧٥. (٢) مفاتيح الغيب، ص ٤٣٦.

(٣) المصدر ذاته، ص ٣٧٧. (٤) سورة الفتح، الآية ٢٣.

والكمال والحُسن، وتعود مشاهدة هذه الأمور إلى مكانة المتفرج في أحد مستويات الوجود. وإذا نظر بعين الوحدة إلى العالم سُيرى كل شيء جميلاً. وبالتالي فإن العيب والنقص والشر كله نتيجة تقابل الخيرات المتفاوتة أي الخير الأعلى والأوسط والأدنى؛ ولكن بما أن الشرّ هو عديمي الذات فإنه في نفسه لا يمكنه الدخول بشكل مستقل إلى عالم الوجود ولم تسمح يد الغيب منذ الأزل بدخول وحضور وظهور الشرور، بل هي لم تكن شيئاً ولن تكون كي يسمح لها بالحضور والظهور. إنّ الإرادة الأزلية التي لها نسبة في العلم من جهة، ومن جهة أخرى مع القدرة الإلهية المطلقة وكل هذه الصفات مُندكة في الذات تتعلق بكل شيء يكون له موجودية وقابلية الوجود في أي حد كان؛ بعبارة أخرى ما من شيء يظهر ولم يمر عليه العلم منذ الأزل. وبالتالي فإن جميع مراتب الوجود هي مظاهره ومراتبه. تعلّقت إرادته الأزلية بالوجود وإيجاد كل الممكنات، ومع أن الممكنات استفادت من القابليات المتفاوتة لهذه الإرادة والإيجاد بشكل متفاوت وما زالت تستفيد من هذين الأمرين؛ وبما أننا موجودات ممكنة الوجود وناقصة وغير مطلعين على جميع مراتب الوجود فإنها تبدو لنا كالنقص والشر. وبناءً على ذلك فإن إدراكنا للشرور ليس معتبراً، لأنّ إرادة الحق الأزلية في الإيجاد والإفاضة لا تأتي مع الرضا في حصول الشرّ والاعتبار في وسعة المراتب؛ بل لازمة الكثرات هي تفاوتها وتمايزها الذاتي اللتان يتبعهما النقص، وإنّ جميع حصيلة تقابل الخيرات المتفاوتة التي تبدو لنا بصورة الشر والنقص، وإلا فإن حضرته لا يرضى بضرر عباده ومخلوقاته ونقصهم. وبما أنّ جميع الموجودات ظهرت عن طريقه وستعود إليه لذلك فاستحقاق المقام الربوبي هو أن تكون هودة جميع عباده إليه من دون نقص وعيب، بل يُلزم أن يعودوا بكسب المعرفة والاطلاع على الخيرات والكمالات، وأن يتحولوا من الشرور الاعتبارية والنقص إلى الكمالات، ومن العيوب إلى المحامد لتحصل جدارة هذه العودة والمعاد للعباد.

وهذا الطريق طويل ويرتبط بجهد وعنفوان وإرادة جميع الأشخاص. وهذا سر من الأفضل أن يكتشفه كل شخص على قدر همته وينتفع منه، لأنّه في لغة العام

ليس قابلاً لفهم الجميع؛ ولهذا السبب كتب الملاً صدرا في بداية هذه الرسالة: «وليس لنا رخصة في إفشاء سرّها بالكلام»^(١)، ولم ير من مصلحته أن يفشي سر قدر الأفعال، كما يجب. بل حاول بأسلوب المحاورة الأفلاطونية أن يحرك الأفكار وينشطها ليتمكن أي شخص بقدر وسعه أن يعد وسيلة للحركة في هذا البحر العميق ليصل إلى ساحل النجاة ويقترب من الحق.

وهنا يأتي بمثالٍ قائلاً: إذا أراد طبيب حاذق أن يقطع أصبعاً أو عضواً مصاباً بمرض غير قابل للعلاج، من أجل الحفاظ على السلامة - أي الخير الأعلى للشخص المريض - فإن المريض سيخضع لقطع الأصبع أو العضو المصاب من أجل الحفاظ على سلامته - مع أنّه ليس راضياً بهذا الأمر. كما أنّ الله قام - من دون تشبيه - بتبيين كفر ومعاصي عباده المختارين بالعلم الأزلي - بالكيفية إياها التي ذكرناها - في حين أنّه ليس راضياً بكفرهم ومعصيتهم، وأنّ كفرهم ومعصيتهم حصيلة اختيار عباده أنفسهم وأفعالهم الإرادية: «وذلك لأنّه تعالى فاعل كل وجود مقيد وكماله...»^(٢).

يُفضل الملاً صدرا هذه العقيدة على النظرية السابقة بهذا الاستدلال أنّ هذه النظرية هي بين الجبر والتفويض، وأنها مصنونة أكثر تجاه الأخطاء قياساً إلى هذين الأمرين.

(د) وتعتقد مجموعة أخرى وهي راسخة في العلم أنّ جميع الموجودات باختلافها في مراتب الشرف الوجودية (ذوات، وأفعال، وصفات) تشكل حقيقة إلهية واحدة، وأنّ هذه الحقيقة الواحدة تجمع جميع الحقائق والمراتب، وفي الوقت نفسه نافذة في جميع أقطار الموجودات السماوية وسارية فيها في نهاية البساطة والأحادية.

ترجع هذه النظرية التي تستفيد من بيان المعصومين عليه السلام التابعة من ينبوع

(١) رسالة خلق الأعمال، ص ٢٢١.

(٢) شرح الحكمة المتعالية، عبدالله جوادي آملي، ج ٣، ص ٣١٠، القسم ٢، تهران ١٣٦٨ هـ.ش.

العلم الإلهي وتفضلها على النظريات الثلاث السابقة وتقدمها باعتبارها جامعة لجميع محاسن تلك نظريات الكاملة ومانعة لكافة نواقص تلك العقائد. ويأتي تقريره في هذا الباب على أساس تخمين أصالة الوجود، ووحدة الوجود وقاعدة «بسيط الحقيقة». وتعد وحدة الوجود مشاهدة على هذه العقيدة أن الحق المتعالي هو صرف الوجود والوجود الحقيقي، وإن الوجود الحقيقي هو واحد بتمام المعنى. وتشتمل وحدته الحق الحقيقة على جميع كمالات ومراتب الوجود، بل إن مراتب ومظاهر الوجود كلها من ضمن شؤونه. لذلك فما من ذرة من ذرات عالم الوجود لم يسر فيها نور وجود الحق أو لم يتجلى فيها. كأنما باعتبار منشأ ومبدأ وجوده وكماله ونوره وظهوره فإن أي شأن وأي قوة يصبحان بمستوى شأنه وقوته، ويتنزلان بسبب الطلب الذاتي للممكنات في حد مرتبة وجودها، في المظاهر، إلى الوجود الانبساطي^(١)، لأن ما من إرادة وجودية يمكنها الإحساس بالاستقلال الوجودي أمام إرادته المطلقة ووجوده المطلق والساري وقدرته المطلقة، وأن جميع المظاهر والموجودات تنشأ بلغة التكوين والذات والفطرة «قل كل من عند الله»^(٢)، لأن ليس هناك أي شيء عار من وجهه وتجليه كما أنه «العلّة الموجدة» و«العلّة المبقية» للأشياء، وإن جميع الأشياء الموجودة في عالم الوجود تتمتع بفيضه ومعيته القيومية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٣) ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٤). وكما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة»^(٥). وفي هذا المقام ضمن اعترافهم بالوجود والتشخص للأشياء والموجودات - وخاصة العباد - يرون تشخص وتعين الممكنات والعباد حصيلة الحق تعالى ومرتبة من مراتبه. وفي الوقت الذي يكون

(١) المشاهر، الملا صدرا، ص ٨٥، طبعة حجرية: «فما عند الله تعالى هي الحقائق المناصلة التي نزلت هذه الأشياء منزلة الأشباح والظلال».

(٢) سورة النساء، الآية ٧٨. (٣) سورة الحديد، الآية ٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١، (صبحي صالح).

فيه الفعل فعل العبد فإنه في دائرة الحول والقوة الإلهية المطلقة، وبهذا الاعتبار، أي بحفظ مراتب الخالق والمخلوق ومصونية الحق من التشبه بالخلق والتثنية عن تجسسه في أفعال العباد، يُعد فعلاً إلهياً.

وهنا حيث يُرجع العارفون جميع الكثرات، الكمالات، الصفات، والمحامد إلى مقام الأحدية ويرونها مستغرقة في حضرته ومقامه إذ ستكون فيها كل علامة وظاهرة من عوالم الوجود مخفية ومستحالة.

ويما أن الماهيات هي أمور اعتبارية، والأمور الاعتبارية هي عدمية، فإن الجعل لا يتعلق بالماهيات، بل إن وجود الأشياء فقط من يستحق الجعل وينال فيض إفاضة الوجود وإيجاد الحق. ونظراً لأصالة الوجود، فإن المجعول بالذات في الوجود، هو الوجود، أي أن المفيض والمفاض بحفظهما المراتب هما من صنف واحد وبالتالي فهما ليسا إلا الوجود، وما من شيء يظهر غير الوجود. والوجود هو منشأ الآثار والكمالات، لذلك فإن «الخير بالذات» هو الموجود، ويظهر الشر بالتبع في مراتب الوجود ومظاهره حيث يطلق عليها صدر المتألهين والحكماء «الماهيات» ويعتبرها أهل العرفان بـ «الأعيان الثابتة»:

اعلم أن «الخير بالذات» هو ما يؤثره كل واحد ويبتهج به ويشتاقه، وهو الوجود بالحقيقة... و«الشر» معنى يقابل الخير تقابل السلب والإيجاب، وهو العدم. فالشر الحقيقي لا ذات له، بل هو عدم شيء، أو عدم كمال شيء^(١).

الشر هو فقد ذات الشيء أو فقد كمال من الكمالات التي يخصه من حيث هو ذلك الشيء بعينه^(٢). الخير المطلق هو الذي يتشوقه كل الأشياء ويتم به أو بما يفيض منه ذواتها وكمالات ذواتها. الخير ما يتشوقه كل شيء ويتوخاه ويتم به قسطه من الكمال الممكن في حقه^(٣).

لم تذق الماهيات، كالأعيان الثابتة، شيئاً من الوجود ولن تذوقه أبداً،

(١) تعليقات على الشفاء، صدر الدين الشيرازي، ص ٧٦.

(٢) الأسفار الأربعة، ج ٣، ص ٨٥. (٣) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٨٤.

وستبقى دائماً في حالة العدم وعدم الوضوح التّيه وفي مقامها غير المعلوم. وهنا إذ يكون الشر، والنقص، والعيب، والقلّة، من حصص الماهيات، ويعود الخير، والقوّة، والكمال إلى الوجود ومراتبه. يُعتبر كل موجود بسبب وجوده خيراً، بسبب ماهيته، أي حدّ وجوده الذي يحصل بسبب تنزّله عن كمال الوجود - شراً، وناقصاً، ونجساً. ومثالاً على ذلك يعدّ الكلب بسبب ماهيته نجس العين، وبسبب وجوده حيث هو مفاض الحق، يعتبر خيراً. إنّ سطوع نور الشمس على الأشياء النجسة لا يسبب بنجاسة الشمس لأنّ النجاسة والظلمة، والوجهة العدمية لماهية الأشياء بسببها أنفسها، وهي ليست ماهيات مجعولة. وإنّ القُبْح والشر هما نتيجة النقص والتنزّل من الكمال وبالتالي مواجهتهما مع خير آخر؛ وإلاّ ليس هناك القُبْح والشر بالذات: «الشر هو فقد الشيء، أو فقد كمال من الكمالات التي يخصّه من حيث هو ذلك لشيء بعينه»^(١).

في البداية يرفض الملامّ صدور الاحتمالات التالية حول «أمر بين الأمرين»^(٢):

- (١) أن يكون فعل العبد نتيجة حالة تركيب الجبر والتفويض.
 - (٢) ألا يكون فعل العبد خالياً من الجبر والتفويض.
 - (٣) أن يكون اختيار العبد وجيره بصورة ناقصة.
 - (٤) أن يكون العبد مختاراً من جهة ومجبوراً من جهة أخرى.
 - (٥) أن يكون العبد ضمن كونه مختاراً، مجبوراً أيضاً (رأي ابن سينا).
- وباعتقاد الملامّ صدوراً فإنّ القصد من «أمر بين الأمرين» هو أنّ العبد كما أنّه

(١) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٨٤.

(٢) جاء أصل هذه الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام في أصول الكافي كالتالي:
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين؛ قال: قلْتُ: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثلُ ذلك رجلٍ رأيته على معصية، فنهيتُهُ فلم ينتهِ فتركتهُ ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية... عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام... لسئلاً عليه السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة، قال: نعم أوسع مما بين السماء والأرض. (راجع كتاب: أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، انتشارات علمية، طهران، كتاب التوحيد، ص ٢٢١ و ٢٢٤).

مجبور فهو مختار أيضاً، وكما أنه مختار فهو مجبور، أي اختياره عين اضطراره؛ مع هذا التوضيح أن أصحاب هذه النظرية يقفون في أعلى مراتب التوحيد، أي التوحيد الجمعي. وفي هذا المقام لو نظرنا إلى التوحيد الجمعي سنرى، بحفظ المراتب، أن الحق تعالى قريب جداً إلى الموجودات والعباد بحيث ما من موجود له هذا القرب إلى الوجود والوجودية: «وأصل الشيء أولى به من نفسه»^(١)، «وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَهٍ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(٢)؛ أي قرب ربوبيته وخالفينه بأي شيء أكثر من قرب النفس بذات الشيء منه، لأن الله منشأ الوجود والإيجاد، وإن أثر أي موجود سيعود في النهاية إلى وجوده:

«... فذاته أحق بالأشياء من الأشياء بأنفسها، وحضور ذاته تعالى حضور كل شيء، في عند الله تعالى هي الحقائق المتأصلة التي نزلت هذه الأشياء منزلة الاشباح والأضلال»^(٣).

ومن جهة بما أن مرتبته الإلهية متعالية بحيث ما من موجود من موجوداته ولا أي مخلوق من مخلوقاته ليس بمستواه في الكمالات والوجود ولا بعد شيئاً أمامه: «ما للتراب وربّ الأرباب!». وهناك حيث يكون الكلام فيه عن وجود الممكنات وآثارها الوجودية فإن الرحمة الإلهية الواسعة قد شملت المكان؛ وفي المكان الذي يكون فيه الكلام عن العدم والشر والنقص تستقر فيه الماهيات والذوات الإمكانية التي ليس فيها أي صفة ولا أثر وجودي وعدمي، وقد ابتليت في ضيق برزخ الوجود والعدم لكي «تخرج يد الغيب وتفعل أمراً» وترميها برشحة من رشحات فيض وجوده بحجم طلبها واستعدادها.

تفصيل هذا الكلام على أساس اصطلاح الوحدة الجمعية والمعينة القيومية هو أن يتجلى في الوحدة الجمعية «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»^(٤)؛ أي لا يُسمح لأي فعل

(١) مفاتيح الغيب، الملا صدرا، ص ٤٣٦.

(٢) سورة ق، الآية ١٦.

(٣) المشاعر (المشعر الثاني)، الملا صدرا، ص ٨٥، طباعة حجرية.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٨.

بالصدور إلا من لدنه، لأن في ذلك المقام لم تترك حاكميته المطلقة على ما سوى أي أثر للغير.

في أي مكان يكون فيه الكلام عن فعل العبد واختياره سيكون معهما معيته القيومية أيضاً، وإلا لن يصدر أي فعل عن أي موجود من دون معيته القيومية؛ لذلك لن تترك قيومية الحق أي معلول في تنفيذ الأمور وحيداً ومطلق العنان. وهنا يتبين لنا معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله». وفي مقام الظهور والوجود مقية الحق هي سند لأي نوع فعل؛ ولكن مكان المقية القومية هو في الوجود الانبساطي وفي مرتبة التعيينات والمخلوقات، وإلا فإنها في مقام الذات وبسبب الوحدة الحق الحقيقية ليس لها معية مع أي موجود، وليس لها أي نسبة مع الغير ولا يكون للغير نسبة معها في مقامها هذا.

ومعنى الإحاطة القيومية هو أن المعلول ليس عارياً من وجود العلة، وأن العلة أقرب إلى المعلول من ذات المعلول؛ لذلك فإن المعلولات تحتاج إلى الحق في وجدانها. إن حضور الأشياء نسبة إلى الحق هو حصيلة انطواء الكثرات في مقام الذات وشهود الحقائق في ذلك المقام^(١): «لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلي لهبطتم إلى الله»^(٢).

إن واجب الوجود بالذات هو واجب الوجود من جميع الجهات والحيثيات؛ لذلك فإن قيوميته قيومية مطلقة وفياضية عامة، وإلا لتحققت حيثياته وجهاته الإمكانية في ذاته، وسيعارض هذا الأمر أحديته الصرفة وبساطته المحضة. لذلك فإن صدور جميع الآثار والأفعال - من المبدعات والمكونات - تنتهي إليه. وهي مستغرقة في فياضيته وقيومته المطلقة.

يربط ابن عربي وجود الشرور النسبي والقاذورات بالوجود الانبساطي وليس

(١) انظر كتاب: الإلهيات، الأسفار، طهران، طباعة حجرية، ١٢٨٦، ص ٨٤، شرح حال وآراء فلسفي ملا صدرا، سيد جلال الدين آشتياني، طهران، نهضت زنان مسلمان، ١٣٦٠ هـ، ص ١٧٩ و ١٧٨ (با تصرف).

(٢) حديث فلسفي.

بالوجود الصرف والمحض، ومن جهة أخرى فإنه في وحدة الوجود، كالملا صدرا، يعتبر مراتب الوجود - من العلوية والسُّفلية - من شؤون الحق. لذلك فأي شيء موجود يُنتسب إلى الحق وله خيرية، وسيكون الشرور كله اعتبارياً وعلمياً، وبسبب تنزله عن صرف الوجود ومُثار الكثرة والبُعد عن الحق فإنه سيمتزج بالغير وسيكون في معرض الشر والقُبْح والتَّجاسة. ويُلاحظ وجهان في كل شيء: وجهة «يلي الحقّي» و«يلي الخلقي».

وباعتقاد المؤلف أنّ تبين الملا صدرا لنظرية «أمر بين الأمرين» القائلة بأنّ الإنسان كما هو مختار^(١) فإنه مجبور أيضاً^(٢)، يستند على أصلي «وحدة الوجود» وبسيط الحقيقة كل الأشياء؛ ومن دون أخذ الاعتبار بهذين الأصلين سيكون هنا التعبير متناقضاً وغير قابل للتبرير. بعبارة أخرى من دون هذه النظريات والتبريرات سيكون قبول كلام الملا صدرا صعباً للغاية؛ لأنّ إحدى الوحدات في التناقض هي الوحدة في الحيثية. وقد اعتبر الكبار من أمثال الحكيم الزنوزي ذيل الآية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٣)، سلبية وإيجابيه مطابقين للواقع، ويرونه من حيثين وليس من حيث واحد^(٤).

ومع أنّ الملا صدرا يرى أحياناً وحدة الوجود «سنخية»، ولكنه في تعبيراته، العرفانية وفي بيان «الوجود الربطي»، في النهاية يقترب من كلام ابن عربي، وكأنّه يذكر كلام ابن عربي ذاته بلغة أخرى. وحتى ما جاء في لغة الشرع أنّ «لا مؤثر في الوجود إلّا الله» يبدو كأنه يشهد ويؤيد هذه النظريات.

ومثالاً على ذلك، بما أنّ مقام معرفة الرسول الأكرم ﷺ وصل إلى المراتب العالية للفناء واجتاز جميع مراتب الفناء الأفعالي، والصفاتي، والذاتي، لذلك ففي اعتقاد أهل المعرفة لقد استحق هذا الخطاب ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾

(١) الاختيار لئثار لأحد الطرفين وميل إليه. (شواري الإلهام، ج ٢، ص ٢٩٣).

(٢) الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقهر والغلبة (مفيد).

(٣) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٤) لمعات إلهية، الملا عبدالله الزنوزي، با مقدّمة وتصحيح السيد جلال الدين الأشتباني، طهران، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، ١٣٦١ هـ، ش، ص ٢٠٦ و ٢٠٩.

اللَّهُ رَمَى. ويدل النفي في بداية الآية على أن الرسول الأكرم ﷺ - الذي وجود كله ممن أفعاله وصفاته، من ذلك في الحق - مع أنه فاعل قريب فعل الرمي باتجاه العدو، إلا أنه فاقد لأي نوع استقلال وجودي لن يحضر فيه الحق. ولأن الله هو الوجود الحقيقي لذلك يُنسب إليه الفعل الحقيقي «رمى». حين يكون النبي ﷺ بذلك المقام هكذا في أفعاله، فسيكون الآخرون في أفعالهم هكذا أيضاً. بعبارة أخرى كما نسب الله إليه «رمى» فإنه سلَّبه منه من ذلك الحث أيضاً، ولا يصدق هنا الكلام إلا في شعاع وحدة الوجود وقاعدة «بسيطة الحقيقة».

استفاد صدر المتألهين في هذا المقام، من تمثيل النفس التي تُعد الرابط بين الله والإنسان، قائلاً: بما أن النفس الناطقة للإنسان مجردة أيضاً فهي في عين الوحدة لها قواعد مختلفة ومتنوعة، في حين أن لأي قوة من قوى النفس إمكانية تنفيذ فعل ما؛ وعلى سبيل المثال تؤدي قوة البصر عمل الرؤية، وقوة السمع عمل السمع. ومن جهة أخرى بما أن في الأصل تُعد هذه القوى بمثابة قوى النفس ففي الحقيقة إن النفس هي من تؤدي عملي الرؤية والسمع، وإن جميع القوى في خدمتها، على نحو تملك فيها النفس جميع سمات وخصوصيات قواها، وإن جميع القوى الفاعلية ستكون في النفس. وفي الوقت ذاته حيث للنفس إحاطة على القوى والأعضاء تحت حاكميتها، فهي مخلوقة من قبل الإرادة الإلهية، وإن إرادتها ستكون تحت الإرادة الإلهية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١). ومجدداً يستفيد الملاً صدرا من الآية الشريفة: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَنْدِيكُمُ﴾^(٢)، والمراد من العذاب هو قتلهم بيد المجاهدين في ساحة الحرب.

مع هذه التوضيحات في مفاد ومعنى «أمر بين الأمرين»، يجب أن نكون محتاطين كي لا نقع في ورطة التعطيل ودوامة التشبيه، إذ تورطت جماعة الأشاعرة في التشبيه والتجسيد عند بيانها أفعال الإنسان واعتبرت الله مباشر الحركات والتحريكات الجسمانية وأن له قوى كالقوى الإنسانية. كما حددت

(٢) سورة التوبة، الآية ١٤.

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

جماعة المعتزلة قيومية الحق وفياضيته وقالت بوجود شريك له في الأفعال، وانتهت هذه العقيدة إلى تغيير الحقائق الإمكانية إلى وجوب الذاتي. في هذه الطريق يجب أن تكون ذا عينين وأن نجمع معنى حديث «جف القلم بما هو كائن» بمفاد الآية الشريفة: «كلُّ يوم هو في شأن»^(١)، وأن نحفظ جواهر معاني «الحسنة بين السيئتين» و«خير الأمور أوسطها» و«لا جبر ولا تفويض، لكن أمرٌ بين أمرين»^(٢) التي صدرت عن ينبوع الولاية ليكشف عن سر هذا المعنى بقدر استعدادنا وإمكانيتنا، وتكون مترشحين بالشرحَات شر قدر الأفعال.

* * *

أسلوب التصحيح وتعريف المخطوطات:

في تصحيح رسالة خلق الأعمال للملّا صدرا كانت سبع مخطوطات في متناول يد المصحح فضلاً عن نسخة أوفست. واخترنا من بينها مخطوطة «دا (١)» كأساس عملنا وذلك بسبب قدمها التاريخي. وبناءً على طريقة كتابة المخطوطات بأسلوب مخطوطات القرن ١١ هـ ق. نسبها خبير المخطوطات في مكتبة جامعة طهران إلى تلك الفترة على سبيل الاحتمال والظن؛ كما اقترحت الجهة المنفذة لمؤتمر الملّا صدرا اعتماد هذه المخطوطة - إذ إنها مكتوبة بخط واضح - بعنوان النسخة الأصلية.

وبما أنّ هذه المخطوطة لم تكن خالية من الأخطاء، رأى المصحح أنّه من الأفضل أن يعتمد في تصحيح هذه الرسالة - التي سُميت في بعض المخطوطات باسم «رسالة الجبر والتفويض» - مخطوطة «آس (١)» الخاصة بتولية مقام الإمام الرضا عليه السلام، القرنين ١٢ و ١١ هـ ق كأولوية ثانية ومخطوطة «آس (٢)» الخاصة بتولية مقام الإمام الرضا عليه السلام - التي هي أقدم من المخطوطات الأخرى حيث

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

(٢) أصول الكافي (كتاب التوحيد)، ص ٢٢٤، حديث «لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين» مع بعض اختلاف، جاءت مفردنا (لكن) بدلاً عن «بل» و«أمرين» بدلاً عن «الأمرين».

كُتِبَ تاريخ كتابتها عام ١٠٩٤ هـ. ق. في نهاية المخطوطة - وكذلك مخطوطة «دم» - الخاصة بكلية الأدب التابعة لجامعة فردوسي في مشهد - حيث كتبت عام ١٢٧٢ هـ. ق، والتي تُعد من وجهة نظر المصحح أكثر المخطوطات جمالاً في الكتابة وأقلها خطأ، كأولويات أخرى في تصحيح الرسالة مقارنة بالمخطوطات الأخرى.

ومن الجدير ذكره أنّ المصحح قام بناءً على سياق العبارات وأصول وقواعد الفصاحة والبلاغة - حيث كان يرجّح عبارة أو كلمة واردة في مخطوطات أخرى - قام بإدخال النص المذكور في الكتاب وذكر العبارة أو كلمة الموجودة في المخطوطة الرئيسية في الهامش ليكون النص المصحّح خالياً من الأخطاء. ومن جهة أخرى تم استخدام أسلوب الكتابة العربية الحديثة في تصحيح العبارات واستعمال الأفعال للفاعلين المجازيين.

١. مخطوطة «دا ١» وأصلها يعود إلى السيد روضاتي ومدينة أصفهان؛ ويحتفظ بميكرو فيلم وتصويرها المرقمين ب «٢٧١١ و ٢٧١٢/٢» في المكتبة التابعة لجامعة طهران. وقد كتبت هذه المخطوطة بخط «النسخ» وبشكل مقروء. سجّل خير مخطوطات مكتبة جامعة طهران تاريخ كتابة هذه المخطوطة في حدود القرن الحادي عشر وذلك بناءً على أسلوب كتابتها. وقد كتبت في بداية المخطوطة «رسالة في تحقيق خلق الأعمال من إفادات المحقق العلامة صدر الحكماء والمحققين - ضاعف الله تعالى قدره». ولكن مع أنّ هذه المخطوطة تبدو أنها أقرب مخطوطة إلى عصر الملائ صدرها بناءً على أسلوب كتابتها تخميناً إلا أنها ليست خالية من الأخطاء. كتبت بهذه الآية: ﴿وَيَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي بَيْوتِكُمْ ۚ وَكُلُوا وَشَرُّوا وَلَكُمْ فِي بَيْوتِكُمْ لَاحُظٌ ۚ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

٢. مخطوطة «آس ١» المرقمة ٢٠٤٨ الخاصة بمكتبة تولية مقام الإمام الرضا (عليه السلام). كتبت هذه المخطوطة بخط النسخ وبأسلوب كتابة القرنين الحادي عشر والثاني عشر في إحدى عشرة صفحة ذات ١٧ سطراً، وهي مخطوطة ممتازة وقليلة الأخطاء إلا أنّ تاريخ كتابتها للأسف غير معلوم. وتُعد هذه المخطوطة جزءاً من مجموعة لرسائل مخطوطة متنوعة.

٣. مخطوطة «آس ٢» المرقمة ٤٦٥٢/١٧ الخاصة بمكتبة تولية مقام الإمام الرضا (عليه السلام). كتبت هذه المخطوطة بخط «شكسته نستعليق» في ست صفحات ذات ٢٤ سطراً. وفي نهاية المخطوطة سجلت تاريخ كتابتها في عام ١٠٩٤ هـ ق. وتنتهي المخطوطة بهذه العبارة: «وها هنا تمت الرسالة بعون الله وتوفيقه في سنة ١٠٩٤».

٤. مخطوطة «دم» والمسجلة برقم ٢٠٦٧٩ في مكتبة كلية الآداب التابعة لجامعة مشهد وأسلوب خطها «شكسته نستعليق» جميل جداً وهي في خمس صفحات ذات ٢١ سطراً، وجاءت كجزء من مجموعة رسائل مخطوطة. كما يمكن ملاحظة رسالة المحقق المير داماد أيضاً حول الجبر والتفويض في هذه المجموعة، وتاريخ كتابتها في غرة جمادي الثاني عام ١٢٧٢ هـ ق.، وباعتقاد المصحح لهذه المخطوطة أخطاء أقل مقارنة بالمخطوطات الأخرى. تنتهي المخطوطة بهذه العبارة: «وها هنا نختم الرسالة حامدين الله مصلين على النبي وآله خيرة الأمم الآتية والسابقة»، - اللهم صلّ عليهم وسلّم - بتاريخ غرة جمادي الثاني سنة ١٢٧٢.

٥. مخطوطة «مر» المرقمة ٤٧٦٣ والعائدة إلى مكتبة حضرة آية الله مرعشي النجفي (عليه السلام) في مدينة قم. وكتبت بخط النسخ الخاص بالقرن الثاني عشر وفي خمس صفحات ذات ٢٧ سطراً. وهذه الرسالة من ضمن مجموعة رسائل، وقد كتب السيد هداية الله الموسوي المراغي في الصفحة الأولى من المجموعة أنه أخذها أمانة من الميرزا محمد تقي. وفي نهاية الرسالة جاء: «قد تمت الرسالة الوافية الشافية في مسألة الجبر والقدر لصدر المتألهين صدر الدين محمد الشيرازي على يد العبد العاصي محمد مهدي الحسيني القمي في وطنه قم المحروسة - صانها الله عن الآفات - في سنة ١١١٦».

٦. مخطوطة «دا ٢» المسجلة برقم ٤٦٥٠/٢ ضمن مجموعة مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة طهران، وهذه المخطوطة هي ضمن مجموعة رسائل مخطوطة. نوع الخط هو النسخ وكتابت المجموعة هو شخص باسم علي أصغر شاه كوهي الذي كتبها للسيد حسن قايني في عام ١٢٢٦ هـ ق، إلا أن نهاية

رسالة «خلق الأعمال» لم يسجل تاريخ كتابتها. وتنتهي هذه المخطوطة بهذه العبارة: «ها هنا تم تحرير الرسالة وختم؛ حامدين لله مصلين على النبي وآله خير الأمم، اللهم صلّ عليهم وسلّم».

٧. مخطوطة «دا ٣» المسجلة برقم ٣٣٢٢/٧ في مكتبة جامعة طهران؛ كتبت بخط نستعليق وهي في إحدى عشرة صفحة. يعتقد خبير المكتبة أنّ هذه المخطوطة تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وفي الصفحة الأولى من هذه المخطوطة ثمة حاشية وكتبتها هو محمد قاسم فاضل الخلخالي وجاءت في حاشية الصفحة الأولى لهذه الرسالة عبارات في تعريفها من قبل قاسم المدعو بالفاضل الخلخالي كما يلي:

أظن أنّ هذه الرسالة في خلق الأعمال من الحكيم المتأله صدر الدين الشيرازي، لأنّه القائل باتّحاد النفس مع القوى؛ بل يقول: إنّ القوى مترتبة متنزّلة من النفس مع عدم تجافي مقامها، كما أنه بهذا المعنى قال في وحدة الوجود. وهذا المعنى يتبيّن تفصيلاً من الأسفار الأربعة وأيضاً مذكور في هذه الرسالة منه عليه السلام. إنّّه في الأسفار قائل في معنى خبر «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» أنّ اختيار العبد عين اضطراره، لأنّه في حين الاختيار يكون مجبوراً، كما قاله الغزالي في إحياء علوم الدين.

٨. مخطوطة «م» هي مخطوطة بخط النسخ طبعتها مكتبة مصطفى في قم بشكل أوفست ضمن مجموعة رسائل تحت عنوان رئيسي «الرسائل» لمؤلفه الحكيم الإلهي والفيلسوف الربّاني، صدر الدين محمد الشيرازي مجدد الفلسفة الإسلامية، وبعبارة «رسالة مسألة القدر في الأفعال» من صفحة ٧٧ - ٣٧١ وقد نسخ كاتب هذه الرسائل التسع، جميع الرسائل عام ١٣٠٢هـ، وذكر تاريخ استنساخ الرسائل المذكورة في العشرين من ذي القعدة الحرام ١٣٠٢. مع الأسف لم يذكر أي من الكاتب والناشر أي شيء عن المخطوطة الأصلية ومشخصاتها. وتعد هذه المخطوطة ذات أخطاء أقل أيضاً.

من المؤكد أنّ الاسم الكامل والصحيح لهذه الرسالة هو «خلق الأعمال»،

وبالخطأ كتب في فهرست وعنوانها «مسألة القدر في الأفعال»، لأنه في نهاية الرسالة نفسها جاء اسمها الصحيح والرئيس أي «خلق الأعمال» مع هذا الشرح: «تم تحرير الرسالة وختم حامدين لله مصلين على النبي وآله خير الأمم. اللهم صلّ عليهم أجمعين».

بسم الله الرحمن الرحيم وبه
سبحان منزه عن المحنة فلا يرى في ذلك الا حياء والويل
على من عصى ربنا البيضاء فما لم تصابح الصلوات اعلم ايها الناس
في الحج الى البيت العتيق بغير الايمان والحق في الزمان والوقت
في الدنيا في الدنيا من الدنيا التي تحرق فيها الامم واضطرت
فيها آفئاء الاقام وليس لنا رخصه في افسادها بالكلية
لكننا نعلم من هذا حقيقتنا فيها علما لا سلام ثم نشير اليهم
بسرور من طرقتا من الله عليهم السلام فنقول قد علمت انهم
الى الله متقيا اوحدا لقبا ذوا قدم على بعض الامم
وفرض اليهم الاختيار فمستقلون بما يبادوا على وفهم
ولحق قد تم ودعوا انهم الايمان والطاعة
وكره منهم الكفر والمعصية فالواحد على هذا يظهر مودتها
فائدة التكليف بالاوامر والنواهي وفايدها الوعد والوعيد
ومنها استحقاق الثواب والعقاب منها تزيه الله تعالى
عن ايجاد القبائح والشرور التي هي انواع الكفر والمعصية
وعزادها ولكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا اليه من الشك
لله تعالى ايجاد حقيقة ولا شبهة في اننا اشنع من جعل

هذا التحقيق يكشف سر قوله تعالى وما آتيتكم من
 ولكن الله ربي فليلب لي مني منه صلى الله عليه وآله
 انك لنزولك قوله تعالى يا بلرم نعيدهم الله يا يدك
 فليلب لقتل اليهم والتعذيب اليهم الله يا يديهم والتعذيب
 هناك عين لقتل هذا ما شاع لنا في مسئلة خلق العالم
 ما لا يعق الله للبدن العالي عند ضام الشكوك
 والاهواء وتراكم البدع والآراء في زمان شاع فيه
 الجهل والاسرار لا تباثنا نقش فيه الانكار والاستكثار
 الى حيث بعدا كعبا العلوم الانسية من جهة الشين
 والعاروبه نكارا المعارف الحقيقية يكتب الحاصلات
 ويكاد لنزولها من علم التوحيد والبلود والبار
 ويجوز القول الحق عليهم بدعوة الحق رب لا اله الا
 من الكافرين ديارا وعلى كل قوة شاربون وعلى شكرهم
 شاكرون وكل فريضة لديهم فريضة واجبة الله الا انتم
 فزودوا كرامكم

خلق الأعمال

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم^(١)

سبحان من تنزه عن الفحشاء ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء، والصلاة على صاحب شريعته^(٢) البيضاء وآله مصابيح الدجى^(٣).

بعد^(٤)، اعلم أيها الخائض في لجج هذا البحر العميق بقوة الإيمان والتحقق، أن مسألة القدر في الأفعال من الغوامض التي تحيرت فيها الأفهام وأضطربت فيها آراء الأنام^(٥)، وليس لنا رخصة في إفشاء سرها بالكلام^(٦).

لكننا ننقل مذاهب ذهب فيها علماء الإسلام، ثم نشير إلى لمعة يسيرة من طريق^(٧) أهل الله ﷺ^(٨). فنقول:

[١] ذهب جماعة^(٩) إلى أن الله^(١٠) أوجد العباد وأقدرهم على بعض الأفعال وفوض إليهم الاختيار^(١١)، فهم^(١٢) مُستقلّون^(١٣) بإيجادها^(١٤) على وفق مشيئتهم وطبق إرادتهم^(١٥)؛ وزعموا أنه^(١٦) أراد منهم الإيمان والطاعة، وكره منهم الكفر والمعصية. قالوا: وعلى هذا يظهر أمور:

-
- (١) آس ١، مر: + وبه ثقتي / آس ٢، دم: + وبه نستعين.
(٢) مر، آس ١، دم، آس ٢: شريعتنا. (٣) دم: + وأئمة الاهتداء.
(٤) مر، م، آس ١، آس ٢، دا ٢، دم: - بعد.
(٥) دم: الأقوال. (٦) دم: بالقليل والقال.
(٧) مر، دا ٣: طرق. (٨) دم: الصلاة والثناء.
(٩) آس ١، آس ٢، دا ٢، دا ٣: طائفة.
(١٠) آس ١، آس ٢: + تعالى / دم: + جلّ حلاله.
(١١) دم: + على وجه الاستقلال. (١٢) دا ١: بأنهم.
(١٣) دم: مستبدون. (١٤) مر: في إيجادها.
(١٥) آس ١، آس ٢، مر، دا ٢، دا ٣، دم: قدرتهم.
(١٦) دا ٣: + تعالى.

منها فائدة التكليف بالأوامر والنواهي، وفائدة الوعد والوعيد. ومنها استحقاق الثواب والعقاب. ومنها تنزيه الله تعالى^(١) عن إيجاد القبائح والشرور التي هي أنواع الكفر والمعاصي، وعن إرادتها.

ولكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا إليه من إثبات الشركاء لله^(٢) في الإيجاد حقيقة؛ ولا شبهة^(٣) في أنه أشنع^(٤) من جعل الأصنام^(٥) شفعاء عند الله^(٦). وأيضاً يلزمهم أن ما أراد ملك^(٧) الملوك لا يوجد^(٨) في ملكه، فإن ما كرهه^(٩) يكون موجوداً فيه؛ وذلك نقصان شنيع في السلطنة والملكوت، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١٠).

[٢] وذهبت^(١١) طائفة^(١٢) إلى أن لا مؤثر^(١٣) في الوجود إلا الله^(١٤) المتعالي^(١٥) عن الشريك في الخلق والإيجاد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد^(١٦)، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(١٧)؛ ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقييحها بالنسبة إليه، بل يحسن منه كل ما يفعل^(١٨) في ملكه، لأنه يفعل في ملكه لا في ملك غيره.

(١) مر، دا ٣: - تعالى.

(٢) دم: شركاء الله/ دا ٢: الشركاء الله آس ١: + تعالى.

(٣) مر: وشبهه. (٤) مر: امتنع.

(٥) آس ١، مر: للأصنام. (٦) دا ٣: - عند الله.

(٧) آس ١: مالك. (٨) دا ٣: - لا يوجد.

(٩) آس ١: وإن كرهه.

(١٠) تعالى الله... كبيراً، اشاره است به سورة اسراء، آية: ٤٣: ﴿وَقُلْ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

(١١) آس ١، آس ٢: ذهب.

(١٢) مر، دا ٢، دم، دا ٣، آس ١، آس ٢: + أخرى.

(١٣) دا ٢: - أن لا مؤثر. (١٤) دا ٢: إلى الله.

(١٥) م، آس ١، آس ٢: تعالى المتعالي/ دا ١: - المتعالي.

(١٦) يفعل... ما يريد: در این کلام اشاره است به سورة حج، آية: ١٨: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا

يَنَآءُ﴾، وهمچنین اشاره است به سورة مائدة، آية: ١: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

(١٧) سورة انبياء، آية: ٢٣. (١٨) آس ١: بفعله.

وهذه الأسباب التي أرتبط بها وجود الأشياء^(١) بحسب^(٢) الظاهر ليست أسباباً بالحقيقة ولا مدخل لها في الوجود لشيء^(٣)، بل إنما^(٤) هي أسباب عادية جرت سُنَّة^(٥) الله^(٦) وعادته^(٧) بأن يوجد تلك الأسباب ثم يوجد عقيبتها^(٨) مسبباتها. وكلها صادرة منه ابتداءً من غير ترتب بعضها عن بعض^(٩) وتوقف بعضها على بعض^(١٠). وقالوا: في ذلك تعظيم لقدرة^(١١) الله تعالى وتقديس لها^(١٢) عن شوائب النقصان في الحاجة إلى غيره^(١٣).

ولا شك أن هذا المذهب فيه إبطال للحكمة^(١٤) والترجيح، وعزل للعقل^(١٥) عن قضاياه^(١٦)، وسدّ لإثبات الصانع^(١٧)، وغلق لأبواب الفكر^(١٨). وأيضاً فيما ذكره^(١٩) تجويز للظلم على الباري ووضعه للأشياء غير مواضعها^(٢٠)، حتى إنه يجوز عليه^(٢١) عندهم تعذيب الأنبياء ﷺ^(٢٢) وتكريم الكفار في دار القرار وأخذ الصاحبة والولد^(٢٣) والشريك، إلى غير ذلك من المفاسد القبيحة التي مبناها

-
- (١) مر: ارتبط وجود الأشياء به. (٢) دا ٢: بحيث.
- (٣) مر: ولا مدخل لها في الوجود شيء/ آس ١: ولا شيء مدخل لها في الوجود/ دا ٢: لا يدخل لها.
- (٤) م: هي إنما/ دا ٣: إنما هو. (٥) آس ١: مشية.
- (٦) آس ١، آس ٢: + تعالى. (٧) دم: - جرت سُنَّة الله وعادته.
- (٨) دا ١: - عقيبتها/ م: عقيها.
- (٩) آس ١: ترتيب بعضها على بعض/ مر: ترتيب....
- (١٠) آس ١: - وتوقف بعضها على بعض/ دم: وتوقف بعض على بعض.
- (١١) دم: القدرة. (١٢) آس ١: له/ مر، دا ٣: - لها.
- (١٣) مر: عزه. (١٤) مر: - للحكمة.
- (١٥) مر، آس ١، آس ٢: العقل. (١٦) : + على الرأي الصحيح.
- (١٧) دا ٢: المصانع. (١٨) دم: + في الصانع.
- (١٩) مر: وذكره.
- (٢٠) آس ١: ووضع للأشياء في غير/ آس ٢: وضع الأشياء في غير/ دم: ووضع الأشياء غير مواضعها.
- (٢١) دا ١: - يجوز عليه/ دا ٣: - عليه.
- (٢٢) مر، دا ٢، دم، دا ٣، آس ١، آس ٢: + عقلاً.
- (٢٣) الباره است به سورة انعام، آيه: ١٠١: ﴿أَنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَكِنْ لَكُنْ لَهُ مَرْجَةٌ﴾، وسورة جن، آيه: ٣: ﴿مَا آتَاكَ مَرْجَةٌ وَلَا وَلَدًا﴾.

على إبطال الحكمة والعقل. وفي إبطاله إبطال النقل أيضاً، لأن إثبات النقل إنما يكون بالعقل^(١). تعالى الباري القيوم عما يقولون^(٢) علواً كبيراً^(٣).

[٣] وذهب آخرون^(٤) إلى^(٥) أن الله تعالى^(٦) قادر على كل الأشياء، لكن الأشياء^(٧) في قبول الوجود متفاوتة^(٨)؛ فبعض^(٩) منها^(١٠) لا يقبل الوجود إلا بعد وجود الآخر، كالعرض الذي لا يوجد إلا بعد وجود الجوهر وكالمرتب الذي لا يوجد إلا بعد البسيط.

فقدرته تعالى في غاية الكمال تفيض^(١١) الوجود على الممكنات بحسب قابليتها المتفاوتة. فبعضها صادر^(١٢) عن قدرته بلا سبب، وبعضها بسبب أو^(١٣) أسباب؛ وليس في ذلك لزوم الاحتياج له تعالى في إيجاد^(١٤) ذي الوسط إلى ذلك الوسط^(١٥) حتى يكون بوسط^(١٦)، كالألة فيمن^(١٧) يفعل شيئاً بالآلة، كفعلنا الكتابة بالقلم والإحساس بالحس، حاشا القيوم عن ذلك. وكيف يتصور ذلك في حق من يصدر عنه السبب المتوسط وذو السبب^(١٨) جميعاً فهو مسبب الأسباب من غير سبب؟! فالله سبحانه يوجد الممكنات على أبلغ النظام^(١٩) وأفضل الوجود^(٢٠).

(١) دا ٣: بإبطال العقل.

(٢) آس ٢: يقول الظالمون/ دم: + عما يقوله كل جهول وظلوم/ مر: - أيضاً... يقولون.

(٣) اشاره است به سورة اسراء، آية: ٤٣: ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَٰ ۖ عَلَوًا كَبِيرًا﴾.

(٤) آس: ذهب الآخرون/ دا: ذهب طائفة. (٥) آس ٢: - إلى.

(٦) مر، م: - تعالى. (٧) دا ٢: - لكن الأشياء.

(٨) دا ٢: متفاوتة. (٩) دم: فبعضها.

(١٠) دا ٣: - منها. (١١) مر، آس ١: يفيض/ آس ٢: لفيض.

(١٢) دا ٢: صار. (١٣) دا ١: و.

(١٤) دا ٢: الإيجاد. (١٥) مر: الواسطة.

(١٦) م، مر، آس ١، آس ٢: ذلك الوسط/ دا ٣: - بوسط.

(١٧) دا ٣: فيما. (١٨) آس ١، مر، آس ٢: ذي السبب.

(١٩) آس ٢: نظام. (٢٠) آس ٢: موجود/ آس ١: وجوه.

فَالصَّادِرُ مِنْهُ^(١) إِمَّا خَيْرٌ مُحَضٌّ كَالْمَلَائِكَةِ^(٢) وَمِنْ وَالَاهُمْ، وَإِمَّا^(٣) مَا يَكُونُ الْغَالِبُ فِيهِ الْخَيْرُ عَلَى الشَّرِّ، فَيَكُونُ الْخَيْرَاتُ دَاخِلَةً فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٤) بِالْأَصَالَةِ، وَالشَّرُّورُ وَاللَّازِمَةُ لِلْخَيْرَاتِ الَّتِي مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي لِلْخَيْرِ^(٥) دَاخِلَةً فِيهَا بِالتَّبَعِ. وَمِنْ ثَمَّ^(٦) قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يَرِيدُ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ الصَّادِرَةَ^(٧) عَنِ الْعِبَادِ، لَكِنْ لَا يَرْضَى بِهِ^(٨)؛ عَلَى قِيَاسٍ مِنْ لَسَعْتَ^(٩) الْحَيَّةِ إِصْبَعَهُ يَخْتَارُ قِطْعَهَا^(١٠) بِإِرَادَتِهِ، لَكِنْ بِتَبَعِيَّةٍ^(١١) إِرَادَةِ السَّلَامَةِ لِلشَّخْصِ، وَلَوْلَاهَا لَمْ يَرُدَّ الْقِطْعُ^(١٢) أَصْلًا؛ فَيَقَالُ: «هُوَ يَرِيدُ السَّلَامَةَ وَيَرْضَى بِهَا، وَيَرِيدُ الْقِطْعَ وَلَا يَرْضَى بِهِ^(١٣)» إِشَارَةً^(١٤) إِلَى هَذَا الْفَرْقِ الدَّقِيقِ.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ أَصَحُّ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَأَسْلَمُ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَأَصُونُ^(١٥) عِنْدَ ذَوِي الْبَصَائِرِ^(١٦) النَّافِذَةُ^(١٧) عَلَى حَقَائِقِ الْمَعَارِفِ وَقَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ، فَإِنَّهُ مُتَوَسِّطٌ^(١٨) بَيْنَ الْجَبَرِ وَالتَّقْوِيضِ؛ فَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

[٤] وَذَهَبَتْ^(١٩) طَائِفَةٌ أُخْرَى - وَهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ - [إِلَى] أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى تَفَاوُتِهَا وَتَرْتِبِهَا^(٢٠) فِي الشَّرَفِ الْوُجُودِيِّ وَتَخَالَفِهَا^(٢١) فِي الذُّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَتَبَايُنِهَا^(٢٢) فِي الصِّفَاتِ وَالْآثَارِ، تَجْمَعُهَا^(٢٣) حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ

(١) دا ٢: - منه.

(٢) دا ٣: وَإِنَّ.

(٣) م: - للخير.

(٤) مر: - الصَّادِرَةُ.

(٥) م: لَدَعْتُ / مر: لَسَعْتُ.

(٦) دا ٢: يَتَّبِعُهُ.

(٧) دا ٣: - ٤ / دم: بِهَا.

(٨) دا ٢: رَضُونُ.

(٩) دا ١، آس ٣، م: ذِي الْبَصَائِرِ / دم: ذَوِي الْأَبْصَارِ.

(١٠) (١٨) آس ١: يَتَوَسَّطُ.

(١١) (١٩) دم، دا ١: ذَهَبَ / آس ١، مر، آس ٢، م: ذَهَبَتْ إِلَى.

(١٢) (٢٠) دم: وَتَرْتِبِهَا.

(١٣) (٢١) آس ١: تَبَايُنَ.

(١٤) (٢٢) دم، م، مر، آس ٢: يَجْمَعُهَا / دا ٣: تَجْمِيعُهَا.

إلهية، جامعة لجميع حقائقها ودرجاتها وطبقاتها؛ مع أن تلك الحقيقة في غاية البسطة^(١) والاحدية، ينفذ^(٢) نوره في أقطار^(٣) جميع الموجودات من السماوات والأرضين. لا ذرة^(٤) من ذرات الأكوان الوجودية إلا^(٥) ونور الأنوار محيط^(٦) بها وقاهر عليها، وهو قائم^(٧) على كل^(٨) نفس بما^(٩) كسبت.

وهذا الذي ذهبوا إليه مما أقيم عليه^(١٠) البرهان طبق ما شاهدوه^(١١) بالبصيرة^(١٢) والعيان. فإذن، كما أنه ليس شأن^(١٣) إلا وهو شأنه^(١٤)، فكذلك ليس فعل إلا وهو فعله ولا حكم إلا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١٥)؛ يعني كلّ حول حوله وكلّ قوة قوته مع علوه^(١٦) وعظمته. فهو مع علوه وعظمته ينزل^(١٧) منازل الأشياء ويفعل فعلها، كما أنه مع غاية^(١٨) تجرّده^(١٩) تقدّسه عن جميع الأكوان لا يخلو منه^(٢٠) أرض ولا سماء، كما قال إمام الموحدين علي^(٢١) عليه السلام: «مع^(٢٣) كل شيء لا بمقارنة^(٢٤)، وغير كل شيء لا بمزايلة^(٢٥)».

-
- | | |
|---|---------------------------------------|
| (١) مر: الباطن. | (٢) م: ينفذ. |
| (٣) دا ٢: اقطا. | (٤) دا ٢: - لا ذرة من/ دا ٢: لا ذرات. |
| (٥) دم: - الآ. | (٦) دا ٢: ومحيط. |
| (٧) آس ١، دم: عالم. | (٨) دا ٣: - كل. |
| (٩) آس ٢: ما. | (١٠) دم: - عليه. |
| (١١) آس ١: ساهدوه/ آس ٢: شهدوه/ مر: شاهدوا. | |
| (١٢) دا ٣: وبالبصيرة. | (١٣) آس ١: ليس شيان. |
| (١٤) دا ٢: شؤونه. | |
| (١٥) آس ٢: - ليس فعل إلا وهو فعله ولا حكم إلا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. | |
| (١٦) آس ٣: علوته. | (١٧) دا ٢: ينز. |
| (١٨) آس ١: - غاية. | (١٩) دم: - و. |
| (٢٠) آس ١: عنه. | (٢١) آس ٢: + بن أبي طالب. |
| (٢٢) آس ١: + الصلوة و. | (٢٣) دا ١، دا ٣، آس ٣، م: وهو مع. |
| (٢٤) دا ٣: لا بمفارقة. | |
| (٢٥) به نقل از «نهج البلاغة» امام علي بن أبي طالب عليه السلام، خطبه اول، صبحي الصالح، ص ٤٠. | |

فإذا تحقَّق^(١) هذا المقام، ظهر^(٢) أنَّ نسبة الفعل والإيجاد إلى العبد صحيح كنسبة الوجود والتَّشخُّص^(٣) إليه من الوجه الَّذي ينسب إليه تعالى. فكما أنَّ وجود زيد^(٤) بعينه أمر متحقَّق في الواقع، وهو شأن من شؤون الحقِّ الأوَّل ولمعة من لمعات وجهه؛ فكذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقيقة^(٥)، لا بالمجاز. ومع ذلك، ففعله أحد أفاعيل الحقِّ الأوَّل بلا شوب^(٦) قصور وتشبيه^(٧)، تعالى الواحد القيُّوم عن نسبة النقص والشَّين إليه. والتَّنزيه^(٨) والتَّقديس^(٩) بحاله، فإنَّ^(١٠) التَّنزيه والتَّقديس يرجع^(١١) إلى مقام الأحديَّة^(١٢) الَّتِي يستهلك فيه كل شيء، وهو الواحد القَهَّار الَّذي ليس أحدٌ غيره في الدَّار؛ والتَّشبيه راجع إلى مقامات الكثرة والمعلوِّيَّة، والمحامد كُلُّها راجعة إلى وجهه الأحدي، وله عواقب الشَّاء والتَّقاديس^(١٣).

وذلك لأنَّ شأنه إفاضة^(١٤) الوجود على الكلِّ، والوجود كلُّه خير محض وهو المَجْعول^(١٥)؛ والشُّرور أعدام، والأعدام غير مجعولة، وكذا الماهيات ما شمت رائحة الوجود^(١٦). فعين^(١٧) الكلب نجس، ووجوده الفائض عنه تعالى عليه طاهر^(١٨)؛ والكافر نجس العين من حيث ماهيَّته وعينه الثابت، لا من حيث

(١) مر: تحققت. (٢) مر: - ظهر.

(٣) دا ٣، م: الشَّخص. (٤) مر: - صحيح... زيد.

(٥) دا ١: - بالحقيقة. (٦) مر: بلا شوب.

(٧) دا ١، دا ٢، دا ٣: ونسبته/ آس ١، مر: تشبيه.

(٨) دا ٣، آس ١: فالتَّنزيه. (٩) مر: + لله.

(١٠) آس ١: لأنَّ. (١١) آس ١: مرجع.

(١٢) مقام احديَّت دلالت بر مقام انقطاع كثرات نسبي ووجودي وفناء كثرات در احديَّت ذات

حق دارد. ر. ك: عبد الرحمن بن احمد جامي، «نقد النصوص في شرح نقش الفصوص»،

تهران، ١٣٧٠ هـ ش، ص ٣٥.

(١٣) آس ١: التَّقديس. (١٤) م: افاضه.

(١٥) م: مجعول.

(١٦) ابن هبَّارت در كُتب ورسائل ابن عربي بسيار آمده است ومؤلف آن را از او اخذ کرده

است.

(١٧) آس ١: ظاهر.

(١٨) آس ١: پنی.

وجوده، لأنه الظاهر الأصل؛ كنور^(١) الشمس الواقع على القاذورات والأرواث، فإنه لا يخرج عن نورانيته وضيائه وصفائه لوقوعه^(٢) عليها، ولا يتصف بصفاتها من الرائحة الكريهة والكدورة الشديدة. فكذلك كل وجود وكل أثر وجود من حيث كونه وجوداً ومن حيث كونه أثر وجود خير محض^(٣)، ليس بشر ولا قبيح^(٤). ولكن من حيث نقصه عن التمام شر، ومن حيث^(٥) [منافاته لخير] آخر قبيح. وكل من ذلك راجع^(٦) إلى نحو العدم^(٧)، والعدم غير مجعول لأحد. فالحمد لله العليّ الكبير^(٨).

فهذا حاصل هذا المذهب. ولا شبهة في أن^(٩) الأخير عظيم الرتبة شديد^(١٠) المنزلة؛ لو تيسر الوصول إليه لأحد، ينال الشرف الأعلى والبهجة الكبرى. وبه يندفع جميع الإشكالات والشبه الواردة على خلق الأعمال. وبه يظهر معنى كلام الإمام عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»^(١١)؛ إذ ليس المراد به أن^(١٢) في^(١٣) فعل العبد وقع^(١٤) تركيب بين الجبر والاختيار^(١٥)، ولا^(١٦) معناه أن فيه خلواً عن الجبر والاختيار^(١٧)، ولا أيضاً أن العبد له اختيار ناقص وجبر^(١٨)

(١) آس ٢: كالنور. (٢) دم، مر، آس ١، آس ٢: بونوعه.

(٣) آس ٢: + وحسن/ دا ١: - محض/ دا ٢، دا ٣، مر، م: خير وحسن/ دم: خير حسن.

(٤) دم: ولا قبيح.

(٥) دا ١: ومن حيث ماهياتها فإنه غير آخر. عبر متن ترجيح داده شد.

(٦) م: مراجع. (٧) آس ٢: عدم.

(٨) تلميحاً اس به سورة حج، آية: ٦٢: ... ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

(٩) دا ٢: - أن.

(١٠) دا ٣، م: شديد.

(١١) ابن خبر مروى از امام صادق عليه السلام است: «أصول الكافي»، كتاب «التوحيد»، حديث ١٣

اصل خبر چنین است: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين.

(١٢) دا ١، دا ٢، دا ٣، مر: في أن.

(١٣) دا ٣: وقع یرغب/ مر: وقع مرکباً من. (١٤) مر: التفويض.

(١٥) دا ٣: - ولا معناه... والاختيار/ مر: ولا معناه إلنا.

(١٦) دم: خلواً عنهما. (١٧) آس ٢: غير.

ناقص، ولا أنه اختيار من جهة واضطرار من جهة أخرى، ولا أنه^(١) مضطر في صورة الاختيار كما وقع في عبارة الشيخ^(٢) أبي علي^(٣). بل المراد أنه مختار من حيث هو مجبور، ومجبور^(٤) من حيث هو مختار، بمعنى أن اختياره بعينه اضطرار^(٥).

ولنذكر لهذه^(٦) المذاهب الأربعة^(٧) أمثلة، فنقول^(٨): مثال المذهب الأول كالحرارة النارية. ومثال المذهب الثاني كالبرودة المائية. ومثال المذهب الثالث - وهو قول من يقول: إذا نسب الفعل إلى فاعله القريب كالعبد، حكم^(٩) عليه بأنه مختار؛ وإذا نسب إلى جميع الأسباب السابقة عليه من سلسلة الموجودات السالفة^(١٠)، حكم عليه بأنه مجبور [عليه]^(١١) - كالكيافة التي في الماء الفاتر، فإنه يقال: لا حار ولا بارد بل فيه حرارة ضعيفة وبرودة ضعيفة. ومثال المذهب الرابع كحال الفلك عند التحقيق^(١٢)؛ فإن الفلك جامع لهذه الكيفيات^(١٣) على وجه البساطة، بمعنى^(١٤) أن له كيافة واحدة بسيطة، هي بعينها كل كيافة توجد^(١٥) في العناصر متفرقة لنقص وجود العنصر. فحرارة السماء ليست ضد برودتها و^(١٦) بالعكس، وكذا رطوبتها ليست ضد يبوستها وبالعكس^(١٧)، بل الجميع واحدة بسيطة^(١٨). وليس الفلك كالمعتدل العنصري^(١٩) الذي يوجد فيه الكيفيات مكسورة الشدة، لأنه شديد القوى^(٢٠)

(١) دا ٢: ولأنه. (٢) مراد او از شيخ، ابو على سينا است.

(٣) دا ٣، آس ١، آس ٢: - . (٤) دا ٣: - من حيث هو مجبور ومجبور.

(٥) دا ٢، آس ١، آس ٢: اضطراره. (٦) دا ٢: لهذا.

(٧) دا ٢، دم: - الأربعة. (٨) آس ٢: فيقول.

(٩) دا ٢: بحكم. (١٠) دم، دا ٣، آس ١. آس ٢: السابقة.

(١١) آس ١، آس ٢: حكم بأنها مجبور/ مر، م: - مجبور عليه/ دا ١: - عليه.

(١٢) دا ٣: + أن التحقيق.

(١٣) مر: - لأنه يقال... لهذه الكيفيات. (١٤) مر: معنى.

(١٥) مر، آس ١، آس ٢: يوجد. (١٦) دا ١، دا ٢: - و.

(١٧) دم: وكذلك الرطوبة واليبوسة فيه. (١٨) دا ٢: الواحد وبسيط.

(١٩) دا ١: المنصر. (٢٠) م: شديد القوى.

لكمال^(۱) صورته الفلكية الخارجة عن^(۲) جنس هذه الصور^(۳) ذاتاً وكيفية.

وانت أيها الراغب إلى تحقيق الحق، الساعي إلى ساحة^(۴) عالم التقديس، لا تكن^(۵) ممن أنصف بأنوثة التشبيه المحض ولا بفحولة التنزيه الصّرف ولا بخنوثة^(۶) الجمع بينهما كمن هو ذو الوجهين؛ بل^(۷) كن مقتدياً بسُكّان صوامع الملكات الذين هم من العالين^(۸)، ليست لهم شهوة أنوثة التشبيه ولا غضب^(۹) ذكورة التنزيه ولا الخلط^(۱۰) ولا الامتزاج بين الصّفتين^(۱۱)، وإنما هم من أهل الوحدة^(۱۲) الجمعية الإلهية^(۱۳). فإن الله سبحانه عالٍ في دنوّه، داني في علوّه، واسع^(۱۴) برحمته كلّ شيء، لا يخلو^(۱۵) منه أرض ولا سماء: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(۱۶)، ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾^(۱۷). (الآية).

(۱) مر: فكمال. (۲) دا ۳، م: من.

(۳) دا ۳، مر، آس ۲، آس ۲: الصورة. (۴) آس ۲: - ساحة.

(۵) دا ۱، آس ۲: لا يكن. (۶) دا ۳: ولا خنوثة.

(۷) دا ۱: - بل.

(۸) دم، دا ۳، آس ۱، آس ۲، مر: العالمين. (۹) مر: ولا عقيب.

(۱۰) آس ۲: ولا الخلط.

(۱۱) دا ۲: - الصّفتين/ دا ۱، آس ۲: الصّفتين. (۱۲) آس: الواحدة.

(۱۳) «الوحدة الجمعية الإلهية» اشاره به تعیین اول است که بعضی از بزرگان از حیث جنبه

برزخی و واسطه بودن بین عالم غیب و شهود آنرا «حقیقة الحقایق» تعبیر کرده اند. بعضی آنرا

«برزخ اکبر» نامیده، زیرا صاحب این مقام، همان باطن مقام «قاب قوسین» یعنی قرب

قوس وحدت و کثرت است. باطن این مقام، همان مقام «أو أدنى» نسبت به دو قوس

مذکور می باشد. در دایره وحدت جمعی بهیچوجه نمی توان میان احدیت و واحدیت تمایز

فائد شد. و بعضی از بزرگان عرفا از این مقام به «حقیقت محمدیه» که در مرکز وسطیت

و برزخیت و عدالت قرار دارد، تعبیر کرده اند بگونه ای که در این مقام حکم هیچ اسم

وصفی براو غلبه پیدا نمی کند. (ر. ک: «نقد النصوص فی شرح نقش الفصوص»، عبد

الرحمن بن احمد جامی، صص ۷ - ۱۳۶ همچنین ر. ک: «شرح منازل السائرین»، خواجه

عبد الله انصاری، تصحیح علی شیروانی، قم، ۱۳۷۳ هـ ش، ص ۶۸).

(۱۴) دا ۴: ووسع. (۱۵) دا ۲: لا یخلق.

(۱۶) سورة حدید، آیه: ۴. (۱۷) سورة مجادله، آیه: ۷.

إن^(٢) أردت مثلاً لأن تعلم به^(٣) كيفية كون الأفعال الصادرة عن العباد هي بعينها فعل الحق - لا كما يقوله الجبري ولا كما يقوله القدري ولا كما يقوله الفلسفي -، فانظر إلى أفعال الحواس والقوى التي^(٤) للنفس^(٥) الإنسانية التي خلقها الله مثلاً له تعالى^(٦) ذاتاً^(٧) وصفة وفعلاً، لقوله^(٨) ﷻ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٩)؛ فإن التحقيق عند النظر^(١٠) العميق أن فعل كل حاسة وقوة من حيث هو^(١١) فعل تلك القوة^(١٢) فعل النفس. فالإبصار مثلاً فعل البصر وكذا السمع فعل السمع بلا شك، لأنه^(١٣) لا يمكن شيء منهما^(١٤) إلا بانفعال جسماني؛ وهو بعينه فعل النفس بلا شك، لا كما اشتهر^(١٥) في الحكمة الرسمية أن النفس^(١٦) تستخدم^(١٧) القوة كمن يستخدم^(١٨) كاتباً أو ناقشاً. والفرق بأن^(١٩) الاستخدام هاهنا طبيعي وهناك غير طبيعي، بل كما حقق في مقامه من أن النفس بعينها تكون^(٢٠) عيناً باصرة وأذنًا سامعة وكذا تكون^(٢١) كل^(٢٢) قوة باطشة في اليد وقوة ماشية^(٢٣) في الرجل، فيها^(٢٤) تبصر العين

(١) مر، دا ٢، دم، دا ٣، آس ٢: - تمثيل. (٢) دا ٣: من.

(٣) آس ٢: - به.

(٤) دا ٢: - عن العباد هي... والقوى التي.

(٥) دم: - التي / دم: + بالنسبة إلى انفس. (٦) دا ٣: - تعالى.

(٧) آس ١، آس ٢: - ذاتاً. (٨) آس ٢: بقوله.

(٩) «بحار الأنوار» ٣٢/٢، منقول از مصباح الشريعة.

(١٠) (١١) دا ٣: - هو.

(١٢) (١٣) آس ٢: - الفؤة / آس ١، آس ٢: + و/مر: + هو.

(١٤) (١٥) دا ١، دا ٢، دا ٣، مر، مل: منها.

(١٦) (١٧) دا ٣: - النفس.

(١٨) (١٩) آس ٢: - استخدم.

(٢٠) (٢١) آس ١: بين.

(٢٢) (٢٣) دا ١، مر، آس ١، آس ٢: يكون.

(٢٤) (٢٥) آس ٢: - كل.

(٢٦) (٢٧) دا ١، دا ٢، آس ١: فيها يبصر.

الباصرة^(١) وبها^(٢) [تسمع] الأذن السّامعة وبه [تبطش] اليد الباطشة وبها [تمشي] الرّجل الماشية.

فالنّفس مع تجرّدها وتنزّها عن البدن وقواه، لا يخلو^(٣) منها جزء من أجزاء البدن عالياً كان أو سافلاً، ولا [تفوتها^(٤)] قوة من القوى، بمعنى أن لا هوية^(٥) للقوى غير هوية النّفس؛ لأنّ للنّفس هوية أحديّة^(٦) عقلية جامعة لهويات^(٧) سائر القوى والأجزاء، يستهلك عندها^(٨)، ويضمحلّ لديها^(٩) هويات سائر القوى والأجزاء، لأنّها محيطة^(١٠) بها^(١١) قاهرة عليها، منها مبدؤها وإليها منتهاها؛ كما أنّ النّفس من الله مشرقها وإلى الله مغربها، وكذا جميع الأشياء منه تبندى وإليه تعود وتصير^(١٢). فالنّفس وهي القلب المعنويّ، أمير الحواس والجوارح^(١٣)، فلا يكون من الجارحة^(١٤) فعل إلّا بإرادة النّفس؛ ولولا إرادة^(١٥) النّفس؛ كانت الجارحة^(١٦) جماداً لا حركة فيها. ثمّ إرادة النّفس كوجودها لا تنشأ من^(١٧) ذاتها؛ وإنّما تنشأ من إرادة الله^(١٨) التي هي عين ذاته، وإنّما الله يخلق فيها إرادة ومشية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١٩). فكما^(٢٠)

(١) مر: - وأذنًا سامعة... العين الباصرة/ آس ٢... وكذا بكيفية قوّة باطشة وقوّة ناشية في الرّجل.

(٢) آس ١، آس ٢: - بها.

(٣) (٣) دا ٢: لا يخلق.

(٤) مر: ولا يقوتها/ آس ٢: لا يقويها/ آس ١: لا لقوتها/ دم: ولا ينسب منها قوة.

(٥) آس ١: الأهوية.

(٦) آس ١: فهويات.

(٧) آس ١: بها.

(٨) دم: - هويات سائر القوى والأجزاء لأنها محيطة.

(٩) دم: - بها.

(١٠) مر، دا ٣، دم، دا ٢، آس ٢: منه يبتدى وإليه يعود وبصير.

(١١) (١٣) آس ١: أمير الجوارح والحواس.

(١٢) (١٤) دا ٢: من الخارجة.

(١٣) (١٥) آس ٢: أراد.

(١٤) (١٦) دا ٢: الخارجة.

(١٥) (١٧) مر: - جماداً... تنشأ من.

(١٦) (١٨) دم، دا ٢: + تعالى.

(١٧) (١٩) سورة انسان، آه: ٣٠ سورة تكوير، آه: ٢٩.

(١٨) (٢٠) آس ١: كما.

ينشأ من النفس في الباصرة شعاعٌ تدرك به^(١) الألوان والأضواء وفي السامعة قوة تدرك بها^(٢) الأصوات، فكَذَلِكَ يَخْلُقُ اللهُ فِي النَّفْسِ إِرَادَةً وَعِلْمًا تَدْرِكُ وَتَتَصَرَّفُ^(٣) فِي الْأُمُورِ. وَعِنْدَ هَذَا التَّحْقِيقِ يَنْكَشِفُ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا﴾^(٤)، فَسَلْبُ الرَّمْيِ مِنْهُ ﷺ مِنْ حَيْثُ أُثْبِتَ^(٥) لَهُ؛ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَلَوُّهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾^(٦)، فَنَسَبُ الْقَتْلِ إِلَيْهِمْ وَالتَّعْذِيبُ إِلَى اللَّهِ بِأَيْدِيهِمْ، وَالتَّعْذِيبُ هُنَاكَ عَيْنُ الْقَتْلِ.

فهذا ما سنح لنا^(٧) في مسألة خلق الأعمال ممّا ألهمني الله المدرك^(٨) الفعّال^(٩) عند تصادم الشُّكُوكِ والأهواء وتراكم البدع والآراء في زمان شاع فيه الجهل والإضرار^(١٠) لأبنائه^(١١) وانتشر فيه الإنكار والاستنكار^(١٢)؛ إِلَى حَيْثُ^(١٣) يَعْدُ^(١٤) اكْتِسَابُ الْعُلُومِ^(١٥) الْإِلَهِيَّةِ مِنْ جَمَلَةِ الشَّيْنِ وَالْعَارِ، وَبِإِنْكَارِ الْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ^(١٦) يَكْتَسِبُ^(١٧) الْجَاهُ وَالْاِفْتِخَارَ، وَيَكَادُ أَنْ يَنْقَرِضَ^(١٨) أَهْلُ عِلْمِ^(١٩) التَّوْحِيدِ مِنَ الْبِلَادِ وَالْدِّيَارِ، وَيَحَقُّ الْقَوْلُ^(٢٠) عَلَيْهِمْ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ^(٢١):

-
- (١) مر، آس ١، آس ٢: يدرك به/ دم: يدرك بها.
 (٢) آس ١: يدرك به/ دم: يدرك بها. (٣) مر، آس ١، آس ٢: يدرك ويتصرف.
 (٤) سورة انفال، آية: ١٧. (٥) دا ٢: - أثبت.
 (٦) سورة توبه، آية: ١٤. (٧) دا ٢: لى.
 (٨) آس ١: للدرك. (٩) دا ٢: فعّال.
 (١٠) دا ١، آس ٢، آس ١: الإضرار/ مر: - والإضرار.
 (١١) مر: + والإضرار.
 (١٢) آس ٢: الأذكار والاستكبار/ مر: الإنكار والاستكبار.
 (١٣) دا ٣: حين. (١٤) مر: يعدّون/ آس ٢: الصبر.
 (١٥) دا ٢: المعلوم. (١٦) دم: الحقّة.
 (١٧) مر: يكتسب. (١٨) آس ٢: أن ينقرض/ مر: ينقرض.
 (١٩) مر: - علم. (٢٠) آس ٢، م: الحق.
 (٢١) مر، دا ٢: المحقّ/ ابن عِبَارَتِ مُسْتَفَادَ اسْتِ از آهَاتِ هِسَارِ، از جملته: ﴿لَوْلَيْكَ الَّذِينَ حَكَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (سورة احقاف، آية: ١٨)؛ ﴿وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (سورة فصلت، آية: ٢٥).

﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ صَيَّارًا﴾^(١). ولكل قهوة^(٢) شاربون وعلى
سكروهم^(٣) شاربون^(٤)، و﴿كُلْ حِزْبًا بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ﴾^(٥)، ﴿وَبِكَ لَئِنْ لَمْ
يُنْذِرْ لَوْ كَفَرُوا الْكَافِرُونَ﴾^(٦).

...

-
- (١) سورة نوح، آية: ٥٢.
(٢) آس ١: وعلى كل قهوة/ دا ٢: او لكل قهوة.
(٣) آس ١: وعلى سكروهم/ دا ٢: - وعلى.
(٤) دم، دا ٣، م، آس ١، آس ٢: شاكرون/ دا ٢: شاربون.
(٥) سورة مؤمنون، آية: ٥٣؛ سورة روم، آية: ٣٢.
(٦) مر: - ولكل قهوة... الكافرون.
(٧) سورة توبه، آية: ٣٢.

رسالة في القضاء والقدر

تحقيق وتقديم

الدكتور مهدي دهباشي

القضاء والقدر

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستمد ونستعين^(١)

الحمد لله الذي أخرج من مكنونات عنايته ما أدرج في القلم، وأبرز إلى فضاء^(٢) الوجود ما خفي في العدم، وفتق ما رتق^(٣)، وأظهر ما كتم، وعلم بالقلم اللوح المحفوظ ما لم يكن يعلم^(٤)، وفصل وقرر^(٥) في النفس ما أجمل في العقل، وقضى^(٦) وحكم ونشر ما أرج وأدغم^(٧)، وفتح بالهباء الموسوم بالهولي والعنقاء صورة العالم. والصلاة على الكلمات^(٨) الثمات والإنيات^(٩) الفاضلات^(١٠) سيما مظهر الاسم^(١١) الأعظم والناهض بأعباء^(١٢) الرسالة في

(١) مر ١، مر ٢، مج ٣: - وبه نستمد ونستعين/ مج ٢، مج ٤: - وبه نستمد/ مر ٢: + والتوفيق من العلي العظيم.

(٢) مج ٤: قضاء.

(٣) اشاره است به آية شريفة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ سورة انبياء، آية: ٣٠.

(٤) اشاره است به آية شريفة: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، سورة علق، آية: ٤.

(٥) همه نسخه ها «مر ٤١: قدر». (٦) مج ٢: - وقضى.

(٧) مج ٢: وأغم.

(٨) تلمحي است به احاديثي از اين قبيل: إني أسألك بأسمائك وكلماتك التامة، مجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٩٨، ص ٢٣٤، س ١١٠ باسمك الأعظم وكلماتك الثمات، ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٥٥٥، س ١٤ فأسئلك بوجهك الكريم وكلماتك الثمات، «همان»، ج ٢، ص ١٦٥، س ١٢ مقصود معصومان ﷺ من بالمد.

(٩) (١٠) مر: - الفاضلات.

(٩) مر ١: والآيات.

(١٢) مر ١، مج ٢: باعباء/ مج ٤: باعتناء.

(١١) مر ١: اسم.

تدبير^(١) نظام العالم والسّانس بصنوف^(٢) السياسة نفوس^(٣) بني آدم، محمّد الذي فتح به الكتاب وختم، وميّز به^(٤) الباطل من الحق، والنور من الظلم، والنقباء من آله أولي الفضائل والحكم^(٥).

فيقول خادم القوى العقلية وراصد الحقائق المليّة، محمّد الشهير بصدر الشيرازي: إنّه لما لزممتني^(٦) إجابة ملتمس^(٧) جماعة من الأخلاء الرّوعية، وإسعاف مقتبس طائفة من الأوداء السلوكية في بيان العناية الإلهية، ومعنى القضاء والقدر، واللوح والقلم، وإثبات جودة نظام^(٨) العالم على أنّ ما يتصوّر^(٩) وأفضل، وكيفية دخول ما يشاهد من الشرور في القدر، الذي هو تفصيل القضاء الأولى^(١٠)، وفي بيان الأفعال الواقعة ممّا بالاختيار وأنّ متعاطيها لمضطرّ^(١١) في صورة مختار^(١٢)، وفي فائدة التكليف بالطاعات وتأثير الدعاء في إنجاح المهمّات، ألّفت^(١٣) لإسعافهم هذا^(١٤) المختصر^(١٥) مستعيناً بخالق القوى^(١٦) والقدر مرتّباً لمباحثه في^(١٧) فصول^(١٨) منقّحاً لأصوله عن فضول^(١٩).

(١) مر ١ : - تدبير.

(٢) مر ١، مج ٢ : الصيوف / مج ٤ : لصنوف. (٣) مر ١ : يقوس.

(٤) مج ١، مج ٢ : - به.

(٥) مر ١، مج ٣، مج ٤، مر ٢ : + وأولاده ذوي المعالي والكرم وبعد.

(٦) مج ٤ : لزممني. (٧) مر ١ : + القضاء والقدر واللوح والقلم.

(٨) مج ٤ : انتظام. (٩) مر ١ : على الأنم ممّا لا يتصور.

(١٠) مر ٢، مج ٤ : الأوّل. (١١) مج ٤ : مضطرّ.

(١٢) مر ١ : - وأفضل وكيفية دخول... في صورة مختار.

(١٣) مر ١، مج ٣، مج ٤ : ألّفت. (١٤) مج ٣ : هذه.

(١٥) مر ٢ : + ر. (١٦) مج ٤ : القضي.

(١٧) مج ٣ : - في. (١٨) مج ٣، مر ٢، مج ٢، مج ٤ : + و.

(١٩) مج ٢ : فصول.

الفصل الأول^(١)

في معنى العناية والقضاء والقدر

العناية - على ما يراه جماعة من رؤساء المشائين أتباع المعلم الأول - نقش زائد على ذاته تعالى، ولها محلّ هو ذاته تعالى؛ وهو علمه تعالى بما عليه الوجود من الأشياء الكلية والجزئية الواقعة في النظام الكلّي على الوجه الكلّي المقتضي^(٢) للخير والكمال، المؤدّي لوجود النظام على أفضل ما في الإمكان أنتم تأدية، مرضياً بها^(٣) عنده تعالى.

وعلى رأي من^(٤) قدس الله تعالى^(٥) عن ارتسام صورة^(٦) في ذاته تعالى: فهي كون ذاته تعالى بحيث يفيض^(٧) عنه صور الأشياء معقولة له مشاهداً^(٨) إيّاها مرضياً بها عنده^(٩) على نظام هو^(١٠) فوق النظمات الممكنة خيراً وكمالاً. فليس لها محلّ، بل هو علم بسيط قائم بذاته، مقدس عن شائبة كثرة^(١١) وتفصيل، محيط بجميع الأشياء، خلاق للعلوم^(١٢) التفصيلية التي هي بعده؛ وهي ذوات الأشياء الصادرة عنه بطبائعها وشخصياتها.

وعلمه تعالى بحسب تلك^(١٣) القاعدة على أنّها عنه لا على أنّها فيه،

(١) مع ١، مع ٢: - الفصل الأول/ مع ٣: المقصد الأول.

(٢) مع ٤: المفيض.

(٣) مع ١: - من.

(٤) مع ٣: الصورة.

(٥) مع ١: شامداً.

(٦) مع ١: - هو.

(٧) مع ٢: العلوم.

(٨) مع ١: لها.

(٩) مع ١: + روحه عبارة.

(١٠) مع ١، مع ٢: تفيض.

(١١) مع ١: + تعالى.

(١٢) مع ٤: الكثرة.

(١٣) مع ٤، مع ٢: هذه.

أي^(١) ذاته تعالى^(٢) الذي هو عين علمه مبدأ فاعليّ لصور الأشياء، لا مبدأ قابلّي لها. فكما أنّ وجوده مبين لوجود الممكنات^(٣)، فكذا علمه مبين^(٤) لعلوم العقلاء.

والقضاء عبارة عن وجود الصور^(٥) العقلية لجميع الموجودات بإبداع الباري تعالى^(٦) إياها في العالم العقلي على الوجه الكلّي بلا زمان^(٧)، على ترتيبها^(٨) الطولي الذي هو باعتبار سلسلة العلل والمعلولات، والعرضي الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيات^(٩) بحسب مقارنة جزئيات الطبيعة المنتشرة^(١٠) الأفراد لأجزاء الزمان.

والقدر عبارة عن ثبوت صور^(١١) الموجودات في العالم النفسي^(١٢) على الوجه الجزئي، مطابقة لما في موادها الخارجية الشخصية، مستندة إلى أسبابها الجزئية واجبة بها، لازمة لأوقاتها المعيّنة. ويشملها^(١٣) العناية الأولى شمول القضاء للقدر، والقدر^(١٤) لما في الخارج؛ إلّا أنّ العناية لا محل لها على الرأي المختار ولكلّ من القضاء والقدر محلّ.

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) مج ٣ : + في . | (٨) مر ١ : على ترتيبه . |
| (٢) مج ٤ : - تعالى . | (٩) مج ٤ ، مر ٢ ، مج ٣ : + المعنات . |
| (٣) مج ٤ : الموجودات . | (١٠) مر ١ : طبيعة منتشرة . |
| (٤) مر ١ : - لوجود الممكنات ... مبين . | (١١) مر ١ : صورة . |
| (٥) مر ١ : صور . | (١٢) مج ٤ : النفس . |
| (٦) مج ٤ : - تعالى . | (١٣) مر ١ : تشملها . |
| (٧) مر ١ : ملازمان . | (١٤) مر ١ : + والقدر (مكرّر) . |

الفصل الثاني

في محل القضاء ومحل القدر

اعلم أنَّ عناية البارئ^(١) اقتضت^(٢) أول ما اقتضت جوهرًا قدسيًا، يسمّى^(٣) به القلم الأعلى، والعقل الأول على ما وردت به الأحاديث النبوية، ونطقت^(٤) به الحكمة الإلهية. ثمَّ إنَّه لما تحقق في الوجود^(٥) أجرام كثيرة أكرية: بعضها أثرية دورية الحركات مختلفة^(٦) الأقدار^(٧) والجهات، كما دلَّت عليه الهيئة والرصد؛ فلها لا محالة مبادئ عقلية وغايات^(٨) قدسية متكررة؛ وبعضها عنصرية ذات مبادئ حركات مستقيمة طبيعية.

فأبدع البارئ بتوسط العقل الأول عقولاً أخرى قدسية هي ملائكة علمية، وأجراماً سماوية^(٩) مع نفوسها التي هي ملائكة عملية^(١٠)، وعناصر جسمانية مع قواها الطبيعية، على ما أشير إليه في الكتب الحكمية^(١١).

وتلك العقول القدسية أنوار قاهرة^(١٢) مؤثرة فيما تحتها من النفوس والأجرام بتأثير الله تعالى، وأثر من آثار^(١٣) قدرته وجلاله. كما أنَّ^(١٤)

-
- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) مر ١: - البارئ/ مج ٤: + تعالى. | (٨) مر ١: - غايات. |
| (٢) مج ١، مج ٢: انقضت. | (٩) مج ٤: - وأجراماً سماوية. |
| (٣) مر ١: سمي. | (١٠) مج ٢: علمية. |
| (٤) مج ٤: نطق. | (١١) مر ١: كتب الحكمة. |
| (٥) مر ١: التوحيد. | (١٢) مر ١: قاهرات. |
| (٦) مج ٤: - بعضها... مختلفة. | (١٣) مر ١: - آثار. |
| (٧) مر ١: الاقطار/ مر ٢: الاقطار. | (١٤) مج ٢: - وأثر من... كما أنَّ. |

نوريتها^(١) التي لا تزيد على ذواتها لمعة من لمعات وجهه وجماله، وبهذا الاعتبار تسمى^(٢) «الملائكة المقرّبين» وعالمها عالم القدرة، وكما يفيض^(٣) منها صور الأشياء وحقائقها بإفاضة الحق سبحانه^(٤): فكذاك يفيض^(٥) منها صفاتها وكما لانها الثانوية، التي يجبر بها نقصاناتها^(٦).

فبهذا الاعتبار أو باعتبار أنّ بإمداد^(٧) فيضها يقع التوجّه إلى تلك الكمالات والصفات عند فقدانها، وحفظها عند^(٨) حضورها^(٩) على قدر الإمكان، تسمى «عالم الجبروت» وهي صور صفة جبارية^(١٠) الله تعالى.

و^(١١) من المتحقّق المتبيّن أنّ^(١٢) صور جميع ما أوجد^(١٣) الله تعالى من ابتداء العالم إلى آخره منتقشة^(١٤) فيها نقشاً لا تشاهد بهذه العين^(١٥)، بل حاصلة فيها على وجه بسيط عقلي مقدس عن شائبة كثرة^(١٦) وتفصيل، كما حقّق في كتاب النفس من الشفاء. وذلك الانتقاش هو صورة^(١٧) القضاء^(١٨) الإلهي.

فمحله عالم الجبروت، و^(١٩) هو المسمى^(٢٠) بـ «أمّ الكتاب»^(٢١) بهذا الاعتبار، كما قاله^(٢٢) تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾^(٢٣) ويسمى بـ «القلم» باعتبار إفاضة الصور^(٢٤) العلمية^(٢٥) على النفوس الكلية الفلكية على ما

(١) مر ١: نوريتها/ مج ٢: فقاهريتها التي هي تأثيرها في غيرها ظلّ لقاهريته تعالى.

(٣) مج ٤، مر ٢: كما تفيض.

(٢) مج ٤، مر ١: يسمى.

(٥) مج ٤: تفيض.

(٤) مج ٢: تعالى.

(٧) مر ١: + بإمداد (مكرّر)/ مج ٤: بامتداد.

(٦) مر ١: نقصاناتها.

(٩) مج ٤: حصولها.

(٨) مر ١: عن.

(١١) مر ١: - و.

(١٠) مر ١: الجبارية.

(١٣) مر ١: أوجدتها/ مر ٢، مج ٤: أوجده.

(١٢) مج ٣: بأنّ.

(١٥) نسخه ها جز مج ٤: بهذا العين.

(١٤) مج ٤: منتقشة.

(١٧) مر ١: هورة.

(١٦) مر ١: كثر.

(١٩) مر ١: - و.

(١٨) مج ٣: لقضاء.

(٢١) مر ١: + و.

(٢٠) مج ٤: مسمى.

(٢٣) سورة زعفر، آية: ٤.

(٢٢) مج ٢: قال.

(٢٥) مج ٣: الحكمية.

(٢٤) مر ١: صور.

قاله سبحانه^(١): ﴿اقْرَأْ رَبُّكَ الْأَكْرَمَ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾. وكلّ ما يفيض علينا من العلوم الحقّة إنّما يفيض من ذلك العالم.

ولا شك أنّ تلك الجواهر التي هي^(٣) خزائن غيبه^(٤) تعالى كما قال^(٥): ﴿وَلَا يَنْفَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٦)، مقدّسة عن تعلّق الزمان، متعالية عن التجدد والحدثان، والقضاء كذلك.

ولما ثبت أنّ كلّ ما جرى في هذا العالم أو سيجري^(٧) مكتوب مثبت^(٨) في النفوس الفلكية، فإنّها عالمة^(٩) بلوازم حركاتها، كما بيّن في علمي^(١٠) الطبيعي والإلهي. وكما^(١١) أنّ العالم العقلي بجوهره القدسي - وهو القلم - محلّ القضاء، فكذلك^(١٢) العالم النفسي بجوهره النوري - وهو لوح القضاء - محلّ القدر. فينتقش من قلم العقل في لوح النفس الناطقة - كما ينتسخ^(١٣) بالقلم في اللوح - صور^(١٤) معلومة مضبوطة منوطة بعلمها وأسبابها على وجه كلي. فتلك الصور^(١٥) هي^(١٦) قدرة^(١٧) تعالى. ثمّ^(١٨) ينتقش^(١٩) منه في القوى المنطبقة الفلكية نقوش جزئية، متشخصة بأشكال وهيئات معيّنة، مقارنة لأوقات معيّنة، مقدّرة بمقادير وأوضاع معيّنة^(٢٠)، من^(٢١) لواحق المادة على طبق ما يظهر في الخارج.

(١) مج ٣: على قال تعالى / مر ٢: على ما قال / مج ٣: - سبحانه.

(٢) سورة علق، آيتان: ٣ و ٤. (٣) مر ١: - التي هي.

(٤) مج ٤: علمه. (٥) مج ٣، مج ٤: + تعالى.

(٦) سورة حجر، آية: ٢١. (٧) مر ١: + فهو.

(٨) مر ١: - مثبت. (٩) مر ١: حالة.

(١٠) مر ١، مر ٢: علم / مج ٤: العلم. (١١) مر ٢: فكما.

(١٢) مج ٣: فكلما. (١٣) مر ٢: تنتسخ.

(١٤) مر ١: صورة.

(١٥) هنا نسخه ما جز مر ٢، ومج ٤: الصورة.

(١٦) مر ١: + هي (مكرّر). (١٧) مج ٤: قدرته.

(١٨) مر ١: - ثمّ. (١٩) مر ٢: تنتقش.

(٢٠) مج ٤: - مقدّرة... معيّنة. (٢١) مر ١: في.

وهذا العالم عالم الخيال والمثال، وهو لوح القدر؛ كما أن ذلك العالم الذي هو عالم النفوس الناطقة الكلية هو لوح^(١) القضاء. وكلّ منهما كتاب مبین^(٢)، إلا أن الأول لوح محفوظ^(٣) من المحو والإثبات، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤). والثاني كتاب المحو والإثبات، لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبُّنَا وَعِنْدَهُ أَثْمُ الْكِتَابِ﴾^(٥) وحصول تلك^(٦) الصور المعيّنة المقيّدة بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي الضروري الوجود عند تحقق وقته^(٧)، كما قال تعالى^(٨): ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٩).

وهذا العالم - أي لوح^(١١) القدر - هو عالم الملكوت العمّالة بإذن الله تعالى^(١٢)، المسخّرة بأمره، المدبّرة لأمر العالم بإعداد المواد وتهيئة الأسباب.

ثم إن وجود تلك الصور الجزئية في موادها الخارجية. التي هي أخيرة مراتب علمه تعالى، كلمات الله التي لا تنفذ^(١٣) ولا تبسّد مع أعراضها اللازمة والمفارقة^(١٤)، التي هي بمنزلة الحركات الإعرابية والبنائية. والمادة الكلية المشتملة عليها هي دفتر الوجود ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾^(١٥)، المملوء بالصّور؛ كما أشير إليه في الصحيفة^(١٦) القرآنية بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ يَدَاكَ لَكُلِّتَ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١٧).

(١) مر ٢: - لوح. (٢) اشاره است به سورة يونس، آية: ٦١.

(٣) اشاره است به سورة بروج، آيتان: ٢١ و ٢٢.

(٤) سورة حجر، آية: ٩. (٥) سورة رعد، آية: ٣٩.

(٦) مر ١: - تلك. (٧) مج ٤: وفيه.

(٨) مج ٤: كما قاله. (٩) مر ٢: - تعالى.

(١٠) سورة حجر، آية: ٢١. (١١) مج ٤، مر ١: اللوح.

(١٢) مج ٤: - تعالى.

(١٣) اشاره است به سورة لقمان، آية: ٨ وسورة كهف، آية: ١٠٩.

(١٤) مج ٤: المعارضة. (١٥) سورة طور، آية: ٦.

(١٦) مر ١: الصحف. (١٧) سورة كهف، آية: ١٠٩.

وإذا^(٢)، قد^(٣) تحقق كونه تعالى عالماً بذاته وعالماً بجميع معلولاته، بناءً على أنَّ العلم التام بالعلّة التامة يوجب العلم التام بالمعلول، ونحن قد بينّا في بعض رسائلنا بوجه عرشي أنَّ العلم^(٤) بالعلّة إذا لم^(٥) يكن نقشاً زائداً على ذات^(٦) العلّة، بل يكون نفس وجودها؛ يلزم أن يكون العلم اللازم منه بالمعلول أيضاً^(٧) نفس وجود ذلك^(٨) المعلول^(٩)، لا أمراً مُبايناً له. فإذا كان كل^(١٠) صورة موجودة في الخارج - سواء كانت^(١١) عقلية أو مادية - ترتقي في سلسلة الحاجة^(١٢) إلى مسبب^(١٣) الأسباب، فيجب أن يكون نحو وجودها الخارجي^(١٤) بعينه^(١٥) نحو علم الباري تعالى جل^(١٦) ذكره بها.

ثمّ لما كانت^(١٧) الأشياء الزمانية والحوادث المادية بالنسبة إلى الباري المقدّس عن^(١٨) الزمان والمكان متساوية الأقدام في الحضور عنده^(١٩) والحصول لديه والمثول^(٢٠) بين يديه، و^(٢١) لم يتصوّر في حقّه الماضي^(٢٢) والحال والاستقبال؛ لأنها نسب^(٢٣) تتّصف بها الحركات و^(٢٤) المتغيرات^(٢٥)، كما أنَّ العلو والسفل والمقارنة وأمثالها إضافات تتّصف بها الأجسام

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) مج ٧١ مج ٢: - تكميل. | (١٤) مج ٤: الخارجية. |
| (٢) هـه نسخة ما جز «مر ٢١: وإذا. | (١٥) مج ٤: + هو. |
| (٣) مر ١: - قد. | (١٦) مج ٣: - جل. |
| (٤) مج ٤: علم التام. | (١٧) مر ١: كان. |
| (٥) مر ١: - لم. | (١٨) مر ١: من. |
| (٦) مر ١: - ذات. | (١٩) مج ٣: عندها. |
| (٧) مج ٤: - أيضاً. | (٢٠) مج ٤: المسؤول/ مر ١: الشؤون. |
| (٨) مر ١: تلك. | (٢١) مج ٤: - و. |
| (٩) مر ١: العلّة. | (٢٢) مر ٣، ١، مج ٢، ٣: الماضي. |
| (١٠) مج ٤: - كل. | (٢٣) مج ٤: + ليست. |
| (١١) مر ١: كان. | (٢٤) مج ٤: - و. |
| (١٢) مج ٤: حاجة. | (٢٥) مر ١: المعبرات/ مج ٣: التغيرات. |
| (١٣) مر ٢: سبب. | |

والمكانيات^(١)؛ فيجب أن يكون لجميع الموجودات بالنسبة إليه تعالى فعلية صرفة وحضور محض غير زمني ولا مكاني، بلا غيبة^(٢) وفقد.

بل الزمان مع تجدده والمكان مع انقسامه بالقياس إليه كالآن والنقطة. وسجل^(٣) دورات^(٤) السماوات^(٥) الجامعة للأزمنة والمحددة^(٦) للأمكنة والمواد المشتعلة على كلمات الله مطوية في نظر شهوده دائماً. فإنه تعالى ليس ينظر إليها^(٧) على الولاء بكلمة كلمة^(٨) منها حتى يغيب^(٩) عنه ما تقدم نظره إليه، أو يفقد^(١٠) عنده^(١١) ما تأخر عنه^(١٢)؛ بل يكون نسبة إحاطته القيومية الإشرافية إلى جميع الحروف والكلمات العينية^(١٣) نسبة واحدة غير زمانية، كما في القرآن المجيد: ﴿...وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^{(١٤)(١٥)} هو دفتر الوجود.

وهم وإزاحة^(١٦)؛

ومما استشكل في كون نفوس السماويات شاعرة بلوازم حركاتها مطلعة على كل الكوائن الواقعة^(١٧) في الأعيان أنه على هذا التقدير يلزم^(١٨) أن تكون^(١٩) تلك الصور المعلومة أو المنقوشة غير متناهية، لامتناع انقطاع الحوادث في المستقبل، كما هو رأيهم، وهو باطل من وجهين:

-
- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) مر ٧: - والمكانيات. | (٢) مر ١: بلا بينة. |
| (٣) مج ٤: وسجل. | (٤) مج ٢: مردودات. |
| (٥) مر ١: السحوات. | (٦) مج ٣: المحدد. |
| (٧) مج ٤: عليها. | |
| (٨) مر ١: لكلمة بكلمة/ مج ٣: بكل كلمة/ مج ٤: بكل كلمة كلمة. | |
| (٩) همه نسخه ها جز ١٢: تغيب. | (١٠) مج ٤: يفقد. |
| (١١) مج ٢: عندها. | (١٢) مج ٤: ما يؤخره. |
| (١٣) مج ٣، مج ٤: الغيبة. | (١٤) سورة انعام، آية: ٥٩. |
| (١٥) مج ٣، مج ٤: - و. | (١٦) مج ١، مج ٢: - وهم وإزاحة. |
| (١٧) مج ٣: والعلة. | (١٨) مج ٤: لازم. |
| (١٩) مر ١: يكون. | |

أما أولاً^(١)، فلا متناهي وجود سلسلة مترتبة^(٢) مجتمعة آحادها موجودة معاً، كما برهن عليه.

وأما ثانياً، فلأن تلك الصور إما أن يكون فيها ما لا يقع أبداً، أو ليس^(٣)، والأول محال، وإلا لم يكن من الكوائن المستقبلية، وقد فرض أنها من الكوائن المستقبلية؛ وكذا الثاني، وإلا كان يأتي^(٤) وقت يقع^(٥) فيه الكل، فانقطع^(٦) ما لا يتناهي. وهذا خلف.

و^(٧) أيضاً فيلزم إما وقوف الوجود بعد ذلك وعدم تجدد الحوادث أو جهل المبادئ بها وكلاهما باطل عندهم.

فنقول^(٨): لنا أن نجيب^(٩) عن ذلك: أما على رأي من ذهب إلى أن نسب مقادير حركات الأفلاك بعضها إلى^(١٠) بعض باعتبار أزمنة عوداتها^(١١) عددية كما يؤيده الرصد.

فبان^(١٢) النقوش^(١٣) الكائنة في مدارك الأفلاك المنطبعة السارية في أجرامها متناهية ولا يوجب ذلك تنامي صور الكائنات، لوجوب^(١٤) تكرار الوضع^(١٥) الفلكي عنده، الموجب لتكرار الحوادث من الصور الجسمانية وغيرها بعد مرور مبلغ من الدورات^(١٦) الكثيرة، على ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ ذَاتُ الْوَجْهِ﴾^(١٧).

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) مج ٢، مج ٣: الأول. | (٢) مر ١: ترتبه. |
| (٣) مج ٤: أو لا يكون. | (٤) مر ١: في / مج ٤: - يأتي. |
| (٥) مج ٤: وقع. | (٦) مر ١: وانقطع. |
| (٧) مر ١: - و. | (٨) مج ١، مر ١ مج ٣، مج ٤: فتقول. |
| (٩) مر ١: يجيب. | (١٠) مج ٢: أي / مج ٤: على. |
| (١١) مر ١: عوداتها. | (١٢) مر ١: لأن. |
| (١٣) مج ٤، مج ٢: النفوس. | (١٤) مج ٢، مر ١: بوجوب. |
| (١٥) مج ٢: الموضع. | |
| (١٦) مج ٤، مر ٢، مج ٢: الآلاف / مج ٣: الآلات. | |
| (١٧) سورة طارق، آية: ١١. | |

وإليه ذهب صاحب الإشراف ومتابعوه، اقتداءً بجماعة من حكماء بابل وفرس وجمع^(١) من^(٢) الأقدمين من مصر ويونان. فللحادث عندهم ضوابط كلية حاصلة في نفوس الأفلاك عن^(٣) مبادئها العقلية، وتلك الضابط الكلية واجبة التكرار؛ أي^(٤) الحوادث^(٥) تزول وتعود^(٦) إلى شبيه ما كانت^(٧) عليه، لا إلى^(٨) عينه، لامتناع إعادة المعدوم بالقواطع البرهانية.

فإذا كانت النفس الكلية منتقشة بها^(٩) على نحو كبريات الاقترانيات أو صغريات^(١٠) الاستثنائيات - أي أنه كلما كان كذا، كان كذا^(١١) -؛ و^(١٢) كانت مما يتخيل الأمور الجزئية، ويتخيل الوصول إلى كل نقطة على نحو^(١٣) إدراك الصغريات^(١٤) الاقترانية أو^(١٥) الكبريات الاستثنائية - أي^(١٦) لكن كذا أو ليس كذا^(١٧) -؛ فلها أن تعلم^(١٨) لوازم حركاتها بانضمام هذه القضايا الجزئية إلى^(١٩) تلك الكليات التي هي العلم بالحوادث الجزئية على الوجه الكلي ليحصل لها العلم بالحوادث الجزئية^(٢٠) على الوجه الجزئي وهكذا إلى أن يعود^(٢١) الأوضاع بعينها. ولا يوجب ذلك تكرار^(٢٢) تعلقات النفوس المجردة كما توقمه يوذاسف^(٢٣) المنجم التناسخي، وكان ممن حكم بطوفان نوح على نبينا وعلينا، لامتناع ذلك التكرار على ما بين في مقامه.

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) مج ٤ : جميع. | (٢) مج ٤ : - من. |
| (٣) مر ١ : من. | (٤) مر ١ : - أي. |
| (٥) مج ٢ : للحوادث. | (٦) مر ١ : تزول تزول/ يزول ويعود. |
| (٧) مر ١ : كان. | (٨) مر ١ : - لا إلى. |
| (٩) همه نسخه ما جز مج ١٢ : - بها. | (١٠) مر ١ : صغريات. |
| (١١) مج ٤ : - كان كذا. | (١٢) مر ١ : أو. |
| (١٣) مر ١ : - نحو. | (١٤) مر ١ : صغريات. |
| (١٥) مر ١ : و. | (١٦) مر ١ : - أي. |
| (١٧) مج ٤ ، مر ٢ ، مج ٢ ، مج ٣ : بكذا. | (١٨) مج ٤ : أن يعلم. |
| (١٩) مر ١ : على. | |
| (٢٠) مج ٤ : - الكلي ليحصل لها العلم بالحوادث الجزئية. | |
| (٢١) مج ٣ : أن يعود. | (٢٢) مر ١ : تكرر. |
| (٢٣) مج ٢ ، مج ٤ : يوذاسف. | |

وَأَمَّا عَلَى رَأْيٍ مِنْ زَعْمِ أَنَّ نَسْبَ الْحَرَكَاتِ الْفَلَكَيَّةِ جَمِيعُهَا أَوْ بَعْضُهَا صَمِيَّةٌ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهَا أَدَلُّ^(١) عَلَى الْقُدْرَةِ وَأَعْلَى فِي الْإِبْجَادِ^(٢) لِعَدَمِ تَكَرُّرِهَا وَانْحِصَارِهَا، وَوَجُوبِ اعْتِقَادِ مَا هُوَ الْأَشْرَفُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَجُودِهِ^(٣)، وَإِنْ لَمْ يَطَابِقِ الرِّصْدُ؛ لِأَنَّ أُمُورَ الرِّصْدِ تَقْرِيبِيَّةٌ وَالنَّسَبُ^(٤) الْحَقِيقِيَّةُ رَيْبًا لَا تَدْرِكُ بِهَا.

فَبِإِنَّ^(٥) النَّفُوسَ الْمُنْطَبِعَةَ الْفَلَكَيَّةَ - كَمَا ذَكَرْنَا^(٦) - كِتَابَ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ. فَقِيلَ^(٧): إِنَّ فِي رَأْسِ^(٨) كُلِّ سَنَةٍ مِنْ سَنِي^(٩) الْعَالَمِ الْإِلَهِيَّةِ^(١٠) - الَّتِي هِيَ^(١١) ثَلَاثُمِائَةٍ^(١٢) أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا مِمَّا يَعْدُهُ^(١٣) الْمُنْجَمُونَ - يَثْبِتُ اللَّهُ^(١٤) فِي تِلْكَ النَّفُوسِ صُورَ مَا أَوْجَدَهُ^(١٥) فِي تِلْكَ السَّنَةِ، ثُمَّ بَعْدَ تَمَامِ الْإِبْجَادِ^(١٦) فِيهَا يَمْحُوهَا وَيَثْبِتُ صُورَ مَا يَوْجَدُهُ فِي السَّنَةِ الْآخَرَى، وَهَكَذَا إِلَى غَيْرِ النِّهَايَةِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحُكَمَاءُ. وَأَشِيرُ إِلَى تَأْوِيلِ^(١٧) هَذِهِ السَّنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(١٨) وَأَشِيرُ إِلَى^(١٩) أَيَّامِ تِلْكَ السَّنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢٠).

-
- (١) مر ١: أول.
(٢) مج ٤: الاتحاد.
(٣) مج ٣: وجود.
(٤) مج ٤: والنسبة.
(٥) مر ١: فإن.
(٦) مر ١: كما قيل / مج ٤: كما كما.
(٧) مج ٤: - فقيل أن.
(٨) مج ٤: رأس.
(٩) همة نسخه ها جز ٤٢: سنين.
(١٠) بناير مصطلح وهمجنين بناير نظر بعضی از محشین شاید مراد ملاصدرا در اینجا از تعبیر سنين الهی با توجه به استشهاد بعدی ملاصدرا به آیه ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾، سالهای ربوبی و ملکوتی باشد، وگرنه «يوم الوهي» بااستناد آیه ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (سوره معارج، آیه: ٤) پنجاه هزار سال است.
(١١) مج ٣: - هي / مج ٤: + و.
(١٢) مج ٤: + و.
(١٣) مج ٣: يَمْحُوها.
(١٤) مر ١: إليه.
(١٥) مج ٤: أَوْجَدَهُ / مج ٣: أَوْجَدَهَا.
(١٦) مج ٤: الْإِبْجَادَاتِ.
(١٧) سورة أنبياء، آیه: ١٠٤.
(١٨) سورة سجده، آیه: ٥.
(١٩) مر ١: - إلى.
(٢٠) سورة سجده، آیه: ٥.

أقول: وفي كلا القولين نظر^(١). أمّا في^(٢) الأوّل، فلابتناؤه على كون تلك السلسلة المترتبة^(٣) من الصور المعلومة أو المنقوشة مجتمعة الأجزاء والآحاد معاً، وإلا لما امتنع لا تناهيها، وذلك بناء على تجويز تحقق جهات كثيرة من^(٤) المبادئ^(٥) العقلية فوق ما تقرّر^(٦) من الجهات عندهم فيها^(٧)، وكذا بناء على نفي المحو والإثبات مطلقاً في عالم الأفلاك وهو ليس بشيء. وأيضاً النفوس المجردة المتعلقة بالمواد أيضاً كوائن حادثة، وذهب صاحب هذا الرأي إلى لا تناهيها؛ فإن^(٨) كانت معلومة^(٩) أو منتقشة صورها في المبادئ أزلاً، لزم لا تناهي تلك المعلومات والصور^(١٠) وعاد المحذور، وإن لم يكن شيء منها^(١١) أو بعضها منتقشاً فيها لزم جهل المبادئ ببعض^(١٢) الحوادث، فقد وقع فيما هرب عنه^(١٣).

وأما^(١٤) في القول^(١٥) الأخير، فلأنّ تلك العلوم الجمة الحاصلة في نفوس الأفلاك إمّا أن تكون^(١٦) كلية أو جزئية؛ فإن كانت كلية^(١٧)، فلا فائدة فيها لما نحن بصدده، لأنّ الكلام في الإدراكات الجزئية^(١٨) الحاصلة للقوى المنطبعة الفلكية؛ وإن كانت جزئية، فلتغيّرها^(١٩) وعدم اجتماعها لتضاد بعضها مع بعض لا تحصل^(٢٠) دفعة واحدة. فإنّ مناط الجزئية في الإدراك إمّا التخيل أو الإحساس إذا كان المعلوم مادّياً، أو^(٢١) العلم الحضورى إذا لم يكن كذلك.

-
- | | |
|--|---------------------------|
| (١) مج ٣: ينظر. | (٢) مر ١: - في. |
| (٣) مج ٣: المرتبة. | (٤) مر ٢، مج ٤: في. |
| (٥) مج ٣: مبادئ. | (٦) مر ١: يقرّر. |
| (٧) مر ١: - فيها. | (٨) مج ٤: وإن. |
| (٩) مر ١: بعمومه. | |
| (١٠) مر ١: - في المبادئ أزلاً لزم لا تناهي تلك المعلومات والصور. | |
| (١١) مج ٢، مج ٣: - منها. | (١٢) مج ٤: بنقص. |
| (١٣) مر ١: منه. | (١٤) مر ١: - وأما. |
| (١٥) مج ٣: قول. | (١٦) مر ١: يكون. |
| (١٧) مر ١: - أو جزئية لأن كانت كلية. | (١٨) مر ١: الجزئيات. |
| (١٩) مر ١: فليغيرها. | (٢٠) مر ١، مج ٤: لا يحصل. |
| (٢١) مج ٢، مج ٤: و. | |

وكلامنا في الأول، وظاهر أنه لا يكون حصول الجزئيات المتخالفة المتباينة إلا شيئاً فشيئاً^(١) و^(٢) بحسب تعاقب الاستعدادات وتوارد الانفعالات^(٣)، سواء كانت في المادة الخارجية أو^(٤) القوة الإدراكية.

وأيضاً من المعلوم^(٥) أن كل ما حصل من جهة الفيض الأول الإبداعي من الصور والكمالات في عالم من العوالم يجب تناسلها، لاحتياجها إلى علل وجهات عقلية متناهية، للبرهان القائم على نهاية المترتبات^(٦) العقلية، بخلاف ما يحصل من جهة الفيض الثاني على حسب الاستعدادات المتعاقبة الغير المتناهية. فإنها^(٧) لا يجب^(٨) تناسلها، كما علمت.

فنقول حينئذ: إن الصور الفائضة على نفوس الأفلاك في رؤوس جميع السنين^(٩) المذكورة الغير^(١٠) المتناهية^(١١) إذا لم تكن^(١٢) متكررة ولا حاصلة من جهة تورد الانفعالات والاستعدادات - كما قرره - بل حاصلة مما فوقها على طريق الإبداع، لأدّى إلى عدم تناسلها وجهات الإبداع؛ وذلك ممتنع^(١٣). وأما الرموز القرآنية، فلها محامل وتأويلات غير ما ذكره^(١٤).

فالأقرب عندي أن يقال: إن صور الكليات^(١٥) على^(١٦) ترتيبها الذي^(١٧) هي عليه، ثابتة في^(١٨) المبادئ العقلية على وجه كلي منزّه عن الزمان. والنفوس المدبرة الفلكية تشتاق^(١٩) إلى كمالات تلك المبادئ العقلية، لإمكان حصولها

(١) مر ١: والاستيناف بناء (بجاء) «إلا شيئاً فشيئاً».

(٢) مر ١: - و. (٣) مج ٤: الإضافات.

(٤) مر ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤: + في. (٥) مر ٢: العلم.

(٦) مج ١، مج ٣، مج ٤: المترتبات. (٧) مج ٤: فلانما.

(٨) مر ٢، مج ٣، مج ٤: يجب. (٩) مر ١: سنين.

(١٠) مر ١: - الغير. (١١) مج ٤: المتناهية.

(١٢) مر ١: - جهات الإبداع وذلك ممتنع. (١٣) مر ١: الكائنات.

(١٤) مر ١: ما ذكر. (١٥) مج ٣: التي.

(١٦) مر ١: - على. (١٧) مر ١: بشتاق.

(١٨) مر ١، مر ٢: - في.

لها، لكونها ناطقة^(١) ذوات إدراكات^(٢) كلية، كما هو رأى أهل الحق. وإذا اشتاقت سرت [علاقتها]^(٣) الشوقية بتوسط التصورات^(٤) الجزئية إلى نفوسها^(٥) الحيوانية التي بمنزلة الخيال فينا^(٦)، فانبعث^(٧) شوق وهمي تابع لإدراك خيالي، فحرك جرمها، فحدث وضع تستعد به النفس^(٨) لاستفاضة كمال ما^(٩) من الكمالات العقلية. فإذا فاض عليها كمال وأشرقت عليها هيئة نورية، حاكنتها متخيلتها بصورة جزئية؛ فانبعث شوق آخر جزئي^(١٠) فحرك حركة أخرى إلى ما لا يتناهى. وكلما تشخصت الصورة^(١١) الكلية الفائضة على النفس الناطقة في متخيلة نفسها الحيوانية، أدركتها^(١٢) وما يلزمها من الحوادث.

وشأن النفس أن توجهها^(١٣) إلى بعض المعلومات واستحضارها إياها واشتغالها بها يوجب ذهولها عن البعض^(١٤) الآخر. وكل^(١٥) صورة لاحقة تذهلها عن الصورة السابقة وما يلزمها من الحوادث^(١٦)، وإلا لزم وقوف الأفلاك عند سكون^(١٧) الشوق لحصول الكمالات العقلية بأسرها لنفوسها، لكونها متناهية ضرورة، إذ^(١٨) هي موجودة بالفعل.

وكما أن القضايا الكلية والآراء العقلية لا تستلزم^(١٩) حركة البدن ما لم تتشخص^(٢٠) بالخيال ولم تصر^(٢١) جزئية موجبة لشوق جزئي^(٢٢) يوجب حركة

(١) مج ٢ : قاطعة. (٢) مر ١ : ادراكات.

(٣) همه نسخة ما جز ١ : علاقتها / مر ١ : علاقة.

(٤) مج ٤ : تصورات. (٥) مر ١ : نوسفها.

(٦) مر ١ : فتارة. (٧) مر ٢ : + من النفوس الحيوانية.

(٨) مر ٢ : + أي الناطقة. (٩) مر ٢ : تام.

(١٠) مر ١ : - جزئي. (١١) مر ١ : الصور.

(١٢) مر ١ : - أدركتها.

(١٣) مر ١ : توجهها / مج ٤ : أن تكون توجهها.

(١٤) مج ٣ : بعض. (١٥) مج ٤ : فلكل.

(١٦) مج ٣، مج ٢، مر ٢ : - من الحوادث. (١٧) مر ١ : من السكون.

(١٨) مر ١ : أو.

(١٩) مج ٤، مر ١ : يستلزم.

(٢٠) مر ٢، مج ٤، مر ١ : يتشخص.

(٢١) مر ١، مج ٤ : لم يصير.

(٢٢) مر ١ : جزئية.

جزئية^(١)، ولا يمكننا^(٢) استحضار معلوماتنا من الكليات والجزئيات، فكذاك فيها.

وكما^(٣) أنا ندرك صورة كلية ونتخيل^(٤) فيها جزئيات غير متناهية مختلفة بحسب المواد^(٥) والأزمنة والأمكنة والأشكال والأوضاع المقادير وغير ذلك على ما يعلمه^(٦) الصنّاع في صنائعهم، وتلك الصورة الكلية^(٧) واحدة بعينها مطابقة لجميع^(٨) تلك الجزئيات، ولم تتغير بتغيرها، فكذاك تلك الصورة الكلية الفلكية لا يلزم تكرّرها^(٩) ولا تكثرها بتكثر جزئياتها، ولو كانت غير متناهية؛ بل كلّ منها واحدة بعينها^(١٠) مطابقة^(١١) لجميع^(١٢) جزئياتها^(١٣) لم تتغير^(١٤) بتغيرها، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٥).

ولا يلزم أيضاً تكرّر^(١٦) الحوادث في العالم^(١٧) بتكرار^(١٨) الصور الجزئية عند تكرّر الأوضاع المعيّنة على تقدير عددية النسب^(١٩) الفلكية وتناسب أدوارها وتشابه عوداتها؛ لأن^(٢٠) كلّ وضع يقارنه من الأوضاع السفلية والعلوية واستعدادات المواد والصور السابقة والأحوال اللاحقة ما ليس قبله ذلك. واعتبر^(٢١) بإلقاء حَبّات^(٢٢) متساوية في الماء متعاقبة، حيث لم^(٢٣) يلزم حركة

- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) مر ١: - يوجب حركة جزئية. | (١٣) مج ٤: - ولو كانت غير متناهية... |
| (٢) مج ٣: + أن. | جزئياتها. |
| (٣) مج ٢: فكما. | (١٤) مر ١، ٢، ٢، مج ٢، ٣: لم يتغير. |
| (٤) مر ٢، ٣، مج ٣، ١: يتخيل. | (١٥) سورة رعد، آية: ٣٩. |
| (٥) مر ١: الموارد. | (١٦) مر ١: تكرار. |
| (٦) مج ٤: يعلمه. | (١٧) مج ٢: العوالم. |
| (٧) مر ١: - والأزمنة والأمكنة... الكلية. | (١٨) مر ١، ٢، ٢، مج ٤: بتكرار. |
| (٨) مر ١، ٢، مج ٤: لجميع. | (١٩) مر ١: نسب. |
| (٩) مج ٤: + بتكررها. | (٢٠) مر ١: لأنه. |
| (١٠) مر ١: - بعينها. | (٢١) مج ٤: واعتبره. |
| (١١) مر ١: مطا. | (٢٢) مر ١: حَبّات / مج ٤: حَبّابات. |
| (١٢) مج ٤: جميع. | (٢٣) مر ١: - لم. |

الماء وتشكيله في النوبة الثانية كحركته^(١) وتشكيله^(٢) في النوبة الأولى مع تساوي الأسباب، لامتزاج أثر السابق باللاحق. فإذاً يجوز أن تقبل^(٣) المتخيلة الفلكية^(٤) بسبب ذلك الوضع المماثل للوضع السابق صورة جزئية غير الصورة^(٥) الأولى^(٦) الحاصلة في ذلك الوضع.

تنبيه وتمثيل^(٧) :

قد علم أن قلم^(٨) الله^(٩) ولوحه لا يشبه قلم الإنسان ولوحه اللذين هما أكتان جماديتان؛ كما أن ذات الله^(١٠) وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاته^(١١)، بل القلم الأعلى ملك روحاني قدسي، واللوح ملك نفساني، والكتابة تصوير الحقائق وإفاضةها.

فإن كون الشيء قلماً لا يدخل فيه القصبيّة^(١٢) أو الحديدية أو غير ذلك؛ وكذا اللوحية لا يدخل^(١٣) في حدّها الخشبية أو العظمية أو غيرهما. بل حدّ القلم هو الناقل لصور^(١٤) المعلومات، وحدّ اللوح هو المنتقش بتلك الصور؛ وليس من شرطهما مطلق الجسمية فضلاً عن خصوصياتها.

بل إن أردت مثلاً مناسباً لهذه المعاني التي هي القلم واللوح والقضاء والقدر، لانظر بعين الاعتبار إلى^(١٥) النشأة^(١٦) الإنسانية التي هي كهيئة العالم، وتدبر في مصادر أفاعيلها.

-
- | | |
|----------------------------------|---|
| (١) مر ١ : - وتشكيله ... كحركته. | (٩) مج ٣ : + تعالى. |
| (٢) مر ١ : بشكله. | (١٠) مج ٣ : + تعالى. |
| (٣) مر ٢، مج ٤، يقبل. | (١١) مر ١ : - لا تشبه ذات الخلق وصفاته. |
| (٤) مج ٢ : الكلية. | (١٢) مج ٤، مر ١ : قضية. |
| (٥) مر ١ : صورة. | (١٣) مر ١ : لا خل / مج ٣ : مدخل. |
| (٦) مر ١ : + و. | (١٤) مر ٢، مج ٣، مج ٤ : بصور. |
| (٧) مج ١، مج ٢ : - تنبيه وتمثيل. | (١٥) مج ٣ : أن. |
| (٨) مر ١ : - أن قلم. | (١٦) مر ١ : كالنشأة. |

فكما أن الأفعال^(١) الإنسان من لدن^(٢) صدورها وبروزها من مكان^(٣) فيها^(٤) إلى مظاهر شهادتها أربعة مراتب، لكونها^(٥) أولاً في مكان^(٦) عقله الذي هو^(٧) غيب غيوبه في غاية الخفاء، كأنها غير مشعور بها. ثم تنزل^(٨) إلى حيز^(٩) قلبه أي^(١٠) مرتبة نفسه عند استحضارها بالفكر وإخطارها بالبال كلية؛ وفي هذه المرتبة تحصل^(١١) للإنسان التصورات الكلية وكبريات القياس عند الطلب^(١٢) للأمر الجزئي المنبعث عنه^(١٣) العزم على الفعل. والتعبير^(١٤) عن هذه المرتبة من الإنسان بالقلب^(١٥) لأجل تقلبه وانتقاله من معلوم إلى معلوم، كما هو شأن العلوم النفسانية التفصيلية الاحتمالية^(١٦)، أو لاعتبار توجهه تارة إلى العقل الصرف، وتارة إلى الحس. ثم تنزل^(١٧) إلى مخزن خياله مشخصة^(١٨) جزئية؛ وهو موطن التصورات الجزئية وصغريات القياس ليحصل^(١٩) بانضمامها إلى تلك الكبريات رأي جزئي و^(٢٠) ينبعث منه القصد الجازم للفعل. ثم يتحرك أعضاؤه عند^(٢١) إرادة إظهارها في الخارج، فتظهر^(٢٢) في الخارج.

كذلك كل ما^(٢٣) يحدث في العالم من الصور والأعراض؛ فإن الأولى^(٢٤)

-
- (١) مر ١، مج ٤: الأفعال. (٢) مر ١: البدن. (٣) مر ١: مكان. (٤) مر ١: عينها. (٥) نسخة ها جز ١ و ٢: لكونه. (٦) مج ٤: يمكن. (٧) مر ١: مكان. (٨) مر ١: ينزلها/ مج ٤، مر ٢: ينزل/ مج ٢: ينزل. (٩) مر ١: - حيز. (١٠) مر ١: + من. (١١) مج ٤، مر ١: يحصل. (١٢) مر ١: طلب. (١٣) مر ١: عند. (١٤) مج ٣: يعتبر. (١٥) مر ١: - بالقلب. (١٦) مج ٣، مج ٤، مر ٢: + لا العقلية الإجمالية/ مر ١: الإجمالية. (١٧) مر ٢: نزل/ مج ٤: ينزل/ مج ١: ينزل. (١٨) مر ١: مشخصة. (١٩) مر ١: فيحصل. (٢٠) مر ١: - و. (٢١) مج ٤: عنده و. (٢٢) مر ١: يظهر في الخارج/ مر ٢: ويظهر. (٢٣) مر ١: كما/ مج ٣: لنا/ مج ٤: ممّا. (٢٤) مر ٢، مج ٣: الأول.

بمثابة الفضاء ومحله بمثابة القلم، والثانية^(١) نقش اللوح المحفوظ، والثالثة بمثابة الصور في السماء ونقش^(٢) لوح القدر عند بعضهم. والرابعة بمثابة الصور الحادثة في المواد العنصرية التي هي لوح القدر الخارجي.

ولا شك أن النزول الأول لا يكون إلا بإرادة كلية، والنزول الثاني بإرادة جزئية تنضم^(٣) إلى الإرادة^(٤) الأولى الكلية، فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها رأي جزئي يستلزم^(٥) عزمًا^(٦) داعيًا^(٧) لإظهار الفعل، فتتحرك^(٨) الأعضاء^(٩) والجوارح ويظهر الفعل. وحركة الأعضاء^(١٠) بمثابة حركة^(١١) السماء، وسلطان العقل الإنساني في الدماغ كسلطان الروح الكلي في العرش، وظهور قلبه الحقيقي الذي هو نفسه الناطقة في القلب الصوري كظهور النفس الكلية^(١٢) في فلك الشمس، فهو من العالم بمنزلة القلب الصوري من الإنسان، كما أن العرش منه بمثابة الدماغ منا. والله بكل شيء محيط.

* * *

-
- | | |
|-------------------------|------------------------------------|
| (١) مج ٢ : + بمثابة. | (٧) مج ٤ : دائماً. |
| (٢) مر ١، مج ٤ : نفس. | (٨) مج ٢ : فتتحرك. |
| (٣) مر ١، مج ٤ : ينضم. | (٩) مر ١ : الأوضاع. |
| (٤) مر ١، مج ٣ : إرادة. | (١٠) مج ٤ : - والجوارح... الأعضاء. |
| (٥) مج ٤ : - يستلزم. | (١١) مر ١ : - حركة. |
| (٦) مر ١ : عزمًا. | (١٢) مج ٤ : الكلي. |

الفصل الثالث^(١)

في أنّ العالم مخلوق على أجود النظمات وأتمّ الأوضاع، لا
يتصوّر فوق نظامه نظام في الجودة والفضل

والبرهان عليه من وجهين: لمي وإني، فلنبيّن ذلك في مسلكين^(٢).
أما المسلك الأوّل، فنقول في بيانه:

قد تحقّق وتبيّن^(٣) أنّ واجب الوجود إله العالم - تقدّست أسماؤه وتمجّدت
آلاؤه - بريء من جميع^(٤) أنحاء^(٥) النقص؛ ووجوده الذي هو ماهيّته، أفضل
وجود ومبدأ كلّ فيض وجود. فلا يمكن أن يكون أقدم من وجوده وجود، ولا
في^(٦) مرتبة وجوده^(٧) وجود، فلا مادّة له ولا موضوع ولا صورة ولا غاية؛ لأنّ
هذه الأشياء تسقط^(٨) أوليته^(٩) وتقدّمه.

ومن هاهنا يظهر أنّه واحدٌ لتماهيّته^(١٠)؛ عالم بذاته لتجرّده عن الموضوعات
المادّية والأغشية الهيولانية، وبجميع^(١١) الأشياء لاستنادها ورجوعها إليه. وعلم
من هذا^(١٢) أنّ وجود ما يوجد عنه إنّما هو على محض فيض وجوده لوجود^(١٣)

(١) مج ١، مج ٢: الفصل الثالث.

(٢) مر ١: المسلكين.

(٣) مر ١: بين.

(٤) مر ١: ١ جميع.

(٥) مر ١: أقسام.

(٦) مر ١: - في.

(٧) مر ١: وجود.

(٨) مج ٤: يسقط.

(٩) مر ١: أولية.

(١٠) مر ١: لتمامية.

(١١) مج ٣: مجمع / مر ١: بجمع.

(١٢) مج ٤: هذه.

(١٣) مج ٢: لوجوده.

ما سواه مع علمه ورضاه، ولا يفيد^(١) وجود ما يوجد عنه كمالاً أو كرامة أو لذة أو بهجة أو نفعاً أو تخلصاً من مذمة^(٢) أو غير ذلك من المنافع والخيرات، لكونه غنياً عن العالمين.

فلذلك^(٣) وجوده الذي به تجوهر ذاته هو^(٤) بعينه وجوده الذي به^(٥) يحصل منه غيره، بل هما هناك ذات واحدة^(٦) وحيثية واحدة، لا أنه ينقسم إلى شيئين^(٧) يكون بأحدهما تجوهر ذاته وبالأخر^(٨) حصول شيء آخر عنه. كما أن لنا شيئين نتجوهر ونتذوّت^(٩) بأحدهما وهو النطق^(١٠)، و^(١١) نكتب بالأخر^(١٢) وهو صناعة الكتابة.

وبالجملة لا يحتاج في أن يفيض^(١٣) عنه شيء إلى شيء غير ذاته - صفة كان أو حركة أو آلة - كما يحتاج النار في إحراقه لشيء^(١٤) إلى صفة هي الحرارة، والشمس في إضاءتها^(١٥) أطراف^(١٦) الأرض إلى الحركة^(١٧)، والنجم في نحت^(١٨) الباب إلى^(١٩) الفأس^(٢٠)، ولا يمكن أيضاً أن يكون له في فعله عائق أو منتظر.

وإذا^(٢١) فاضت عنه الموجودات بترتيب^(٢٢) مراتبها، وحصل لكل موجود قسطه الذي يليق به من الوجود ومرتبته، فيبتدىء من أشرفها وجوداً كالعقول

- | | |
|----------------------------|--|
| (١) مع ٤ : لا يقيد. | (١٢) مع ١، مع ٢ : - بالأخر. |
| (٢) مع ٤ : ملته. | (١٣) مع ٤ : تفيض. |
| (٣) مع ٤ : لكللك. | (١٤) مع ٤ : الشيء. |
| (٤) مر ١ : - هو. | (١٥) مر ١ : + إلى. |
| (٥) مع ٤ : - هـ. | (١٦) مع ٤ : لأطراف. |
| (٦) مر ١ : واحد. | (١٧) مع ٤ : - إلى الحركة. |
| (٧) مع ٢، مع ٣ : شيء. | (١٨) مر ١ : تحت/ مع ٤ : نجر. |
| (٨) مر ١ : بأخرى. | (١٩) مر ١ : - إلى. |
| (٩) مع ٤ : يتجوهر ويتلذّز. | (٢٠) مر ١ : الفأس. |
| (١٠) مر ١ : المنطق. | (٢١) مر ١ : فإذا. |
| (١١) مر ١ : - و. | (٢٢) مر ١ : بترتيب/ مر ٢، مع ٤ : ترتب. |

الفعالة، ثم^(١) يتلوه ما هو أنقص منه^(٢) قليلاً^(٣) كالنفوس المجردة الفلكية، ثم الصور المنطبعة السماوية، وهكذا إلى أن ينتهي إلى الوجود الذي هو أحسن^(٤) الموجودات وأضعفها؛ فينقطع^(٥) السلسلة النزولية عندها ولا تتخطى^(٦) إلى^(٧) ما هو دونها، لعدم^(٨) إمكانه. فهو نهاية تدبير^(٩) الأمر^(١٠)؛ فإنه ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١١). ثم يفيض عنه بالامتزاج بين المواد الحسية^(١٢) الصور النوعية التركيبية على مراتبها المتفاوتة^(١٣) بحسب ترقى^(١٤) الاستعدادات^(١٥). فلا يزال يترقى^(١٦) الوجود من الأردل^(١٧) إلى الأفضل إلى أن ينتهي إلى الأفضل الذي لا أفضل^(١٨) منه^(١٩) في هذه السلسلة الصعودية.

فأخسها المادة المشتركة، والأفضل منها الاسطقسات، ثم^(٢٠) المعدنيات، ثم النبات، ثم الحيوان غير الناطق^(٢١)، ثم الحيوان الناطق؛ وأفضله ما وصل إلى درجة العقل المستفاد، فيه عاد الوجود إلى المبدأ الذي ابتداء منه^(٢٢) وارتقى إلى ذروة الكمال بعد أن هبط منها. فعنده يقف^(٢٣) ترتيب الخير^(٢٤) والجود، وبه يتصل دائرة الوجود كما نظمها الشاعر:

دوسر خط^(٢٥) حلقه بحقيقت به هم توپيوسنی

- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) مر ١ : تم : + و . | (١٤) مج ٤ : القوى . |
| (٢) مر ١ : - منه . | (١٥) مر ١ : الإرادات . |
| (٣) مر ١ : قليل . | (١٦) مج ٣ : ترقى / مج ٤ : في . |
| (٤) مر ١ : أحسن . | (١٧) مج ٢ : الأذل / مج ٣ : أدون . |
| (٥) مر ١ ، مج ٤ : فينقطع . | (١٨) مر ١ : - الذي لا أفضل . |
| (٦) مر ١ : ينطى / مج ١ ، مج ٤ : يتخطى . | (١٩) مج ١ ، مج ٤ : عنه . |
| (٧) مج ٤ : - إلى . | (٢٠) مر ١ : - ثم . |
| (٨) مر ١ : يعلم . | (٢١) مر ١ : - غير الناطق . |
| (٩) مج ٤ : تغبر . | (٢٢) مر ١ : - منه . |
| (١٠) مر ١ : + العالم . | (٢٣) مج ٤ : تقف . |
| (١١) سورة سجدة، آية : ٥ . | (٢٤) مج ٤ : الحسن . |
| (١٢) مج ٤ : + و . | (٢٥) مر ١ : - خط . |
| (١٣) مج ٤ : المقارنة . | |

إذا^(١) تمهّد ما ذكرناه من المقدمات، فنقول: كلّ مرتبة من مراتب الموجودات التي تكون^(٢) في صفّي^(٣) المراتب، وكذا^(٤) المجموع من حيث المجموع لا يمكن أن تكون أفضل ممّا هو عليه، ولنبيّن ذلك^(٥) في مباحث:

المبحث الأوّل في بيان أنّ^(٦) مراتب البدء^(٧) على أشرف أنحاء^(٨) يتصور في حقّها. وهو أنّ^(٩) كلّ ما وقع في مرتبة من تلك المراتب لا يتصوّر ما هو أشرف من شخصه ولا^(١٠) ما هو أشرف من نوعه في تلك المرتبة من الجهة التي صدر بها عن^(١١) مبدعه.

أمّا الأوّل، فلوجوب انحصار نوع كلّ منها^(١٢) في شخصه. لعدم الامتياز هناك بالعوارض المفارقة، لكونها^(١٣) قبل^(١٤) الاتّفاقات والحركات. فاختصاص بعض الأفراد بلحوق بعض العوارض مع^(١٥) استواء الاستحقاق في الكلّ ترجيح من دون مرجح، وامتنياز الشيء بنوعه أو بلام^(١٦) نوعه يوجب الانحصار في شخص واحد.

وأما الثاني، فلما دلّت عليه قاعدة^(١٧) «الإمكان الأشرف» المستفاد من الأستاذ الأوّل، أرسطاطاليس^(١٨)، من أنّ^(١٩) الجواد الحقّ والفيّاض المطلق لا يقتضي الأخسّ^(٢٠) ويترك الممكن الأشرف، بل يلزم من فيض جوده^(٢١)

(١) مج ٣: + و. (٢) مج ٢: يكون.

(٣) مر ١، مج ٢، مج ٣: صفّي/ مج ٤: ضيفي.

(٤) مر ٢، مج ٢، مج ٣، مج ٤: ولا.

(٥) مر ١: - ولنبيّن ذلك/ مج ٤: ليس. (٦) مج ٤: - أنّ.

(٧) مر ١: الله. (٨) مر ١: أنهاء.

(٩) مج ٤: - أنّ.

(١٠) مر ١، مج ٤: - ما هو أشرف من شخصه ولا.

(١١) مر ١: صبر بها أنّ. (١٢) مج ٤: منهما.

(١٣) مج ٤: - لكونها. (١٤) مج ٤: + على.

(١٥) مج ٤: - مع. (١٦) مج ٤، مر ١: بلوازم/ مر ٢: وملازم.

(١٧) مر ١: فالله. (١٨) مر ١: أرسطاطاليس.

(١٩) مج: - أنّ. (٢٠) مج ٤: الأخس.

(٢١) مج ٤: جودة.

الأشرف فالأشرف . وبرهانه مذكور في كتب شيخ المتألهين^(١) صاحب الإشراف . وهي وإن كانت غير مطردة في ما تحت^(٢) الكون وفي سلسلة العائدات كما ظنه بعضهم، لكنها جارية^(٣) في سلسلة الباديات^(٤) .

أما^(٥) ترى يا عارف! كيف أبدع الباريء جلّ شأنه أولاً العقول الفعالة والجواهر المتعالية عن المواد المتمحضة^(٦) مطلقاً^(٧) عن القوة والاستعداد؟ إذ هي أشرف ما في الإمكان من الجواهر . وأفضل تلك المفارقة وأنورها^(٨) هو أقدمها وأقربها إلى نور الأنوار، جلّت كبرياؤه . ثم سائرها^(٩) على الترتيب إلى ما يفيض بواسطته^(١٠) عالم العناصر، وهو آخر العقول الزواهر^(١١) الذي سمّته حكماء الفرس «روان بخش»، ويسمّى^(١٢) «روح القدس»^(١٣) وهو المعلم الشديد القوى الذي قال فيه حكيم العرب والعجم **عَلَّمَ** : «إنّ لله ملكاً له سبعون ألف وجه» أي كلّ فيض من فيضاته^(١٤) وجه له «في كلّ وجه»^(١٥) سبعون ألف لسان أي لكلّ فيضة^(١٦) من فيضاته^(١٧) صورة^(١٨) حادثة على المواد . والتقييد بهذا العدد إشارة إلى سلب الحصر عمّا يحصل عنه بإذن ربه من الصور^(١٩) «يسبّح بجمعها» أي كلّ واحدة^(٢٠) منها شاهدة على وحدانيّة^(٢١) خالقها؛ كما قال : **﴿وَلَا يَنْ شَقُّ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾**^(٢٢) .

- | | |
|---|--|
| (١) مر ١ : المتأقلين . | (٢) مج ٤ : يجب . |
| (٣) مر ١ : - جارية . | (٤) مر ١ : الماديات . |
| (٥) مج ٤ : ألا . | (٦) مر ١ : المتمحضة . |
| (٧) مر ١ : مطلقاً . | (٨) مر ١ : إن درها . |
| (٩) مر ١ : سارها . | (١٠) مر ٢ ، مج ٢ : بواسطة . |
| (١١) مر ١ : الزواهر . | (١٢) مج ٤ : سمي . |
| (١٣) مر ٢ ، مج ٣ ، مج ٤ : + في قوله تعالى : وأهدناه بروح القدس . سورة بقره ، آيتان : ٨٧ و ٢٥٣ . | (١٤) مج ٤ : - في كلّ وجه / مر ١ : + له . |
| (١٤) مر ١ : فيضانه . | (١٥) مج ٤ : فيضانه . |
| (١٦) مر ١ ، مج ٤ : فيض . | (١٧) مر ١ ، مج ٤ : فيضانه . |
| (١٨) مر ٢ ، مج ٤ : صور . | (١٩) مر ١ : + و . |
| (٢٠) مج ٤ : واحد . | (٢١) مر ١ : وحدانيته . |
| (٢٢) سورة اسراء ، آية : ٤٤ . | |

ثم الأفلاك صادرة عنها بإذن^(١) مبدع الكل على وجه لا يعتربها^(٢) نقص^(٣)
ولا قصور في ذواتها، ولا إعياء^(٤) ولا فتور في حركتها. عاشقة لأضواء القدس
مطبعة لله تعالى، ولكل منها معشوق^(٥) عقلي يختصه ومحرك^(٦) خاص يحركه^(٧)
على سبيل التشويق والإمداد.

بل الحق أن^(٨) الكل مشتاقون إلى^(٩) جمال^(١٠) رب العالمين، متواجدون في
عظمة^(١١) أول^(١٢) الأولين، و^(١٣) هو الذي أدار رحاها و^(١٤) يسر الله بحركتها
ومرسلها^(١٥). لكن الكل بوسط^(١٦) يناسبه^(١٧)، ويمشوق^(١٨) قدسي^(١٩) يقاربه،
لاختلاف الجهات والحركات المقتضي لكثرة القادسات حسب تكثر الأجرام
الحية^(٢٠) الدائرات. ولها أيضاً من^(٢١) كل صفة للهيلانية^(٢٢) فيها مدخل،
أشرفها وأفضلها؛ فلها من الأشكال أفضلها وهي الكرية، و^(٢٣) من الحركات
أفضلها وهي^(٢٤) الدورية الموجبة للحياة والنطق، ومن الكيفيات المربة^(٢٥)
أفضلها وهي الضياء^(٢٦).

وتشارك^(٢٧) السابقين من الملائكة المقربين في أنها أعطيت أفضل ما
تجوهرت به^(٢٨) في أول الأمر، وكذلك أعظامها وأشكالها والكيفيات

- | | |
|--|--------------------------|
| (١) مج ٢ : باذ. | (٢) مج ٤ : تقربها. |
| (٣) مج ٤ : - نقص. | (٤) مر ١ : أعباء. |
| (٥) مر ١ : مشعون. | (٦) مر ١ : + و. |
| (٧) مر ١ : تحركه. | (٨) مج ٤ : الحق أنه. |
| (٩) مر ١ : على. | (١٠) مر ١ : + جمال. |
| (١١) مج ٤ : عظمته. | (١٢) مج ٤ : الأول. |
| (١٣) مر ١، مج ٣، مر ٢، مج ٤ : - و. | (١٤) سورة هود، آية : ٤١. |
| (١٥) مر ١، مج ٤ : توسط. | (١٦) مج ٤ : تناسبه. |
| (١٧) مر ١ : يمشوق/ مر ٢، مج ٢، مج ٣ : يمشوق/ مج ٤ : متوشق. | (١٩) مج ٤ : الحية الحية. |
| (١٨) مج ٤ : فلس. | (٢١) مر ١ : الهيلانية. |
| (٢٠) مج ٢ : في. | (٢٢) مر ٢ : - و. |
| (٢١) مر ٢ : - و. | (٢٣) مج ٤ : - وهي. |
| (٢٤) مر ١، مج ٤ : المربة. | (٢٥) مج ٤ : أيضاً. |
| (٢٦) مر ١، مج ٤ : يشارك. | (٢٧) مر ١ : - به. |

المرئية^(١) التي تخصها^(٢)، والكمالات الممكنة في حقها؛ إلا في النسب^(٣) مع حفظ نوعها أيضاً^(٤). فإنها^(٥) لم يكن لها^(٦) في أول الفطرة أن تعطى^(٧) الشيء الذي تتحرك^(٨) إليه، وهو أيسر^(٩) عرض يكون^(١٠) في الأجسام^(١١) وأخسه. ونسبة الجسم إلى سطح^(١٢) الجسم^(١٣) الذي ينطبق^(١٤) عليه أخس ما يوجد^(١٥) له، وأبعد الأعراض عن جوهر الشيء هو نسبته إلى شيء آخر.

فالأجرام^(١٦) السماوية يلحقها النقص^(١٧) في أخس الأشياء التي من شأنها أن يوجد لها شيئاً فشيئاً، ولا يمكن غير ذلك؛ لأنّ تجردها عن الوضع ممتنع، وإلا لكانت عقلاً لا جسماً؛ وكذا الجمع^(١٨) بين الأوضع، لتضادها. فلا محالة يحصل جزءاً فجزءاً إلى ما شاء الله تعالى. فقد ثبت أنّ موجودات تلك السلسلة في غاية الفضل الشرف ولا يتصور ما هو أشرف منها.

المبحث الثاني^(١٩) في بيان أنّ الموجودات الواقعة في مراتب الصعود و^(٢٠) في عالم التركيب في غاية الجودة وأفضل النظام.

فقول^(٢١): إنّ الأمور الواقعة في هذا العالم لما كان نظامها متعلقاً بحركات الأفلاك وأوضاعها، ونظام الأفلاك ظلّ نظام ما^(٢٢) في القضاء الإلهي بناءً على ما تقرّر^(٢٣) عندهم: من أنّ الموجودات غير صادرة على سبيل

-
- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) مر ١، مر ٢، مج ٤: المرتبة. | (٢) مر ١: يخصها. |
| (٣) مر ١: البات. | (٤) مر ١: اتصافاً. |
| (٥) مر ١: هنا/ مج ١: فإننا. | (٦) مج ١، مر ١: لم يمكن لنا. |
| (٧) مر ١، مج ٤: يعطي/ مج ١: تعطى. | (٨) مج ٤: يتحرك/ مج ١: تتحرك. |
| (٩) مر ١: السير. | (١٠) مر ١: - يكون. |
| (١١) مج ٤: - يكون في الأجسام. | (١٢) مر ١، مج ٤: السطح. |
| (١٣) مج ٤: - الجسم. | (١٤) مر ١: ينطق. |
| (١٥) مج ٤: توجد. | (١٦) مر ١: وفالأجرام. |
| (١٧) مج ٢: التفصي/ مج ١: التفصي/ مر ١: التفصي. | |
| (١٨) مج ٤: الجميع. | (١٩) مج ١، مج ٢: - المبحث الثاني. |
| (٢٠) مج ٤: - و. | (٢١) مر ١: فيقول. |
| (٢٢) مر ١: - ما. | (٢٣) مج ٢: نفرر/ مج ٤: يفرر. |

الاتفاق^(١) كما نسب إلى ديمقراطيس، ولا على طريقة الجراف كما توهمته^(٢) الأشاعرة، ولا عن^(٣) إرادة ناقصة كإرادتنا المحوجة إلى دواعٍ خارجة^(٤) عن ذاتنا كما زعمته المعتزلة، ولا بحسب^(٥) الطبيعة التي لا شعور لها بذاتها، فضلاً عن شعورها^(٦) بما^(٧) يصدر عنها كما ذهب^(٨) إليه أوساخ الدهرية والملاحدة؛ بل النظام المعقول^(٩) الذي يسمى^(١٠) عند الحكماء بـ«العناية» مصدر للنظام الموجود، وذلك^(١١) النظام محض الخير والكمال، لبراءة المبدأ الأعلى عن^(١٢) النقص والشين.

فهذا النظام الذي على وفقه^(١٣) يكون أتمّ النظمات الممكنة وأكملها؛ فعلى هذا يلزم أن لا يكون في الوجود أمر جزاء في^(١٤) أمر اتفاقي^(١٥)، بل كلّ غريزي فطري بالقياس إلى طبيعة الكل، سواء كان طبيعياً بحسب ذاته كحركة الحجر إلى السفلى، أو قسرياً^(١٦) كحركته إلى فوق، أو إرادياً كفعل الحيوان من حيث هو حيوان. إذ كلّ ما يحدث فيجب عن سببه^(١٧)، ويرتقي في سلسلة الأسباب إلى مبدأ واحد^(١٨) ومسبّب^(١٩) فرد يتسبّب^(٢٠) عنه الأشياء على ترتيب علمه بها. فليس في الوجود شيء منافٍ لطبيعة^(٢١) علله وأسبابه، إذ المعلول لا ينافي العلة.

-
- | | |
|---|--------------------|
| (١) مر ١: الاتصاف. | (٢) مر ١: توهمه. |
| (٣) مر ١: في. | |
| (٤) مج ٤: - سيل الاتفاق كما... دواعٍ خارجة. | |
| (٥) مر ١: يجب. | (٦) مر ١: شعور. |
| (٧) مر ٢، ٣: متا/ مج ٤: لما. | (٨) مج ٤: ذهبت. |
| (٩) مر ٢: العقول. | (١٠) مر ١: تسمى. |
| (١١) مج ٤: فذلك. | (١٢) مج ٤: من. |
| (١٣) مج ٣: + يجب أن. | (١٤) مر ١: خرافي. |
| (١٥) مج ٣: - أو أمر اتفاقي. | (١٦) مر ١: قربا. |
| (١٧) مج ٤: سبب. | (١٨) مر ١: - واحد. |
| (١٩) مج ٤: سبب. | (٢٠) مر ١: تسبب. |
| (٢١) مر ١: بطبيعة. | |

فالحركات^(١) المتنافرة^(٢) الغير المنتظمة بالقياس إلى طبيعة جزئية متلازمة منتظمة بالقياس إلى طبيعة^(٣) الفلك^(٤). وكذا النغمات^(٥) الغير المؤتلفة^(٦) والأشعار الغير الموزونة مؤتلفة^(٧) موزونة بالقياس إلى نظام^(٨) الكل^(٩)، ووجود الأصابع الزائدة على خلقة^(١٠) الإنسان طبيعي في جبلة العالم. وكذا^(١١) كل أمر^(١٢) فهو بالقياس إلى الكل طبيعي، وإن لم يكن طبيعياً على الإطلاق. ولو^(١٣) تيسر لك أن تعلم^(١٤) كل شيء بأسبابه وعمله، بأن تخرج^(١٥) من^(١٦) هذه الهاربة المظلمة مهاجراً إلى الله، وترتقي^(١٧) إلى عالم الأفلاك وما فوقها^(١٨) وما فوق فوقها^(١٩) إلى^(٢٠) أن^(٢١) تعرف المبدأ الأول حق معرفته^(٢٢)، ثم ما يتلوه من الملائكة العلمية، ثم ما يتلوها^(٢٣) من الملائكة العمالة بإذن ربها، ثم ما تباشر^(٢٤) تحريكها من الأجسام الفلكية مع^(٢٥) لوازم حركاتها من الأسطوانات^(٢٦)، ثم الأمزجة^(٢٧) والممتزجات^(٢٨) التي يوجبها^(٢٩) الحركات وما يترتب عليها من الكائنات؛ لرأيت جميع الأشياء حسناً عندك ملائماً لديك،

-
- (١) مج ٤: والحركات/ مر ١: فالحركة. (٢) مر ١: متنافرة.
(٣) مج ٤: الطبيعة. (٤) مر ٢: الكل.
(٥) مر ١: - النغمات. (٦) مج ٣، مج ٤: المؤتلفة.
(٧) مج ٤: - والأشعار الغير الموزونة مؤتلفة.
(٨) مر ١، مر ٢، مج ٢، مج ٣، مج ٤: النظام.
(٩) مر ١، مج ٤: الكلّي. (١٠) مج ٣: خلقه.
(١١) مر ١: فكذا. (١٢) همه نسخة ها جز (مج ٣: عمر.
(١٣) مر ١: يو. (١٤) مج ٤: يعلم.
(١٥) مج ٣، مر ١: يخرج. (١٦) مر ١: عن.
(١٧) مر ٢: يرتقي. (١٨) مج ٤: - وما فوق.
(١٩) مر ١: - وما فوق فوقها. (٢٠) مر ١: على.
(٢١) مج ٢: - أن.
(٢٢) (٢٢) اناره است به حديث نبوي ﷺ: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك.
(٢٣) مج ٤: ما يتلوه. (٢٤) مر ٢، مج ٣: بتأثير/ مج ٤: مباشر.
(٢٥) مر ١: من. (٢٦) مر ١: الأسطوانات.
(٢٧) مج ٤: + لم. (٢٨) مر ١: الممتزجات/ مج ٣: الممتزجات.
(٢٩) مج ٤: توجبها.

وعرفت هذا المعنى^(١) بالوجدان^(٢) كما عرفته الآن بالبرهان.

المبحث الثالث^(٣) في أن مجموع العالم من حيث المجموع على أكمل خلقه^(٤) وأنتم نظام.

قد تبين وتحقق في الكتب^(٥) الحكمية وحدة العالم بجميع أجزائه وامتناع تعدد العوالم^(٦)، سواء كانت متخالفة في الماهية^(٧) أو متحدة فيها^(٨) متخالفة في العدد. وذهبت طائفة من متألّهي^(٩) الحكماء ومحققي الصوفية إلى^(١٠) أن لجميع العالم وحدة طبيعية ببرهان بعض مقدماته حدسية. وفي رسائل^(١١) إخوان الصفاء بيان كون العالم حيواناً واحداً ببسط^(١٢) من الكلام، نقله^(١٣) بوجب الإسهاب^(١٤). وكذا صرح العظيم أرسطاطليس بأن العالم حيوان واحد^(١٥).

فنقول: إذا كان العالم بجميع أجزائه^(١٦) واحداً شخصياً، فلا^(١٧) يتصور نظام آخر بدل هذا النظام الموجود يكون هو فوقه^(١٨) تمامية^(١٩) وكمالاً، أو في مرتبته^(٢٠) في^(٢١) الشرف والخيرية. وبيانه أن ذلك النظام المفروض^(٢٢) لا يخلو: إما أن يكون مندرجاً^(٢٣) مع هذا النظام الواقع تحت^(٢٤) طبيعة واحدة

-
- (١) مر ١ : - المعنى.
(٢) مر ١ : الوجدان.
(٣) مر ١، ١، ١ : - المبحث الثالث. (٤) مر ١، ١، ١ : خلقه.
(٥) مر ١ : كتب.
(٦) مر ١، ١، ١ : - الماهية.
(٧) مر ١ : - متخالفة في الماهية أو متحدة فيها.
(٨) مر ١ : متألّهين.
(٩) مر ١ : رسالة.
(١٠) مر ١ : بعله.
(١١) مر ٢، ١ : - واحد.
(١٢) مر ١ : - فنقول: إذا كان العالم بجميع أجزائه.
(١٣) مر ١، ١، ١ : + يجوز أن.
(١٤) مر ١ : موقوفة.
(١٥) مر ١ : تماميته.
(١٦) مر ٢، ١ : مرتبة.
(١٧) مر ١ : المعروف.
(١٨) مر ١ : بحسب.
(١٩) مر ١ : من.
(٢٠) مر ١ : مندرجات.
(٢١) مر ١ : بحسب.

نوعية، أو لا يكون كذلك. وكلّ من الشقيين باطل، فتصوّر^(١) نظام آخر مطلقاً باطل.

أما الأول، فلما تقرّر من أنّه لا يمكن أن يكون^(٢) جواهر ولا^(٣) أعراض^(٤) مخلفة لجواهر هذا العالم الموجود وأعراضه.

أما العقول والنفوس الفلكية^(٥) وهيوليات^(٦) الأفلاك والهيولى المشتركة، فكل^(٧) واحد منها صدر عن^(٨) فاعله بجهة واحدة من الجهات الفاعلية اللازمة التي يقتضيه^(٩) ذلك الفاعل بها^(١٠) لا لغيرها^(١١) بالذات، بلا شركة من القابل واستعداده وأعراضه المفارقة، لا محالة^(١٢) لا يمكن غيره. فكلّ ما وقع من تلك الأمور في مرتبة^(١٣) من مراتب الوجود، لا يمكن تصوّر وقوع نوع آخر في^(١٤) تلك المرتبة؛ فلا يمكن تصوّر نوع آخر من أجناسها يقع في شيء من المراتب إلّا ما هو الواقع فيها^(١٥) لا غير.

وأما الجسم بما هو جسم فهو غير مختلف الحقيقة، واختلاف أنواعها بأمور لاحقة للجسمية المشتركة؛ إذ ليس لها أنواع بسيطة^(١٦) يكون جعل جنسها و^(١٧) فصلها واحداً^(١٨)، كالسواد والبياض مثلاً^(١٩) بالقياس إلى اللون المطلق.

وأما الأجسام^(٢٠) البسيطة، فلانحصار منوّعاتها^(٢١) من الصور بما صدرت

(١) مر ١: تصوّر. (٢) مع ٤: - أن يكون.

(٣) مع ٤: - لا. (٤) مر ١: الأعراض.

(٥) مع ٣، مع ٤: الكلية. (٦) مر ١: هيولات.

(٧) مع ٢، مع ٤: وكلّ. (٨) مر ١: من.

(٩) مر ٢، مع ٢: تقتضيه/ مع ٤: تقتضيها. (١٠) مع ٤: - بها.

(١١) مر ١: لا غيرها/ مر ٢، مع ٢، مع ٣: لا بغيرها/ مع ٤: لا غيرها.

(١٢) مر ٢، مع ٤: فلا محالة. (١٣) مع ٣: مرتبته.

(١٤) مع ٣: من. (١٥) مع ٤: منها.

(١٦) مع ٣: بسيط. (١٧) مع ٤: أو.

(١٨) مع ٣: واحد. (١٩) مر ١: - مثلاً.

(٢٠) مر ١: الأجناس. (٢١) مع ٣: متنوّعاتها.

من المبادئ بحسب بعض جهاتها اللازمة إما مطلقة^(١)، أو بضرب^(٢) من الإعانة من الصور السوابق^(٣) بلا مدخلية^(٤) الأمور العارضة المفارقة، فلا يمكن وجود غيرها.

وأما الأعراض، فلأنها تابعة للجواهر متقومة^(٥) بها؛ فمع اتفاق الموضوعات والحيثيات الفاعلية والقابلية لا يمكن اختلاف^(٦) الأعراض. ولولا^(٧) مجانية^(٨) التطويل، لبسط^(٩) القول على التفصيل في عدم إمكان نوع ما^(١٠) من الأعراض خارج عما وجدت وتحققت من الأجناس العوالي وأنواعها؛ ولكن فيما ذكرناه كفاية للمستبصر.

وكذلك حكم أنحاء المركبات وصورها النوعية، لكونها^(١١) تابعة للكيفيات المزاجية. فإذا لم يمكن تحقق جواهر ولا^(١٢) أعراض سوى هذه التي قد وجدت؛ فلو فرض عالم آخر، يكون لا محالة موافقاً لهذا العالم في الماهية^(١٣)، ومخالفاً له في أمور عرضية؛ فقد بطل أن يكون مخالفاً في أمر ذاتي.

وأما بطلان الشق^(١٤) الثاني، وهو كون ما يتصور من نظام آخر متحد الماهية مع هذا النظام الوجود، فلوجوه^(١٥):

منها أن العالم بجميع أجزائه إذا كان واحداً^(١٦) وحدة طبيعية نوعية، لا يكون وجوده مسبقاً^(١٧) باستعداد^(١٨) مادة^(١٩) وتهيؤ^(٢٠) قابل؛ وكل^(٢١) ما لا

- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) مج ٤ : مطلقاً. | (١٢) مر ١، مج ٤ : - لا. |
| (٢) مر ١ : يضرب. | (١٣) مج ٣ : الهيئة. |
| (٣) مر ١ : السابقة. | (١٤) مج ٤ : شق. |
| (٤) مج ٣ : مدخلية. | (١٥) مج ٤ : فلوج. |
| (٥) مج ٤ : المتقومة/ مر ١، مر ٢ : المقومة. | (١٦) مج ٤ : واحد. |
| (٦) مر ١ : - اختلاف. | (١٧) مج ٣ : سابقاً. |
| (٧) مر ١ : لون. | (١٨) مر ١ : باستعداده. |
| (٨) مر ١ : مجانية. | (١٩) مر ١ : - مادة. |
| (٩) مر ١ : لبسط. | (٢٠) مر ١، مج ٢ : تهيؤ/ مج ٤ : تهيؤ. |
| (١٠) مج ٧، مج ٤ : - ما. | (٢١) مج ٤ : - وكل. |
| (١١) مر ١ : لكونها. | |

يكون^(١) كذلك، يكون نوعه^(٢) منحصرأ في شخص واحد.

ومنها أن وجوده حيث لم يكن مسبقاً بزمان يكون صدوره عن البارئ القيوم مرة واحدة على سبيل الإبداع، والمبدعات نوعها منحصر في شخصها.

ومنها أن قاعدة «الإمكان الأشرف» الجارية فيما ليس تحت الكون مطردة الحكم فيه.

ومنها أن الفاعل لوجوده هو ذات الواجب بذاته بلا جهة أخرى، ووحدّة العلة توجب وحدة المعلول.

ومنها أن تشخيصه^(٣) بذاته تعالى^(٤) المتشخص^(٥) بنفس حقيقته^(٦)، كما هو رأي أهل الحق، فلا يمكن تعدده^(٧).

ومنها أن علمه تعالى بنظام الخير الذي هو عين ذاته يقتضي وجوده، فلا يمكن غيره.

ومنها أن العلة الغائبة في وجوده هي ذات المبدأ الأعلى، وعلة بدئه بعينها علة تمامه، وكل ما هو^(٨) غايته^(٩) أجل الأشياء؛ فهي^(١٠) في غاية الشرف المتصور^(١١) في حقه.

تنبيه^(١٢)؛

ومتما يجب أن يعلم هاهنا^(١٣) أن كون العالم بأسره ذا أجزاء^(١٤) متكثرة متباينة لا يدفع صدوره عن فاعل حق واحد من جميع الوجوه والحديثات، ولا

-
- | | |
|------------------------|---------------------------------|
| (١) مر ١: يكون. | (٩) مر ١: غاية. |
| (٢) مر ١: - نوعه. | (١٠) مر ٢، مج ٤: فهو. |
| (٣) مر ١: شخصه. | (١١) مر ١: المتصورة. |
| (٤) مج ٤: تعالى بذاته. | (١٢) مج ١، مج ٢: - تنبيه/ مج ٤: |
| (٥) مر ١: - المتشخص. | المسلك الأول. |
| (٦) مر ١: حقيقته. | (١٣) مر ١، مر ٢: - هاهنا. |
| (٧) مر ١: تعدد. | (١٤) مج ٤: ذات أجزاء. |
| (٨) مج ٤: - هو. | |

يلزم من ذلك صدور الكثير عن الواحد الحقيقي في مرتبة واحدة.

وبيان ذلك هو^(١) أن العالم على تقدير كونه شخصاً^(٢) واحداً جهتين: جهة وحدة وجهة كثرة. والفرق بينهما كالفرق^(٣) بين الإجمال والتفصيل من أن التفاوت إنما هو بنحوي^(٤) الإدراك لا بشيء^(٥) في المدرك.

فنقول: إذا لوحظ العالم بأسره من جهة وحدته^(٦) الشخصية التي لا كثرة له من هذه الحيثية، حكم عليه بأنه مستند بالذات و^(٧) بالقصد الأول إلى الواحد الحق تعالى من دون^(٨) وسط وشرط، وأن علته^(٩) الفاعلية هي بعينها علتها^(١٠) الغائية. وإذا لوحظ من جهة كثرة التفصيلية، حكم عليه بأنه صدر على الترتيب السببي والمسببي، بأن يكون أبسط أجزائه وأشرفها^(١١) هو أقربها إلى الفاعل الحق، ثم يتلوه في الصدور ما يتلوه في البساطة والشرف، وهكذا إلى أن ينتهي إلى أقصى^(١٢) الوجود.

فالفرض^(١٣) من إثبات الترتيب في الممكنات، ونسبة المعلولات التي في المراتب الأخيرة إلى المتوسط^(١٤) والمتوسطة إلى العالية - كما فعلته^(١٥) الحكماء في كتبهم - إنما هو لتصحيح صدور العالم بأجزائه عن الحق^(١٦) الواحد^(١٧) من جميع الوجوه باعتبار كثرة الاجتماعية، لئلا ينشلم الوحدة الحقبة بصدور الأمور الكثيرة في مرتبة واحدة^(١٨)، لا باعتبار وحدته الشخصية؛ إذ لا^(١٩) كثرة من هذه الجهة.

(١) مر ١: - هو. (٢) مج ٣: شخصاً.

(٣) مج ٤: - بينهما كالفرق.

(٤) مر ٢. مج ٤: بنحو/ مج ٢، مج ٣: بنحو من.

(٥) مر ١، مج ٣، مج ٤: لشيء. (٦) مر ١، مج ٤: وحده.

(٧) مج ٣: - و. (٨) مر ١: - دون.

(٩) مج ٤: علتها. (١٠) مج ٤: علتها.

(١١) مج ٤: + و. (١٢) مر ١: أقصر.

(١٣) مج ٢: فالفرض. (١٤) مر ١: المتوسط.

(١٥) مر ١: فعله. (١٦) مج ٣: الحد.

(١٧) مر ١: واحد/ مر ٢: الواحد الحق. (١٨) مر ١: واحدته.

(١٩) مر ١: أولاً.

وأما كيفية صدور^(١) العالم بجميع أجزائه ن^(٢) الباريء لحق مرة واحدة على سبيل الإبداع، مع كون بعض أجزائه تدريجي الوجود بالذات أو بالعرض، وبعضها دفعي الوجود كذلك، وبعضها لا هذا ولا ذاك؛ فالتحقيق فيها يحتاج إلى^(٣) أحكام عدة من القوانين الحكمية مع تدبر تام وتأمل كامل، ووسعة في العقل^(٤) ورفض للوهم. والله الهادي إلى طريق^(٥) الصواب.

وأما المسلك الثاني^(٦) في^(٧) أن خلقه العالم على أحسن الوجوه وأشرف الأوضاع وأتمها، فهو بملاحظة أمور العالم وأوضاعها، وكيفية ترتيبها^(٨) ونضدها^(٩)، وارتباط العلويات بالسفليات على الوجه المخصوص، والتدبر في منافع حركات الأفلاك ونسب الكواكب ملاحظة إجمالية. فإن معرفة جميعها على التفصيل مما يخرج عن طوق^(١٠) البشر، وإنما ذلك شأن خالق القوى والقدر؛ بل لا يمكن للإنسان معرفة نفسه وبدنه ودقائق الصنع فيهما^(١١)، فضلاً عن معرفة ما سواه. فكيف يكون الحال في كل ما في عالم الأفلاك وعالم الكون والهلاك، مع ما فيها من دقائق الحكمة ولطائف العناية؛ فلنكتف^(١٢) بأمور جمليّة^(١٣) من أسرار الخلقة وغرائب الفطرة.

فنقول: ألم تر يا عارف أن مبدع العجائب وصانع^(١٤) الغرائب ومفيض الوجود وواهب الفضل والجود لما كان غير متناهي القوة والقدرة^(١٥) شدة ومدة وعدة، فلم يجز^(١٦) وقوف رحمته وجود عند حد^(١٧)؛ بأن^(١٨) يحصل منه قدر

- | | |
|--|---------------------------------------|
| (١) مج ٤ : + جميع. | (١٠) مج ٢ : طاقة نوع. |
| (٢) مر ١ : من. | (١١) مج ٤ : فيها. |
| (٣) مر ١ : - إلى. | (١٢) مر ١ : كيف / مج ٣ : فلتكن. |
| (٤) مر ٢ : العقل. | (١٣) مر ١ : جلية. |
| (٥) مج ٤ : الطريق. | (١٤) مج ٢ : صنائع. |
| (٦) مج ١، مج ٢ : - وأما المسلك الثاني. | (١٥) مر ١ : القدر. |
| (٧) مج ٢، مج ٣ : من. | (١٦) مر ١ : فلم تجر / مج ٤ : فلم يخر. |
| (٨) مر ١ : ترتيبها. | (١٧) مر ١ : - حد. |
| (٩) مر ١ : نصلها. | (١٨) مج ٣ : - بأن. |

متناهٍ من الموجودات و^(١) لا يتجاوزه، ويبقى بعد ذلك الإمكان الغير المتناهي بدون أن يخرج من القوة إلى الفعل^(٢).

ولمّا^(٣) امتنع صدور ما لا يتناهى منه^(٤) مجتمعاً، لنهوض براهين التطبيق والتضاييف وغيرهما؛ فبالضرورة لا يتأتى ذلك إلا على سبيل التعاقب والافتراق. فلا جرم^(٥) وجب أن يكون من مبدعاته^(٦) جوهر بواسطته^(٧) يستصح ويستقيم صدور المحدثات^(٨) والمتجدّدات عن البارئ المقدّس عن التغيّر والتصرّم. فيجب أن يكون ذلك الجوهر محض القوة والفاقة، كما أنّ الواجب تعالى محض الفعلية والجود؛ فأبد هوى ذات قوة غير متناهية في الانفعال^(٩).

ثمّ لما كان تجدد قبول الفيوضات الواردة على الهوى متوقفاً على^(١٠) أمر متجدّد بالطبع حادث^(١١) بالذات لا بأمر زائد على ذاته، ليصير بتجده وحدوثه^(١٢) الذاتي^(١٣) منشأ لتجدد المتجدّدات وحدوث الحادثات؛ فأفاد بفضل^(١٤) وجوده وجود أجرام كريمة رفيعة دائمة الحركات لأغراض شريفة علوية؛ هي العلة لاستعدادات غير متناهية تلحق إلى فاعل غير متناهي التأثير، وقابل غير متناهي القبول، ليجب ذلك إفاضة الخيرات وانفتاح أبواب البركات دائماً^(١٥)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١٦).

ثمّ، ألم تنظر إلى^(١٧) الفلكيات وأوضاعها لانتفاع السفليات؛ من أنّها لو كانت كلّها نيرات، لأفسدت بإحراقها موادّ الكائنات؟ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ

(١) مج ٤ : - و. (٢) مج ٤ : ممّا / مج ١ : أمّا.

(٣) مر ١، مر ٢، مج ٣، مج ٤ : عنه. (٤) مج ٣ : قد.

(٥) مر ١ : مبدأ غاية. (٦) مج ٤ : بواسطة.

(٧) مر ١ : - و.

(٨) مر ٢، مج ٣، مج ٤ + كما أنّه ذو قوة غير متناهية في الفعل.

(٩) مر ١ : إلى. (١٠) مر ١ : - حادث.

(١١) مر ١ : حدوث. (١٢) مج ٣، مج ٤ : الذاتين.

(١٣) مر ٢، مج ٣، مج ٤ : بفضل. (١٤) مر ١ : وإنّما.

(١٥) سورة إبراهيم، آية : ٣٤، وسورة نحل، آية : ١٨.

(١٦) مج ٤ : + احوال.

أَرَاهُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ اللَّيْلُ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(١). ولو كانت بالكلية^(٢) عربة عن النور، لبقي ما دون الفلك^(٣) في وحشة شديدة وليلٍ مظلم^(٤) لا أوحش^(٥) منه، كما في قوله تعالى^(٦): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِضِيَاءٌ﴾^(٧) لو ثبتت أنوارها أو لازمت^(٨) دائرة واحدة، لأثرت بإفراط فيما قابلها^(٩)، وتفريط فيما وراء ذلك. ولو لم يكن لها حركة سريعة، لفعلت ما يفعله^(١٠) السكون واللزوم. ولو لم يجعل^(١١) الأنوار^(١٢) الكوكبية ذات حركتين سريعة مشتركة، وبطيئة مختصة، ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة مائلة عن^(١٣) دائرة^(١٤) الحركة السريعة، لما مالت إلى النواحي^(١٥) شمالاً وجنوباً.

ولولا أن حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف^(١٦) سمتها^(١٧) بسمت^(١٨) الحركة السريعة، لما حصلت الفصول الأربعة التي بها يتم الكون والفساد، وتنصلح^(١٩) أمزجة البقاع والبلاد. ولما كان القمر نائباً للشمس خليفة لها في النضج و^(٢٠)التسخين والتحليل إذا كان قويّ النور، جعل مجراه يخالف^(٢١) مجراها^(٢٢). فالشمس^(٢٣) تكون في الشتاء جنوبية، والقمر شمالية،

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة قصص، آية: ٧٢. | (٢) مج ٤: الكلية. |
| (٣) مج ٤: فلك. | (٤) مر ١: مظلمة. |
| (٥) مج ٤: أظلم. | (٦) مر ١: قال الله تعالى. |
| (٧) سورة قصص، آية: ٧١. | (٨) مر ١: ولوازمت/ مج ٤: لازمة. |
| (٩) مر ١: قابله. | (١٠) مج ٤: يفعل. |
| (١١) مج ٤: جعل. | (١٢) مر ٢، ١: للأنوار. |
| (١٣) مج ٤: من. | (١٤) مر ١: دائر. |
| (١٥) مر ١: النواحي. | (١٦) مج ٤: يخالف. |
| (١٧) مر ١: سمتها. | (١٨) مر ١، ٢: لسلب. |
| (١٩) مر ١: ينصلح/ مج ٤: ينصلح. | (٢٠) مج ٤: - في النضج و. |
| (٢١) مر ٢، ١: يخالف. | (٢٢) مر ١: - يخالف مجراها. |
| (٢٣) مج ٤: لشمس. | |

لثلاً يفتقد^(١) السيبان^(٢). وفي الصيف^(٣) بعكس ذلك، لثلاً يجتمع المسخّنان^(٤). ولما كانت الشمس شمالية^(٥) الحركة صيفاً، جنوبيتها^(٦) شتاءً، جعل أوجهاً في الشمال وحضيضها في الجنوب^(٧)، لينجبر^(٨) قرب^(٩) الميل ببعد^(١٠) المسافة، لثلاً يشتد^(١١) الإضاءة و^(١٢) التنوير، وينكسر بعده بقربها^(١٣)، لثلاً يضعف القوة عن^(١٤) التأثير.

ثمّ أما تأملت يا أخا الحقيقة أن خلق المركّبات التامة لما لم يتمّ إلا بكيفيات أربع فعلية وانفعالية، كالحرارة للتبديد^(١٥) والتحليل، والبرودة للجمع والتسكين، والرطوبة لقبول^(١٦) التخليق^(١٧) والتشكيل^(١٨)، واليبوسة لحفظ ما أفيد من التقويم والتعديل؛ كيف خلق البارئ سبحانه^(١٩) بلطفه وجوده عناصر أربعة^(٢٠)، وأسكن^(٢١) كلّ منها في موضع يليق به وبما سواه منها؟ فرتبها تحت السماوات ترتيباً مضموماً بديعاً، ونظم^(٢٢) في مقعر فلك^(٢٣) القمر نظاماً مضبوطاً عجيباً. فجعل كلّ متشاركين في كيفية واحدة فعلية و^(٢٤) انفعالية متجاورين، وجعل النار^(٢٥) لكونها أخفّ الكلّ مجاورة^(٢٦) للفلك، لما بينهما^(٢٧) من مناسبة اللطافة والنورانية. و^(٢٨) لأنّ الفلك يتحرّك دائماً، والحركة

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------|
| (١) مر ١، مز ٢، مج ٣، مج ٤: يفتقد. | (١٥) مج ٤: للسديد. |
| (٢) مج ٤: الشتاء. | (١٦) مج ٣: بقبول. |
| (٣) مر ١: السيف. | (١٧) مر ١: التخليق. |
| (٤) مج ٤: المسخّنان. | (١٨) مر ١: التشكيك. |
| (٥) مر ١: شماله. | (١٩) مج ٣: تعالى. |
| (٦) مر ١: جنوبية. | (٢٠) مر ١: أربع. |
| (٧) مر ١: - في الجنوب. | (٢١) مر ١: سكن. |
| (٨) مر ١، مج ٣: لينجر/ مج ٤: لنجر. | (٢٢) مج ٣: نظمها/ مج ٤: بطنها. |
| (٩) مج ٤: القرب. | (٢٣) مج ٤: - فلك. |
| (١٠) مج ٢، مج ٤: بعد. | (٢٤) مر ٢، مج ٤، مج ٣: أو. |
| (١١) مج ٤: يشتد. | (٢٥) مر ١: - وجعل النار. |
| (١٢) مر ١: لي. | (٢٦) مج ٤: متجاورة. |
| (١٣) مج ٣: بقربها. | (٢٧) مر ١: بينها. |
| (١٤) مر ١: من. | (٢٨) مج ٢: - و. |

علة الحرارة؛ فوجب بمقتضى حكمته أن يكون المصاحب^(١) له حاراً جداً، فلم يجز في موضعها غيرها، لئلا يتسخن^(٢) بشدة^(٣) الحركة، فيضاعف^(٤) النار ويغلبان^(٥) سائر الأسطقات^(٦).

ولما كان^(٧) الأرض^(٨) ثقل الكل وأثقلها، وجب أن يكون مكانها في غاية السفلى وفي أبعد المواضع من الفلك، وهو الوسط؛ لما يقتضيه ضابط^(٩) الترتيب، ولأن يكون^(١٠) مسكن المركبات الحيوانية وغيرها بعيداً عن عالم الحركات. إذ لو بلغت بتأثيرها إليها، غيرتها وأفسدتها. والماء^(١١) لما^(١٢) كان أشد مناسبة للأرض من جهة البرودة والكثافة^(١٣)، وجب أن^(١٤) يوضع^(١٥) عندها. والهواء لما كان أشد مشابهة للنار^(١٦) لشفافيته^(١٧) ولطافته^(١٨) وخفته وحرارته، وجب أن يوجد مجاوراً لها.

ولما كانت الكواكب وخصوصاً الشمس والمقر أكثر تأثيراتها للعالم السفلي^(١٩) بوسيلة أشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة^(٢٠)، جعل الأرض ملوثة^(٢١) كثيفة^(٢٢) غبراء، لتقبل^(٢٣) الضياء؛ وما فوقها من العناصر مشقة^(٢٤) لطيفة بالطباع، ينفذ^(٢٥) فيها وصل إلى غيرها ساطع الشعاع.

-
- (١) مر ١: صاحب/ مج ٣: المصاحب/ مج ٤: المضافات.
(٢) مر ٢: يتسخن.
(٣) مر ١: لشدة/ مج ٤: شدة.
(٤) مج ٤: فيضاعف.
(٥) مج ٤، مج ٣، مر ٢: يغلبان.
(٦) مر ١: الأسطقات.
(٧) مر ١: الأرضي.
(٨) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(٩) مج ٤: ضابط.
(١٠) مج ٤: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(١١) مج ٤: - والماء.
(١٢) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(١٣) مج ٤: الكثافة.
(١٤) مج ٤: يوضع.
(١٥) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(١٦) مج ٤: - لشفافيته/ مج ٤: بشفافيته/ مج ١، مج ٢: لشفافته.
(١٧) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(١٨) مر ١: لطافته.
(١٩) مج ٤: السفلى.
(٢٠) مج ٤: المنعكسة.
(٢١) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(٢٢) مج ٤: كثيفة.
(٢٣) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(٢٤) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.
(٢٥) مر ١: لا يكون/ مر ١: لا أن/ مج ٣: تكون.

ولم يحط^(١) الماء بجميع جوانب الأرض، ليستقر عليها المركبات المحوكة إلى غلبة^(٢) اليابس الصلب، بحفظ^(٣) الصور والأشكال، وربط الأعضاء والأوصال. ولو أحاط^(٤) الماء بالأرض، منعت^(٥) الحيوانات البرية عن استنشاق الهواء الضروري في حقها. فصار الماء بتموجه موجباً للأخاديد وحفظتها^(٦) الأرض لليبوسة^(٧)؛ فانحدر الماء ومنع عن الإحاطة عناية من الله تعالى في حق عباده.

فهذا هو الترتيب المحكم والتركيب الغير^(٨) المنهدم^(٩)، الذي اهتدى^(١٠) العقل^(١١) إلى التصديق به^(١٢) من^(١٣) غير واسطة المشاهدة الحسية، لغاية وضوحه وجلائه ونهاية ظهوره. فإن الأعمش الكامل العقل تفكر براه السديد^(١٤) وجدّه الشديد^(١٥)، لا اضطرّ إلى الحكم بوجوب أماكن^(١٦) هذه الأربعة^(١٧) على هذا النمط من الترتيب.

ثم أما تفكرت^(١٨) أيها العارف في آثار رحمة الله وصنعه^(١٩) حتى تسبح له طرباً وشوقاً، وتزمر في عشق جماله وكبريائه بالتهليل والتكبير^(٢٠) من أن^(٢١) القسمة العقلية لما أوجبت^(٢٢) باقيات بالعدد وباقيات لا بالعدد^(٢٣)، كيف تتم جود الواهب الحق نقصان^(٢٤) الديمومة الشخصية في هذا الصنف بإعطاء

(٢) مج ٢: غيه.

(٤) مر ١: أحاطت.

(٦) مر ١، ٢، ٤: حفظها.

(٨) مج ٤: المبرم/ مج ٢: خير.

(١٠) مج ٣: استدل/ مج ٤: أهدى.

(١٢) مج ٤: - به.

(١٤) مج ٤: براهة لشديده.

(١٦) مر ١: إمكان.

(١٨) مر ١: تفكر.

(٢٠) مج ٤: بالتكبير والتهليل.

(٢٢) مر ١: أوجب.

(٢٤) مر ١: لفيضان.

(١) مج ٤: لم يحيط.

(٣) مر ١، ٢، ٣: لحفظ.

(٥) مج ٤: مشفت.

(٧) مج ٤: ليبوسة.

(٩) مر ١، ٢: المهتدم/ مج ٣: المنهدم.

(١١) مج ٣: + و.

(١٣) مج ٤: عن.

(١٥) مج ١: حبره الشديد/ مج ٤: حدة الشديد.

(١٧) مر ١: + لا.

(١٩) مر ١: صنعه.

(٢١) مر ١: إذ.

(٢٣) مر ١: + و.

الديبومة النوعية^(١). فوقى^(٢) لكلّ منهما قسطه من الجود، فصار العالم الطبيعي منتظماً بصنفي^(٣) الثبات والدوام، وكيف استبقى نوع ما وجب فساد من^(٤) الحيوان والنبات بقوة مولدة قاطعة لفضلة^(٥) من مادة هي مبدأ لشخص آخر.

ولمّا لم يحصل كماله الشخصي أول مرة، كيف رتب له^(٦) النامية الموجبة لزيادة الأجزاء في الأقطار على نسبة^(٧) محفوظة؟ ولمّا توقّف فعلها على التغذي كيف رتب^(٨) لها الغذائية، ورتب للغذية خوامد من قوة جاذبة^(٩) [تأنيها]^(١٠) بما تنصرف فيه، و^(١١) هاضمة محلّلة للغذاء، معدّة إيّاها لتصرف الغذائية، وماسكة تحفظ^(١٢) الغذاء لتصرف^(١٣) المتصرف^(١٤)، و^(١٥) دافعة لما لا يقبل المشابهة؟ وكيف رتب للحيوان قوى أخرى من مدركة ومحركة؛ وزاد المزاج الأشرف الإنساني كلمة طيبة إذا أطاعت أمر^(١٦) بارئها و^(١٧) كملت بالعلم والعمل، صعدت إليه وشابهت المقرّبين من المبادئ والعلل.

ولو تدبّرت في كيفية تدبير النفس للبدن وحصول ألفة التدبير^(١٨) ومحبة التصرف وعشق المقارنة وألم المفارقة بينهما^(١٩) مع أنّ البدن كالثقل^(٢٠) الكثيف والنفس كالنور اللطيف، لقضيت^(٢١) العجب، وقلت كيف يتصوّر الأزواج^(٢٢)

(١) مج ٣: نوعيه. (٢) مج ٤: فوق/ مج ٢: فوقى.

(٣) مر ١: بضعي. (٤) مر ١: عن.

(٥) مج ٢: لفضله/ مر ٢: بفضله. (٦) همه نسخة ها جز «مج ٤»: لها.

(٧) مج ٢: نسبه. (٨) مج ٤: ترتب.

(٩) مر ١: جاذبة/ مج ٣: الجاذبة.

(١٠) مج ١، مج ٣، مج ٢، مر ١: يأنها/ مر ٢: يأنها/ مج ٤: - تأنيها.

(١١) مج ٤: - و.

(١٢) مر ١، مج ٤، مج ٣: لحفظ/ مر ٢: بحفظ.

(١٣) مر ١: - لتصرف/ مج ٤: + الغذاء. (١٤) مج ٤: - المتصرف.

(١٥) مر ٢: - و. (١٦) مج ٢: - أمر.

(١٧) مج ٣: - و. (١٨) مج ٤: - التدبير.

(١٩) مر ١: بينها. (٢٠) مج ٤: - الفعل.

(٢١) مر ١: تلقّيت. (٢٢) مر ١: الأزواج.

بين النور والظلمة، والائتلاف بين العلوي^(١) الذي قال الله تعالى تعظيماً لشأنه ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾^(٣) والسفلي المشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾^(٤) إذ^(٥) بينهما من المنافرة والمخالفة^(٦) في الماهية ما لا يخفى^(٧).

فانظر كيد تلطف^(٨) الخالق بحكمته التامة وأنعم^(٩) بحسن عنايته العامة أن^(١٠) خلق البدن الكثيف من مادة النطفة، ومن لطافته^(١١) القلب الصنوبري، ومن لطافته^(١٢) الروح النابعة^(١٣) فيه، التي هي في اللطافة والصفاء كالفلك البعيد^(١٤) عن التضاد، وفي التوسط بين الأطراف بمنزلة الخالي عنها، المشابه^(١٥) لل سبع الشداد! فمن جهة صفائها ونقاؤها^(١٦) ونورها وضيائها وبعدها عن التضاد الموجب للفساد تصير^(١٧) مرآة للنفس الناطقة، بها يدرك^(١٨) الوجود^(١٩) كله على هيئته ونقشه^(٢٠) وصورته ورقشه كلياً وجزئياً.

أما كلياته ففي ذاتها المجردة، وأما جزئياته ففي تلك المرأة الجليلة، فإذن في الإنسان شيء كالملك^(٢١) وشيء كالفلك^(٢٢)، فصار بهذين^(٢٣) الاعتبارين مغرب^(٢٤) العالمين ومنتهى الإقليمين.

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) مج ٣: العلق. | (١٣) مر ١، مج ٤: التابعة. |
| (٢) سورة مريم، آية: ٥٧. | (١٤) مج ٤: النفيد. |
| (٣) سورة مطففين، آية: ١٨. | (١٥) مر ١، مج ٤: المشابهة. |
| (٤) سورة مطففين، آية: ٧. | (١٦) مج ٤: ثباتها. |
| (٥) مج ٤: أو. | (١٧) مر ١: يصير. |
| (٦) مر ١: المتخالفة. | (١٨) مر ١: تدرك/ مج ٤: يدركه. |
| (٧) مر ١: لا يحصى. | (١٩) مج ٤: للوجود. |
| (٨) مج ٤: يلطف. | (٢٠) مج ٤: نفسه. |
| (٩) مر ١: أهم. | (٢١) مر ١: فكالملك. |
| (١٠) مج ٤: + في. | (٢٢) مر ١: كالملك. |
| (١١) مج ٣: لطافة/ مج ٢: لطافته. | (٢٣) مر ١: من هذين. |
| (١٢) مج ٢: لطافته/ مر ١: لطافة. | (٢٤) مج ٤: مغرب. |

فانظر إلى إنقان حكمة المبدع كيف بدأ^(١) بالوجود من الأشرف فالأشرف،
 حتى اختتم بالجسم الذي هو أشرف الأجسام^(٢) والطفها وأصفاها، وهو السماء
 الأولى وسدرة المنتهى إلى^(٣) نهاية^(٤) عالم الروحانيات وبداءة عالم
 الجسمانيات؛ فكان تلك الأنوار المجردة عندها^(٥) تنكشف^(٦) وتنجسم^(٧)
 وتتكرر^(٨) وتتجرّم^(٩)، وافتتح^(١٠) بالأخسر فالأخسر حتى انتهى^(١١) إلى^(١٢)
 أكف^(١٣) الأجسام الهاوية.

ثم فتح فاتحة أخرى للإخلاص بتذويب^(١٤) ذهب الخلاص و^(١٥) عكس
 الترتيب الأول من الأخس^(١٦) فالأخس إلى النفيس فالأنفيس، حتى بلغ إلى
 الأرواح^(١٧) هي كالأفلاك، ونفوس هي^(١٨) كالأملاك إلى أن وصل إلى خاتم
 الرسل وهادي السبل الذي يشبه العقل^(١٩) الأول. والله سبحانه هو المبدأ
 والمنتهى في الآخرة والأولى.

-
- | | |
|---|--------------------------|
| (١) مع ٤ : - بدأ. | (٢) مر ١ : - الأجسام. |
| (٣) مر ٢، مع ٤ : أي هو. | (٤) مع ٤ : - نهاية. |
| (٥) مع ٢، مع ٤ : عندنا. | |
| (٦) مع ٤ : ينكشف / مر ١ : ينكشف / مع ١، مع ٢ : ينكشف. | |
| (٧) مر ١ : تنجسم / مع ٢ : تنجسم / مع ٤ : ينحتم. | |
| (٨) مر ١، مع ٤ : يتكرر. | (٩) مع ٤ : يتحرم. |
| (١٠) مر ٢ : لافتح / مع ٤ : وافتح. | (١١) مر ١ : - حتى انتهى. |
| (١٢) مع ٤ : - إلى. | (١٣) مع ٤ : الأكف. |
| (١٤) مع ٤ : ليلهب / مر ١، مع ٢ : فتلنب / مع ٣، مر ٢ : لتلهيب. | |
| (١٥) مر ١ : - و. | |
| (١٦) مع ٢، مع ٣، مع ٤، مر ٢ : الخسيس / مر ١ : الشمس. | |
| (١٧) مر ٢، مع ٤ : أرواح. | (١٨) مر ١ : - هي. |
| (١٩) مر ١ : + الا. | |

الفصل الرابع^(١)

في كيفية دخول الشرّ في القضاء الإلهي

اعلم أنّ اسم الشرّ يطلق بحسب العرف العام على معنيين:
أحدهما ما هو عدم محض كالموت والنقص والفقر والجهل وأمثالها، فإنّها
عدميات محضة، وهو على ضربين:
الأوّل: عدم، ليس ذلك العدم هو عدم^(٢) مقتضى طباع الشيء، ولا ما
يمكن^(٣) حصوله^(٤) من الكمالات والخيرات، كقصور الممكن من^(٥) الوجود
الواجبي والوجوب الذاتي، وكذا قصور كلّ تالٍ من العقول الفعّالة عن^(٦)
سابقه، وقصور النفس^(٧) عن^(٨) العقول، والأجسام عن النفوس، والهيولى عن
الجميع. فالكمال المطلق والخير المحض ينحصر في الحقّ الصّرف والوجود
المحض^(٩) الذي ليس فيه جهة^(١٠) إمكانية، ومن عداه من الماهيات المعروضة
للوجود لا يخلو من^(١١) شريّة ما على تفاوت إمكاناتها^(١٢) بحسب تفاوت^(١٣)
مراتبهم في البعد^(١٤) عن ينبوع الوجود. فهذا الشرّ منبعه الإمكان الذاتي.
والثاني، ما يكون عدم مقتضى الشيء أو^(١٥) ما يمكن حصوله له من

-
- | | |
|---------------------------------|------------------------------------|
| (١) مج ١، مج ٢: - الفصل الرابع. | (٩) مج ٤: - المحض. |
| (٢) مج ٤، مج ٣: - هو عدم. | (١٠) مج ٤: ماهية. |
| (٣) مج ٤: فلا يمكن. | (١١) مر ١: عن. |
| (٤) مر ٢: + له. | (١٢) مر ٢، مج ٤: إمكاناتهم. |
| (٥) مج ٣، مج ٤، مر ٢: عن. | (١٣) مر ١: - إمكاناتها بحسب تفاوت. |
| (٦) مج ٤: من. | (١٤) مج ٤: المبعد. |
| (٧) مج ٤: النفوس. | (١٥) مر ١، مر ٢: و. |
| (٨) مر ١: من. | |

الكلمات الثانية وغيرها، ولا يتصور هذا في غير الماديات. فالحقول الفعالة حيث يكون وجود كل منها على^(١) أكمل ما يتصور في حقّه، فلا يكون لها شربة بهذا المعنى، وما عداها من الأمور المتعلقة بالهيولى لا يخلو من شربة^(٢) على^(٣) تفاوت إمكاناتها الاستعدادية بحسب مراتبها في التعلّق بالهيولى. فهذا الشرّ منبعه الهيولى، ومنبع الهيولى هو الإمكان، لأنها صدرت^(٤) من المبادئ لأجل^(٥) جهة الإمكان فيها، فمنبع الشر مطلقاً هو الإمكان.

والمعنى الثاني هو ما يمنع^(٦) شيئاً آخر عن الوصول إلى كماله كالبرد المفسد للثمار^(٧)، والحرّ المعقّن^(٨) لها، والمطر المانع للقصار عن تبييض^(٩) الثياب، والأخلاق المذمومة المانعة للنفس^(١٠) من^(١١) وصولها إلى كمالها العقلي كالبخل والجبن والإسراف والسفاهة وأمثالها، والأفعال الذميمة كالزنا والسرقة^(١٢) والنميمة وما أشبهها من الآلام والأحزان والغموم، وغير ذلك من الأشياء التي معانيها وجودية ولكنها تتبعها^(١٣) أعدام.

فنقول إطلاق لفظ الشرّ عند الحكماء على المعنى الأول حقيقة، وعلى المعنى^(١٤) الثاني مجاز، لأن الشر الحقيقي لا ذات له بل عدم^(١٥) ذات أو عدم كمال لذات.

والبرهان على ذلك أنه لو كان الشرّ أمراً وجودياً، فلا يخلو^(١٦): إما أن يكون شراً لنفسه، أو شراً لغيره.

-
- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) مر ١: - على. | (٢) مج ٤: الشربة. |
| (٣) مر ١: + إلى. | (٤) مر ١: صادر. |
| (٥) مر ١: لأمر. | (٦) مر ١: يمتنع. |
| (٧) مر ١: الثمار. | (٨) مر ١: المفضي / مج ٤: في المفقن. |
| (٩) مر ١: يبيض. | |
| (١٠) مر ١: للنفس / مج ٣: لنفس / مج ٤: للنفس. | |
| (١١) مج ٤: - من. | (١٢) مج ٤: + والقتل. |
| (١٣) مر ١، مج ٤: تتبعها. | (١٤) مج ٤: - المعنى. |
| (١٥) مر ١: علمه. | (١٦) مر ١: لا يخلو. |

والأول باطل، وإلا لما وجد، إذ^(١) الشيء لا يقتضي عدمه أو عدم كمال له. كيف، وجميع الأشياء طالبة لكمالاتها، لا مقتضية لعدمها^(٢) ولو افتضى لكان الشر ذلك العدم^(٣) لا نفسه^(٤).

وكذا الثاني، لأن كونه شراً لغيره^(٥)، إما لأنه يعدم ذلك الغير، أو يعدم كماله، فإنه لو لم يكن معدماً لشيء أصلاً - لوجوده أو لكمال^(٦) وجوده - فليس بشر^(٨) لذلك الشيء البتة، للعلم الضروري بأن كل ما لا يوجب عدم شيء ولا عدم كمال له^(٩) فلا يكون شراً لذلك الشيء. فإذا كان كونه شراً لكونه عدماً لشيء أو^(١٠) لبعض^(١١) كماله، فليس الشر إلا عدم ذلك الشيء أو عدم كماله^(١٢)، لا نفس الأمر^(١٣) الوجودي المعدم؛ بل هو في ذاته من الكمالات النفسانية أو الجسمانية.

فإن الظلم وإن كان شراً بالقياس إلى المظلوم وإلى النفس الناطقة التي كمالها في تسخير قواها وكسرها. [لكنه]^(١٤) خير بالنسبة إلى القوة الغضبية^(١٥) من حيث هي كذلك. وكذا الإحراق كمال للنار، وإنما هو شر بالنسبة^(١٦) إلى من يفقد به سلامته. فعلم أن الشر إما عدم ذات، أو عدم كمال الذات^(١٧)؛ وكل ما^(١٨) لا يكون كذلك^(١٩) فهو خير.

(١) مر ١: أو. (٢) مر ١: بعدمها/ مر ٢: + مع أنه.

(٣) مج ٤: شر ذلك المعدوم. (٤) مر ١: لنفسه.

(٥) مر ١: + إما لأنه شر لغيره. (٦) مر ١، مر ٢: + بعض.

(٧) مج ٢: لوجوده ولا لكمال/ مر ١: لا لوجوده ولا لكمال.

(٨) مج ٤: شراً/ مر ١: - بشر. (٩) مر ١: كماله.

(١٠) مج ٣، مر ٢: و. (١١) مج ٤: لتقص.

(١٢) مر ١: كمال له. (١٣) مر ٢: الأمور/ مج ٤: + الأمر.

(١٤) همه نسخه ها: لكنها. (١٥) الفضية.

(١٦) مج ٢، مج ٣، مر ١: بالقياس. (١٧) مر ١، مج ٤: لذات.

(١٨) مر ١: فكل كمال.

(١٩) مر ١: - ما لا يكون كذلك/ مر ٢: - كذلك.

فالوجود من حيث^(١) إنه وجود^(٢) خير محض، والعدم من حيث إنه عدم شرّ محض؛ فقد ظهرت بما ذكرناه^(٣) من^(٤) البرهان صحة دعوى^(٥) اشتهر أن الحكماء ما صحّحوها^(٦) بالبرهان، بل تارة اكتفوا فيها بمجرد استقراء غير تام، وتارة التجأوا إلى أنها ضرورية؛ وأن ما ذكروه من الأمثلة لإيضاح ما ربما أشبه^(٧) على بعض الأذهان.

ثم إنك قد علمت أن الشرّ^(٨) الذي هو بمعنى العدم منه ما هو من لوازم الماهيات، التي لا علّة لها، ومنه ما لا يكون من هذا القبيل، بل قد يلحق بالماهيات^(٩) لا^(١٠) من ذواتها، فلا محالة لا بدّ له من علّة وسبب، وكلامنا ليس في الشقّ الأول الذي لا لميّة له، إذ من المعلوم أنّه ليس للماهيات في كونها ممكنة، ولا في حاجتها إلى علّة لوجودها سبب، ولا لقصور^(١١) الممكن عن^(١٢) درجة الواجب^(١٣) بذاته، ولا لتفاوت^(١٤) مراتب هذا النقصان في الماهيات علّة، بل إنّما ذلك لاختلاف الماهيات في حدود ذواتها^(١٥) لا لأمر خارج عنها. فلو كان النقصان في الجميع متشابهاً، فكانت الماهيات ماهيّة^(١٦) واحدة.

بل الكلام^(١٧) فيما هو من القسم الآخر، وهو عدم ما هو من الأمور الزائدة على مقتضى النوع كالجهل بالفلسفة مثلاً للإنسان؛ فإنّ ذلك ليس شرّاً له لأجل كونه إنساناً، بل هو شرّ لأجل أنّها اقتضاها شخص^(١٨) مستعدّ^(١٩) لها، مشتاق

(١) مر ١: - حيث.

(٢) مج ٤: - خير. فالوجود من حيث إنه وجود.

(٣) مر ١: ذكرناه. (٤) مج ٤: - من.

(٥) مر ١، مج ٣: + ما. (٦) مج ٢: - ما صحّحوها.

(٧) مر ١: أشبه. (٨) مر ١: شر.

(٩) مج ٤: الماهية/ مر ٢: الماهيات. (١٠) مر ١: - لا.

(١١) مج ٤: قصور. (١٢) مر ١: على.

(١٣) مر ١: واجب. (١٤) مر ١: + و.

(١٥) مر ١: أنفسها. (١٦) مر ١: - ماهية.

(١٧) مر ١: - بل الكلام. (١٨) مر ١: شخصاً.

(١٩) مر ١: مستعداً.

إليها^(١) دون غيره، لا من حيث إنه إنسان، بل من حيث^(٢) إنه وجد فيه هذا الاستحقاق والاشتياق^(٣) الذي لا صلاح في أن يعم. وهذا الشر إنما يوجد في الأشياء على سبيل الندرة والشذوذ.

فكل ما وجد فهو إما خير محض أو خيره أكثر من شره. وأما ما يكون شراً محضاً، أو مستولى^(٤) الشرية، أو متساوي الطرفين، فمما لا وجود له أصلاً، حتى يحتاج^(٥) إلى^(٦) مبدأ آخر غير الواجب بالذات، كما توهمه^(٧) الكفرة المجوس. وكل واحد من القسمين^(٨) المذكورين أولاً من أفراد الخير، فيجب صدورهما جميعاً عن الواجب بالذات الذي هو فاعل الخيرات.

مثال القسم الأول منهما عالم العقول وعالم الأفلاك وهما^(٩) مبرّان من الشرور والفساد [الناشئين]^(١٠) من نسخ التضاد.

ومثال القسم الآخر عالم العناصر الموجب للشرور على سبيل القلة، ولن تسوّغ عناية المبدع ورحمة الجواد إهماله، وإلا لزم ترك خير كثير^(١١) لشر قليل، وذلك شر كثير.

فالشر مقضي^(١٢) بالعرض لا بالذات. وذلك أيضاً إنما يكون لأجل النفع^(١٣) في أشياء آخر، لو لم يخلق لخلق سربال^(١٤) الوجود وقصر رداء الجود وبقي في كتم العدم عوالم كثيرة ونفائس^(١٥) جمّة غفيرة. فمن هذه^(١٦) الحثية يكون مقضياً^(١٧) بالذات.

(١) مر ١ : إليه. (٢) مر ١ : - إنه إنسان بل من حيث.

(٣) مج ٤ : الاشتياق. (٤) مج ٤ : مستوي.

(٥) مر ٢، مج ٤ : احتيج.

(٦) مر ٢ : - إلى مبدأ... بقوانين. (چندین صفحه افتادگی دارد).

(٧) مج ٤ : توهمته. (٨) مر ١ : القسمين.

(٩) مر ١ : إذ هما. (١٠) نسخه ها : الناشئان.

(١١) مج ٣ : الخير الكثير. (١٢) مج ٤ : يقتض.

(١٣) مج ٤ : النفي. (١٤) مج ٤ : شمال.

(١٥) مر ١ : يقاس. (١٦) مج ٤ : هذا.

(١٧) مر ١، مج ٢ : مقتضياً.

كيف، ولو لم يكن في عالم^(١) العناصر تضاداً، فمن أين يحصل الفعل والانفعال، والكسر والانكسار، وتنتقل^(٢) الهبولى من صورة إلى صورة ومن حالة إلى حالة، حتى تبلغ^(٣) إلى غاية تقبل^(٤) العقل المستفاد الذي يضاهي الملكوت الأعلى في الشرف والكمال والإحاطة بالمعلومات؟ مع أن مثال هذه الوقائع لازمة في الطبائع من مصادفات^(٥) بين سكان العالم^(٦) اتفاقاً دون التفات من المبادئ العالية إليها. ووجود كل من الجزئيات منوط بسلسلة من الأسباب يلزم من عدمه عدمها، وهو خلل عظيم^(٧) في نظام الخير الكلي. فإن وجود نوع يفسد^(٨) بعض أشخاص^(٩) نوع آخر فإنما^(١٠) يعدّه شراً من يظن^(١١) أن العالم الأعلى وعظائم الأمور ما خلق إلا لأجل الإنسان، وهذا جهل محض.

كيف، والعالي - كما مر^(١٢) - غير ملتفت إلى السافل؟! «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»^(١٣)، وليس أن الباري تعالى^(١٤) مشغول^(١٥) بالذات^(١٦) بإيجاد القبائح والمفاسد وتمكين الظلمة والمشركن في أفعالهم وعقائدهم وإبقاء الدول^(١٧) الجائرة وشر^(١٨) السياسات المذمومة الذموية وإهمال الأطفال عن^(١٩) حضانة مرضعاتهم بإمانتها^(٢٠) وإذلال العلماء ورفع^(٢١) حال الجهال، إلى غير ذلك من الوقائع. وقد قال عز من

(١) مر ١: العالم.

(٢) مر ١: ينتقل / مج ٣، ٤: ومتى تنقل. (٣) مر ١، مج ٤: يبلغ.

(٤) مج ٤: - إلى غاية تقبل / مج ١، ١: يقبل.

(٥) مج ٣: مصادفات / مج ٣: + وقعت. (٦) مج ٤: عالم الظلمات.

(٧) مج ٣: وهو اعظم خلل / مج ٤: وهو اعظم علل.

(٨) مر ١: يفسد. (٩) مر ١: الأشخاص.

(١٠) مر ١: قالماً. (١١) مر ١: الظن.

(١٢) مر ١: قالماً. (١٣) مر ١: - وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي.

(١٤) مج ٤: - تعالى. (١٥) مج ٤: مستقل.

(١٦) مج ٤: مستقل الذات. (١٧) مر ١: الأول.

(١٨) مج ٤: يسير. (١٩) مر ١: من.

(٢٠) مر ١: بامانها. (٢١) مج ٤: رفع.

قائل^(١): ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢).

بل الكل^(٣) نوابع^(٤) لفضائه وقدره و^(٥)لوازم مضادة^(٦) لحركات^(٧) كلية لأغراض علوية مقدرة بهيئاتها وأزمنتها في عالم آخر، كما قال^(٨): ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٩) وكل شيء عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم^(١٠).

على أن جميع أسباب الشر إنما توجد تحت كرة القمر في بعض جوانب الأرض التي هي حقيرة^(١١) بالنسبة إلى الأفلاك المقهورة^(١٢) تحت أيدي النفوس^(١٣)، المطموسة تحت أشعة العقول^(١٤) الأسيرة^(١٥) في قبضة^(١٦) الرحمان، ولا نسبة لها إلى جناب الكبرياء الباهر^(١٧) برهانه على الضياء.

ثم إن إصابة الشر في هذا العالم إنما هي لبعض الأشخاص وفي بعض الأوقات، والأنواع محفوظة. وأما بالقياس إلى نظام الكل فلا شر أصلاً؛ إذ^(١٨) قد عرفت أن هذا النظام شريف فاضل، وجميع ما وقع طبيعي بالقياس إليه، والطبيعي^(١٩) للشيء لا يكون شراً^(٢٠).

فقد تبين وتحقق^(٢١) بالبرهان الساطع أن كل ما يقتضيه حكمته تعالى وفيضه كان حسناً وخيراً، ومن ظن أنه شر^(٢٢) كان لخلل^(٢٣) في عقله، وقصور في فهمه. فلا شر في النظر إلا وهو خير من جهات أخرى لا يعلمها إلا منشئها^(٢٤) وموجدوها.

- | | |
|-------------------------------------|---|
| (١) مج ٣: وقد قال تعالى. | (٢) سورة فصلت، آية: ٤٦. |
| (٣) مر ١: سلسل / مج ٣: أصل. | (٤) مر ١: نوابع. |
| (٥) مج ٣، مج ٤: - و. | (٦) مج ٤: معاده / مج ١، مر ١: مفادة. |
| (٧) مج ٤: بحركات. | (٨) مج ٤: + تعالى / مج ٢: + الله تعالى. |
| (٩) سورة رعد، آية: ٨. | (١٠) اقتباس از سورة حجر، آية: ٢١. |
| (١١) مر ١: خفيرة. | (١٢) مر ١: المقهورة. |
| (١٣) مج ٣: - النفوس. | (١٤) مر ١: القول. |
| (١٤) مر ١: الاثمة. | (١٦) مج ٤: قبضة. |
| (١٦) مر ١: الهامة. | (١٨) مر ١: و. |
| (١٩) مج ٤: - بالقياس إليه والطبيعي. | (٢٠) مج ٣، مج ٤: + له. |
| (٢١) مج ٤: تحقق ولين. | (٢٢) مر ١: شراً. |
| (٢٣) مج ٣: بخلل / مج ٤: لخلله. | (٢٤) مر ١، مج ٢: منشئها. |

فإذن تصوّر ذرة الشرّ في بحر أشعة شمس الخير لا يضرّها، بل^(١) يزيدّها بهاءً^(٢) وجمالاً وضياءً وكمالاً، كالشامة السوداء على الصورة المليحة البيضاء تزيدّها^(٣) حسناً وملاحة وإشراقاً وصباحة. فسبحان من تقدّست كبرياؤه عن تقصير^(٤) الأفعال وتصوير الأمثال والأشكال وجلّ جناب الحقّ عن^(٥) أمثال هذا الخيال^(٦) المحال.

أوهام^(٧) وتنبيهات:

لا يبعد أن يذهب على الأوهام العاميّة أنّ الفاعل لكلّ إذا كان مختاراً، فله أن يختار أيّما شاء من الخيرات والشرور، فلا يمتنع عليه شيء؛ فهذه الأبحاث^(٨) ساقطة على هذا التقدير.

ف نقول اختياره تعالى أرفع من هذا النمط، كما سيأتي؛ ولا يمكن أن يكون^(٩) إرادته متساوية النسبة^(١٠) إلى الشيء^(١١) ونقيضه^(١٢) بلا داع^(١٣) ومصلحة. إنّما كان ذلك مذهب جماعة قصرت أفهامهم عن درك حقائق الأشياء وكيفية ارتباطها بالمبدأ الأعلى. فارتكبوا كثيراً من المحالات الناشئة عن أصولهم^(١٤) الفاسدة، من جملتها الترجيح بلا مرجح^(١٥)، ونفي اللزوم في شيء^(١٦) من الأشياء، وتجوز صدور كلّ قبيح من الله تعالى.

ولا شكّ أنّه على ذلك ينسّد باب إثبات الصانع، فإنّه يجوز حينئذٍ تخلف النتيجة عن كلّ قياس وإن كانت صورته صورة^(١٧) الشكل الأوّل ومادّته

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| (١) مج ٣ : + و. | (١٠) مج ١ : لنسبة. |
| (٢) مر ١ : بها. | (١١) مر ١ : شيء. |
| (٣) مر ١ مج ٤ : يزيدّها. | (١٢) مر ١ : يقتضيه. |
| (٤) مج ٤ : تقصير. | (١٣) مر ١ : ذاع. |
| (٥) مر ١ : من. | (١٤) مج ٤ : أحولهم. |
| (٦) مج ٤ : الخصال. | (١٥) مج ٤ : من غير مرجح. |
| (٧) مر ١، مج ٢ : - أوهام. | (١٦) مج ٤ : الشيء. |
| (٨) مر ١، مج ٤ : الإيجاب. | (١٧) مر ١ : - صورة. |
| (٩) مج ٣ : - أن يكون. | |

الأوجليات^(١)، وخلق نتيجة أخرى عقيبتها. ولم يتفطنوا أنه^(٢) على تقدير أن لا يكون أمور العالم منوطة بقوانين كلية مضبوطة، بل يكون صدورها بإرادة جزافية كما ظنوا، لم يكن أولياء الله وأحبّاءه ممنوّة بالمحن^(٣) الشديدة وتسلط الأدي عليهم مُدّة مديدة، بل كانوا ممّن جمع لهم بين^(٤) المثوبة في الآخرة والسلامة في الدنيا.

وأفسد من ذلك ما قال بعضهم: من أن الفلاسفة لمّا قالوا بالإيجاب والجبر^(٥) في الأفعال الإلهيّة، فخوضهم في هذا المبحث من جملة الفضول؛ لأنّ السؤال بـ«لم»^(٦) عن صدورها غير وارد كصدور الإحراق من النار، لأنّه يصدر عنها لذاتها.

وجوابه - بعد تسليم هذا الافتراء على هؤلاء العظماء - أنّ بحثهم^(٧) عن كيفية وقوع الشرّ في هذا العالم لأجل أنّ الباري تعالى^(٨) خير محض بسيط عندهم ولا يجوزون صدور الشرّ عمّا لا جهة شرّية^(٩) فيه أصلاً. فيلزم عليهم في بادئ النظر^(١٠) ما ذهب^(١١) لأجله الثنوية إلى إثبات مبدأين: أحدهما مبدأ الخيرات والآخر مبدأ الشرور. فقالوا لإزالة^(١٢) هذه المفسدة: إنّ^(١٣) الصادر عنه تعالى ليس بشرّ، بل الصادر عنه إمّا ما^(١٤) يتبرأ بالكلّية عن^(١٥) الشرّ^(١٦)، وإمّا ما يلزمه شرّ قليل، منبعه الإمكان أو الهيولى؛ وكلا القسمين من أفراد الخير، فيجب صدوره عن الخير الحقيقي؛ وغير ما ذكر من أقسام الشرّ غير موجود، فلا يقتضي مبدأ^(١٧) أصلاً، كما مرّ. وقد تفاخر أرسطو بذلك الكلام في دفع شبهة الثنوية.

-
- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| (١) الأول. | (١٠) مر ١ : + و. |
| (٢) مر ١ : - أنه. | (١١) مج ٤ : ذهب. |
| (٣) مج ٤ : بالمحر. | (١٢) مر ٢ : - لإزالة. |
| (٤) مج ٣ : من. | (١٣) مر ١ : من. |
| (٥) مج ٤ : والخير. | (١٤) مر ١ : - إنّ. |
| (٦) مج ٤ : - بلم. | (١٥) مج ٤ : - إمّا ما. |
| (٧) مر ١ ، مج ٤ : عليهم. | (١٦) مج ٣ ، مر ٢ : الشرور. |
| (٨) مج ٤ : - تعالى. | (١٧) مج ٢ : مبده. |
| (٩) مر ١ : الشرّة. | |

قبل: لو كانت الشرور الواقعة في هذا العالم كالجهل والكفر وأمثالهما بقضائه تعالى وقدره^(١)، يجب^(٢) علينا الرضاء به^(٣)، لأن الرضاء بما يريد الله تعالى واجب، كما في الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي ولم^(٤) يصبر على بلائي، فليخرج من أرضي وسمائي^(٥)، وليعبد رباً سوائى». ولا شك أن الرضاء بالقبيح^(٦) قبيح، كما ورد^(٧): الرضاء بالكفر كفر. فكيف التوفيق بين هذين^(٨) الحكمين؟

وما^(٩) أجاب عنه بعضهم من أن الواجب الرضاء بالقضاء لا بالمقتضى^(١٠)، والكفر وأمثاله مقتضى لا قضاء، ومحضه أن الإنكار المتعلق بالمعاصي والقبايح إنما هو باعتبار المحل لا باعتبار الفاعل، فإن الاتصاف [بالشرور]^(١١) منكر دون خلقها وإيجادها، والرضاء إنما يتعلق بإيجادها^(١٢) الذي هو فعل الله تعالى^(١٣)، ليس بشيء كما ترى.

بل الحق في الجواب أن يفرق^(١٤) بين القضاء بالذات وبالعرض؛ فالمأمور به هو الرضاء بما يوجبه القضاء^(١٥) بالذات^(١٦) وهو الخيرات كلها، والمنهي عنه هو الرضاء بما يلزم من القضاء على سبيل العرض^(١٧)، و^(١٨) هي^(١٩) الشرور اللازمة للخيرات الكثيرة. وهذه أيضاً إذا لم تعتبر من هذه الحيثية، بل قصد

-
- (١) مج ٢: + تعالى.
(٢) مر ٢: لوجب/ مج ٤: يوجب.
(٣) مر ١: - به.
(٤) مج ٤: - وسمائي.
(٥) مج ١: إن (بجاء ورد).
(٦) مر ١: - هذين.
(٧) مج ٤: - ما.
(٨) (١٠) مج ٤: بالمقتضى.
(٩) همه نسخه ها جز «مج ٣» و«مج ٤»: بالسكون/ مج ٣، مج ٤: بالكفر..
(١٠) (١٢) مج ٤: - والرضاء إنما يتعلق بإيجادها. (١٣) مج ٤: + وهذا الجواب.
(١١) (١٤) مج ٢: تفرق/ مج ٣: تفرق.
(١٢) (١٥) همه نسخه ها جز «مر ٣» و«مج ٣»: - وبالعرض فالمأمور... القضاء.
(١٣) (١٦) مج ٤: + بالذات. (١٧) مر ٢: الفرض.
(١٤) (١٨) مج ٤: - و. (١٩) مر ١، مج ٤: هو.

إليها بالذات وبالقياس إلى هذا^(١) الشخص الجزئي الموصوف به. وأمّا إذا اعتبر كونها متضمنة للمصالح والحكم الكلية بالقياس إلى النظام الكلي، فلا شر أصلاً؛ لأنّ هذا الترتيب والتميز من لوازم الوجود والإيجاد، كما علمت.

ولعلك تقول^(٢) إنّ أكثر أفراد الإنسان الذي هو أشرف أنواع القسم الأخير يغلب عليهم^(٣) الشرور. فإنّ مناط تحصيل السعادة والشقاوة^(٤) الآجلتين اللتين يستحقّر بالقياس إليهما السعادة والشقاوة^(٥) العاجلتان، للنفس إنّما هو^(٦) باستعمال^(٧) قواها الثلاثة النطقية والشهوية والغضبية لاكتساب ما ينبغي أن يكون^(٨) بحسبها من الحكمة والعفة والشجاعة. والغالب على أكثرهم على ما ترى^(٩) أضداد^(١٠) هذه الأمور، أعني الجهل وطاعة الشهوة والغضب. فيلزم كونهم من الأشقياء^(١١) والأشرار، لا سيما في الآجل.

فاعلم أنّ الجهل الذي لا نجاة معه في الآخرة هو الجهل المركب الراسخ^(١٢) المضادّ للعلم اليقيني، وهو نادر، كوجود اليقين الذي يوجب قسطاً وافراً من السعادة. وأمّا الجهل البسيط الذي لا يضر^(١٣) في المعاد، فهو عام^(١٤) فاش في نوع الإنسان، وكذلك حال القوتين الأخيرتين.

فالبالغ في فضيلة العقل والخلق وإن كان نادراً كالشديد النزول فيهما^(١٥)، لكنّ المتوسطين على مراتبهم أغلب وأوفر. و^(١٦) إذا ضمّ إليهم الطرف الأعلى، صار لأهل النجاة غلبة عظيمة. وقد شبّهت الحكماء حال النفوس في انقسامها

-
- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| (١) مر ١: هذه. | (٢) مر ١: + أن يقول. |
| (٣) مر ١: - عليهم. | (٤) مج ٣: - السعادة والشقاوة. |
| (٥) مج ٣: + السعادة والشقاوة (مكرر). | (٦) مر ١: - إنّما هو. |
| (٧) مج ٣: استعمال. | |
| (٨) هـ: نسخة ها جز ١١ و ١٤: يكونوا. | |
| (٩) مج ٢: ما ترى / مر ١: - ما ترى. | (١٠) مر ١: بأضداد. |
| (١١) مج ٤: الأشقياء. | (١٢) مر ١: صنع. |
| (١٣) مر ١: لا يشترط. | (١٤) مر ١: عالم. |
| (١٥) مج ٤: فيها. | (١٦) مر ١: - و. |

إلى هذه الأقسام بحال الأبدان في انقسامها إلى^(١) البالغ في الجمال والصحة،
و^(٢) متوسط وهو الأكثر، والقبيح السقيم وهو أقل من المتوسط فضلاً عن
مجموع القسمين.

فإذن قد ثبت أن الشر ليس بغالب. على أن الحكم الجزم بأن رحمة الله لا
تنال^(٣) إلا قليلاً من عباده مشكل. وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَأْكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٤) فإنه يدل على انخراط الجميع فيها مع زيادة
تخصيص لأهل الدرجة العليا بها^(٥).

ثم لك أن تقول: من جملة الأصول المقررة أن كل ما يجوز صدوره عن
الواجب تعالى فيجب^(٦) وقوعه، لعدم^(٧) البخل والمنع هناك. فقد كان جائزاً أن
يصدر عنه تعالى خير محض مبرراً^(٨) عن الشر^(٩) أصلاً.

لكننا^(١٠) نقول: هذا النمط واجب في مطلق الوجود لا في كل^(١١) وجود^(١٢).
فقد أوجد^(١٣) ما أمكن أن يوجد على الوجه المذكور؛ فلو لم يوجد^(١٤) ما لا
يخلو عن شرٍّ ما، لكان الشر حينئذٍ^(١٥) أعظم.

فإن عدت^(١٦) وقلت: لم ما أوجد^(١٧) القسم الثاني بلا قصور وآفة؟

قلنا فلم يكن هو هو، ورجع إلى القسم الأول، وقد فرغ عن وجوده؛ ولو
كانت الماهيات كلها بريئة^(١٨) من^(١٩) الشرور التي هي لوازم لها، لكانت
الماهيات واحدة. ومن المحال أن تكون^(٢٠) النار ناراً ولا يوجد لها لازم النارية

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------|
| (١) مع ٣: - إلى. | (١١) مر ١: تحل. |
| (٢) مر ١: + هو. | (١٢) مر ١: - وجود. |
| (٣) مر ٢، مع ٢، مع ٣: لا ينال. | (١٣) مع ٤: وجد. |
| (٤) سورة اعراف، آية: ١٥٦. | (١٤) مر ١: لم يجد. |
| (٥) مر ١: لها. | (١٥) مع ٣: - حينئذٍ. |
| (٦) مر ١: - فيجب. | (١٦) مر ١: عدوت. |
| (٧) مر ١: يعلم. | (١٧) مع ٤: لم يوجد. |
| (٨) مر ١: منبراً/ مع ٢، مع ٣: مبرراً. | (١٨) مع ٢، مع ٣: بريئة. |
| (٩) مر ١: الشرك. | (١٩) مر ١: عن. |
| (١٠) مر ١: لکنهما. | (٢٠) مر ١، مع ٣: يكون. |

من إحراق ثوب لاقته^(١)، إلا أن لا يكون الثوب ثوباً، بل شيئاً آخر لا تحرقه^(٢) النار.

وإن اشتبه^(٣) عليك بعد هذه المباحث أنه لما كانت الأفاعيل البشرية من الفضائل والردائل والطاعات والمعاصي وبالجمله الخيرات والشرور كلها مقدرة^(٤) مكتوبة^(٥) علينا^(٦) قبل صدورها معجونة^(٧) فينا^(٨)، فلماذا يعاقب من ابتلاه القدر^(٩) بارتكاب الخطيئات واقتراب^(١٠) الشهوات؟

فاعلم أن العقاب على المعصية ليس لأن الأول المتعالي^(١١) عن سمات الحادثات يستولي عليه الغضب ويحدث له الانتقام، بل النفوس إنما يترتب^(١٢) عليها^(١٣) الثواب والعقاب بهيئات ساقها^(١٤) إليهم القدر؛ والثواب والعقاب من لوازم الأفاعيل الواقعة منا من قبل وثمراتها، ولواحق الأمور الموجودة فينا وتبعاتها.

فالمجازاة إظهار ما كتب علينا في القدر وإبراز ما أودع فينا وغرّز في طباعنا بالقوة، كما قال سبحانه: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾^(١٥)، ﴿وَلَا تَكُ جَهَنَّمُ لُجْبَةً بِالْكَافِرِينَ﴾^(١٦). فمن أساء عمله وأخطأ في^(١٧) اعتقاده فإنما ظلم نفسه بظلمة جوهره وسوء استعداده؛ فكان أهلاً للشقاوة في معاده^(١٨).

(١) مر ١: لاقته / مج ٤: لاقاه.

(٢) مج ٤: يحرقه.

(٣) مر ١: أشبه.

(٤) مر ١: مقدرة.

(٥) مر ١: - مكتوبة.

(٦) مر ١: عليها.

(٧) مر ١: معجونة / مج ٤: مغمومة.

(٨) مج ٤: فيها.

(٩) مر ١: المقتدر.

(١٠) مر ٢، ٢، مج ٣: اقتراف / مج ٤: اقتراق.

(١١) مج ١: المتعال.

(١٢) مر ١، ٢، مج ٤: يترتب.

(١٣) مر ١: عليه.

(١٤) مر ١: ساق.

(١٥) سورة انعام، آية: ١٣٩.

(١٦) سورة نوح، آية: ٤٩، وسورة عنكبوت، آية: ٥٤.

(١٧) مر ١: من.

(١٨) مر ١: سعاده.

فإن رجعت وقلت: ما بالناس تفاوت^(١) فيما قدره الله تعالى^(٢) وقضاء من الفضائل والرزائل^(٣) والسيئات؟ ولمَ لمَ نتساو^(٤) ونتعادل^(٥) في الخيرات والشرور، ولا نتشاكل^(٦) ولا نتماثل^(٧) في السعادة والشقاوة؟ وبأي شيء صار السعيد سعيداً أو^(٨) الشقي شقيّاً^(٩)؟ وأين عدل الله فينا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْمَعِيدِ﴾^(١٠).

فنجيبك - يا أخا الحقيقة، أيّدك الله وإيانا^(١١) بروح منه - بأن^(١٢) الاستعدادات^(١٣) متفنة، والحقائق متنوعة، والمواد السلفية بحسب الخلقة والماهية متباينة في اللطافة والكثافة، ومزاجاتها مختلفة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي، والأرواح الإنسية التي بإزائها مختلفة بحسب الفطرة الأولى في الصفاء والكدورة والقوة والضعف، مترتبة في درجات القرب والبعد من الله تعالى؛ لما تقرر^(١٤) وتحقق أنّ بإزاء كلّ مادة ما يناسبه من الصور^(١٥). فاجود^(١٦) الكمالات لأتم^(١٧) الاستعدادات، وأخسها^(١٨) لأنقصها^(١٩)، كما أشير إليه في قوله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم^(٢٠) في الإسلام».

-
- | | |
|---|-----------------------|
| (١) مر ١: متفاوت متفاوت / مع ٣: متفاوت. | (٢) مر ٢: - تعالى. |
| (٣) مع ٣: الرزائل. | (٤) مر ١: لم ينسا. |
| (٥) مر ١: تتعادل. | (٦) مر ١: تتشاكل. |
| (٧) مر ١: تتماثل. | (٨) مر ٢، مع ٣: و. |
| (٩) مع ٤: - ولم لم نتساو... شقيّاً. | (١٠) سورة ق، آية: ٢٩. |
| (١١) مع ٢: وإيانا. | (١٢) مع ٣: أنّ. |
| (١٣) مع ٤: الاستعدادات. | (١٤) مر ١: قرر. |
| (١٥) مر ١: الصورة. | (١٦) مر ١: أجود. |
| (١٧) مع ٣: ثم. | (١٨) مع ٢: وأحسنها. |
| (١٩) مع ٢: لأنقصها / مع ٤: لأنقصها. | (٢٠) مر ١: كخيارهم. |

مجادلة كلامية وذنابة^(١) برهانية^(٢)؛

و^(٣) لعلك لا عتيادك^(٤) بالمجادلات المشهورة والخطابات الجمهورية^(٥) تضطرب فتصول^(٦) وترجع فتقول^(٧): إنَّ ما حاول الفيلسفي أن يقيم^(٨) للشرور والقبايح الكائنيتين في الوجود^(٩) معذرة^(١٠) يحبب^(١١) الله عزَّ وجلَّ إلى^(١٢) عباده؛ فقال: إنَّ هاهنا ما هو صلاح وخير بالنسبة إلى^(١٣) النظام الكلِّي^(١٤) والأمر العام، وما هو كذلك بالقياس إلى النظام الجزئي والأمر الخاصي^(١٥)؛ وإذا تعارضا فلا بدَّ من تقديم صلاح الأوَّل وإهمال جانب الجزئي كمن قطع عضواً لصلاح الجسد^(١٦) كله، وجعل كلَّ شرٍّ وخير^(١٧) لاحقين لأحاد الناس، واجبين في النظام الكلِّي؛ هو^(١٨) فاسدٌ من وجهين:

أحدهما، أنَّه يلزم منه أن يكون^(١٩) ربَّ العباد فارقههم وهاجرهم ورماهم^(٢٠) بالمصائب والنوائب تقدماً لغيرهم عليهم، وهذا ممَّا يسؤوهم^(٢١) جدًّا، ويسيء^(٢٢) ظنهم برَّبهم، لأنَّ عناية كلِّ شيءٍ مصروفة إلى نفسه قبل كلِّ شيءٍ. فإذا رأى ربُّه يؤثر غيره عليه ويرميه بالنصب والعذاب لأجله^(٢٣)، يشس من رحمته

(١) مج ٤: ذنابة.

(٢) مج ١، مج ٢: - مجادلة وذنابة برهانية.

(٣) مج ٤: - و.

(٤) مر ١: لا اعتبارك.

(٥) مج ٤: والخطابات الجمهورية.

(٦) مج ٤: فتقول.

(٧) مج ١، مر ١: فتقول.

(٨) مر ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤: مقفورة.

(٩) مج ٤: + الخارجتي.

(١٠) مر ١: - إلى.

(١١) مج ٤: نجيب.

(١٢) مر ١: بالنظام الكلِّي.

(١٣) مر ١: - بالنسبة إلى.

(١٤) مر ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤: الخاص.

(١٥) مر ١: خير وشر.

(١٦) مج ٣: الجنس.

(١٧) مج ٤: - يكون.

(١٨) مر ٢: فهو.

(١٩) مج ٤: يسوهم.

(٢٠) مر ١: أما هم.

(٢١) مج ٢، مج ٣: لأجل.

(٢٢) مر ١: والشئ/ مج ٤: ويسئ.

وندم^(١) على عبوديته. وأي فائدة^(٢) له في أن يكون ذلك الشيء خيراً؟ فإنه إن كان خيراً^(٣)، فهو خير لنفسه، لا لأن مقتضاه مصائبه ورفاته. وجاء في المثل: «غثك خير من سمين غيرك»^(٤).

والوجه الثاني أنه أراهم ربهم عاجزاً مضطراً؛ إذ^(٥) ظن أنه لا يجد سبيلاً إلى صلاح^(٦) الأنعام وإقامة النظام إلا بإدخال الضر^(٧) على هذا العاجز المسكين، فما له أن يعبد رباً^(٨) عاجزاً، فإنه لا يعبد ربه إلا لأنه يجد نفسه عاجزاً فقيراً، فيلتجئ^(٩) إلى قوي^(١٠) عزيز. فإذا كان هو^(١١) عاجزاً مثله، فقد فر من العجز إلى العجز. تعالى عما يقول^(١٢) الظالمون علواً كبيراً.

فنجيك بمثل ما قال الشاعر:

هوّن على بصري ما شقّ منظره فإتما يقظات^(١٣) العين كالحلم
فاسمع ما يشفيك^(١٤) من غيظك، ويكفيك^(١٥) إزالة ريبك^(١٦). فلست أول
من زلت^(١٧) قدمه^(١٨) في هذا المقام، واستفرّ قلبه من هذا الكلام^(١٩). واعلم
أن الطاعة كلّ هيئة يقتضيها ذات الإنسان لو خلّيت عن العوراض الغريبة؛
فهي^(٢٠) الفطرة الأولى التي فطر الله عليها^(٢١) العباد كلّهم، والمعصية كلّ^(٢٢) ما

(١) مج ٢: - ندم. (٢) مر ١: + فائدة.

(٣) مر ١، مج ٢: - فإنه إن كان خيراً.

(٤) مر ١: غثك خير من سمين / اصل اين ضرب المثل در كتاب فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب ضميمه كتاب، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، بصورتي كه در متن آمده، نقل شده است؛ لويس معلوف، الطبعة الجديدة.

(٥) مج ٤: أ. (٦) مر ١: إصلاح.

(٧) مج ٤: الضر. (٨) مج ٤: يقتدرنا.

(٩) مج ٢: فيستجبي. (١٠) مر ١: قول.

(١١) مر ١: يقولون / مج ٤: يقوله. (١٢) مر ١: يشميك / مج ٤: تقبل.

(١٣) مج ٤: نقبغات. (١٤) مج ٤: دنك.

(١٥) مج ٤: تكفيك / مر ٢، مج ٣: + في. (١٦) مج ٤: - قدمه.

(١٧) مج ٤: زلت. (١٨) مر ١: وهي.

(١٩) مر ١: - الكلام. (٢٠) مج ٤: - كلّ.

(٢١) الفاره اي است به سورة انعام، آية: ٢٠. (٢٢) مج ٤: - كلّ.

تقتضيه بشرط^(١) عارض غريب؛ فهي تجري مجرى المرض والخروج عن الحالة الطبيعية. فيكون ميل^(٢) الإنسان إليها^(٣) كشهوة الطين التي هي غريبة^(٤) بالنسبة إلى المزاج الطبيعي، لم يحدث إلا بحدوث^(٥) مرض^(٦) وانحراف عن المزاج الأصلي الجبلي^(٧).

وقد ثبت في الحكمة أن الطبيعة بسبب^(٨) عارض غريب تحدث^(٩) في الجسم المريض مزاجاً خاصاً يسمى مرضاً، كما أن الصحة أيضاً من الطبيعة على قياس الحركة الطبيعية الحاصلة من الطبيعة^(١٠) في ذاتها، والقسرية^(١١) الحاصلة منها بسبب^(١٢) القاسر، فيكون كل^(١٣) من الحالين^(١٤) ملائماً لها في وقت مخصوص. وقد ورد في الحديث القدسي: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء، وإنهم أتاهم^(١٥) الشيطان فاحتالهم عن دينهم^(١٦).

فالطاعة هي الحنيفية^(١٧) التي تقتضيها^(١٨) ذواتهم لو لم يمسه^(١٩) أيدي^(٢٠) الشيطان؛ فإذا مسهم^(٢١) أيدي^(٢٢) الشياطين^(٢٣)، أفسدت^(٢٤) عليهم فطرتهم

(١) مر ١: شرط/ مج ٢: لشرط.

(٢) همة نسخه ما جز مج ١٤: إليه.

(٣) مج ٣: لحدوث.

(٤) مج ١: الجبلي الأصلي.

(٥) مر ١، مج ٢، مج ٤: يحدث.

(٦) مج ٤: البشرية.

(٧) مج ٣: كلاً.

(٨) مج ٤: آتاهم.

(٩) ر. ك: كليات حديث قلبي، شيخ محمد حسين حر عاملي، انتشارات دهقان، ١٣٦٦،

ص ١٦٣٢ اصل حديث چنین است: خلقت عبادي حنفاء فاحتالهم الشياطين عن دينهم

وأمرهم أن يشركوا بي فوري.

(١٠) مر ١: الحنفية/ مج ٤: الحسنه.

(١١) مر ٢: لو يمسه.

(١٢) مج ٢، مج ٣: منهم.

(١٣) مج ٤: - الشياطين.

(١٤) مر ١: يقتضيها.

(١٥) مج ٤: ايدي.

(١٦) مج ٤: الأيدي.

(١٧) مج ٤: لفسدت.

الأصلية، فاقترضوا أشياء منافية^(١) لهم مضادة لجوهرهم البهيم الإلهي من الهيئات الظلمانية، ونسوا^(٢) أنفسهم وما جبلوا^(٣) عليه؛ فاحتاجوا إلى رسول مبلّغ من الله يتلو^(٤) عليهم الآيات ويبين^(٥) لهم ما يذگرهم عهد^(٦) ذواتهم من الصلاة والصيام والزكاة وصلة الأرحام إلى غيرها من الطاعات؛ ليعودوا إلى فطرتهم الأصلية، ويصير فعل^(٧) الخيرات والعبادات طبيعياً لهم بلا كلفة ومشقة. وإليه أشير^(٨) بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٩) وهم الذين باشرت^(١٠) أنوار الحق نفوسهم حتى خشعوا لها.

فإن الله إذا تجلّى لشيء، خشع له. ثم^(١١) إن هذا المرض الذي عرض لذواتهم والحالة المنافسة التي قامت بهم^(١٢) لولا أن وجدا من ذواتهم قبولاً لعروضهما لهم ورخصة في لحقهما بهم، لم يكونا يعرضان^(١٣) لهم ولا يلحقان بهم. فإذا كان ممّا يقتضيه ذواتهم، أن يلحقهم^(١٤) أمور منافية مضادة لجواهرهم؛ فإذا لحقتهم^(١٥) تلك الأمور، اجتمعت فيها جهتان، فكانت^(١٦) ملائمة منافية: أمّا كونها ملائمة، فلأن ذواتهم اقتضتها. وأمّا كونها منافية فلأنها اقتضتها؛ على أن تكون^(١٧) منافية لهم. فلو لم تكن^(١٨) منافية لهم، لم يكن ما فرضناه مقتضى لها مقتضى لها، بل أمر آخر، هذا خلف.

(١) مر ١: منافياً. (٢) مر ١: ولو.

(٣) مج ٢: جبلوا/ مج ٤: ختلوا. (٤) مج ٢: يتلوا.

(٥) مر ١، مج ٣: بسن/ مج ٢: وليس/ مج ٤: والتبيين.

(٦) مج ٤: عهد. (٧) مج ٤: تصير عمل.

(٨) مج ٤: أشار. (٩) سورة بقره، آية: ٤٥.

(١٠) مج ٤: ما شرت. (١١) مج ٤: - ثم.

(١٢) مر ١: - بهم/ مج ٤: لهم. (١٣) مر ١: يعرفان.

(١٤) مج ٣: تلحقهم. (١٥) مر ١: - لحقتهم.

(١٦) مج ٤: لكانت.

(١٧) مر ١، مج ٢، مج ٤: يكون/ مج ٣: يكون.

(١٨) مر ١: يكن.

أَوْ لَا نَظَرْتَ إِلَى الْمَحْمُومِ^(١) الَّذِي تَفْعَلُ^(٢) طَبِيعَتُهُ فِي بَدَنِهِ^(٣) الَّذِي قَلَّتْ رَطَابَتُهُ بِسَبَبِ الْقَاسِرِ^(٤) حَرَارَةِ^(٥) تَوْجِبُ فُسَادَهُ؟ وَإِلَى طَبِيعَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْتَضِي^(٦) يَبُوسَةَ^(٧) حَافِظَةَ لَأَيِّ شَكْلِ كَانَ، حَتَّى صَارَتْ مَمْسُكَةً لِلشَّكْلِ الْقَسْرِيِّ الْمَنَافِي لِكُرْوَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ وَمَنَعَتْ عَنِ^(٨) الْعُودِ إِلَيْهَا؟ فَعَرُوضُ ذَلِكَ الشَّكْلِ لِلْأَرْضِيَّةِ لِكُونِهَا مَقْسُورَةٌ مِنْ وَجْهِ، مَطْبُوعَةٌ مِنْ وَجْهِ.

فَالْإِنْسَانُ^(٩) عِنْدَ عَرُوضٍ مِثْلِ هَذَا الْمَنَافِي مِلْتَدٌّ مِتَّالِمٌ، سَعِيدٌ شَقِيٌّ، مِلْتَدٌّ^(١٠) وَلَكِنْ لِدَنَةِ أَلَمِهِ، وَسَعِيدٌ وَلَكِنْ سَعَادَتُهُ شَقَاوَتُهُ^(١١). وَهَذَا عَجِيبٌ، وَلَكِنَّا أَوْضَحْنَاهُ لَكَ إِضَاحًا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ لَكَ^(١٢) عَجَبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَمَهْمَا^(١٣) سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(١٤) يَذْكُرُ هَؤُلَاءِ بِالْبَعْدِ وَالشَّقَاوَةِ^(١٥)، فَهَمُّ أَشْقِيَاءَ مَبْعُدُونَ^(١٦) لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. وَمَهْمَا سَمِعْتَ عَزَّ وَجَلَّ^(١٧) يَنْبِئُ عَنْ خَلْقِهِ كُلَّهُ بِالْحَسَنِ وَالْبَهَاءِ وَيَذْكُرُ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^(١٨)، فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ^(١٩) الدَّقِيقَةِ الَّتِي نَبِّهْنَاكَ عَلَيْهَا^(٢٠)، أَنَّ ذَوَاتَهُمْ لَوْ لَمْ تَسْتَدْعِ^(٢١) عَرُوضَ الْعَذَابِ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ بِهِمْ^(٢٢) ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُولِّي أَحَدًا إِلَّا مَا تَوَلَّاهُ، عَدْلًا^(٢٣) مِنْهُ وَرَحْمَةً.

-
- | | |
|---|--|
| (١) مَج ٤ : المَجْمُوع. | (٢) مَج ٤ ، مَج ٢ : يَفْعَلُ. |
| (٣) مَج ٤ : يَدِيهِ. | (٤) مَر ١ ، مَج ٣ : الْقَاسِرُ. |
| (٥) مَر ١ : - حَرَارَةٌ. | (٦) مَر ١ : - تَقْتَضِي / مَج ٢ : يَقْتَضِي. |
| (٧) مَج ٤ : بَتَوَسُّطٍ. | (٨) مَر ١ : مِنْ. |
| (٩) مَر ١ : فَلَانَ الْإِنْسَانَ. | (١٠) مَج ٤ : يَلْتَدُّ. |
| (١١) مَج ٤ : شَقَاوَةٌ. | (١٢) مَج ٤ : شَكَّ. |
| (١٣) مَر ١ : لَمَهْمَا. | (١٤) مَج ٣ : تَعَالَى (بِجَايِ عَزَّ وَجَلَّ). |
| (١٥) مَج ٤ : الشَّقَاءُ. | (١٦) مَج ٤ : دُونَ. |
| (١٧) مَج ٣ : تَعَالَى (بِجَايِ عَزَّ وَجَلَّ). | |
| (١٨) أَشَارَهُ اسْتَ بِهِ سُورَةُ أَحْرَافٍ، آيَةُ ١٥٦. | |
| (١٩) مَج ٢ : الْحُجَّةُ. | (٢٠) مَج ٤ : + مِنْ. |
| (٢١) مَج ٤ : يَسْتَدْعِي. | (٢٢) مَج ٢ : لَهُمْ. |
| (٢٣) مَج ٤ : عَنْدَهُ. | |

فإذن يا حبيبي! تحت كلِّ سمٍّ^(١) ترياق^(٢)، وقبل كلِّ لعنة^(٣) رحمة، وهي الرحمة التي وسعت كلَّ شيء. فخلق الله كلَّ ممكن على ما اختاره لنفسه كما ورد في الكتاب الإلهي: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَوْهُ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤).

وقد ورد في الخبر في صفة يوم القيامة موقوفاً على ابن مسعود: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ينزل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي فينادي منادٍ^(٥) يا أيها الناس ألم ترضوا^(٦) من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه^(٧) ولا تشركوا^(٨) به شيئاً، أن يولِّي^(٩) كلَّ أناس^(١٠) منكم ما كانوا يتولَّون^(١١) ويعبدون في الدنيا؛ أليس ذلك عدلاً من ربكم^(١٢)؟ قالوا بلى^(١٣). قال فينطلق كلَّ قوم إلى ما كانوا يعبدون^(١٤) ويتولَّون^(١٥) في الدنيا، قال وتمثِّل^(١٦) لهم^(١٧) أشباه ما كانوا يعبدون... (الحديث بطوله^(١٨)). وكما يولَّون في الآخرة ما تولَّوا^(١٩) في الدنيا، فإنما يولَّون في الدنيا^(٢٠) ما تولَّوه في السوابق.

-
- (١) مج ٣: اسم.
(٢) مج ٢، مج ١: درياق/ مر ٢، مج ٣: ورياق/ مج ٤: ونرياق.
(٣) مج ٣: بعث/ مج ٤: - لعنة. (٤) سورة نساء، آية: ١١٥.
(٥) مر ١: فينادينا/ مج ٢: منادياً. (٦) مج ٤: لم يرضوا.
(٧) مر ١: يعبدوه.
(٨) مر ١، مج ٤: لا يشركوا/ مج ٤: ولا يشاكو.
(٩) مج ٤: تولَّى/ مر ٢، مج ٢: يؤل.
(١٠) مج ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤، مر ٢: ناس.
(١١) مر ١: ليقولون/ مج ٢، مج ٣: يقولون.
(١٢) (١٣) مج ٤: - بلى.
(١٤) مر ١: ويربكم.
(١٥) مر ١: يعبدون.
(١٦) مر ١، مج ٢، مج ٣: يقولون/ مج ٤: يتلون.
(١٧) مر ١: له.
(١٨) مج ٤: فيمثل.
(١٩) مر ١، مج ٤: يولَّوا.
(٢٠) مر ١: - في الدنيا.

فإن كان لك شك^(١) في ذلك، فاتل^(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^(٣). (الآية). لتعلم^(٤) أن الله عز وجل لا يحمل أحداً^(٥) شيئاً قهراً وقسراف، بل يعرضه^(٦) عليه؛ فإن تولاه، ولآه؛ وإن لم يتولّه، لم يولّه. وهذا محض الرحمة والعدالة.

فإن قلت: ليس تولية^(٧) الشيء^(٨) ما تولاه مطلقاً عدلاً^(٩)، بل حيث يكون ذلك التولي عن رشد وبصيرة؛ فإن السفیه قد يختار لنفسه ما هو شرّ بالنسبة إليه لجهله^(١٠) وسفاهته، فلا يكون تولية ذلك السفیه إياه عدلاً بل ظلماً؛ وإنما العدل والشفقة في ذلك منعه إياه.

قلت: هذا التولي الذي كلامنا فيه ليس تولي^(١١) شيء لشيء يعرضه^(١٢) من^(١٣) خارج، حتى يرد عليه القسمة إلى الخير والشر؛ فإن ما يختاره^(١٤) السفیه إنما يسمّى شرّاً^(١٥) لأنه منافٍ لذاته^(١٦). فلذاته اقتضاء أول متعلق^(١٧) بنقيض ذلك الأمر المتولي له^(١٨)، فذلك^(١٩) هو الذي^(٢٠) أوجب أن سمينا هذا^(٢١) شرّاً^(٢٢) بالنسبة إليه.

وأما الاقتضاء الأول، فلا يمكن وصفه بالشرّ، لأنه لم يكن اقتضاء^(٢٣) يكون هذا بخلافه فيوصف بأنه شرّ، بل هو الاقتضاء الذي يكون خيراً على أي وجه

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| (١) مج ٢: منك. | (١٣) مر ١: عن. |
| (٢) مر ١: قابل/ مج ٢: تأمل. | (١٤) مج ٣: - يختاره/ مج ٤: تختار. |
| (٣) سورة احزاب، آية: ٧٢. | (١٥) مر ١: شرّاً. |
| (٤) مر ١: ليعلم. | (١٦) مج ٤: إذاته. |
| (٥) مج ٤: أحد. | (١٧) مر ١: يتعلق. |
| (٦) مر ١: يعرفه. | (١٨) مر ١: - له. |
| (٧) مر ١: يولّه. | (١٩) مج ٤: فلذلك. |
| (٨) مر ١: شيء و. | (٢٠) مج ٤: - هو الذي. |
| (٩) مج ٢: للذلال (بجاء عدلاً). | (٢١) مر ١: هذه. |
| (١٠) مج ٤: بجهله. | (٢٢) مر ١: الشر. |
| (١١) مج ٤: - تولي. | (٢٣) مج ٤: - الأول... اقتضاء. |
| (١٢) مر ١: تعرضه. | |

كان، لأنّ الخير ليس إلّا ما يقتضيه ذات الشيء. والتولّي الذي كلامنا فيه، هو الاستدعاء الذاتي^(١) والسؤال الوجوديّ الفطريّ، الذي يسأل به الذات المطبّعة^(٢) السامعة لقول الله «كن»، الدّاخلَة امتثالاً له في الوجود. وقوله «كن» ليس أمر قسرٍ وقهرٍ، لأنّ الله غني عن العالمين^(٣).

ولا حاجة له في وجودهم ليجبرهم^(٤) عليه، بل أمر إذنٍ، لأنّه مسبق بسؤال الوجود، فكأنّه^(٥) قال لربّه ائذن لي أن أدخل في عالمك وهو الوجود، فقال الله كن، أي^(٦) ادخل حضرتي، فقد أذنت لك. كما حكى الله عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام من الملكوت اعلى^(٧): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٨). فلو لا سبق السؤال عن الطائر أن يكون، لم يسمّ ذلك إذناً.

ومتى أمر جليل^(٩) - تبارك اسمه - أمر قسر وكره^(١٠)، فذلك أيضاً بضراعة^(١١) من جوهر المأمور واستدعاء قطريّ من طبعه ورحمة^(١٢) من الله، ليزيقهم من مكنون لطف الجلال. كيف، وكما أنّ لكلّ^(١٣) جمالٍ [جلالاً]^(١٤) كالهيّمان الحاصل من الجمال الإلهي، فإنّه عبارة عن انقهار^(١٥) العقل منه وتحيزه فيه^(١٦)، كذلك^(١٧) أيضاً لكلّ جلالٍ جمال^(١٨)، وهو اللّطف المستور في الفهر^(١٩) الإلهي، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلُونَ

(١) مج ٤: - الذاتي.

(٢) اشاره است به سورة عنكبوت، آية: ٦.

(٣) مج ١: لعجزهم.

(٤) مج ١: - أدخل في... أي.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٦) مج ١: الخليل/ مج ٢، مج ٣: الجليل.

(٧) (١١) مج ١: بطراعه.

(٨) (١٢) مج ٤: كره.

(٩) (١٣) مج ٤: لعكسه.

(١٠) (١٤) مج ٤: القهار.

(١١) (١٥) مج ١: فلكذلك.

(١٢) (١٦) مج ٣: فهر.

الْأَنْبِيَاءُ^(١) وقال أمير المؤمنين على أخيه وعلیه السلام رب العالمين^(٢): «سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نعمته^(٣)، واشتد نقمته^(٤) لإعدائه في سعة رحمته^(٥)». ومن هاهنا^(٦) يعلم سرّ قوله ﷺ: «خَفَّتْ^(٧) الجنة بالمكاره، وخَفَّتْ^(٨) النار بالشهوات». ولعمر^(٩) إلهك^(١٠) لقد^(١١) اتّصل بالسّماء^(١٢) والأرض من لذيذ الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾^(١٣)، من مشاهدة جمال القهر ما طربت السّماء [به] طرباً رقصها، فهي بعد ذلك في الرّقص والنّشاط^(١٤)؛ وغشي^(١٥) به على الأرض لقوة الوارد^(١٦)، فألقيت مطروحة على البساط^(١٧). فسرّبان لذة القهر هو الذي عبّدهما^(١٨)، ومشاهدة^(١٩) لطف الجلال^(٢٠) هي التي سلبت أفئدتهم، حتّى قالوا^(٢١) قول الواقى ذي الحنين: ﴿أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾^(٢٢). فافهم هذا فهم حقّ يتلى^(٢٣)، لا^(٢٤) فهم شعر يفترى.

بحث وتحقيق^(٢٥)

ربما^(٢٦) قال قائل: الممكن^(٢٧) قبل وجوده معدوم، فكيف يتّصف بالسّؤال،

- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) سورة بقره، آية: ١٧٩. | (٢) مر ١: - كما قال... رب العالمين. |
| (٣) مج ٣: نعمته. | |
| (٤) مج ٢: - نعمته/ مج ٣، مج ٤: نعمته. | |
| (٥) صبحي صالح، «نهج البلاغة»، خطبة ٩٠. | |
| (٦) مر ١: - هاهنا. | (٧) مر ١: خَفَّتْ. |
| (٨) مر ١: خَفَّتْ. | (٩) مر ١: يعمر. |
| (١٠) مج ١: ألهك. | (١١) مر ١: لقد. |
| (١٢) مر ١: السّماء. | (١٣) سورة فصلت، آية: ١١. |
| (١٤) مر ١: البساط. | (١٥) مر ١، مج ٢: عشرته/ مج ٤: عشر. |
| (١٦) مر ١: انوار. | (١٧) مر ١: النّشاط/ مج ٣: البساط. |
| (١٨) مر ١: عندهما. | (١٩) مج ٤: شاهدت. |
| (٢٠) مر ٢: الجمال. | (٢١) مر ١: قال. |
| (٢٢) سورة فصلت، آية: ١١. | (٢٣) مج ٣: تتلى. |
| (٢٤) مر ١: - لا. | (٢٥) مج ١، مج ٢: - بحث وتحقيق. |
| (٢٦) مج ٤: ما. | (٢٧) مر ١: ممكن. |

ثم بالامتنال والقبول^(١) والإطاعة والانقياد للأمر^(٢)؛ لأن هذه المعاني إنما تحصل^(٣) ممّا له الوجود؟ وكيف يقاس ما ليس بوجود إلى ماله الوجود؟ فيقال له: إنّ الممكنات قبل وجودها الخارجي موجودة بنحو آخر من الوجود، هو الوجود^(٤) العلمي الإلهي لم يزل ولا يزال، وإن كانت معدومة بحسب الوجود العيني. فإنّ ذات العلة الفيّاضة^(٥) نحو^(٦) من أنحاء وجود الأمر^(٧) المفاض^(٨) أولى وأقوى من وجوده بنفسه، كما حقّقناه في بعض أسفارنا^(٩).

وكلّ صفة وجوديّة^(١٠) ثبتت^(١١) له في مرتبة لاحقة، فهي قد كانت ثابتة له في المواطن السابقة عليها. فهذه^(١٢) الصفات التي للأشياء ليست من لوازم الوجود الخارجي فقط، بل كلّ صفة كماليّة للموجود^(١٣) بما هو موجود تتّصف بها الأشياء حال كونها موجودة بالوجود العلمي؛ غاية ما في الباب أنّ هذه الصفات ممّا يتفاوت ظهوراتها في الممكنات بحسب تفاصيل الدرجات وتفاوت الاستعدادات، كما تتفاوت^(١٤) طبقات الأجسام لطافة وكثافة.

وتحقيق هذا الكلام أنّه كما أنّ للعالم بمجموعه ظهورات متعدّدة بعضها إجمال^(١٥) وبعضها تفصيل^(١٦) وللتفصيل مراتب. وتلك الظهورات بحسب^(١٧) مراتب علمه تعالى بالأشياء أو^(١٨) نفس وجودات الممكنات وظهوراتها - كما

-
- (١) مج ٤: قول الأمر.
(٢) مر ١، مر ٢: للأمر والإطاعة والانقياد/ مج ٤: الأمر.
(٣) مر ١، مر ٢: يحصل.
(٤) مر ١: الموجود.
(٥) مر ١: - العلة الفيّاضة/ مر ١: + القاهرة.
(٦) مج ٤: بنحو.
(٧) مر ١: - الأمر.
(٨) مج ٤: المفاض.
(٩) مج ٤: أسفاره.
(١٠) مر ١: موجوديّة.
(١١) مر ١: ثبت/ مج ٣، مر ٢، مج ٤: يثبت.
(١٢) مر ١: - فهذه.
(١٣) مج ٣: للوجود.
(١٤) مر ١، مج ٢: يتفاوت/ مر ١: + و.
(١٥) مر ٢: إجمال.
(١٦) مر ٢: تفصيل.
(١٧) مر ١: - بحسب.
(١٨) مج ٤: و.

أشير^(١) إليه آنفاً - نفس مراتب علمه تعالى بها^(٢)، كذلك^(٣) كلّ جزء من أجزاء العالم له ظهور خاص إجماليّ يظهر بحسبه صفاته وكمالاته وشؤونه وحيثياته على صورة وحدانية^(٤) مندمجة بعضها في بعض، وله ظهورات أخرى^(٥) تفصيليّة في العوالم كلّها، يظهر^(٦) تلك الصّفات^(٧) والحالات^(٨) بصور متعدّدة متمايّزة بعضها عن بعض حسبما يقتضيه كلّ عالم وكلّ نشأة.

وكما أنّ كلّ معلول جهتين - وجوب غيري، وإمكان ذاتي - ثابتتين^(٩) له في^(١٠) جميع المراتب والمقامات^(١١)؛ فنسبة^(١٢) الفعل والتكوين والقهر والغلبة^(١٣) والغنى إليه^(١٤) بالاعتبار^(١٥) الأوّل، ونسبة^(١٦) الانفعال والامتنال والمحبة والذلّ والافتقار إليه بالاعتبار الثاني. إحداهما أثر الجمال^(١٧)، والأخرى أثر الجلال^(١٨) وفي كلّ منهما ينطوي الآخر كما مرّ. فلا تضيق صدرك بما سمعت^(١٩)، واحمد ربّك على ما فهمت.

قاعدة شريفة^(٢٠): ينتفع بتمهيدها في مسألة^(٢١) الخير والشرّ وسرّ القضاء والقدر^(٢٢).

-
- | | |
|--|-------------------------|
| (١) مر ١: أشرنا. | (٢) مر ١: - تعالى بها. |
| (٣) مج ٣: لك. | (٤) مر ١: - وحدانية. |
| (٥) مر ١: أقوى. | (٦) مر ١: تظهر. |
| (٧) مج ٤: - تلك الصّفات. | |
| (٨) مر ١: والكمالات/ مج ٤: وحالات/ مر ١: - والحالات. | |
| (٩) مر ١، مج ١، مج ٤، مر ٢: ثابتين. | |
| (١٠) مج ٤: - في. | |
| (١١) مر ٢: النشأت/ مج ٢، مج ٣، مج ٤: وانقسامات. | |
| (١٢) مر ١: فشبه. | (١٣) مر ١: القلبة. |
| (١٤) مج ٤: إليها. | (١٥) مر ١: لاعتبار. |
| (١٦) مر ١: نسبه. | |
| (١٧) مر ٢، مر ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤: الجلال. | |
| (١٨) مر ١، مر ٢، مج ٢، مج ٣، مج ٤: الجمال. | |
| (١٩) مر ١: حتمت. | (٢٠) مر ١، مج ٢: مشرقة. |
| (٢١) مج ٣: أمثلة. | |
| (٢٢) مج ١: - قاعدة شريفة: يتضح... القدر. | |

اعلم^(١) أَنَّ هاهنا طريقة أخرى هي^(٢) طريقة أهل الله في حلّ الشبهة الناشئة في تحقيق الشرور الكائنة في العالم، يتوقف بيانها على تمهيد^(٣) قاعدة، هي أنه قد تقرر عند المحصلين من الحكماء و^(٤)المحققين من العرفاء أَنَّ الجعل^(٥) والتأثير والإفاضة والإبداع لا يتعلّق بالذات إلّا بنحو من أنحاء الوجودات لا^(٦) الماهيات، بوجوه عديدة من البراهين مذكورة^(٧) في كتابنا المسمّى بالأسفار الأربعة^(٨).

فالموجود بالذات، سواء كان واجباً غنياً^(٩) أو ممكناً فقيراً، منحصر في الوجود، والمعاني الكلّية والماهيات العقلية والأوصاف الاعتبارية جميعها إنّما يكون موجوديتها^(١٠) باعتبار اتّحادها مع نحو من^(١١) أنحاء حقيقة الوجود أو انتزاعها منه.

فكما أنّ للوجود القيومي الواجبي تحقّقاً بنفسه من دون قيامه بماهية^(١٢) وعروضه لها^(١٣)، ومع هذا يكون وجوده^(١٤) الأحديّ القائم بذاته مصداقاً بذاته لصدق كثير من المعاني الكلّية الكمالية و^(١٥)موضوعاً بنفسه بحمل^(١٦) طائفة من الثبوت العقلية الجلالية التي هي المسمّاة بـ«الأسماء والصفات الإلهية»، بلا انضمام^(١٧) صفة زائدة يصير بسببه محكياً عنه بالمحامد السبحانية والمحاسن الصمدانية، ولا اختلاف حيثيات في ذاته بصير^(١٨) ببعض منها منشأ^(١٩)

(١١) مر ١ : - نحو من.

(١٢) مج ٤ : بماهيته.

(١٣) مر ١ : بها.

(١٤) مر ١ : وجود.

(١٥) مج ٤ : - و.

(١٦) مر ١ : محمل.

(١٧) مر ١ : با انضمام.

(١٨) مر ١ : ليصير.

(١٩) مر ١ : - منشأ.

(١) مر ١ : - اعلم.

(٢) مر ١ : حل.

(٣) مر ١ : - تمهيد.

(٤) مج ٤ : - و.

(٥) مج ٣ : لجعل.

(٦) مر ١ : ألا.

(٧) مج ٤ : مذكور.

(٨) مر ١ : بأسفار.

(٩) مر ١ : ههنا.

(١٠) مر ١ : موجوده.

لحكم^(١) وصفة من الأوصاف، وبيعض^(٢) آخر منشأ لحكم آخر وصفة أخرى
ليلزم الترّكّب^(٣) في ذاته تعالى عنه علوّاً كبيراً.

كذلك كلّ مرتبة من مراتب الوجودات^(٤) الفاقرة^(٥) الذّوات المجعلولة
الهويّات^(٦)، الّتي^(٧) هي بالحقيقة أشعة وأظلال للتّور الأحدي^(٨) القيوميّ،
ورشحات وظلال للبحر الصمديّ الديموميّ، بنفس ذاته وجوهر^(٩) هويته^(١٠)
الصادرة المجعلولة، مصداق لبعض المعاني الكلّية والنّعوت العقلية المسماة عند
الحكيم بـ«الماهية» وعند أهل الله بـ«العين الثابتة»^(١١) بلا جعل وتأثير^(١٢) مستأنف
يتعلّق بها^(١٣)، بل ثبوتها^(١٤) لكلّ أمر بنفس الجعل المتعلّق بالذّات بالهوية
الوجوديّة له المتشخّصة^(١٥) بنفس ذاته. فليس للحقّ إلّا إفاضة الوجود؛ ثمّ العقل
بضرب^(١٦) من التعمّل والاعتبار يعقل من كلّ مرتبة من الوجود نعوتاً^(١٧) خاصّة
لا تنفك^(١٨) عنه بحسب الخارج، ولا يتخلّل^(١٩) بينها وبينه جعل، كما مرّ.

فموجوديّة^(٢٠) الماهيّات المتخالفة المعاني المتباينة الحقائق بانصباعها بنور
الوجود حين تقرّرها منه^(٢١) واستنارتها به، وموجوديّة الوجودات بصدورها^(٢٢)
عن الجاعل التامّ، كوقوع الأشعة والأضواء من النّير بذاته على الهياكل
والقوابل، بل بتطوّره^(٢٣) بالأطوار^(٢٤) الوجوديّة المنسوبة^(٢٥) إلى الماهيّات بنحو

- | | |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| (١) مر ١ : الحكم. | (١٤) مر ١ : لنقلها. |
| (٢) مج ٤ : لبعض. | (١٥) مر ١ : الشّخصيّة. |
| (٣) مر ١ : التّركيب. | (١٦) مر ١ : بصرف. |
| (٤) مر ١ : الوجود. | (١٧) مر ١ : تقوّمأ. |
| (٥) مر ١ : الفافات/ مج ٣ : الفاطرة. | (١٨) مج ٢، مج ٤، مر ١ : لا ينفك. |
| (٦) مر ١ : الماهيّات. | (١٩) مر ١ : لا تخلّل. |
| (٧) مر ١ : - الّتي. | (٢٠) مر ١ : فموجوداته. |
| (٨) مج ٢ : الأوحدّي. | (٢١) مج ٤ : بينه. |
| (٩) مر ١ : وجوهريّة. | (٢٢) مج ٤ : لصدورها. |
| (١٠) مر ١ : - هويته. | (٢٣) مج ٤ : مسطورة. |
| (١١) مر ١، مج ٤ : الثابت. | (٢٤) مر ١ : من الأطوار. |
| (١٢) مر ١ : - وتأثير. | (٢٥) مر ١ : المبسوطة. |
| (١٣) مر ١ : لها. | |

الانصباف والاتصاف والاستكمال^(١)، وإلى القيوم الجاعل على سبيل القيام به^(٢) والتجلي منه^(٣) والفيض والترشيح^(٤) والنزول والتشعشع والاتماع، إلى غير ذلك من العبارات التي يمكن التعبير بها^(٥) عما يليق بتقدسه عن الأشباه^(٦)، وغناه عن^(٧) سواه.

فإمكان الماهيات الخارجة عن مفهوم^(٨) الوجود لا ضرورة وجودها وعدمها بالقياس إلى ذاتها من حيث هي، وإمكان الوجودات كونها بذواتها روابط^(٩) ومرتبطات؛ وبحقائقها تعلقات ومتعلقات^(١٠)، بمعنى أن ذواتها ذوات تعلقية^(١١)، وحقائقها حقائق لمعانية^(١٢)، لا استقلال لها ذاتاً ووجوداً، بخلاف الماهيات الكلية والأعيان الثابتة العقلية، فإنها وإن لم يكن لها ثبوت قبل الوجود - كما يراه قوم^(١٣) من المتكلمين - إلا أنها أعيان متصورة بكونها ما دام وجوداتها ولو في العقل؛ فإنها ما لم تتنور^(١٤) بنور الوجود، لا يمكن الإشارة العقلية^(١٥) إليها بأنها ليست موجودة ولا معدومة في وقت من الأوقات، بل هي باقية على احتجاجها الذاتي وبطونها الأصلي أولاً^(١٦) وأبداً، وليست حقائقها حقائق تعلقية^(١٧) لتحتاج في كونها هي أو شيئاً^(١٨) من الذاتيات واللوازم إلى^(١٩) أمر. فلا تأثير ولا سلطنة للغير في كونها هي، ولا في اتصافها بصفاتها الخاصة.

ومن^(٢٠) ما هنا يستوضح قول المحققين من أهل الله والعرفاء من أولي

- | | |
|----------------------------------|--|
| (١) مر ١: - والاتصاف والاستكمال. | (١١) مر ١، مج ٣، مج ٤: تعلقية. |
| (٢) مج ٤: - به. | (١٢) مر ١: لمعانية. |
| (٣) مر ١: المتجلي منه. | (١٣) مر ١: - قوم. |
| (٤) مج ٢، مر ٢: الترشيح. | (١٤) مر ٢، مر ٢، مج ٢، مج ٣: لم يتنور. |
| (٥) مر ١: لها. | (١٥) مر ١: الفعلية. |
| (٦) مر ١، مج ٣، مج ٤: الأشباه. | (١٦) مر ١: أولاً. |
| (٧) مر ١: هنا. | (١٧) مج ٣، مج ٤: تعلقية. |
| (٨) مر ٢: مفهومها. | (١٨) مج ٤: شيء. |
| (٩) مر ١: روابط. | (١٩) مر ١: على. |
| (١٠) مج ٤: ومتعلقات. | (٢٠) مج ٣: وهي. |

الكشف و^(١) اليقين: إن^(٢) الماهيات المعبرة^(٣) عندهم بالأعيان الثابتة^(٤)، لم تظهر^(٥) ذواتها ولا تظهر^(٦) أبداً، وإنما تظهر^(٧) أحكامها وأوصافها، ولا شئت ولا تشتم رائحة الوجود أصلاً، وموجوديتها بانتسابها إلى الوجود من غير قيام وعروض، كاتصاف موجود بموجده^(٨)؛ إذ لا وجود لها بالذات ولا ظهور لها بالحقيقة، بل إنما الظهور للوجود^(٩). لأن الوجود نورٌ يظهر به الماهيات المظلمة الذوات على البصائر والعقول، كما يظهر بالنور المحسوس الأشجار^(١٠) والأحجار^(١١) وسائر الأشخاص الكثيفة المظلمة الذوات المحجوبة الأعيان لذواتها عن شهود الأبصار والأعين^(١٢).

ثم إنه كما أن كل^(١٣) وجود خاص بحسب ذاته مظهرٌ لماهية خاصة به^(١٤). فالوجود الخاص الواجب^(١٥) مظهر يظهر به جميع^(١٦) المعاني الكلية والجزئية فهو بحسب ذاته نور محض يدرك^(١٧) الأشياء^(١٨) كلها، متجلٍ بذاته لذاته بنعوته الكلية^(١٩) وأسمائه^(٢٠) الحسنی وصفاته العليا. فذاته بذاته ظاهر بذاته^(٢١) مظهر لغيره ومنور^(٢٢) لسماوات الغيوب والأرواح وأراضي الأجسام والأشباح بحسب شؤونه وتجلياته^(٢٣) في مراتبه^(٢٤) الإلهية؛ وله بحسب شؤونه ومراتبه^(٢٥) أسماء

- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) مج ٤: - و. | (١٤) مر ١: - به. |
| (٢) مر ١: إذ. | (١٥) مر ١: الواجب. |
| (٣) مج ٤: المعبرة. | (١٦) مج ٤: الجميع. |
| (٤) مج ٤: الناشئة. | (١٧) مر ١: مدرك/ مج ٣: + به. |
| (٥) مر ١، مر ٢: لم يظهر. | (١٨) مر ١: بلاشياء. |
| (٦) مر ١، مر ٢: لا يظهر. | (١٩) مج ٤: الكمالية. |
| (٧) مر ١، مج ٢، مر ٢: يظهر. | (٢٠) مر ١: وأسماء. |
| (٨) مج ٣: بوجودها/ مر ٢: بوجود. | (٢١) مر ١، مر ٢، مج ٢، مج ٣، مج ٤: لذاته. |
| (٩) مر ١: بظهور الوجود. | (٢٢) مر ١: بنور. |
| (١٠) مر ١: الأثمار. | (٢٣) مر ١: كلياته. |
| (١١) مر ١: الأصحار. | (٢٤) مر ١: مراتب. |
| (١٢) مج ٤: الأعيان. | (٢٥) مر ١: مراتب. |
| (١٣) مج ١، مج ٢، مج ٤: لكل. | |

وصفات، حقيقة^(١) كانت أو^(٢) إضافية أو سلبية، ولكل منها نوع من المظاهر الوجودية والمراثي التعينية^(٣).

ولما كان ذاته بذاته مصداقاً لصفات متعددة متكثرة، ولا شك أنها معانٍ معقولة في غيب الوجود الحق، يعقل منها معانٍ أخرى معقولة مسماة بالأعيان الثابتة، مبدأ انتزاعها^(٤) ومعقوليتها هي تلك الأسماء يتعين بها^(٥) شؤون الحق وتجلياته، وليست بموجودات عينية، ولا تدخل^(٦) في الوجود أصلاً؛ بل الدّاخل في الوجود بالذات وجوداتها التي هي أشعة وأضواء وتجليات خارجية^(٧) للوجود الحق الإلهي. وعلمه تعالى^(٨) بتفاصيل تلك الأعيان مندمج في علمه بوجود ذاته الذي هو عين ذاته، لأن^(٩) العلم^(١٠) بذاته متضمن للعلم بكَمالات^(١١) ذاته المستلزم للعلم بحقائق الأشياء وماهياتها كما هي.

ثم إن المحبة الإلهية والوجود^(١٢) الرباني اقتضت ظهور الذات المتشئنة^(١٣) بتلك الشؤون الثابتة في حضرته العلمية بلا جعل وتأثير، فأفادت^(١٤) الوجودات الخاصة التي هي أنوار وأشعة يظر لكل^(١٥) منها أثر من آثار قدرته. فالجعل يتعلق أولاً وبالذات بنحو من^(١٦) أنحاء^(١٧) الوجود، ثم هو^(١٨) بذاته مصداق لحكم خاص هو ماهيته وعينه^(١٩) الثابتة^(٢٠)، وبِنفسه مستلزم لنعوت خاصة هي لوازم ماهيته من دون تعلق الجعل المتعلق بالوجود بها،

- | | |
|--------------------|--------------------|
| (١) مر ١: حقيقة. | (١١) مر ١: بكمال. |
| (٢) مر ١: - أو. | (١٢) مج ٣: الجواد. |
| (٣) مر ١: النبية. | (١٣) مر ١: الثسنة. |
| (٤) مر ١: انتزاع. | (١٤) مج ٤: فأفاده. |
| (٥) مر ١: لها. | (١٥) مر ١: بكل. |
| (٦) مر ١: يدخل. | (١٦) مر ١: - من. |
| (٧) مر ١: خارجة. | (١٧) مر ١: بأنحاء. |
| (٨) مر ١: - تعالى. | (١٨) مج ٢: - هو. |
| (٩) مر ١: إلا أن. | (١٩) مج ٣: عينته. |
| (١٠) مر ١: يعلم. | (٢٠) مج ٤: الثابت. |

و^(١) لا كونها مجعولة بجعل جديد، بل موجوديتها بعين إفاضة الوجود في^(٢) المنسوب إليها. فالمفاض هو الوجود، والماهية متحدة^(٣) معه^(٤) من دون تعلق جعل جاعل^(٥) بها ومن غير تأثير فاعل في إيجادها ولا في اتحادها^(٦) بالوجود الخاص بها وانتزاعها منه وصدقها عليه.

فكما أن الله تعالى يعلم ذاته وصفاته بنفس ذاته، ويعلم الأعيان الثابتة التي هي الماهيات بعين ما يعلم ذاته من غير تأثير و^(٧) اقتضاء فيها؛ فكذلك يستتبع^(٨) ذاته الفياضة وجودات الأشياء التي هي خيرات إلهية ونعماء سبحانه، لا ماهياتها ولوزمها. وكما لا يعلم من ذاته وصفاته إلا ما يعطيه الذات والصفات ممّا^(٩) هي عليها، بلا اقتضاء^(١٠) مقتض^(١١) وتأثير مؤثر؛ كذلك لا يعلم من الماهيات والأعيان إلا ما يعطيه^(١٢) هي بنفسها ممّا^(١٣) هي عليها. وبهذا المعنى قيل: إن علم الله تعالى تابع للمعلوم، وإن كان المعلوم تابعاً للعلم من وجه^(١٤) آخر^(١٥).

فقد ثبت وتحقق من آرائهم الكشفية العرفانية وأصولهم الذوقية المشاهدة^(١٦) بسبب^(١٧) رياضاتهم ومجاداتهم وأرصادهم المبتنية^(١٨) عليها، أن الصادر عن الحق الأول والفائض عن علة^(١٩) العلل - عقلاً كان أو نفساً أو طبعاً، أو جسماً بسيطاً^(٢٠) أو مركباً - ليس إلا نحواً^(٢١) من أنحاء الوجودات، وطوراً من أطوار

(١٢) مر ١، مر ٢، مج ٣: يعطيه.

(١٣) مر ١: - بنفسها ممّا.

(١٤) مر ١: بوجه.

(١٥) مر ١: + آخر.

(١٦) مج ٤: المشاهدة.

(١٧) مج ٤: بحسب.

(١٨) مر ١: المبتنية.

(١٩) مر ١: عدم / مج ٤: - علة.

(٢٠) مر ١: بسيط.

(٢١) مج ٤: نحو.

(١) مر ١: - و.

(٢) مر ١، مر ٢: - في.

(٣) مر ١: متى حرفها.

(٤) مج ٢، مج ٣: معها.

(٥) مج ٤: الجعل الجاعل.

(٦) مج ٣، مج ٤: إيجادها.

(٧) مر ١: - و.

(٨) مج ٤: تستتبع.

(٩) مر ١: إنما (بجاء ممّا).

(١٠) مر ١: باقتضاء.

(١١) مج ١: مقتضى / مج ٤: تختص.

الآيات المعبر عنها عندهم بالتجليات الإلهية، وعند الإشرافيين بالأضواء والأشعة القيومية، وعند طائفة أخرى بالكلمات الوجودية وفاقاً لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا﴾^(١).

و^(٢) لا شك أن الوجودات خيرات محضة، لأن الوجود^(٣) من حيث هو وجود لا يكون شراً. والشر إنما يلحق بالماهيات لقصورها وعدم بلوغها الكمال اللائق بها، أو مصحوبيتها بالأعدام والقوى والملكات. وهذه جعلتها معانٍ عدمية لازمة لبعض الماهيات، منبعها الإمكان الذاتي والاستعدادي. والماهية^(٤) قد مر أنها غير مجعولة^(٥) لا^(٦) بالجعل المركب ولا بالجعل البسيط أيضاً^(٧).

فالصادر عن^(٨) الحق خير، والشر غير صادر أصلاً لا أنه صادر^(٩) عن غيره. فالحق سبحانه - برحمته الجامعة^(١٠) الواسعة^(١١) لكل شيء وجوداً^(١٢) و^(١٣) علماً - رحم الأعيان الطالبة للوجود ولوازمها وأحكامها، فأوجدتها في العين أخيراً كما صادقها في العلم أولاً.

فالرحمة سابقة على كل شيء ومحيطة بها كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١٤).

فالوجود عين الرحمة الشاملة للجميع، وكذا القابلية^(١٥) له، ووجود الغضب أيضاً من رحمة الله، لأنه^(١٦) أيضاً من الماهيات القابلة للوجود؛ و^(١٧) لاستلزامه

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) سورة كهف، آية: ١٠٩. | (٢) مر ١: إذ. |
| (٣) مر ١: - لأن الوجود. | (٤) مر ١: - والماهية. |
| (٥) مر ١: معقولة. | (٦) مر ١: - لا. |
| (٧) مج ٤: - أيضاً. | (٨) مر ١: من. |
| (٩) مج ٣: صادراً. | (١٠) مر ١: العامة. |
| (١١) مج ٣: + أعطى. | (١٢) مج ٢: - وجوداً. |
| (١٣) مج ١: - و. | |
| (١٤) سورة اعراف، آية: ١٥٦ / مج ٢، مج ٤: - ومحيطة بها... كل شيء. | |
| (١٥) مر ١: القابلية. | (١٦) مر ١: - من رحمة الله لأنه. |
| (١٧) مر ١: - و. | |

للمصالح والحكم المترتبة^(١) عليه وعلى ما تستتبعه^(٢) من الآلام والأسقام
والبلايا والمحن وأمثالها مما لا يلائم الطباع؛ فوسعت الرحمة لها كما وسعت
لغيرها.

فالخير والرحمة ذاتيان^(٣) للحق تعالى، والشر والغضب ناشئان^(٤) من عدم
قابلية بعض الأشياء للكمال المطلق والرحمة التامة، فيسمى «شفاوة وشرأ».
والله الإشارة^(٥) بقوله ﷺ: والخير كله بيدك والشر ليس إليك^(٦).

فتبين وتحقق أن الفائض عن الحق الأول^(٧) وجود كل ماهية وظهور كل
شيء. والنقائص والقصورات من لوازم بعض الماهيات وليست مجعولة. وكتب
المحققين من العرفاء والمتألهين من الحكماء مشحونة بذكر ما حاولنا ترميمه^(٨)
وتقويمه^(٩) على أنم وجه^(١٠) وأوضحه.

قال الشيخ محيي الدين ابن عربي^(١١) - نور الله قلبه - في الفص الإبراهيمي
من فصوص الحكم بعد أن تلا^(١٢) هذه الآية: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ إِلَّا لَهُ مُقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(١٣)
بهذه العبارة:

وهو ما كنت في ثبوتك ظهرت به في وجودك؛ فليس للحق^(١٤) إلا
إفاضة الوجود عليك، والحكم لك عليك^(١٥). فلا تحمد إلا
نفسك، ولا تذم إلا نفسك، وما يبقى إلا حمد إفاضة الوجود^(١٦)،
لأن ذلك له لا لك^(١٧).

(١) مر ١: المرتبة.

(٢) مر ١، مج ٣: يستتبعه.

(٣) مر ١: ذاتين.

(٤) مر ١: ناشيان.

(٥) مر ١: - والله الإشارة/ مج ٣: أشار.

(٦) مج ٤: في يدك.

(٧) مر ١: - الأول.

(٨) مر ١، مج ٤: ترسيمه.

(٩) مر ١: + ترقيمه.

(١٠) مج ٤: عين وجه.

(١١) مر ١: الأعرابي.

(١٢) همه نسخه ها جز امج ١٣: تلى.

(١٣) سورة صافات، آية: ١٦٤.

(١٤) مج ٢: الحق.

(١٥) مر ١، مج ٢: عليك لك/ مج ٢: + عليك.

(١٦) مر ٢: - الوجود.

(١٧) محيي الدين ابن عربي، فصوص الحكم تصحيح وتعليق ابو العلاء عفيفي، انتشارات

وقال قدس سره^(١) في الفصّ البيقوبي:

فلا يعود^(٢) على الممكنات من الحقّ إلّا ما يعطيه ذواتهم في أحوالها؛ فإنّ لهم في كلّ حال صورة، تختلف^(٣) صورهم لاختلاف أحوالهم. فيختلف^(٤) التجلّي لاختلاف الحال، فيقع الأثر في العبد^(٥) بحسب ما يكون، فما^(٦) أعطاه الخير سواه، ولا أعطاه ضدّ الخير غيره؛ بل هو منعم ذاته ومعذبها^(٧) فلا يذمّن^(٨) إلّا نفسه، ولا يحمدن^(٩) إلّا نفسه: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(١٠) في علمه بهم إذ العلم يتّبع المعلوم^(١١).

وقال في الفصّ^(١٢) اللّوطي:

إنّ العلم تابع للمعلوم؛ فمن كان مؤمناً في ثبوت عينه وحال عدمه ظهر بتلك في حال وجوده. قد علم الله ذلك منه أنّه هكذا يكون^(١٣)، ولذلك قال: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١٤). فلمّا قال مثل هذا، قال أيضاً: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١٥) أي ما قدّرت عليهم الكفر الذي يشقيهم^(١٦)، ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به.

= الزهراء ١٣٦٦ ص ٨٣ عبارات فصوص به اين سياق است: وهو ما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك، هذا إن ثبت أنّ لك وجوداً. فإن ثبت أنّ الوجود للحقّ لا لك، فالحكم لك بلا شكّ في وجود الحقّ. وإن ثبت أنّك الموجود فالحكم لك بلا شكّ وإن كان الحاكم الحقّ فليس له... وما يبقى للحقّ إلّا....

(١) مج ٢: . (٢) مج ٤: - فلا يعود.

(٣) مر ١، مج ٣: مختلف/ مج ٤: يختلف/ فصوص: فتختلف.

(٤) مر ١: فتختلف. (٥) مر ١: بعيد.

(٦) مر ١: في/ مج ٣: فيما. (٧) مر ٢، مج ١، مج ٤: معدنها.

(٨) مر ١: فلا يذمّن. (٩) مر ١: لا تحمدن/ مج ٣: وتحمدن.

(١٠) سورة انعام، آية: ١٤٩.

(١١) فصوص الحكم، تصحيح وتعليق ابو العلاء عفيفي، ص ٩٦.

(١٢) مج ٤: فص. (١٣) مج ٤: - يكون.

(١٤) سورة انعام، آية: ١٤٩. (١٥) سورة ق، آية: ٢٩.

(١٦) مر ١: يشقيهم.

بل ما عاملناهم إلا بما^(١) علّمناهم، وما^(٢) علّمناهم إلا بما^(٣) أعطونا من نفوسهم ممّا^(٤) هم عليه؛ فإن كان ظلماً، فهم الظالمون. ولذلك قال: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٥).

وقال أيضاً في الفص^(٦) الإبراهيمي بعد الكلام المنقول آنفاً:

فإن قلت: فما فائدة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَدَعَكُمُ أَجْمَعِينَ﴾^(٧)، قلنا: «لو» حرف امتناع لامتناع، فما^(٨) شاء إلا ما هو الأمر عليه، ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل. وأيّ الحكمين المعقولين وقع، ذلك هو الذي عليه الممكن في حال ثبوته. فمشيئته أحديّة^(٩) التعلّق^(١٠)، وهي نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت^(١١) وأحوالك^(١٢). فليس للعالم أثر^(١٣) في المعلوم، بل للمعلوم أثر^(١٤) في^(١٥) العالم. فيعطيه^(١٦) من نفسه ما هو عليه في عينه^(١٧).

وقال الشارح^(١٨) العلامة^(١٩) القيصري في شرح هذا الكلام:

إنّما أورد^(٢٠) السؤال لينبّه على سرّ القدر في الجواب. والسؤال أنّه

-
- | | |
|--|-----------------------|
| (١) مج ٣: - بما. | (٢) مر ١: - وما. |
| (٣) مر ١: - بما. | (٤) مر ١: فما. |
| (٥) سورة بقره، آية: ٥٧. فصوص الحكم، ص ١٣٠ و ١٣١. | |
| (٦) مر ١: فص. | (٧) سورة نحل، آية: ٩. |
| (٨) مج ٣: فيما. | (٩) مج ٤: أحدي. |
| (١٠) مج ٣: المتعلّق/ مج ٤: التّعين. | (١١) مج ٢: ايت. |
| (١٢) مر ١: وقوالك. | (١٣) مج ٣: أشرف. |
| (١٤) مج ٣: أشرف. | (١٥) مج ٣: - في. |
| (١٦) مج ١: فيعطيه/ مر ١: فيعطية. | |
| (١٧) مر ١: من نفسه/ ايمان، ص ١٣٠: در فصوص، ظهر بثلث الصّورة فإن كان ظلم... أمده است. | |
| (١٨) مر ١: + كلام/ مج ٣: كلامه. | (١٩) مج ١: + العلامة. |
| (٢٠) مر ١، مج ٣: ورد. | |

لَمَّا كَانَ الْحَاكِمُ عَلَيْنَا أَعْيَانَنَا^(١)، وَلَيْسَ لِلْحَقِّ إِلَّا إِفَاضَةُ الْوُجُودِ عَلَى حَسَبِ مَقْتَضَى الْأَعْيَانِ، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)؟ وَجَوَابُهُ أَنَّ «لَوْ» حَرْفٌ لَامْتِنَاعٌ^(٣) الشَّيْءِ^(٤) لَامْتِنَاعٍ غَيْرِهِ. وَلَمَّا كَانَتِ الْأَعْيَانُ مُتَفَاوِتَةً الْاِسْتِعْدَادِ، بَعْضُهَا قَابِلَةٌ لِلْهَدَايَةِ وَبَعْضُهَا غَيْرُ قَابِلَةٍ لَهَا^(٥)، اِمْتَنَعَ حَصُولُ الْهَدَايَةِ لِلْجَمِيعِ.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٦) أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ لَامْتِنَاعِ حَصُولِ الْهَدَايَةِ لِلْجَمِيعِ، فَمَا تَعَلَّقَتْ الْمَشِئَةُ إِلَّا بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ. فَعَدَمُ الْمَشِئَةِ^(٧) مَعْلَلٌ بِعَدَمِ^(٨) إِعْطَاءِ أَعْيَانِهِمْ هَدَايَةَ الْجَمِيعِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشِئَةَ وَالْإِرَادَةَ^(٩) نَسَبَتَانِ تَابِعَتَانِ^(١٠) لِلْعِلْمِ؛ إِذِ الْمَشِئَةُ تَطْلُبُ^(١١) الْمَشَاءَ وَالْإِرَادَةُ الْمَرَادَ، وَهُمَا لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَا مَعْلُومِينَ.

وَالْعِلْمُ فِي حَضْرَةِ^(١٢) الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ وَجْهِ تَابِعٍ لِلْمَعْلُومِ مِنْ حَيْثُ^(١٣) كَوْنُهُ نَسَبَةٌ طَالِبَةٌ لِلْمُنْتَسِبِينَ، كَمَا مَرَّ تَقْرِيرُهُ وَتَحْقِيقُهُ، وَمَا يَوْجِدُ الْحَقُّ إِلَّا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ الْقَوَابِلِ لَا غَيْرِ. فَمَا يَقَعُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا أُعْطِيَتْهُ^(١٤) الْأَعْيَانُ، وَالْعَيْنُ مَا يُعْطَى إِلَّا مَقْتَضَى ذَاتِهَا، وَلَا يَقْتَضِي الذَّاتُ شَيْئًا^(١٥) وَنَقِيضَهُ^(١٦)، وَإِنْ كَانَ الْعَقْلُ يَحْكُمُ عَلَى أَنَّ الْمُمْكِنَ قَابِلٌ لِلشَّيْءِ^(١٧) وَنَقِيضِهِ، لَا تُصَافُهُ بِالْإِمْكَانِ الْمَقْتَضَى

-
- (١) مَج ٤: اِهْدَيْنَا.
 (٢) مَر ١، مَر ٢، مَج ٢، مَج ٣، مَج ٤: اِمْتِنَاع.
 (٣) مَر ١: + و.
 (٤) مَج ٤: - لَهَا.
 (٥) سُوْرَةُ نَحْلِ، آيَةُ: ٩.
 (٦) مَر ١: - إِلَّا بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فَعَدَمُ الْمَشِئَةِ.
 (٧) مَج ٤: لَعْدَم.
 (٨) مَج ١١: - تَابِعَتَانِ.
 (٩) مَج ١٢: حَضْرَتِ.
 (١٠) مَج ٢، مَج ٤: أُعْطِيَتْهُ.
 (١١) مَر ١: وَنَقِيضُهُ.
 (١٢) مَج ٤: آيَةُ: ٩.
 (١٣) مَج ١١: مَر ١، مَر ٢، مَر ٣: يَطْلُبُ.
 (١٤) مَج ١٣: مَر ١: - حَيْثُ.
 (١٥) مَر ١: + إِلَّا.
 (١٦) مَج ٤: - وَنَقِيضُهُ... قَابِلٌ لِلشَّيْءِ.
 (١٧) مَر ١: وَنَقِيضُهُ.

لتساوي الطرفين: طرفي الوجود والعدم. لكنّ الواقف على سرّ
القدر يعلم^(١) أنّ الواقع هو الذي يقتضيه^(٢) ذات الشيء فقط.

والأعيان ليست مجعولة بجعل الجاعل، ليتوجّه الإيراد بأن يقال:
لِمَ جُعِلَ عين المهتدي مقتضية للاهتداء، وعين الضال^(٣) مقتضية
للضلال؟ كما لا يتوجّه الإيراد بأن يقال: لِمَ جُعِلَ عين الكلب
نجس العين، وعين الإنسان إنساناً^(٤) طاهراً؟ بل الأعيان صور
الأسماء الإلهية ومظاهرها^(٥) في العلم؛ بل عين الأسماء والصفات
القائمة بالذات القديمة، بل هي عين الذات من حيث الحقيقة. فهي
باقية أزلاً وأبدًا، لا يتعلّق الجعل والإيجاد عليها كما لا يتطرّق
الفناء والعدم إليها. وهذا غاية المخلص عن هذه المضائق، والله
أعلم بأسرار الحقائق^(٦). (انتهى قوله).

أقول^(٧): لا يخفى وثاقة هذا المسلك ودقّته وشرفه، وإن كان فيه بحسب
جليل النّظر ما يخالف ظواهر^(٨) القوانين النظرية من الحكمة الفلسفية؛ لكنّه^(٩)
بحسب النّظر الدقيق روحها الظاهرة من أنوار الشريعة^(١٠) النبوية العالمة بمراتب
الوجود ولوازمها على ما هي عليه، و^(١١) لا يرد^(١٢) عليه ما يرد على القول
بشبوت المعدومات كما يراه المعتزلة. فإنّ انفكاك الماهيات عن أنحاء^(١٣)
الوجودات بأسرها ممّا يصادم العقل الصريح والبرهان الصحيح. وقد أسلفنا لك

(١) مج ٤: ليعلم. (٢) مر ١: يقتضى / مج ٤: تقتضيه.

(٣) مج ٤: - مقتضية للاهتداء وعين الضال. (٤) مر ١: - إنساناً.

(٥) مر ١: + له.

(٦) ر. ك: قيصري رومي، محمد داود، شرح فصوص الحکم، به كوشش سيد جلال الدين
آشتياني، تهران ١٣٧٥، ص ٥٨٧ و ٥٨٨ عبارات منقول در متن با تغييرات اندكى نقل شده
است. برای نمونه: مقتضية للضلالة در متن قيصري آمده است.

(٧) مج ١: - أقول / مر ١: والقول. (٨) مر ١، مج ٣: ظاهر.

(٩) مر ١: لكنّ. (١٠) مج ٣: الشريعة.

(١١) مر ١: - و. (١٢) مر ١: ما يرد.

(١٣) مر ١: الحاد.

أن الوجود نور يظهر به الماهيات على ما هي عليها^(١)، على النحو الذي
تقناه^(٢) من كونها تتصف^(٣) بالثبوت بالعرض^(٤) لا بالذات.

وكما أن لكل من الوجودات^(٥) الخاصة و^(٦)الهويات الجزئية معاني^(٧) انتزاعية
ومفاهيم عقلية، تنتزع منه بحسب ذاته ويحكم بها^(٨) عليه في مرتبة هويته من
دون جعل^(٩) وتأثير؛ فكذلك الوجود^(١٠) الصّرف الإلهي مبدأ للأحكام الإلهية
ويظهر للنعوت الجلالية^(١١) التي هي المسماة^(١٢) بالأسماء^(١٣) والصفات،
وهي مظاهر لمعانٍ أخرى مسماة بالأعيان الثابتة. وليس بناء هذا الكلام على
ثبوت المعدومات وانفكاك الشيئية عن الوجود أو على الفرق بين الثبوت
والوجود كما زعمته المعتزلة، بل بناؤه على الفرق بين ما يكون بالذات وما^(١٤)
يكون بالعرض.

فإن الذات الواجبة الأحدية لها^(١٥) صفات متعددة متميزة في المعنى
والمفهوم لا في الوجود، لأنها عين ذاته، بمعنى كون وجود واحد^(١٦) مقدس
عن شائبة الكثرة والتفصيل والقسمة والتحليل بذاته مظهراً^(١٧) لتلك الصفات،
وبهويته منشأ لها. فهو قادر بنفس ذاته، وعالم بعلم هو نفس ذاته المنكشفة،
ومريد^(١٨) بإرادة هي عين ذاته. ولكل صفة من صفاته الأصلية التي هي الأئمة
السبعة في عرف أهل الله فروع ومعاليل^(١٩)، ككونه حكيماً عفواً غفوراً خالقاً

(١) مج ٢، مج ٤: عليه.

(٢) مر ٢: قرزناه/ مر ١: أخذناه/ مج ٢: قلدناه/ مج ٣، مج ٤: قلدناه.

(٣) مر ١، مر ٢، مج ٣، مج ٤: يتصف.

(٤) مر ١: يعرض.

(٥) مر ١: معان.

(٦) مج ٤: محل.

(٧) مر ١: - ومظهر للنعوت الجلالية.

(٨) مر ١: سماة.

(٩) (١٠) مر ١: - ومظهر للنعوت الجلالية.

(١١) (١٢) مر ١: سماة.

(١٣) (١٤) مر ١: معاً.

رازقاً مبدءاً معيداً^(١) منشأً وأمثالها، فإنها من فروع كونه قادراً على جميع
الممكنات؛ ومثل كونه سمياً بصيراً مدركاً خبيراً لطيفاً وغيرها، ممّا يتشعب^(٢)
من كونه عالماً بجميع المعلومات، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات الغير
المتناهية الحاصلة من تراكيب هذه الأسماء، ثنائياً وثلاثياً.

وكلّ من هذه الأسماء تستدعي مظاهر مباينة، بها^(٣) يظهر^(٤) أثر ذلك الاسم
والصفة، فيوجب كلّ صفة تعلق إرادته وقدرته إلى إيجاد مخلوق يدلّ على ذلك
الاسم، بل على الذات الموصوفة بالصفة المعيّنة^(٥) والمتجلية^(٦) بالتجلي
الخاص^(٧)، لأنها المراد عندهم بالاسم، وهذه الأسماء الملفوظة هي^(٨) أسماء
الأسماء ولهذا اختلفوا في كون الاسم عين المسمّى أو غيره.

فكلّ من الموجودات مظهر لاسم خاصّ إلهي^(٩)، فلذلك اقتضت رحمة^(١٠)
البارئ إيجاد المخلوقات كلّها ليكون^(١١) مظاهر لأسمائه^(١٢) الحسنى ومجالي
لصفاته العليا. مثلاً لما كان قهاراً^(١٣)، أوجد مجالي^(١٤) المظاهر القهرية التي
لا يترتب عليها^(١٥) إلا أثر القهر من الجحيم وساكنيه والزقوم ومتناوليه. ولما
كان عفواً غفوراً، أوجد مجالي العفو والغفران يظهر^(١٦) فيها آثار رحمته. وقس
على هذا واعتبره من نفسك^(١٧)، فاعرف^(١٨) أنّ كلّ ما يصدر عنك من الأقوال
والأفعال^(١٩) والحركات والسكنات والأفكار^(٢٠) والتخيّلات^(٢١) هي مظاهر لما

- | | |
|--------------------------------------|------------------------------------|
| (١) مج ٢: معيداً مبدءاً. | (١٢) مر ١، مج ٣: لأسماء. |
| (٢) مر ١: ينشعب. | (١٣) مج ٤: قهار. |
| (٣) مر ١: - بها. | (١٤) مر ١، مج ٢: - مجالي. |
| (٤) مج ٤: ليظهر. | (١٥) مج ٤: عليه. |
| (٥) مج ٣: المعيّنة. | (١٦) مج ٣: تظهر. |
| (٦) مر ١: المتجلّلة/ مج ٣: التجليّة. | (١٧) مج ٤: + فاعلم. |
| (٧) مر ١: الخاصّي. | (١٨) مر ١: واعرف. |
| (٨) مر ١: - هي. | (١٩) مر ١: من الأفعال والأحوال. |
| (٩) مر ١: + له. | (٢٠) مج ٤: الأفكار/ مر ١: الأذكار. |
| (١٠) مر ١: - رحمة. | (٢١) مج ٣: المتخيّلات. |
| (١١) مج ٢: ليكون. | |

كمن في ذاتك، ومجالي لما خفي من صفاتك وأسمائك، فإنك إذا أحببت^(١) واحداً وواليت^(٢)، دعتك المحبة إلى أن يظهر منك ما يدل على محبتك إياه، من المديح^(٣) والتعظيم والبسط والتكريم. ولو لم تكن^(٤) أحبته، لما ظهر منك ما ظهر^(٥). وإذا عادت أحداً، ظهر منك قول أو فعل دال على معادتك من الشتم والقرب^(٦) والذم وتمني زواله وتشتي نكاله. فهذه الآثار مظاهر ومجالي لما طوي في ذاتك من العداوة. وقس على ذلك أمثاله.

وهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة^(٧) مع الوجود القيومي والذات الواجبة^(٨) بحسب الوجود والإنية^(٩)، فهي متغايرة بحسب المفهوم والذهن. وهذا^(١٠) التغاير بسبب تضاد الموجودات وتعااند^(١١) المكونات^(١٢)، ولها خصوصية مع مظاهرها، بها ظهرت^(١٣) تلك المظاهر من العدم الصّرف والبطون المحض.

هذا ما ذكره بعض المحققين^(١٤)، وجعله مناطاً لكيفية علمه تعالى بالممكنات، وهو بعينه مذهب^(١٥) العرفاء والصوفية في علم الله^(١٦)؛ من أنه إذا علم الله ذاته المقدسة بهذه^(١٧) الصفات والأسماء المتحدة معه في الوجود والهيوة، علم مظاهر تلك الصفات علماً بسيطاً بحسب الخارج مفضلاً بحسب الأعيان، من غير أن يقتضي هذا العلم وجود المعلوم وتحققه الخارجي. وفوق هذا طور آخر مذكور في صحفنا ومسفوراتنا^(١٨)، وغرضنا في هذا

-
- | | |
|---|------------------------------|
| (١) مر ١: أصبت. | (٢) مج ٣: والية. |
| (٣) مر ١: التمديح. | (٤) مر ١: لم يكن. |
| (٥) مج ٤: - ما يدل على محبتك... ظهر منك ما ظهر. | |
| (٦) مر ١: القرب والشم. | (٧) مج ٤: متعددة. |
| (٨) مر ١: الواجبة. | (٩) مر ١: العينية. |
| (١٠) مر ١: هذه. | (١١) مج ٣: معاند. |
| (١٢) مر ١: المكونات. | (١٣) مر ٢، مج ٣، مج ٤: + من. |
| (١٤) مر ١: المخالفين. | (١٥) مر ١: مذاهب. |
| (١٦) مج ٤: + تعالى. | (١٧) مر ١: لهذه. |
| (١٨) مج ٤: وأسفارتنا. | |

المقام دفع مفسدة الشرور الواقعة والآفات، ونفي^(١) استنادها إلى خالق الهويات
وجاعل الإنبيات، لكونها لوازم الماهيات من دون تعلق تأثير^(٢) وجعل بها^(٣)
على ما قرع سمعك، بفضل^(٤) الله ورحمته وتأيده وتسديده.

* * *

(١) مر ١: ١٥.
(٢) مج ٢، مج ٣: للماهيات.
(٣) مر ١: لها مج ٤: جعل وتأثير بها.
(٤) مر ١: بفيض.

الفصل الخامس

في كَيْفِيَّةِ الأفعال الاختيارية^(١) الواقعة فينا^(٢)
بالاختيار وكون^(٣) الإنسان مضطراً في عين الاختيار^(٤)

لَمَّا تحقّق من قبل أنّ كلّ ما يوجد في هذا العالم من الأفعال والآثار فقد قدّر بهيئته وزمانه في عالم آخر فوق هذا العالم قبل وجوده، وأنّ مبدأ الكلّ لو لم يكن قادراً على جميع الممكنات أو خرج^(٥) شيء من الأشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته^(٦) وإيجاده بواسطة أو بغير واسطة، لم يصلح لمبدئية الكلّ. فلنائل أن يقول: لو كان^(٧) الهداية والضلالة والإيمان والكفر والطغيان والخير والشرّ والنفع والضرّ وسائر المتقابلات^(٨) كلّها منتهية إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته، فما معنى الاختيار فينا للأفعال^(٩) والآثار؟ بل يجب أن يكون جميعها حاصلة منا بالاضطرار، مع أنّنا نجد الفرق بين المضطرّ والمختار^(١٠).

على أنّه لو كان للعبد اختيار، يلزم التناقض أي اتّصاف العبد بالجبر^(١١) والاختيار في فعل واحد^(١٢)، لأنّ اقتداره^(١٣) في^(١٤) فعله يوجب الاختيار،

-
- | | |
|---------------------------------------|------------------------------|
| (١) مع ٤: - الاختيارية. | (٨) مر ١: المقاتلات. |
| (٢) مر ١، مع ٣، مع ٤: متا. | (٩) مر ١: الأفعال. |
| (٣) مر ١: ولو كان. | (١٠) مع ٤: المختار والمضطرّ. |
| (٤) مع ٢: - الفصل الخامس... الاختيار. | (١١) مع ٤: بالخير. |
| (٥) مر ١: خراج/ مع ٤: مزج. | (١٢) مر ١: - واحد. |
| (٦) مر ١: - وقدرته. | (١٣) مع ٤: اختباره. |
| (٧) مر ٢: - لو كان. | (١٤) مع ٢: من. |

وكون الواجب تعالى فاعلاً^(١) مطلقاً في كل شيء^(٢) بالإرادة يوجب^(٣) الجبر. ولهذا زعم فخر الدين الرازي أن إثبات الإله^(٤) يلجئ^(٥) إلى القول بالجبر؛ لأنّ الفاعلية لو لم تتوقف^(٦) على الداعية، لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع. وإثبات الرسول يؤدّي إلى القول بالقدر؛ لأنّه^(٧) لو لم يقدر^(٨) العبد على الفعل، فأيّ فائدة في بعث الرسول وإنزال الكتب؟

وأيضاً نقول: لما راجعنا إلى الفطرة السليمة، وجدنا^(٩) أن ما استوى الوجود والعدم بالنسبة إليه لا يترجح أحدهما على الآخر إلا^(١٠) لمرجح، وهذا يقتضي الجبر والاضطرار. ونجد^(١١) تفرقة ضرورية بين حركات الإنسان وسكناته وبين حركات الجمادات^(١٢). و^(١٣) تنزيهه عالم وتقديسه من^(١٤) النقائص وإيجاد القبائح والظلم والكذب يوجب الاختيار في العبد، ونفي الشريك عنه في إيجاد الأشياء يوجب الجبر.

فنجيبه^(١٥) عن ذلك كلّ بعد تمهيد معنى القدرة والإرادة.

فنقول^(١٦): أمّا القدرة، فهي فينا حالة نفسانية مصحّحة للفعل وعدمه، قوّة على^(١٧) الشيء وضده^(١٨). وتعلّقها بالطرفين على السواء، وإنّما تؤثر مع تحقّق العلم بالفائدة والإرادة؛ فلا تكون فينا تامّة، بل القدرة فينا هي بعينها^(١٩) القوّة. وفي الواجب تعالى - لتمامه وكماله - هي الفعل فقط، إذ لا جهة إمكانية هناك. وليست أيضاً قدرته مندرجة تحت^(٢٠) إحدى المقولات، بل هي كون ذاته

- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) مر ١ : - فاعلاً. | (١١) مر ١ : يجد. |
| (٢) مج ٣ : + و. | (١٢) مج ٣، مج ٤ : الجماد. |
| (٣) مج ٢ : توجب. | (١٣) مج ٢، مج ٤ : - و. |
| (٤) مر ١ : الآلة. | (١٤) مج ٢، مج ٤ : عن. |
| (٥) مج ٢ : ينجر. | (١٥) مر ١ : فيجب. |
| (٦) مر ١، مج ٢، مج ٣ : يتوقف. | (١٦) مر ١ : فنقول. |
| (٧) مر ١ : - لأنّه، لو لم يقدر. | (١٧) مر ١ : إلى. |
| (٨) مر ١ : بالقدر. | (١٨) مر ١ : ظهره. |
| (٩) مر ١ : وجدنا. | (١٩) مج ٤ : بعينه. |
| (١٠) مر ١ : - إلا. | (٢٠) مر ١ : + إرادة. |

نعالى بحيث يصدر عنه الموجودات، لأجل علمه^(١) بنظام الخير في الكل الذي هو عين ذاته^(٢) ومتى كان الفاعل بحيث يتعلّق فعله لمشيئته وعلمه، كان قادراً من غير أن يعتبر^(٣) معه شيء^(٤) آخر: من تجدد أغراض، أو اختلاف دواع، أو نفث إرادات^(٥)، أو سنوح حالات، إلى غير ذلك ممّا لا يليق بجناب القدس وساحة^(٦) الجبروت.

والجمهور من الناس لغفلتهم عن^(٧) لزوم النقص من هذه المعاني^(٨) يزعمون أنّ^(٩) القدرة لا تتحقّق إلّا مع تغيّر^(١٠) المشيئة وتجدّد الإرادة. وأمّا ما^(١١) من شأنه أن يفعل دائماً فلا يسمّونه قادراً.

والحق أنّ الذي يفعل دائماً إن كان فعله يصدر عنه بغير مشيئته ورضاه^(١٢)، فليست له قدرة على ذلك؛ وإن كان يفعل بمشيئته إلّا أنّ مشيئته^(١٣) لا يتغيّر اتفاقاً، أو^(١٤) يستحيل تغيّرها استحالة ذاتية، فهو يفعل بالقدرة. والتغيّر في المشيئة لا مدخل له في معنى القدرة؛ والقادر من إذا شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، سواء شاء ففعل دائماً، أو لم يشأ فلم يفعل دائماً. والشرطيّة غير متعلّقة الصّحة بصدق^(١٥) كلّ من طرفيها، بل كثيراً ما يصدق مع كذب أحد طرفيها أو كليهما.

وأما الإرادة، فهي فينا شوق متأكّد وعزم مصمّم^(١٦) باعث على الفعل والترك، حاصل عقيب داع^(١٧)، هو تصور الشيء الملائم تصوّراً ظنيّاً أو تخيلياً

-
- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) مع ٤: + تعالى. | (١٠) مر ١: بغير. |
| (٢) مع ٤: - ذاته. | (١١) مر ١، مع ٣: - ما. |
| (٣) مر ١: بغير. | (١٢) مر ١: رضاه. |
| (٤) مر ١: شيئاً. | (١٣) مع ٣: - إلّا أنّ مشيئته/ مر ١: شيئة. |
| (٥) مع ٤: إرادة. | (١٤) مر ١: و. |
| (٦) مع ٣: ساحة/ مر ١: ساحت. | (١٥) مر ١: يصدق. |
| (٧) مر ١: من. | (١٦) مر ١: مصمّمة. |
| (٨) مع ٤: - المعاني. | (١٧) مر ١: داعي. |
| (٩) مر ١: - أنّ. | |

أو علمياً^(١). فإننا إذا أدركنا شيئاً فإن وجدنا ملائحته أو منافرته لنا^(٢) بالوهم أو بديهية العقل، انبعث منا شوق^(٣) إلى جذبه أو دفعه. وتأكد هذا الشوق بعينه هو العزم الجازم المسمى بـ«الإرادة»؛ وإذا انضمت إلى القدرة التي هي هيئة^(٤) للقوة الفاعلة^(٥)، انبعثت^(٦) تلك القوة لتحريك الأعضاء الأدوية^(٧) من العضلات^(٨) وغيرها، فيحصل الفعل. والإرادة^(٩) في الواجب لبراءته عن الكثرة والنقص، ولتمامه^(١٠) وكونه فوق التمام ليست كذلك، بل تكون عين الداعي وهو علمه بنظام الخير المقتضى^(١١) له، فإنّه هو الفاعل والغاية في صدور الأشياء. فإذا تمهد ما ذكرناه^(١٢)، فنشرع^(١٣) في الجواب والله الهادي إلى طريق الصواب.

أما^(١٤) قول القائل: إنّ أفعالنا إن كانت بقضاء^(١٥) الله وقدره، فيجب صدوره منا، فنقول: نعم، ولكن بتوسط أسباب وعلل من الإدراكات والإرادات^(١٦) الإنسانية والحركات والسكنات الحيوانية، وغيرها من الأسباب العالية الغائبة عن علمنا وتدبيرنا، الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا.

فاجتماع^(١٧) تلك الأمور^(١٨) التي هي الأسباب والروابط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب^(١٩) عندنا^(٢٠) وجود ذلك الأمر المدبّر والمقتضى المقدّر، وعند تخلف^(٢١) شيء منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيّز الامتناع، ويكون

(١) مر ١: علماً. (٢) مر ١، ٢، ٢، مج ٢، ٤: + دفعه.

(٣) مج ٣: الشوق.

(٤) همه نسخه ها جز «مر ١: هيئة (بجای هي ماهية)».

(٥) مر ١: الفاعلة. (٦) مر ١، مج ٤: انبعث.

(٧) مج ٤: الأودعة/ مر ١: الأخروية. (٨) مر ١: الفضلات.

(٩) مج ٣: + و. (١٠) مر ١: إتمامه.

(١١) مج ٣: المقتضية. (١٢) مر: ما ذكرنا.

(١٣) مر ١: فلبشر تارة/ مج ٤: فلنشرع. (١٤) مر ١: + وأما.

(١٥) مر ١: لقضاء. (١٦) مر ١: الإدراكات والإرادة.

(١٧) مر ١: فإن اجتماع. (١٨) مر ١: الأمور.

(١٩) مر ١: بحسب. (٢٠) مج ٣: عندها.

(٢١) مر ١: تحقق.

ممكناً وقوعياً^(١) بالقياس^(٢) إلى كل واحد من الأسباب الكونية. فإذا كان من جملة الأسباب وخصوصاً القربة منها وجود هذا الشخص الإنساني أو الحيواني، وإدراكه وعلمه، وإرادته وتفكره وتخيله اللذان^(٣) يختار^(٤) بهما^(٥) أحد طرفي اللعل والثرك، كان ذلك الفعل اختياريّاً واجباً وقوعه بجميع تلك الأمور والأحوال المسماة «علة^(٦) تامّة»، ممكناً بالنسبة إلى كل واحد منها^(٧).

فجوبه لا ينافي إمكانه، واضطراريّته لا تدافع^(٨) كونه اختياريّاً، كيف وأنّه ما وجب إلّا بالاختيار. ولا شك أنّ القدرة والاختيار كسائر الأسباب من الإدراك والعلم والإرادة والتفكير والتخيّل وقواها وآلاتها كلّها بفعل الله تعالى^(٩) لا بفعلنا واختيارنا وإلّا تسلسلت^(١٠) القدر والإرادات^(١١) إلى غير النهاية^(١٢)، أو دارت.

فإن قلت: ما ذكرته من وجوب تحقّق الحوادث بالأسباب السابقة والوسائط التي هي مستخرات لأمر الله^(١٣) كلّها صحيح، إلّا في أفاعيل الإنسان وحركاته، فإنّه يتحرّك إن شاء ويسكن^(١٤). فكلّ منها^(١٥) يصحّ ويصحّ مقابله أيضاً؛ فكي يكون الإنسان مستخراً في صدور فعله عنه واجباً وقوعه منه.

قلت: إنّ الإنسان وإن كان بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، لكنّه ليس بحيث إن شاء شاء، وإن لم يشأ لم يشأ. بل إذا شاء^(١٦) فلم يتعلّق مشيئته بمشيئته^(١٧)، بل بغير مشيئته^(١٨)، فليست المشيئة إليه^(١٩). إذ لو كانت إليه^(٢٠)،

(١) مر ١: - وقوعياً.

(٢) مج ٤: الذات/ مج ٤: - اللذان.

(٣) مج ٤: لها.

(٤) مر ٢: منها.

(٥) مج ٤: - تعالى.

(٦) مج ٤، مر ١: الإرادة.

(٧) مر ١، مج ٣، مج ٤: + تعالى/ مج ٤: + و.

(٨) مر ١: وليكن.

(٩) مر ١: - بل إذا شاء.

(١٠) مر ١: - بل بغير مشيئته/ مج ٤: - بغير مشيئته/ مج ٢: بعد.

(١١) مر ١: الله.

(١٢) مر ١: المشيئة الله.

لاحتاجت إلى مشيئة أخرى^(١) وتسلسل^(٢) الأمر إلى غير النهاية. ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل^(٣)، نقول: جملة مشيئاته الغير المتناهية بحيث لا يشذ^(٤) عنها مشيئة^(٥)؛ لا يخلو إما أن يكون وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيئة^(٦) هذا العبد، أو بسبب مشيئته، والثاني^(٧) باطل^(٨) لعدم إمكان مشيئة^(٩) أخرى خارجة عن تلك الجملة. والأول هو مطلوبنا.

فقد ظهر أن مشيئة العبد ليست تحت قدرة العبد. فإذا كان في مشيئته^(١٠) مضطراً^(١١). وإذا وجدت المشيئة التي^(١٢) هي تصرف القدرة إلى مقدورها، انصرفت القدرة لا محالة، ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة^(١٣).

فالحركة لازمة ضرورةً بالقدرة، والقدرة محرّكة ضرورة عند انجزام^(١٤) المشيئة، ترتّب^(١٥) بعضها على بعض، وليس للعبد أن يدفع^(١٦) وجود شيء منها عند تحقق سابقه^(١٧)؛ فليس يمكن له أن يدفع^(١٨) المشيئة عند تحقق الداعي للإرادة^(١٩)، ولا انصراف القدرة إلى^(٢٠) المقدور بعدها. فهو المضطرّ في الجميع.

فإن قلت هذا جبر محض ذهب^(٢١) إليه الأشاعرة، وأنت^(٢٢) تنكره وتثبت

(١) مج ٤ : - فليست... مشيئة أخرى.

(٢) مج ٣ : التسلسل / مج ٤ : التسه.

(٣) مج ٢ : + أخرى وتسلسل الأمر إلى غير النهاية ومع قطع النظر.

(٤) مج ٤ : مشته.

(٥) مج ١ : - باطل.

(٦) مج ١ : مشيئة.

(٧) مج ١، ١، ٢، ٤ : - التي.

(٨) مج ١ : الجرام / مج ٢ : انخرام.

(٩) مج ٢ : يرفع.

(١٠) مج ٢ : يرفع.

(١١) مج ١ : لا لإرادة / مج ٣، ٤ : للفعل.

(١٢) مج ٤ : على.

(١٣) مج ٤ : أن.

(١٤) مج ٤ : ذهب.

(١٥) مج ٤ : تنكره وتثبت.

(١٦) مج ٤ : تسلسل.

(١٧) مج ٤ : مشيئة.

(١٨) مج ٤ : لا يخلو.

(١٩) مج ٤ : ترتّب.

(٢٠) مج ٤ : ليس يمكن.

(٢١) مج ٤ : دفع.

(٢٢) مج ٤ : لا محالة.

الاختيار؛ فكيف يكون مجبوراً مختاراً؟ قلت: لو انكشف لك الغطاء، لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فإذاً مجبور على الاختيار.

فإن قلت: هل تقول: إن العلم بالداعي للمقدور هو^(١) هو تصوّر وجه الخير^(٢) فيه بوجه - موجد^(٣) للإرادة، والإرادة^(٤) موجدة للقدرة، والقدرة موجدة للفعل؛ وإن كل متأخر حدث من المتقدم كما يقوله^(٥) القائلون بالتوليد؟ فإن ذهبت إلى ذلك، يلزم منه أن لا يحدث^(٦) بعض الأشياء^(٧) بقدرة^(٨) الله تعالى. وإن أبيته، فما معنى ترتّب بعض من هذه الأمور على بعض؟

قلت: إن القول بأن بعض الأشياء حدث من دون القدرة الأزليّة جهل محض، سواء عبّر بالتوليد أو بغيره. بل حوالة^(٩) جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بقضاء الله وقدره، لا بالمعنى الذي يقوله الأشعري، لإبطالهم معنى الترتّب والتوقّف في الأشياء وتقدّم بعض^(١٠) الأشياء^(١١) على بعض واحتياج بعضها إلى آخر^(١٢)؛ بل بالمعنى الذي ذكرناه، وهو الأصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق ولم يهتد إليه^(١٣) إلا الراسخون، فإنهم لشدة صفاء أذهانهم ولطف عقولهم وقفوا على لبّ معناه، والجمهور اطلعوا^(١٤) على مجرد لفظه^(١٥) مع مشابهته ونسبته إلى قدرتنا، وهو بعيد عما هو الصواب عند أولي الألباب.

وبيان ذلك ممّا يطول شرحه، لكنّ القدر اللائق بهذا الكتاب أنّ بعض المقدورات مترتبة^(١٦) على البعض في الحدوث^(١٧) ترتّب المشروط على الشرط،

(١) مر ١: - و.

(٢) همه نسخه ها جز ١ مر ٢٢: الجبر.

(٣) مج ١: + والإرادة/ مر ١: + الفعل/ مج ٣، مر ٢: + للفعل.

(٤) مج ١، مج ٤: - والإرادة.

(٥) مج ٢: يقول.

(٦) مج ١، مج ٤: - والإرادة.

(٧) مج ٣: + إلا/ مر ٢: + لا.

(٨) مر ١: جوابه.

(٩) مر ١: - الأشياء.

(١٠) همه نسخه ها: إليها.

(١١) مر ١: لفظ.

(١٢) مر ١، مج ٢، مج ٣: مرتبة.

فلا يصدر من القدرة الأزلية والقضاء الإلهي إرادة حادثة إلا بعد علم، ولا علم إلا بعد حياة، ولا حياة إلا بعد محل الحياة.

وكما لا يجوز أن يقال حصل الحياة من دون^(١) الجسم الذي هو شرط الحياة، فكذلك في سائر مراتب الترتيب ودرجات^(٢) التوقف، ولكن بعض^(٣) الشروط مما قد ظهر للعامة، وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشرين بنور الحق؛ وإلا فلا يتقدم متقدم^(٤)، ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم. فكذلك جميع أفعال الله؛ ولولا ذلك - بل يكون جميع الحوادث مستندة إلى الله بلا احتياج بعضها إلى بعض وتوقف بعضها على بعض، كما يقوله^(٥) الأشاعرة -، لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين والسفهاء، تعالى عن قول الجاهلين علواً كبيراً.

والى هذا أشار^(٦) قوله^(٧) تعالى^(٨): ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَإِيمِينَ﴾^(٩) بل لا يسبق سابق^(١٠) إلا بالحق، ولا يلحق لاحق إلا بالحق^(١١)؛ كما في قوله تعالى^(١٢): ﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(١٣). فكل ما في عالم الإمكان حادث على ترتيب واجب وحق واجب^(١٤)، لا يتصور أن لا^(١٥) يكون كما يكون، و^(١٦) على الوجه الذي يكون. فما تأخر متأخر إلا^(١٧) لانتظار شرطه^(١٨)، ووقوع المشروط قبل وقوع الشرط^(١٩) ممتنع، والمحال لا يوصف بكونه مقدوراً^(٢٠).

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) مر ٢، مج ٣: - دون. | (٢) مر ١: الرب. |
| (٣) مر ١: بعض. | (٤) مر ١: منقذ. |
| (٥) مر ٢: تقوله. | (٦) مر ١: - أشار. |
| (٧) مج ٢: بقوله: | (٨) مر ١: - تعالى. |
| (٩) سورة أنبياء، آية: ١٦. | (١٠) مر ١: - سابق. |
| (١١) مر ١: - ولا يلحق لاحق إلا بالحق. | (١٢) مر ٢، مج ٣: + و. |
| (١٣) سورة دخان، آية: ٣٩. | (١٤) مج ٤: - وحق واجب/ مر ١: - واجب. |
| (١٥) مر ١: - لا. | (١٦) مر ١: - و. |
| (١٧) مر ١: لا. | (١٨) مر ١: شرط. |
| (١٩) مر ١: - ووقوع المشروط قبل وقوع الشرط. | (٢٠) مر ١: مقدور. |

فلا يتخلف العلم عن النظر إلا لفقد شرط النظر وهي الحياة، ولا^(١) الإرادة عن العلم إلا لفقد شرطها وهو العلم، ولا الفعل عن القدرة إلا لفقد^(٢) شرطها وهي الإرادة. وكلّ ذلك على منهاج واجب وترتيب واجب^(٣) ليس شيء من ذلك بسبب واتفاق، بل كلّه لحكمة وتدبير وتفهم^(٤) ذلك على العوامّ وعلمائهم

عسير.

فإنّ من نظر إلى الأسباب^(٥) القريبة للفعل ورآها مستقلة، قال بالقدر والتوبيخ، أي يكون أفاعيلنا^(٦) واقعة بقدرتنا، مقدرة بتقديرنا^(٧)، مفوضة إلينا، وإليه أشار^(٨) : «القدرية مجوس هذه الأمة». لأنها تثبت مبدأين قادرين مستقلّين كالمجوس القائلين بمبدأين^(٩) أحدهما مبدأ الخير وهو «يزدان»^(١٠)، والثاني مبدأ الشرّ وهو^(١١) «أهرمن»، كما قيل:

چنان كان گبر^(١٢) يزدان و^(١٣)أهرمن گفتم

مر این نادان و^(١٤)ابله ماو من گفتم

ومن نظر إلى السبب الأوّل وقطع النظر عن الأسباب القريبة مطلقاً، قال بالجبر^(١٥) و^(١٦)خلق الأفعال، ولم يفرّق بين أفعال الإنسان وأفعال الجمادات؛ وكلاهما أعور كالدجال لا يبصر^(١٧) بإحدى عينيه^(١٨).

أما القدرية، فبالعين اليمنى، أي النظر الأقوى الذي به يدرك الحقائق والأسباب القصوى للأشياء.

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) مر ١، مج ٣: - لا. | (٢) مج ٣: بعد. |
| (٣) مج ٢، مج ٣: الواجب. | (٤) مج ٢: تفهم. |
| (٥) مر ١: أسباب. | (٦) مر ١: فاعليتنا. |
| (٧) مر ١: - مقدرة بتقديرنا/ مج ٢، مج ٣: فقدّر بتقديرنا. | (٨) مج ٢: + بقوله. |
| (٩) مج ٢: + و. | (١٠) مج ٤: اليزدان. |
| (١١) مر ١: - هو. | (١٢) مر ١: كر. |
| (١٣) مر ١، مج ٣، مج ٤: - و. | (١٤) مر ١: - و. |
| (١٥) مر ١: بالخير. | (١٦) مج ٣: - و. |
| (١٧) مج ٤: + إلا. | (١٨) مر ١: قبل لا يبصر بأحد عينه. |

وأما الجبرية، فباليسرى؛ أي الأضعف الذي به يدرك الظواهر والأسباب القريبة^(١).

وأما من نظر حق النظر، فقلبه ذو العينين^(٢)، يبصر الحق باليمنى، فيضيف الأفعال^(٣) خيرا وشرها إليه، ويبصر الخلق باليسرى، فيثبت تأثيرهم في الأفعال به سبحانه^(٤) لا بالاستقلال؛ ويتحقق^(٥) بمعنى^(٦) قول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»^(٧)، فيذهب^(٨)، وذلك هو الفوز الكبير.

فقد تحقق وتبين أن كل ما يصدر عنا من الحركات والسكنات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة في عالم آخر قبل وجودنا، واردة^(٩) علينا من خارج، واجب صدورها^(١٠) عنا مع كونها بإرادتنا واختيارنا، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾^(١١) و﴿كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾^(١٢). ولما سئل عن الرسول عليه السلام: أنحن^(١٣) في أمر فرغ^(١٤) منه، أو أمر مستأنف؟ قال في مفروغ منه وفي أمر مستأنف^(١٥).

ومن الحكايات في هذا الباب أن الفضل بن سهل سأل^(١٦) علي بن موسى عليه السلام بين يدي المأمون، فقال يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ فقال: الله تعالى^(١٧) أعدل من أن يجبر عبده ثم يعذبهم. قال فمطلقون^(١٨)؟ قال: الله

(١) مج ٤: الغريبة.

(٢) مج ٤: ذو عينين.

(٣) مر ١: - والأسباب القريبة... الأفعال. (٤) مج ٣: تعالى.

(٥) مر ١: فيتحقق. (٦) مج ٣: - بمعنى.

(٧) ر. ك: «أصول الكافي»، كتاب «التوحيد»، حديث ١٣.

(٨) مر ١، مج ٢، مج ٣: فتذهب/ مر ٢: فيتذهب/ مج ٤: مذهب به.

(٩) مر ١، مج ٣: وإرادة. (١٠) مر ١: صدور.

(١١) سورة قمر، آيتان: ٥٢ و ٥٣. (١٢) مج ٤: نحن/ مر ١: - أنحن.

(١٣) مر ١: خرج.

(١٤) ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، ي. بروخمان، ليدن، ١٩٦٥، الجزء

الخامس ص ١٢٢.

(١٥) مج ٣: سئل.

(١٦) مج ٢: + ذو أعدل.

(١٧) مج ٣: فمطلقون.

أحكم من أن يهمل عبده ويكمله إلى (١) نفسه (٢).

والشواهد في هذا الباب من الكتاب والسنة كثيرة، ولأجل هذا التطابق بين الجبر والتفويض (٣) والتوقف والجواز والإمكان والوجوب والتوفيق (٤) بين الأمرين نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى (٥) الملائكة، ومرة إلى المباد، ومرة إلى (٦) نفسه. فقال تعالى في الموت: ﴿قُلْ بِتَوْفَنِيكَ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ بِكُمْ﴾ (٧)؛ وقال الله (٨) تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (٩) وقال تعالى في نفخ الروح: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٠)؛ ثم قال: ﴿فَتَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (١١). وقال ﴿النافخ جبرئيل﴾ (١٢) قال تعالى في القتل: ﴿فَتَتْلَوْهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ (١٣)، فأضاف القتل إلى العباد، والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب عين القتل هاهنا (١٤). وقال (١٥): ﴿فَلَمَّ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (١٦). وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهراً، ولكن المعنى «وما رميت» بالمعنى الذي يكون العبد رامياً، و«رمى» بالمعنى الذي يكون الرب (١٧) رامياً، إذ هما (١٨) معنيان مختلفان. وكذلك ذكر الله الأدلة (١٩) والآيات في الأرض والسموات، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢٠)، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) مر ١: على.

(٢) ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الكتب الأربعة»، جز ١١، ص ١٥٩، س ١٧.

(٣) مج ٤: التخيير/ مج ٢، مج ٣: التنجيز/ مر ٢: التسخير.

(٤) مر ٢: التوافق. (٥) مر ١: على.

(٦) مر ١: على. (٧) سورة سجده، آية: ١١.

(٨) مج ٣، مر ٢: - الله. (٩) سورة زمر، آية: ٤٢.

(١٠) سورة مريم، آية: ١٧. (١١) سورة أنبياء، آية: ٩١.

(١٢) سورة توبة، آية: ١٤. (١٣) سورة نوح، آية: ١٤.

(١٤) مج ٤: - و. (١٥) مج ٤: فقال.

(١٦) مج ٣: بينهما. (١٧) سورة انفال، آية: ١٧.

(١٨) مر ١: وهما. (١٩) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٢٠) سورة فصلت، آية: ٥٣.

هُوَ^(١). فَيَبَيِّنُ أَنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى نَفْسِهِ^(٢)، وَهَذَا^(٣) لَيْسَ بِتَنَاقُضٍ^(٤) لِأَنَّ طَرِيقَ^(٥) الاستدلال مختلف؛ فكم من طالب عرف ذاته تعالى بالنظر إلى الموجودات^(٦)، وكم^(٧) من طالب عرف ذاته بذاته وعرف بالنظر إليه كل الموجودات، كما في طريقة الصديقين الذين ينظرون به إلى^(٨) الأشياء لا بالأشياء إليه. وقال بعض العرفاء: عرفت ربِّي برَّبِّي ولولا ربِّي ما عرفت ربِّي^(٩).

وكل من أضاف الكل إلى الله^(١٠) مع المحافظة على وحدة ذاته مع كثرة آثاره وأفعاله، فهو المحقق الواقعي^(١١) الذي^(١٢) عرّف الحق والحقيقة لأهله؛ ولما جرى^(١٣) حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصداً أو اتفاقاً، صدقه رسول الله ﷺ^(١٤)، فقال أصدق بيت ما قاله^(١٥) الشاعر^(١٦):

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»^(١٧).

أي كل شيء لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره، فهو باعتبار نفسه باطل. وإنما حقيقته وحقيقته^(١٨) بغيره لا بعينه^(١٩)؛ فإذا^(٢٠) لا حق بالحقيقة إلا القيوم

-
- | | |
|--|--|
| (١) سورة آل عمران، آية: ١٨. | (٢) مج ٢: + ودليل. |
| (٣) مج ٣: وذلك. | (٤) مج ٢: يتناقض. |
| (٥) مر ١: طرف. | |
| (٦) مج ٤: - فكم من طالب... الموجودات/ مر ١: - ذاته تعالى... الموجودات. | |
| (٧) مر ١: فكم. | (٨) مر ١: على. |
| (٩) مر ١: - ربِّي. | (١٠) مج ٣، مج ٤: + تعالى. |
| (١١) مج ٣: الداعي. | (١٢) مج ٣: - الذي. |
| (١٣) مر ١: + معنى. | (١٤) مج ٤: - ﷺ. |
| (١٥) مر ٢، مج ٣: أصدق بيت قاله الشاعر/ مج ١، مر ١: بيت أصدق ما قاله/ مج ٢: أصدق. | |
| ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، ص ٣ وصحيح البخاري، منقول از مناقب الأنصار، ص ١٢٦ أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٨، ٣٩٣، ٤٥٨، ٤٧٠. | |
| (١٦) مج ٢، مر ٢، مج ٤: قول لبيد/ مج ٤: + شعر. | |
| (١٧) شعر از لبيد بن ربيعة، شاعر جاهلي واز اصحاب معلقات است، متوفى (٢٥٦٠ - ٢٦٦١). | |
| (١٨) مر ٢: حقيقته. | (١٩) مر ٢: لا بغيره/ مج ٤: - لا بعينه. |
| (٢٠) مج ٣: لئلا. | |

الحقّ الذي ليس كمثله شيء، فإنّه قائم بذاته^(١)، وكلّ ما سواه قائم بقدرته^(٢)، فهو الحقّ^(٣) وما سواه باطل.

وأما فائدة بعثة الرّسل وإنزال الكتب، ففي غاية السّطوع^(٤) والإنارة بعد المحافظة على كميّة عناية الله تعالى بالخلق، وأنّه لا لميّة لفعله سوى ذاته تعالى باعتبار علمه بالأصلح الذي هو عين ذاته، مع ترتّب الخيرات والمنافع والمصالح عليه. لأنّنا نقول: ثمرة بعثة الرّسل وغاية إنزال الكتب هداية الخلق وسلوكهم^(٥) إلى طريق الحقّ، وتبعيدهم عن الغي والضلال والعمى^(٦) والحرمان والكفر والطغيان. كما أنّ الحكمة في خلق الشّمس مع كونها صادرة^(٧) فائضة من^(٨) محض الجود والكرم إنارة ظاهر الأرض، وانبعاث الحرارة الغريزيّة في الكائنات الموجبة للنشوء والحياة^(٩). غاية ما في الباب أن يقال: إذا علم الله تعالى^(١٠) أنّ الكافر لا يؤمن، فلم يأمره بالإيمان^(١١) ويبعث^(١٢) إليه النّبيّ المنذر بالبيان؟ فيجواب: بأنّ الغاية الدّاتيّة في بعث الأنبياء وإنزال الكتب من السّماء بالحقيقة^(١٣) يرجع^(١٤) إلى المؤمنين الذين جعل الله بعثها^(١٥) وإنزالها سبباً ووسيلة لاهتدائهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾^(١٦) كما أنّ فائدة ضوء الشّمس تعود^(١٧) إلى أصحاب العيون الصّحاح^(١٨).

وأما^(١٩) فائدة ذلك بالنّسبة إلى المختوم على قلوبهم، فكفائدة نور الشّمس

- | | |
|---------------------------------------|----------------------------|
| (١) مع ٤: بقدرته. | (١٠) مر ١: - تعالى. |
| (٢) مع ٤: - وكلّ ما سواه قائم بقدرته. | (١١) مر ١: الإيمان. |
| (٣) مع ٤: - فهو الحقّ. | (١٢) مع ٣: وينبعث. |
| (٤) مر ٢: السّترع. | (١٣) مر ١: بالحقّ. |
| (٥) مع ٤: سلوكه. | (١٤) مر ٢: يرجع. |
| (٦) مر ١: - والعمى. | (١٥) مر ١، ٢: بعثها. |
| (٧) مر ٢: - صادرة. | (١٦) سورة نازعات، آية: ٤٥. |
| (٨) مع ٢: من. | (١٧) مر ١: يعود. |
| (٩) مع ٢: للنشور الحياة/ مع ٣: للشوق | (١٨) مر ١: - الصّحاح. |
| الحياة. | (١٩) مر ١: - وأما. |

بالنسبة إلى الأكمه بل إلى الأخفش، ولا فائدة في ذلك^(١) بالنسبة إلى المختومين^(٢): ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣). وغاية ذلك إلزام الحجّة وإقامة البيّنة عليهم ظاهراً: ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٤) ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّا لَوَلَّا أَزْسَلْتُمْ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾^(٥)، فيكون ذلك بغياً^(٦) عليهم بأنهم في أصل الخلقة ناقصون أشقياء^(٧).

وأما حديث التّفرقة^(٨) الصّوريّة بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية^(٩)، فنقول لا ريب أنّ للإنسان إرادات^(١٠) وقوى^(١١) مستندة إلى الله، فكأنّه لا اختيار استقلالياً؛ والتّفرقة المذكورة هي أنّ في الرّعدة نقصت واسطة هي الدّاعية الدّاخلية في سلسلة أسباب أفاعيل المختارين. وفي الحركة الاختيارية زادت واسطة.

وأما حكاية^(١٢) تنزيهه^(١٣) عن الظلم والقبائح، فنقول قد أشرنا في الفصل^(١٤) الماضي^(١٥) أنّ الله^(١٦) تعالى صفاتاً وأسماء متقابلة، ولها مظاهر في غيب غيوبه^(١٧) هي المسماة بـ«الأعيان الثابتة» والماهيات، وهي^(١٨) غير مجعولة، والمجعول وجودها في الخارج وظهورها في الأعيان^(١٩). فالفائض عن الحق

(١) مج ٢: - إلى المختوم... ذلك/ مج ٣، مج ٤: وأما فائدة في ذلك/ مر ٢: - ولا فائدة في ذلك.

(٢) مج ٣: المختوم/ مر ٢: + وأما.

(٣) سورة توبة، آية: ١٢٥.

(٤) سورة نساء، آية: ١٦٥.

(٥) سورة طه، آية: ١٣٤.

(٦) مج ١، مر ٢: تعباً/ مر ١: لقياً.

(٧) مر ١: ناقصون في أصل الخلقة أشقياء.

(٨) مر ١: + أنّ.

(٩) مر ٢، مج ٣، مج ٢: + كالرعدة.

(١٠) مج ٤: إرادة.

(١١) مج ٣: القوى/ مر ٢: + بها يتم حصول الملالم واجتناب المنافي إلا أنّ تلك الإرادات.

(١٢) مج ٣: حكايات.

(١٣) مر ٢: التّزبه.

(١٤) مر ١: الفضل.

(١٥) مر ١: - الماضي.

(١٦) مر ٢: الله.

(١٧) مر ١: غيوبه.

(١٨) مج ٤: هي.

(١٩) مر ١: - في الأعيان.

وجود الأشياء وفعليتها وظهور الماهيات واستنارتها^(١)، و: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) وقيامها^(٣). ومن الواجب أن يكون من جملة صفات الملك وخصوصاً ملك الملوك^(٤) صفتا لطف وقهر، لأنهما من أوصاف الكمال ونعوت الجلال، ولا بد لكل من الوصفين من مظهر كما مر.

فالملائكة^(٥) ومن ضماهم من الأخيار وأهل الجنة مظاهر اللطف، والشياطين ومن والاهم من الأشرار وأهل النار مظاهر القهر، وهما تظهرون حقيقة السعادة والشقاوة ﴿فَإِنَّهُمْ شِقَىٰ وَسَعِيدٌ﴾^(٦). (الآية).

وإذا توّمل فيما ذكرنا، ظهر أن لا وجه بعد ذلك لاستناد^(٨) الظلم والقبائح إلى^(٩) الله تعالى. لأن هذا الترتيب والتمييز^(١٠) من لوازم الوجود والإيجاد، والنقائص والقصور والآفات من الماهيات، كما يشهد به^(١١) العقل، ولا سيما^(١٢) عند القائل^(١٣) بالحسن والقبح العقليين.

قال بعض المحققين: ليت شعري لم لا ينسب الظلم إلى الملك^(١٤) المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيراً قريباً وبعضهم كناساً بعيداً، لأن كلا منهما من ضرورات^(١٥) مملكته^(١٦)؛ وينسب الظلم إلى الله تعالى^(١٧) في^(١٨) تخصيص كل من عبيده بما خصص به، مع أن كلا منهما ضروري في مقامه؟

فهذا القائل يهدم بناء حكمته ويدّعي أنه يحفظه، فأفسد حين أصلح. فقد ثبت

-
- | | |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| (١) مر ١: - ظهور الماهيات واستنارتها. | (١٠) مر ١، مج ٢، مج ٣: التميز. |
| (٢) سورة نور، آية: ٣٥. | (١١) مر ١: - به. |
| (٣) همه نسخه ما جز ١٤: قيامها. | (١٢) مر ١: وسيمًا. |
| (٤) مر ١: - الملوك. | (١٣) مر ١: القائلين. |
| (٥) مج ٢: والملائكة. | (١٤) مر ١: - الملك. |
| (٦) مر ١: يظهر. | (١٥) مج ٣: ضرورات. |
| (٧) سورة هود، آية: ١٠٥. | (١٦) مر ١: الملكية. |
| (٨) مج ٢، مر ٢: لإستناد. | (١٧) مر ٢: إليه تعالى. |
| (٩) مر ٢: - إلى. | (١٨) مج ٤: و. |

ونبين أن وقوع فريق في طريق اللطف و^(١) وقوع فريق^(٢) في طريق القهر من ضروريات الوجود والإيجاد، ومن مقتضيات الحكمة والعدالة، فكان حسناً. ومن توهم أنه قبيح^(٣) لخلل^(٤) في عقله وقصور في فهمه؛ فلا قبيح إلا وهو حسن من جهات أخرى^(٥) لا يعلمها^(٦) إلا منشئها وموجدها. وأما العذاب الذي هو البعد من رحمة الله تعالى^(٧)، فهو لازم للكفر والمعصية، والملزوم^(٨) لا ينفك عن اللازم^(٩).

-
- | | |
|-------------------------------|--|
| (١) مع ٤ : - و. | (٦) مر ١ : - لا يعلمها / مع ٣ : لا يعلم. |
| (٢) مر ١ : - فريق. | (٧) مر ١ : - تعالى. |
| (٣) مع ٤، مع ٢، مع ٣ : + كان. | (٨) مع ٤ : واللازم. |
| (٤) مع ٤ : الخلل. | (٩) مع ٤ : الملزوم. |
| (٥) مع ٣ : - أخرى. | |

الفصل السادس

في فائدة الطاعات

وتأثير الدعاء في إنجاح المهمات^(١)

اعلم أن^(٢) بعض الناس يظن أن الطاعات والدعوات أمور خالية عن الفائدة^(٣)؛ لأن ما يفعل لأجله الطاعة ويدعى^(٤) فيه إن كان قد ثبت في القضاء السابق، فإنه كان^(٥) لا محالة، دعي أو لم يدع، فعل لأجله^(٦) الطاعة والعبادة أو لم يفعل.

وهذا ظن جاهل^(٧) باهت^(٨) لا يعرف الحقائق من مواضعها. فإن الدعاء مما يقاوم القضاء لا من حيث إنه فعل العبد، فإنه من هذه^(٩) الحيثية مما يتحكم فيه القضاء؛ لأنه لو لم يقض عليه أن يدعو^(١٠)، لم يكن يدعو؛ بل^(١١) من حيث إنَّ البارئ تعالى جعل^(١٢) الدعاء من جملة أسباب ذلك الشيء المدعو على حسب^(١٣) ما قدر وقضى لربط وموافاة^(١٤) بين الدعاء والأمر المدعو، والأمر

(١) مج ٢: - الفصل السادس: في... المهمات.

(٢) مج ٣: الفوائد.

(٣) مر ١: - أن.

(٤) مج ٣: كائن.

(٥) مج ٣: يدعى.

(٦) مر ١: حاصل.

(٧) لأجل.

(٨) مج ٣: هذا.

(٩) مر ١: ثابت.

(١٠) مج ٢: - بل.

(١١) مج ٤: أن يدعو.

(١٢) مر ١: بحسب.

(١٣) مر ١: أن يجازي جعل.

(١٤) مج ٣: مواخاة.

المدعو، كما جعل في القضاء الإلهي شرب الدواء سبباً لحصول الصحة في هذا المريض.

فالدعاء وحدث^(١) الأمر المدعو لأجله كلاهما ينبعثان عن^(٢) القضاء، فلا يتوهم^(٣) أن العالم الإلهي ينفعل عن دعائنا ويتأثر من^(٤) ضراعتنا؛ كيف؟! والعلة لا تتأثر^(٥) عن المعلول، والمعلول لا يفعل في العلة البتة؛ بل العبد ما دعا^(٦) بنفسه، ولكن بأمر الله عز وجل^(٧) أمراً ذاتياً عقلياً وحكماً^(٨) قولياً سمعياً.

أما الأول، فلاستناد جميع الأشياء التي من جملتها دعاء الداعي^(٩) وما يدعو لأجله، وربطها في ذواتها ووجوداتها^(١٠) إليه تعالى. وكما^(١١) أن الأشياء الداخلة في وجود الإنسان كالعلم والقدرة والإرادة من جملة أسباب الفعل، فاحدس أن الأمور الخارجة أيضاً كذلك. فالدعوات ممّا^(١٢) جعله^(١٣) الله تعالى دواعي^(١٤) إلى الخيرات ومهيّجات^(١٥) إلى الأشواق؛ وكذلك السعي والجّد والتدبير والحذر إذا قرّرت^(١٦) مهيتة^(١٧) لمطالبنا، موصلة إيانا^(١٨) إلى مقاصدنا، مخرجة لكلماتنا^(١٩) من القوة إلى الفعل، وجعلت أسباباً لما يصل إلينا من أرزاقنا، وما قدر لنا^(٢٠) من معاشنا ومعائدنا لم يحصل لنا ذلك إلا بها.

(١) مر ١: وحصول. (٢) مج ٣، مر ٢: من.

(٣) مر ١: فلا يتق. (٤) مر ١: عن.

(٥) مر ١، مر ٢، مج ٢، مج ٣، مج ٤: لا يتأثر.

(٦) مر ١، مج ٣: دعى. (٧) مج ٣: تعالى.

(٨) مر ١: حكماً.

(٩) مر ٢: الشخصي/ مج ٣، مر ٢: الشخص.

(١٠) مج ٤: موجوداتها. (١١) مج ٣: فكما.

(١٢) مر ٢: ما. (١٣) مر ١: جعل.

(١٤) مر ١: وداعي. (١٥) مج ٤: بهجات.

(١٦) مر ٢، مج ٢، مج ٤: قلّرت. (١٧) مر ١: حلّرت مهيتة.

(١٨) مج ٢: إلينا.

(١٩) مر ١: لكلماتنا.

(٢٠) مر ١: قدرنا.

وأنا الثاني فحيث إن الله عز وجل علّمنا وأمرنا به^(١) وحثنا عليه في قوله: ﴿تَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢) فالدعاء وما يستجاب كلاهما من أمر الله تعالى، لسان العبد ترجمان الدعاء؛ وكلّ من فعل شيئاً بأمر أحدٍ فيده يد الأمر، كما إذا أمر الملك بعض خدامه ليضرب ابنه؛ فإنّ يد الخادم في الضرب يد الملك؛ ولو كان اليد يده، لم يستطع^(٣) أن يمدّها إلى ابن الملك ويبسط^(٤) دون ذلك يده.

وبهذا يظهر لك فساد ظنّ من قال من الحشويّة والظاهرية^(٥): إنّ الأمر^(٦) المقصود^(٧) بالدعاء^(٨) إن كان من مصالح العبد، فالجواد المطلق يبخل به. وإن لم يكن^(٩) من مصالحه، لم يجز طلبه. ولأنّ أجلّ مقامات الصّديقين الرّضاء بالقضاء وإهمال حظوظ النّفس. والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك.

وهم وإزاحة^(١٠):

وربّما توهم أنّ الدعاء يشبه^(١١) بالأمر والنّهي، وذلك خارج عن الأدب. ويؤكد هذا الوهم ما قاله الشّبلي: الانبساط بالقول^(١٢) مع الحقّ ترك الأدب. وذلك فاسد، كيف وقد أمر الله تعالى عباده بالدعاء وقد ورد «من لم يسأل الله^(١٣) يغضب عليه».

وسئل الباقر عليه السلام أيّ العبادة أفضل؟ فقال: «ما من شيء أفضل عند الله عز وجل^(١٤) من أن يسأل أو يطلب ما عنده، وما أبغض إلى الله عز وجل ممّن

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) مر ٢، مج ٣: يست/ مج ٤: ينسب.

(٦) مج ٤: - الأمر.

(١) مر ١: - ٤.

(٣) مر ١: يستطيع.

(٥) مر ٢: الظاهريتين.

(٧) مج ٣: المقصد.

(٨) مر ١: - ولو كان اليد... المقصود بالدعاء.

(١٠) مج ٢: - وهم وإزاحة.

(٩) مر ١: إن كان.

(١٢) مر ١: بقول.

(١١) مر ٢: عليه.

(١٤) مج ٤: - عز وجل.

(١٣) مج ٣: + تعالى.

يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «من لم يسأل الله عز وجل»^(٢) من فضله افتقر».

وأما ما قاله الشبلي، فهو مختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض؛ كما أمسك^(٣) موسى عليه السلام عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية^(٤)، حتى رفعه الحق مقاماً في القرب وأذن له في الانبساط، وقال اطلب مني ولو ملحاً لعجبتك. فلما بسط، انبسط وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٥).

قال ذو النون المصري^(٦): «أدب العارف فوق كل أدب، لأن معروفه^(٧) مؤدب قلبه». ولا يخفى أن الدعاء من أعظم مقامات^(٨) العبودية، وأنه من شعار الصالحين وأدب الأنبياء و^(٩) المرسلين، والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين، والأحاديث مشحونة بالأدعية الماثورة عن الرسول وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله عليه وسلامه وعليهم أجمعين، بحيث لا مساغ للإنكار ولا مجال للعناد.

وإن شئت، فانظر إلى الصحيفة الملكوتية^(١٠) المنسوبة إلى سيد العابدين علي بن الحسين > ونقل عن الإمام^(١١) الهمام جعفر الصادق عليه السلام أنه^(١٢) قال: عجبت لمن يتلى بالغم، فكيف يذهب عليه أن لا يقوم «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». والله تعالى يقول عقيب: فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين.

ومن فوائد الدعاء^(١٤) إظهار شعار الدّل والانكسار، والإقرار بسمة العجز

-
- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) مج ٤: - وما أفيض... ما عنده. | (٨) مج ٣: مقام. |
| (٢) مج ٤: - عز وجل. | (٩) مر ١: - و. |
| (٣) مج ٣: أسئلك. | (١٠) مر ١: المكنونة. |
| (٤) مر ١: الدنيوي. | (١١) مج ٣: امام. |
| (٥) سورة قصص، آية: ٢٤. | (١٢) مج ٣: - الصادق. |
| (٦) مج ٣: + الله. | (١٣) مر ١: - أنه. |
| (٧) مر ١: معروفة. | (١٤) مج ٢: - ومن فوائد الدعاء. |

والافتقار، وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الإمكانية^(١) والإبلاس^(٢) عن^(٣) ذروة الترفع^(٤) والاستغناء إلى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة.

قال المعلم الأول أرسطاطاليس في آداب كان يعلمها إسكندر: السعيد من الناس من، العقل أوفر طباعه، والعلم أفضل ذخائره، ولا يغنيه إلا الفناعة، ولا يوجب له الزيادة إلا الشكر، ولا يدفع^(٥) له المكاره إلا الدعاء.

تنبيه^(٦)؛

الدعوات والطاعات إما أن تكون موجبات^(٧) وأسباباً وعللاً^(٨) للمقاصد والسعادات، وهو الظاهر. فإن النفس^(٩) الإنسانية إذا توجهت إلى بارئها، انصرفت عن البدن الذي هو حجابها عن عالم القدس، وفاض عليها من الخيرات ما يناسبها. وربما بلغت نفس من فرط الزكاء^(١٠) والظهارة عن شواغل البدن ولذاتها الحسية إلى حيث يفيض عليه^(١١) من المبدأ الأعلى قوة وكرامة نصير بها مؤثرة في عالم العناصر؛ فيبرئ المرضى ويمرض الأشرار، ويقلب^(١٢) عنصراً^(١٣) إلى عنصر، ويحرك أجساماً يعجز عن تحريكها بنو النوع^(١٤)، كقلع باب خير.

وذلك لأن الأجسام موضوعة لتأثيرات النفوس، وما من نفس إلا ولها

(١) مر ١: الإمكان.

(٢) مج ١، مج ٢، مر ١، مر ٢: الإبلاس.

(٣) مر ١: من.

(٤) مر ١: الترفع.

(٥) مر ١، مج ٢: تنبيه.

(٦) مج ٤: لا يدفع.

(٧) مر ١: أسباب وعلل.

(٨) مج ٢، مج ٤: موجبات.

(٩) مر ١: الذكاء.

(١٠) مر ١: النفوس.

(١١) مر ١: يغيب.

(١٢) مج ٤: إله.

(١٣) مر ١: بنوع.

(١٤) مج ٢، مج ٤: عنصر.

تأثير^(١) في جسم ما. أما^(٢) رأيت^(٣) تخيلك لمشتهي^(٤) لطيف كيف يحدث في بدنك^(٥) شيئاً؟ ونخيلك للحموضة يوجب لبدنك انفعالاً وقشعريرة؟ فيصير البدن بحسب ما يقتضيه أحوال النفس وتخيلاتها. وقد يمكن أن تؤثر^(٦) النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها^(٧)، لا هتزاز^(٨) علوي، وطرب عقلي، وقرب روحاني من عالم القدرة والسطوة، واتصال ملكوتي^(٩) إلى مبدأ الصنع^(١٠) والإيجاد.

ولما أن لا يكون^(١١) موجبات^(١٢) ومؤثرات^(١٣)، بل معرفات^(١٤) وعلامات^(١٥)، والسبب^(١٦) العقلي في جعلها مناط التكليف وملاك^(١٧) العبودية، أن^(١٨) كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول، والحكمة الإلهية^(١٩) تقتضي أن يكون العبد معلقاً بين الرجاء والخوف اللذين بهما يتم العبودية، وهذه إحدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقاً مع الاعتراف بإحاطة علم الله وكون الأقدار جارية والأقضية سابقة في الكل.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه جاء سراقة بن مالك بن جعشم^(٢٠)، فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فقيم^(٢١) العمل اليوم؟ فيما جفت به

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| (١) مج ٣ : + ما. | (٢) مج ٤ : ما. |
| (٣) مج ٣ : + أن. | (٤) مج ٣ : المشتهي. |
| (٥) مر ١ : ذلك. | (٦) مر ٢ : يؤثر. |
| (٧) مر ١ : - كما تؤثر في بدنها. | (٨) مر ١ : لا هتزاز. |
| (٩) مر ١ : والاتصال الملكوتي. | (١٠) مج ٤ : الوضع. |
| (١١) مج ٤ : لا تكون. | (١٢) مر ١ : موجبات / مج ٣ : موجبات. |
| (١٣) مج ٣ : مؤثرات. | (١٤) مج ٣ : معرفة. |
| (١٥) مج ٣ : علامة. | (١٦) مر ١ : النسب. |
| (١٧) مر ١ : مدارك. | (١٨) مج ٤ : - أن. |
| (١٩) مر ١ : إلهية. | |

(٢٠) مر ١ : جعشم / مج ٢ : / مج ٤ : هيشم / ر. ك: ابن أثير، «أسد الغابة»، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ص ١٢٦٤ نام كامل او ابن است: سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن نهم بن مزلاج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة كنيه او ابو سفيان است وابن عباس وجابر وبعضى از تابعين از او روايت کرده اند.

(٢١) مج ٣ : فقيم.

الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال بل فيما جفت^(١) به الأقلام وجرت به المقادير. قال فيم^(٢) العمل؟ قال اعملوا، فكلّ ميسّر لما خلق له، وكلّ عامل بعلمه^(٣).

فالنبي ﷺ^(٤) علّقهم بين الأمرين، رقه بسابق^(٥) القدر، ثمّ رغبهم^(٦) في العمل، ولم يترك أحد الأمرين للآخر. فقال كل^(٧) ميسّر لما خلق له. يريد أنّه ميسّر في أيام حياته للعمل الذي سيق^(٨) إليه القدر قبل وجوده. إلّا أنّك يجب^(٩) أن تعلم الفرق بين الميسّر والمسخّر، كيلا^(١٠) تفرق^(١١) في لجة القضاء والقدر. والعقّ أنّ كلا القسمين اللذين ذكرناهما متحقّق في الدعاء ولهذا اشتهر بين الدّاعين^(١٢) أنّ الدّعاء كالّدواء بعضها يؤثّر بالطبع، وبعضها بالخاصيّة. فالأوّل إشارة إلى الوجه الأوّل، والثاني إلى الثاني، وكذا القول في باب الرزق والكسب والإرشاد والتّهذيب والوعد والترغيب^(١٣) والإيعاد^(١٤) والترهيب. والحاصل: إنّ الأسباب والوسائط والرّوابط معتبرة في جميع أمور هذا العالم، ومن جملة الوسائل في قضاء الأوطار الدّعاء والالتماس والإرشاد والتكليف والوعد والوعيد وأمثالها، كما في الشّاد. فلعلّ الله قد جعل دعاء العبد سبباً لبعض مناجحه. فإذا كان كذلك، فلا بدّ أن يدعو حتّى يصل إلى مطلوبه، ولم يكن شيء من ذلك خارجاً عن قانون القضاء السّابق وناسخاً للكتاب المسطور.

- (١) مج ٣: از «فيما جفت» تا «إنّه ليس من شرط» حدود سه صفحه افتادگی دارد.
 (٢) مر ١: فيها / مر ٢: فقيم.
 (٣) مر ١، مر ٢، مج ٢، مج ٤: بعمله / ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، ج ١، ص ٣٥، به نقل از مسلم بن الحجاج واحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٢٩٣.
 (٤) مج ٤: قال النبي ﷺ.
 (٥) مج ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤: سابق / مر ١: سابقاً.
 (٦) مر ١: كذلك.
 (٧) مر ١: رغبهم.
 (٨) مر ١: سيق.
 (٩) (١١) مج ٢: أنفرق.
 (١٠) مر ١: لللا.
 (١١) مج ٢: الدّاعين.
 (١٢) مج ٤: - والإيعاد.

كلام تحصيلي^(١) في لمية^(٢) وجود الدّعوات المستجابة والعقوبات السماوية^(٣)؛

اعلم أنّ الآثار الواردة على عالم الأرض المحسوسة من عالم الملكوت والقوى العالية الغائبة عنّا، والحوادث النّازلة علينا من النّجفوس العمّالة بإذن الله إنّما تحدث بسببين: أحدهما القوى الفعّالة الفلكيّة الطّبيعيّة أو الإراديّة، والثاني القوى الانفعاليّة الأرضيّة الطّبيعة أو الإراديّة.

وقد تبين^(٤) في مقامه أنّ لنفوس^(٥) الأجرام السّماوية ضرباً من التّصرف في إدراك الأمور الخياليّة الجزئيّة بإدراك ما قبلها من الأسباب الكلّيّة وما يتأدّى إلى تلك الجزئيّات، وإدراكها للجزئيّات مبادئ أوضاعها الجزئيّة وحركاتها الشّخصيّة، وهي أسباب لوجود الجزئيّات وتكوّن الكائنات. وما من سبب^(٦) من أسباب وجود الحوادث - فلكيّة كانت أو أرضيّة - إلّا وينتهي إلى أمر طبيعيّ أو نفسانيّ جازم غير فاتر. ولا ينتهي إلى قسريّ، لأنّ القسر^(٧) لا محالة منته^(٨) إمّا^(٩) إلى طبع^(١٠) موجب، أو إرادة قاهرة غير فاترة^(١١)؛ فإليهما ينتهي ويرجع التّفسيرات أجمع.

وللإرادات^(١٢) الحادثة والقبائح^(١٣) الكونيّة أسباب إذا توافقت أوجبتهما، ولا تحدث إرادة، وإلّا لأدّى إلى القول بالتّسلسل^(١٤) المحال؛ ولا بطبيعة^(١٥) المرید، وإلّا لما انفكت الإرادة عنها^(١٦). فلا محالة يستند الإرادات إلى

(١) همه نسخه ما جز امج ٤٤: تحصيلي.

(٢) مر ١: - لمية.

(٣) مج ٤: السّموة.

(٤) مج: بين.

(٥) مج ٤: النفوس.

(٦) مر ١: أسباب.

(٧) مر ١: الألسر.

(٨) مج ٤: منته.

(٩) مر ١: - إمّا.

(١٠) مج ٤: طيمي.

(١١) مر ١: غير جاهرة.

(١٢) مر ١: والإرادات.

(١٣) مر ١: + مع.

(١٤) مج ٤: بالنسر.

(١٥) مر ١: لطبيعة.

(١٦) مج ٤: - عنها.

الموجبات والدواعي الخارجة عن إرادة المريد وطبيعته^(١)، كما مرّت الإشارة إليه^(٢). وتلك الدواعي تستند إلى أمور سماوية تنبعث^(٣) أولاً عنها، ثم عن أسباب أرضية منبعثة عن هناك.

ومن هذا السبيل يحصل الجزم بأن الملكوت العمالة والنفوس السماوية وما فوقها عالمة بالجزئيات قبل وقوعها، بعد ما نيين كيفية كون التصورات الروحانية سبباً لحدوث الصور المادية، ولا محالة لما كان وجود الأسباب العظيمة على أتم وجه وأشرفه^(٤)، وجواهر السماويات في غاية الخلوص والصفاء واللطفة والنورانية خالية عن الشرور والآفات، لم يكن^(٥) تصوراتها جزافية ولا شيطانية من باب السفاهة والشر.

فإن النفس المتصورة متى لم تكن^(٦) ناقصة مؤوفة، لم تتصور العبث والآفة، بل إنها^(٧) تتصور^(٨) الأشياء على الوجه الأصوب المؤدي إلى المنافع والخيرات. كيف وتصورات الملائكة العملية تابعة لتعقّلات الأنوار العقلية والملائكة المهيمين الخالين عن النقائص الهيولانية والشرور الجسمانية. فما يترتب على علوم أهل القدس وزمرة المقربين يكون أجود الأنحاء وأشرف ما يمكن ويتصور من الأمور^(٩).

فإذا تصورت نفوس السماويات ما هو الأولى بأن يكون؛ فإن لم يكن معه مانع إلا عدم علّة^(١٠) طبيعية أرضية كوجود صورة مسخنة وطبيعة نارئة عند تصورها وإرادتها وجود السخونة لوجه الخير^(١١) فيها؛ فتلك السخونة تحدث في الأجسام العنصرية بمجرد التصور السماوي للخير طاعة لنفوسها، كما تحدث هي في بدن الإنسان من تصورات نفسه الناطقة المسخرة له بإذن بارئها أموراً

-
- | | |
|-----------------------------------|------------------------|
| (١) مر ١: طبيعة. | (٧) مر ١: - إنها. |
| (٢) مج ٤: - إليه. | (٨) مج ٢: نتصور. |
| (٣) هذا نسخه ما جز امر ٢٢: ينبعث. | (٩) مج ٢: الأنوار. |
| (٤) مج ٤: أشرفه. | (١٠) مر ١: - علّة. |
| (٥) مر ٢: لم تكن. | (١١) مج ٤: لوجد اللذة. |
| (٦) مج ٢: يكن. | |

ينبعث^(١) عنها السخونة فيه^(٢)، كدواعي الغضب وأمثاله وإن كان معه مانع
كوجود علة أرضية وطبيعة مبردة.

فالتصوّر السماوي للخير في ذلك أيضاً يقصر المبرّد وينفي مادّته، كما
يحلّل^(٣) تصوّر الأمر المغضب المواد البلغميّة في بدن الرّجل الغضبان. ومن
هاهنا يعلم أنّه ليس من شرط^(٤) المسخّن أو المبرّد أن يكون سخيناً أو بارداً،
فإنّ صفات الأجسام جلّها^(٥)، بل كلّها، نشأت^(٦) من الأمور المعنويّة
الروحانيّة؛ بل بعينها هذه إنّما تكثّرت وتجمّست وتنقّصت عند نزولها من موطن
الصفاء والتجرّد إلى عالم التجرّم والتنقّص، فصارت محسوساً بعد ما كانت
معقولاً ثمّ متخيلاً.

ونسبة التضرّع إلى استدعاء المطالب واستجلاب المرادات كنسبة التّفكّر إلى
استدعاء البيان والتّنطق. وكلّ يفيض من فوق ويبتدىء من الأعلى فالأعلى إلى
الأدنى فالأدنى كتحرّيك سلسلة واحدة يؤدّي بعضها إلى بعض. فلأجل هذا
يتنفع بالدّعوات والقرايين^(٧) عند الهياكل والمواضع المناسبة للنتيّة^(٨) الخالصة،
وخصوصاً في الأمور الاجتماعيّة والمصالح الجمهوريّة كأمر^(٩) الاستسقاء
وغيره^(١٠). ولهذا يجب أن يخاف دعوة المظلوم وتتقى^(١١) المكافأة على
الشرّ^(١٢) ويرتجى المكافأة على الخير. فإنّ قيم العالم ذو عناية ورحمة على
خلقه^(١٣) لا يهمل تكسراً^(١٤) على كسير، والله عزيز ذو انتقام.

(١) مر ٢: سعت. (٢) مج ٤: - فيه.

(٣) مج ٢: يخلّل.

(٤) مج ٣: هاهنا افتادگی از «فيما جفت» تا «إنه ليس من شرط».

(٥) مر ١: حلّها. (٦) مج ٣: منشآت/ مج ٤: نشأة.

(٧) مج ٤: واللّوانين. (٨) مج ٣: لنتيته.

(٩) مر ١: كما مر/ مج ٣: كما هي. (١٠) مر ١: - وغيره/ مج ٣: وغيرها.

(١١) مر ١، ٢، ٣، مج ٢: يتقى/ مج ٤: تبقى.

(١٢) مر ١: الشرّوذ. (١٣) مر ١: + و.

(١٤) مج ١، ٢، ٣، مج ٤، مر ٢: بكسر.

وهذه الأمور^(١) اللائقة لمّا كانت معقولة عند العالم الأعلى، فيجب أن يكون^(٢) لها وجود، لأنّ علومها^(٣) كما مرّ غير جزافية^(٤) ولا ظنيّة^(٥)، بل فعليّة كما عقلت^(٦) له تعالى فوجدت عنه تعالى، أما تأملت^(٧) يا عارف حال منافع الأعضاء في الحيوان والنبات وفوائد أمزجتها وكيفياتها وكميّاتها^(٨) وأشكالها، التي قد عقلت أولاً في عالم الإبداع على الوجه الذي أدت^(٩) إلى المصالح، ثمّ أوجدت في مادّة الكون وموضوع الخلقة على نحو^(١٠) من الإيجاد اللائق بالمبدأ الأعلى، الذي وقع منه^(١١) على سبيل الفيض على العقل والنفس والطبيعة. فترشّحت^(١٢) منها على موضوعها مادّة تصرفاتها، كلّ ذلك خدمة لبارئها وطاعة لمصوّرهما ومعطيها.

فقد علم^(١٣) من ما ذكر أنّ جميع الحوادث الكونيّة في عالمنا هذا ينبعث عن^(١٤) تصوّرات فلكيّة وتعقّلات ملكيّة وعلوم سبحانه. فالمؤثر بالحقيقة في وجود الأشياء ليس إلّا علم المبادئ بمصالح الكون.

فلا تتعجب^(١٥) من عناية الباري سبحانه^(١٦) ولطفه بإصلاح حال^(١٧) الخلائق. واعلم من ذلك حقيقة الأمور الخارقة^(١٨) للعادات^(١٩) النازلة من الحقّ الأوّل بالوجه الخاصّ الذي ينكره المتفلسفون الجاهلون بالأسباب الخفيّة المسخّرة للطبائع. و^(٢٠) صدّق بما سمعت من العقوبات الإلهيّة النازلة بسبب

-
- | | |
|-----------------------|---|
| (١) مر ١ : - الأمور. | (١١) مر ١ : - منه. |
| (٢) مج ٣ : تكون. | (١٢) مر ١ : فرشحت. |
| (٣) مر ١ : معلومها. | (١٣) مر ١ : - علم. |
| (٤) مج ٤ : خرافيّة. | (١٤) مر ١ : من. |
| (٥) مر ١ : طينة. | (١٥) مر ١، ٢، ٣، ٤ : فلا يتعجب. |
| (٦) مج ٣ : فعلت. | (١٦) مج ٤ : تعالى. |
| (٧) مج ٣ : مائلت. | (١٧) مر ١ : - حال. |
| (٨) مر ١ : وكميّاتها. | (١٨) مر ١ : الخارجة. |
| (٩) مر ١ : ألهمت. | (١٩) مر ١ : من العادات / مج ٤ : للعادة. |
| (١٠) مر ١ : - و. | (٢٠) مر ١ : - و. |
- (١٠) هذه نسخة ها جز ١١ : النحو.

دعوة الأنبياء ﷺ على أقوام ينسوا من روح الله^(١)، فحل^(٢) بها غضب الجبار، وطردها^(٣) إلى عالم البوار.

فتحرك الدعاء عند قوة الإخلاص وشدة التوسل من النفوس العالية إلى^(٤) الباب الأكبر أقوى سبب في تحريك الركن العظيم إلى إصلاح طائفة وإفساد أخرى، فلم يرد^(٥) قولها ولم يدفع^(٦) دعاؤها، بل يسمع قولها في الملكوت ويستجاب دعاؤها^(٧) في السماء. وعند^(٨) ذلك يستحق ذلك الشخص الانتصاب في الشرائع بصيرة^(٩) نفسه أحد منفعلات الباري التي يتأثر عنها المواد، وهو كما يستخدمها بإذن الله المبدأ الفياض على العباد والبلاد.

فيحتاج صاحب الدعوة إلى إصلاح نفسه من دنس الجسمانيات^(١٠) والأغراض النفسانية، والتحرز عن سورة^(١١) الغضب والشهوة، والمجانبة عن الثقة بغير الله وملكوته، والنظر^(١٢) في طبيعة ما يدعو له أو عليه، حتى يكون قد أقام نفسه حيثما أقام^(١٣) غيره من بنى نوعه؛ فعاد على^(١٤) الناس فضله وجوده^(١٥). فإن أصاب^(١٦) الغرض الكلبي على ما ذكرنا، لم ترد^(١٧) دعوته، وشهدت القلوب بإجابته. وإن غادر شيئاً^(١٨) من ذلك وخلط في دعائه للباري بغيره من الأغراض النفسية، كان في أدعيته شركة من الشيطان، فلم يسمع دعاؤه، وزالت عن الإصابة مقاصده. إذ السبب الذي يظهر به استجابة الدعوات واستنجاح المقاصد والآثار العجيبة من الشخص القائم بالدعاء المتدين

(١) اشاره ای است به سورة يوسف، آیه: ٨٧. (٢) مج ٤: فجعل/ مر ١: بهل.

(٣) مر ١: وطرده/ مج ٣: طرحوا. (٤) مر ١: على.

(٥) مر ١: فلا يرد. (٦) مج ٣: لم يرفع.

(٧) مر ١: - بل يسمع... دعاؤها. (٨) مر ١: - عند.

(٩) مج ٣: لصيرة. (١٠) مر ١: الجسمانية.

(١١) مر ١، مج ٤: صورة. (١٢) مر ١: - والنظر.

(١٣) مج ٣: أقامه. (١٤) مر ١: - على.

(١٥) مر ١: جود وفضله. (١٦) مر ١: صاحب.

(١٧) مر ٢: نرد. (١٨) مج ٤: شيء.

بالشريعة، أن يكون خالص النية^(١)، سهل^(٢) السَّجِيَّة^(٣)، متعلِّقاً بالأعلى من
عالمه، متجنباً عن السَّوافِل^(٤) وما يطرح عليها أنظار القوى الجزئية، وينتهي
إليها إدراك المشاعر الهيولوية^(٥)، ليتفَضَّل الطبيعة البسيطة^(٦) على المركَّب،
والعَلَّة على المَعْلُول، والعالي على السَّافل، والشَّريف على الخسيس؛ فيكون
مبدأ مآربه، ومرمى أغراضه، ومسهل صعابه، ومنجِّع مهمَّاته؛ ويرى أنَّ الحياة
الجسمانيَّة والدَّواعي الحيوانيَّة مَبْعَدَةٌ له عن محلِّه، وأنها منهل^(٧) في سفره؛
فيستغلَّ بخدمة مستقرِّه الَّذي يكون البعد عنه^(٨) موجب الإخلاق^(٩) إلى الأرض،
ومكاثرة الدَّاثرين؛ ويكون متورِّعاً منصفاً ذا أمانة وعدلٍ، بعيداً^(١٠) عن الجور
والكذب بحسب^(١١) الحيلة^(١٢)، مفطوراً^(١٣) على الصِّدق.

فإنَّ الكذوب لاعتياده بإيراد مقدِّمات مموَّهة^(١٤) واختراع صور مخالفة للحقِّ،
يصير بعيد المناسبة إلى عالم الصِّدق والحقِّ - وهو عالم الملكوت العمَّالة بإذن
ربِّها^(١٥)، وموضع نزول البركات والخيرات - شديد^(١٦) المجاورة لعالم الوهم
والتَّلبيس وأقطاع إبليس، ومنبع الظَّلام والشُّرور، ومعدن الخلاف والغرور
والزُّور^(١٧)؛ فلا يسمع هناك كلامه ولا يجاب دعوته ولم يكن صوته معروفاً عند
سكَّان ذلك الإقليم.

وقد ذكر أفلاطون الشَّريف الإلهيَّ في كتاب التَّواميس حكاية في هذا الباب

-
- | | |
|---|------------------------|
| (١) مر ١: ٥. | (٢) مج ٣: سهل. |
| (٣) مر ١: السمحة. | (٤) مج ٢: السواقل. |
| (٥) مر ٢، مج ٣: الهيولية. | |
| (٦) هنا نسخة ما جز ١١: ١، مج ٤٤: البسيط. | |
| (٧) مر ١: سهل. | (٨) مر ١: منه. |
| (٩) مج ٢: موجباً لإخلاق. | (١٠) مر ٢، مج ٣: بعيد. |
| (١١) مر ١: بحسب. | (١٢) مر ١: الحيلة. |
| (١٣) مر ١: المفطورة. | (١٤) مج ٤: ممنوعة. |
| (١٥) مج ٣: الله. | |
| (١٦) هنا نسخة ما جز ١٢: ٢، ومج ١٣: شديدة. | |
| (١٧) مر ١: البروز. | |

تدل^(١) على حقيقة^(٢) ما ذكرنا، وإن^(٣) استغنى هذا عن التمسك والاحتجاج وإقامة البرهان، لكننا نذكرها لتنبية الرافدين وإيقاظ النائمين.

قال: إنا نذكر خبراً شاهدناه: لشدة كانت في اليونانيين جرت، احتيج فيها إلى إخراج أرائيس^(٤) الحكيم، وكان حسن التمكن^(٥) من علوم النفس، وقد ضرب ضربتين بالسيف إحداهما أبانت^(٦) يده اليسرى^(٧)، والأخرى في خاصرته. فدخلت عليه وأنا أتوهم أنه لا يستبين^(٨) معرفة، فألفيت^(٩) تميزه صحيحاً؛ وكان يجفن ساعة فيكون بمنزلة المستقل^(١٠) في نومه^(١١)، ثم يفتح عينه فيتكلم ببعض أدعية الصحف. ثم يشخص^(١٢) إلى جهة السماء.

فكلمته^(١٣)، فأجابني وقال: ما تريد؟

فقلت: ما الذي ترى أنت؟

فقال: أرى أن فوز النفس في خلاصها^(١٤) من الجسد، وأجد راحة^(١٥) لم أكن أجد في المحيا.

فقلت له: زدني في شرحك إن أطق ذلك.

قال: إنني أرى كأني من حيث ولدت^(١٦) على كتفي شيء^(١٧)

(١) مر ٢، مج ٣: يدل.

(٢) مر ١: - إن.

(٣) مر ٢: أرائيس / مج ٣: أرائيس. در تاريخ حکمای قفطی وصوان الحکمة وکتب متقدم چنین نامی ضبط نشده است، ولی کلمه اراسيس استعمال شده که همان آناکساغورس می باشد.

(٤) مر ١: - التمكن.

(٥) مر ١: يسرى.

(٦) مر ١: فانبئت.

(٧) مر ١: قومه / مج ٤: في قومه.

(٨) مج ٤: كلمته.

(٩) مر ١: - راحة.

(١٠) مر ١: شيئاً.

(١١) مر ١: وسدت.

ثَقِيل^(١)، وكأنَّه يكبر بالزيادة في طول سَنَى حتَّى إذا كان هذا الوقت، أَلْقَيْتَهُ^(٢) ووجدت لإلقائه خَفَّةً شديدة وراحة عظيمة، وصرْتُ^(٣) أَنَا مُلِّ الأَشْيَاءَ بأفضل من عين^(٤) الجسد. وإِنِّي^(٥) أرى عموداً من نورٍ مُتَّصلاً بالأثير، وأرى نفسوا أهل الزَّيْغ لا تستطيعه^(٦) وتنصرف من نوره إلى ما حوله، كما تفعل^(٧) الخفافيش من نور الشمس.

ثُمَّ قال لي^(٨): يا أفلاطون طوبى لذوي الأمانة والصدق والعدل! فإنَّهم في أَمْنٍ وفوز.

ثُمَّ زفر زفرة، فقلت له: مالك؟

فقال: قد أشرفت على الخلاص والراحة والفرج من كرب الجسد، إِلَّا^(٩) أَنَّ حرارة في قلبي تحبسني^(١٠) وتجذبني^(١١) إلى الحياة بالجسم^(١٢)، التي فيها غفلة النفس عن فضيلتها. وأنتم تعينونه^(١٣) بطبيب^(١٤) الأرايح^(١٥) الشائقة في الموضع^(١٦)، وأنا بينكم كرجلٍ مطلق^(١٧) بين قوم مصفدين^(١٨) يريدون مقامه معهم في حبسهم، وقد يرى له الخلاص.

ثُمَّ عاد إلى دعاء الصَّحَف، فما زال يتلوه حتَّى ثقل لسانه وخفي كلامه بالضعف وقضى نَحْبَهُ.

- | | |
|--|-----------------------|
| (١) مر ١: يقتل. | (٢) مر ١: أَلْقَيْتَ. |
| (٣) مر ١: جرت. | (٤) مج ٤: - عين. |
| (٥) مر ١: - وإِنِّي. | (٦) مر ١: يَسْتَطِيع. |
| (٧) مر ١: يفعل. | (٨) مج ٣: - لي. |
| (٩) مر ١: - إِلَّا. | (١٠) مر ١: يحسبي. |
| (١١) مج ٤: يتجلبني. | (١٢) مر ٢: + الَّذِي. |
| (١٣) مج ٤: الغيوبة. | (١٤) مج ٤: بطلب. |
| (١٥) مج ٢: الأرايح/ مج ٣: الأوايح. | (١٦) مر ١: الموضوع. |
| (١٧) مر ١: - وأنا بينكم كرجلٍ مطلق. | |
| (١٨) مج ٢: مضطربن/ مج ٤، مر ١: مصفدين/ مج ٣: مصفرين. | |

والغرض من ذكر هذه الحكاية أن يعلم أن مقدار الرجل عند الله وملكوته الأعلى بمقدار تقدسه عن الأوصاف الذميمة، من الكذب والمكر والخديعة والبخل والسفاهة والحمق والرعون^(١) والظلم والجور والفسوق والعصيان، وغيرها من النقائص التي هي^(٢) نتائج التعلق بالدنيا وقرية الهيولى ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾^(٣)؛ وتخلقه بالأخلاق الكريمة والتعوت^(٤) المرضية، من صدق اللسان، ومطابقة الظاهر للباطن، والإعراض عن استجلاء^(٥) نظر الخلق، والجود والعدالة والتقوى^(٦)، وحسن المعاشرة^(٧) والإنصاف، والمرورة والفتوة، والحياء والسماحة، وكظم الغيظ والإغماض عن عيوب الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والورع عن محارم الله، والاشتغال بطاعة الله وعبادته متضرعاً متخشعاً، إلى غير ذلك من الخيرات والفضائل التي هي نتائج الاعتلاق بالعروة الوثقى، والاتصال بالملكوت الأعلى، والتوجه إلى السماء ومجانبة أغراض النفس والهوى، ورفض مشتبهات البدن^(٨) والقوى، التي ما خلقت إلا لصرفها واستخدامها في سلوك طريق الحق، وكونها مطية للأرواح المسافرة من الخلق إلى الحق.

فإذا دعا مثل هذا الإنسان في أمر من الأمور التي فيه صلاح دينه أو دنياه، أو صلاح دين الخلق أو دنياهم، فلا محالة يستجاب^(٩) دعاؤه^(١٠) ولا يدفع^(١١) حاجته ولا يردّ مطلوبه، لكونه موافقاً لما في القضاء^(١٢) السابق وملئماً للنظام ومصالح الأنام، بل المقتضي والموجب لدعائه وتضرّعه وتخشّعه التي هي بعض أسباب الكون وروابط الفيض إنما ينبعث من هناك.

-
- | | |
|---|--------------------|
| (١) مر ١: والسرقة. | (٢) مر ١: - هي. |
| (٣) سورة نساء، آية: ٧٥. | (٤) مر ١: الثوت. |
| (٥) مج ٤: انجلأ. | (٦) مر ١: القوى. |
| (٧) مر ١، مج ٣: المباشرة. | |
| (٨) مما نسخها جز ١٢: - والاتصال بالملكوت الأعلى... مشتبهات البدن. | |
| (٩) مج ٣: مستجاب. | (١٠) مر ١: دعاء. |
| (١١) مج ٣: ولا يدفع. | (١٢) مر ١: القضاء. |

فإن مبادئ جميع الأمور تنتهي^(١) إلى الأسباب السماوية وتحركات^(٢) الملكة^(٣). فإن كل حادث يتكوّن، إمّا من طبيعة، أو إرادة، أو قسر، أو اتّفاق.

والطبيعة مبدؤها من السماء والقسر ينتهي إلى الطبيعة كما حقّق^(٤) في موضعه. والإرادة إذا حدثت فلها علّة؛ وعلّة كل^(٥) إرادة لو كانت إرادة أخرى، لتسلسلت^(٦) الإرادات^(٧) من غير الانتهاء^(٨) إلى شيء أصلاً. فلا محالة ينتهي إلى أمر عارض من خارج وارد على الإرادة الحادثة، وهو^(٩) إمّا أرضي أو سماوي. والأمور الأرضية منتهية إلى الأسباب السماوية^(١٠) والملائكة العمالة؛ فإنّ الله تعالى جعل بعض مفطورات ومخلوقاته أسباباً لبعض آخر على ما جرت به سُنّه^(١١) في القضاء السابق والقدر اللاحق.

وأما الاتّفاق^(١٢)، فهو حادث عن^(١٣) مصادفات تلك الأسباب وهو في الواقع وعند العالم بسلسلة الموجودات لا يكون إلّا مستنداً بشيء^(١٤) من الأسباب المقتضية البتّة التي تنتهي^(١٥) بالآخرة^(١٦) إلى قضاء الله، الذي هو الوضع الأوّل البسيط، وينزل من عند الله العظيم، تعالى شأنه وتمجّده^(١٧) سلطانه وبهر برهانه.

- | | |
|---------------------|-------------------------------------|
| (١) مر ١: ينتهي. | (١٠) مج ٤: السموية. |
| (٢) مر ١: التحركات. | (١١) مج ٤: سنة. |
| (٣) مر ٢: الملائكة. | (١٢) مر ١: الأوصاف. |
| (٤) مر ١: خلق. | (١٣) مر ١: من. |
| (٥) مر ١: + ولكلّ. | (١٤) مج ٢: شيء. |
| (٦) مج ٤: لفسر. | (١٥) مج ٢، مج ٣، مر ١: ينتهي. |
| (٧) مج ٤: الإرادة. | (١٦) مر ١: بالآخر/ مج ٤: بالآخرة. |
| (٨) مج ٣: انتهاء. | (١٧) همه نسخة ها جز امج ١٢: تمجّدت. |
| (٩) مج ٤: وهي. | |

تبصرة^(١)

إنَّ للمُصالحين والخواصَّ من أهل العزيمة مطالبات ذوقية من بواطنهم ومحركات شوقية من مكانهم، تحكم^(٢) عليهم بالتضرع والدعاء، وتلجئهم إلى سلوك طريق المبدأ الأعلى.

فينبغي لمن أراد الدعاء أن يتطهر^(٣) وأن يخلص الدعاء لله تعالى، وأن^(٤) يُصدره^(٥) عن صدر نقي وخاطر^(٦) صفي وقلب فارغ عن الهموم^(٧) والأمور الدنيوية، ونفس زكية طاهرة من الأخلاق الرديئة، وصدر سليم من الاعتقادات الفاسدة، وفطرة صافية، ولهجة^(٨) صادقة، وقريحة عن نقوش أقاويل المبتدعين خالية، ليستقبله من كل صوب^(٩) أشخاص الرحمة والإجابة في أجمل لباس يتلقونه بالترحيب والإيناس، ويكون ذلك^(١٠) قرّة أعين أخفيت^(١١) عن الناس.

وينبغي أن لا يترك الدعاء في وقت من الأوقات، سواء كان قبل الحاجة أو عندها، كيف؟ والإنسان لا ينفك في شيء من أوقات عمره عن الحاجة، ولا يخلو عن خوف^(١٢) نزول البلاء أو زوال النعمة التي فيها. فينبغي أن يكون دائم القلب من معبوده متواتر الاستغاثة به.

روي عن^(١٣) الإمام التاطق بالحق جعفر الصادق عليه وعلى آبائه الكرام أشرف الصلاة والسلام: «من تقدّم في الدعاء استجيب^(١٤) له^(١٥)»، ومن لم

-
- | | |
|---|------------------------|
| (١) مر ١، مج ٢: - تبصرة. | (٢) مج ٢: يحكم. |
| (٣) مج ٢: تطهروا. | (٤) مر ١: - وأن. |
| (٥) مج ٣: تصدره. | (٦) مر ١: خواطر. |
| (٧) مر ١: الهموم. | (٨) مر ١: بهجة. |
| (٩) مر ١: صواب. | (١٠) مر ٢، مج ٤: + له. |
| (١١) مر ١: أخفته. | |
| (١٢) مج ٤: - من الحاجة ولا يخلو من خوف. | (١٣) مر ١: من. |
| (١٤) مر ١: استجب. | |

(١٥) مر ١، مج ٢، مج ٣، مر ٢: + إذا نزل به البلاء وقيل لاح هذا صوت معروف ولم يحجب من السماء.

يَتَقَدَّمُ فِي الدَّعَاءِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ^(١) إِذَا^(٢) نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ ذَا الصَّوْتِ^(٣) لَا نَعْرِفُهُ^(٤).

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ تَخَوَّفَ^(٥) بَلَاءَ يَصِيبُهُ^(٦)، فَقَدَّمَ مِنْهُ بِالْدَّعَاءِ فَلَمْ يُرِهِ اللهُ^(٧) عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْبَلَاءَ أَبَدًا^(٨)».

وَقَالَ إِمَامُ السَّاجِدِينَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ﷺ: «الدَّعَاءُ بَعْدَ مَا نَزَلَ الْبَلَاءُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ».

وَيَنْبَغِي لِمَنْ تَأَخَّرَتْ^(٩) الْإِجَابَةُ لَهُ أَنْ لَا يَقْنَطَ^(١٠). فَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ ﷺ^(١١): «كَانَ بَيْنَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾^(١٢) وَبَيْنَ أَخْذِ فِرْعَوْنَ أَرْبَعُونَ عَامًا».

وَيَنْبَغِي أَيْضًا الْإِلْحَاحُ فِي الدَّعَاءِ، اسْتَجِيبَ لَهُ^(١٣) أَوْ لَا^(١٤). قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا طَلَبَ مِنْ اللهِ حَاجَتَهُ فَالْتَحَى فِي الدَّعَاءِ، اسْتَجِيبَ لَهُ أَوْ لَمْ يَسْتَجِبْ».

وَيَنْبَغِي الْإِسْرَارُ فِي الدَّعَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(١٥) وَ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْقُدُّوْرِ وَالْأَصْلَالِ﴾^(١٦).

(١) مع ٤: - له. (٢) مع ٤: أو.

(٣) مر ١: لصوت.

(٤) مر ١: لا يعرفه/ مع ٣: لا معرفة/ مع ٤: لا تعرفه. ر. ك: «بحار الأنوار»، ج ٩٣ ص ٢٩٦، س ١٣ وج ٩٣، ص ٣٤٠، س ٤.

(٥) مع ٤: من يخوف. (٦) مر ١: أصيبه.

(٧) مع ٤: فلم ينزل.

(٨) ر. ك: «بحار الأنوار»، ج ٩٣، ص ٢٩٧، س ٢ وج ٩٣، ص ٣٨١، س ٢١.

(٩) مع ٤: تأخره.

(١٠) مع ٤: لا يقنط/ مر ١: لا يخيظ/ مع ٢: لا يقنطه.

(١٢) سورة يونس، آية: ٨٩.

(١١) مع ٢: ﷺ.

(١٣) مر ١: + قال.

(١٤) ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الكتب الأربعة»، ج ١٢، ص ٤٧٥.

(١٦) سورة اعراف، آية: ٢٠٥.

(١٥) سورة اعراف، آية: ٥٥.

وقال الشيخ الجليل ابن فهد^(١) في كتاب عدّة الدّاعي :

اعلم أنّ الإسرار كما ندب^(٢) إليه في الابتداء، كذا ندب^(٣) إليه في آخر الدّعاء. فعليك ببقائه على إخفائه^(٤)، ولا تمحقه بإعلانه، وتوخّ الخلوة عن الناس، فإنّها عون عظيم على ذلك. وإن كنت مع الناس ترى نفسك أيضاً مخلصاً لا يشوبك شائبة فقط، فذلك أعلى درجات المخلصين^(٥) أن يستوي غيبة الخلق وحضورهم عنده ووجودهم وعدمهم. ولعلّ إلى هذا^(٦) أشار عليه السلام بقوله: «يا أبا ذر لا يفقه الرّجل كلّ الفقه»^(٧) حتّى يرى الناس أمثال الأباعر^(٨)، ولا يحفل^(٩) بوجودهم^(١٠) ولا يغيّره^(١١) ذلك، كما لا يغيّره وجود بعير عنده^(١٢).

قال وتتمام الخبر يدلّ على معنى آخر، وهو أنّ المراد وضع النفس، لأنّ تمام الخبر: «ثمّ»^(١٣) هو يرجع^(١٤) إلى نفسه فيكون أعظم حاقر لها^(١٥).

وذكر صاحب أطواق الذهب^(١٦) في الحثّ على الإسرار في الدّعاء وترك الإعلان في الأوراد والأذكار^(١٧) كلاماً بهذه العبارة:

أشرف الأنفاس أحرّها، وأفضل الأذكار أسرّها، ترك الذكر يشبه

-
- | | |
|--|---|
| (١) مج ٤: أحمد بن محمّد. | (٢) مج ٤: يدبّ. |
| (٣) مج ٤: يدبّ. | (٤) مج ٤: في خفائه. |
| (٥) مر ١: المحضلين. | (٦) مر ١: - إلى هذا. |
| (٧) مج ١: كلّ الرّجل الفقه / مج ٤: كلّ الفقيه. | (٨) مج ٣: الأباعر. |
| (٩) مج ٣: فلا يجعل. | (١٠) مر ١: لوجودهم. |
| (١١) مر ١: ولا لغيره. | (١٢) مج ٢: لا يغيّره بعيره عبده / مر ٢: لا يغيّر / مج ٤: لا يغيّر وجود بعيره. |
| (١٣) مج ٤: - ثمّ. | (١٤) مج ٣: يرجع هو. |
| (١٥) مر ٢: - حافر لها / مج ٤: حاجة بها / مج ٣: حافر لها / مر ١، مج ٢: حافريها. | (١٦) مر ١: النهب. |
| (١٧) نسخة (مج ٢٢): ثاء، والأذكار، بايان مى يابّد. | |

الكبرياء^(١)، وإعلانه يوجب الرّثاء، وإخفاؤه سُنة^(٢) زكريّا^(٣). فإذا
عدوت فصم^(٤) ولا تجهر، فإنّك لا تنادي الصّم، إنّهُ لا يسمع
بالغضروف^(٥)، ولا يحتاج منك بالأصوات والحروف. يا رافع اليد
بالدّعاء، ويا داعي الحقّ بالنّداء! إنّهُ لا يسمع بالصّماخ، فاقصر من
الصّراخ^(٦). أتنادي باعداً أو توقظ^(٧) راقداً، تعالى الله، لا تأخذه
سِنَةٌ^(٨)، ولا تغلّطه الألسنة. فما هذه الشّهقة والنّداء؟ وما هذه
الصّيحة الشنعاء^(٩)؟ أمن الضّرب تتألّم؟ أو من الرّب تتظلم^(١٠)؟ أو
مع أكفائك^(١١) تتكلّم^(١٢)؟ أنحسبه قسّاماً نسي قسمك؟ أم رازقاً
جهل اسمك؟ أنام من خلق الأنام؟ معاشر الضّعفة^(١٣)، تظنون أن
لا تاكلوا^(١٤) أقواتكم دون أن ترفعوا^(١٥) أصواتكم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ
ثُبُورًا﴾^(١٦) ﴿وَلَمَّا نَسَبْنَا لَكَ النَّسَبَ وَكُنْتَ قَوْمًا يَبُورًا﴾^(١٧). إنّ لسان
الحال أفصح، ورواق^(١٨) الرّحمة أبسط^(١٩) وأفسح، فسبح تسبيح
الحيتان في النّهر ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ
الْجَهْرِ﴾^(٢٠). (انتهت عبارته).

وبالجملة لا شبهة في^(٢١) أنّ الأدعية والأذكار من جملة العبادات التي يحتاج
صحتها إلى إخلاص القلب والاحتراز عن مقاصد النّفس وأغراضها^(٢٢)؛ وكلّما

- | | |
|--|----------------------------|
| (١) مر ١: الكبير. | (١٢) مر ١: يتكلّم. |
| (٢) مر ١: شبه. | (١٣) مج ٣: صنعة. |
| (٣) مر ١: ذكرّيّا. | (١٤) مج ٣: لا تكلّوا. |
| (٤) مج ١، مج ٣، مر ١، مر ٢: فعّم. | (١٥) مر ١: يرفعوا. |
| (٥) مر ١: بالغضروف. | (١٦) سورة فرقان، آية: ١٤. |
| (٦) مر ١: - فاقصر من الصّراخ. | (١٧) سورة فتح، آية: ١٢. |
| (٧) مر ١: توقظه. | (١٨) مر ١: زداق. |
| (٨) الماره است به سورة بقره، آية: ٢٥٥. | (١٩) مر ١: ابط. |
| (٩) مر ١: اصغاء. | (٢٠) سورة اعراف، آية: ٢٠٥. |
| (١٠) مر ١: يتظلم. | (٢١) مر ١: - في. |
| (١١) مج ٣: اكفائك. | (٢٢) مر ١: أغراضها. |

كانت العبادة أسرّ وأخفى، فهي أبعد عن شائبة الرّعونة والرّثاء^(١)، اللّهمّ إلّا أن يكون في الجهر والإعلان مصلحة دينية وحكمة شرعية ترجع إلى ذات الإنسان أو^(٢) إلى مدينة^(٣) فاضلة كالجمعة والجماعات؛ ولهذا ورد تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد^(٤) في طريق الخاصّة والعامة، بروايات صحيحة وأحاديث متظافرة شائعة، واردة عن أنمتنا^(٥) الهاشميين أصحاب العصمة والحكمة والهداية والذّراية صلوات الله عليهم أجمعين.

وعليه يحمل^(٦) قول بعض الحكماء: إنّ ارتفاع الأصوات^(٧) في بيوت العبادات بحسن النّيّات^(٨) وصفاء الطّويّات محلّ ما عقدته الأفلاك الدّائرات^(٩) والكواكب السّائرات^(١٠)؛ فإنّ في ارتفاع الصوت الحسن تهيجاً^(١١) بليغاً^(١٢) للنّفس، وتقوية شديدة لعزمها^(١٣) على مجاهدة قواها التي هي جنود الشّيطان، وتسخيرها^(١٤) أعداء الله تعالى من أولياء الطّاغوت المردة عن طاعتها بحسب أصل طينتها، لكون النّفس من سنخ الملكوت، وهذه من^(١٥) عالم السّفلى والبعد عن رحمة الله^(١٦).

فصدر من الشريعة الإلهيّة الأمر بتطويع النّفس الأمانة وقواها للنّفس^(١٧) المطمئنة، تستسلم^(١٨) معها ولا تنازعها في سيرها^(١٩) إلى بارئها ومبدعها كما قال عليه وآله أفضل التّحيّات والتّسليمات: «أسلم الشّيطان على يدي»

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) مر ١: والزايّا. | (٢) مر ١: - أو. |
| (٣) مر ١: مرتبة. | (٤) مج ٤: الفروض/ مج ٣: القد. |
| (٥) ر. ك: «بحار الأنوار»، ج ٨٨، ص ٤، س ١٤ وج ٨٨، ص ١٧، س ١. | (٦) مر ١: - يحمل. |
| (٧) مر ١: أصوات. | (٨) مر ١: إلينا. |
| (٩) مر ١: الدّاريات. | (١٠) مج ٣: السّيارات. |
| (١١) مج ٣، مج ٤: تهيجاً. | (١٢) مر ١: - تهيجاً بليغاً. |
| (١٣) مر ١: يعرفها. | (١٤) مر ١: يسخر. |
| (١٥) مر ١: + سنخ. | (١٦) مج ٤: + تعالى. |
| (١٧) مج ٣: بالنّفس. | (١٨) مج ٤: لنسلم. |
| (١٩) مج ٣: سير. | |

فتنخرط^(١) معها^(٢) في سلك التَّوجَّه إلى جناب الحق ومنبع السرور من عالم الزُّور ومعدن الغرور، ولا تعاوقها^(٣)، بل تشايعها^(٤) في مطالبتها وترافقها^(٥) في مآربها.

ومما يؤيد ما ذكرناه قول الشيخ الإلهي^(٦) صاحب الدَّعوات القدسيَّة والنَّسيحات والأوراد الملكوتيَّة في بعض رسائله مخاطباً للنفس: «اذكري أيتها المدينة الفاضلة^(٧) ربك بأصواتك المتجامعة، والصياح والتفخيم والتعظيم! ما أبهاك^(٨) يا مدينة! لَحْنِي^(٩) بذكر الله أسواقها ومشارعها وسككها وبيوتها وسطوحها^(١٠) عند بلوغ رأس النِّيرات^(١١) إلى مراسم التَّسبيح، وكبري تكبيراً جهرباً يهزم جنود الشَّيطان، ويقهر عبدة الطَّاغوت، ويرعد خبيثات النفوس، ويهزُّ النفوس، ويحرك^(١٢) الأشباح. الصَّبيحة الجمهوريَّة^(١٣) فريضة في كتاب الله المسطور بالبيان.

وبما ذكرناه يندفع التدافع الذي يتصوَّره الإنسان من جهة الحكمة الشرعيَّة والمصلحة الدِّينيَّة فيماب ين الأمر بالسَّر والإخفات وجوباً أو^(١٤) استحباباً في بعض المواضع من الأدعية والصلوات^(١٥) والأثنية والطَّاعات، وبين الأمر بالجهر والإعلان كذلك في بعض آخر^(١٦) منها. وبالجمله ملاك الأمر^(١٧) النِّيَّة الخالصة والتَّوجَّه التَّام إلى مسبِّب الأسباب، والإقبال بالكلِّيَّة إلى مسهِّل الأمور الصُّعاب؛ ومن لم يخلُص^(١٨) لله^(١٩) في أعماله وعباداته، فليس من العمل

- | | |
|------------------------------------|--|
| (١) مج ٣: فينخرط/ مر ١: فينحرت. | (١١) مج ٣، مج ٤: النيران. |
| (٢) مج ٤، مر ١: - معها. | (١٢) مج ٤: يحرك. |
| (٣) مر ١، مج ٣: يعاوقها. | (١٣) مج ٤: الجمهوريَّة/ مر ١: الجمهوريَّة. |
| (٤) مر ١: يشايعها. | (١٤) مر ١: و. |
| (٥) مج ٣: يرافقها. | (١٥) مر ١، مج ٣: الصَّلوة. |
| (٦) مراد ابن عربي است. | (١٦) مج ٤: - بعض آخر. |
| (٧) مر ١، مج ٣: الجامعة. | (١٧) مج ٤: - الأمر. |
| (٨) مر ١: ما أبهاك. | (١٨) مج ٤: يخلُص. |
| (٩) مر ١: لحني. | (١٩) مر ١: الله. |
| (١٠) مر ١: ومنطوقها/ مج ٤: سطوحها. | |

والعبادة في شيء، لأن الله تعالى كما أمرنا بالعمل أمرنا بالإخلاص، فقال عز من قائل^(١): ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢).

وروي عن النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يجيء^(٣) الإخلاص والشرك يختران^(٤) بين يدي الرب تعالى، فيقول الرب للإخلاص: انطلق أنت وأهلك^(٥) إلى الجنة، ويقول^(٦) للشرك: انطلق^(٧) أنت وأهلك إلى النار^(٨)، فإذا كان تمام العمل وملاك العبودية بالإخلاص، فالإسرار في الدعاء أحوط، وعن^(٩) آفات أغراض النفس وشهواتها أحفظ، وإن كان الداعي متصفاً بالورع والتقوى. لأن النفس^(١٠) ما دامت في هذه النشأة الناقصة لا تأمن عما يشوشها وبعدها^(١١) عن حاق النسبة^(١٢) الإلهية، كما وقع لكثير من الموصوفين بالزهد، حيث غلبهم الشيطان لما رأوا^(١٣) من محبة الخلق إياهم^(١٤) وانقيادها لهم، حتى صار ذلك سبباً لمزيد^(١٥) بعدهم عن رحمة الله تعالى والاستطالة على الناس، والازدراء^(١٦) بالخلق، ولا يزال بهم حتى يخلع ربة الإسلام عن عنقهم. نعوذ بالله من الغباوة^(١٧) والغواية في البدء والتهاية.

وينبغي أيضاً للداعي أن يجلس في موضع خالٍ لا يصل إليه أصوات الخلق بعد تنظيف البدن والثوب وتطهيرهما وتخلية المعدة من الطعام.

قال سهل بن عبد الله التستري^(١٨): «من علامات الأنس بالله

(١) مج ٤: وجل.

(٢) سورة بيّنة، آية: ٥.

(٣) مر ١: يحيى/ مج ٤: محى.

(٤) مر ١: يمر/ مج ٣: يجزيان/ مج ٤: - يختران.

(٥) مج ٤: + في.

(٦) مج ٤: ويقو.

(٧) مر ١: + و.

(٨) ر. ك: «بحار الأنوار»، ج ٨، ص ٥٦، س ٢.

(٩) مر ١: - عن.

(١٠) مر ١: - النفس.

(١١) مر ١: يعيدها.

(١٢) مر ١: الشبة/ مج ٣: النية.

(١٣) مج ٤: زاد.

(١٤) مر ١: أياهم.

(١٥) مج ٤: لمرتد.

(١٦) مج ٤: الإردواء.

(١٧) مر ١: العبادة.

(١٨) مج ٣: + ٤.

الاستيحاش^(١) من صحبة العامة، والسرور بكثرة ذكر الله، والتلذذ بالخلوة في طاعة الله^(٢).

وقال وهب: أوحى الله^(٣) إلى بعض أنبياء بني إسرائيل إن أحببت أن تلقاني في حظيرة القدس، فكن في الدنيا مهموماً^(٤) محزوناً فرداً وحيداً مستوحشاً بمنزلة الطير الوجداني الذي يطير في أرض^(٥) قفر^(٦).

أقول: والحكمة في ذلك أن الخلوة^(٧) من الناس والبعد عن مخالطتهم وموانستهم يوجب المناسبة التامة إلى المبدأ الأعلى، لتفرد ذاته، وتوحد وجوده. والمناسبة بين المفيض^(٨) والمفاض عليه شرط في قابليته للإفاضة واستعداده بقبول^(٩) الرحمة، فإن ذات المبدأ الأعلى ذات فياضة على^(١٠) الأشياء بلا منع وتقتير وبخل وتقصير؛ وإنما المانع للإفاضة والرحمة^(١١) من جانب الخلق، لقصور القابلية في بعض الأفراد عن^(١٢) قبولها. وكلما كانت المناسبة في المستفيض أشد، كان نصيبه من فيض الوجود^(١٣) أكثر، وحظه من الرحمة أوفر.

وقد تحقق أن الإنسان^(١٤) بحسب سنخه وجوهره من عالم الملكوت، وإقليم الوحدة والتجرد والصفاء والنقاء. وإنما صارت نفسه ملطخة^(١٥) بالكدورات النياوية لأجل التعلقات البدنية والاشتغال بالكثائف^(١٦) الجسمانية والخبائث^(١٧)

-
- (١) مر ١: الاستيحاش.
(٢) مج ٤: + تعالى. ربحانة الأدب (كنى والقاب)، ج ٣؛ كتابفروشي خيام، ص ٢٦١. عبد الله تشرى از اكابر عرفاي قرن سوم، ومتوفى در سالهای (٢٨٣ یا ٢٨٢) می باشد.
(٣) مج ٣: + تعالى.
(٤) مر ١: محموماً.
(٥) مر ١: الأرض.
(٦) مر ١: فقراً / مر ٢: قفر.
(٧) مر ١: الحياة.
(٨) مج ٣: الفيض.
(٩) مج ٤: لقبول.
(١٠) مر ١: لا.
(١١) مج ١: - فإن ذات المبدأ... والرحمة.
(١٢) مج ٤: من.
(١٣) مر ١: الجود.
(١٤) مج ٣: - الإنسان.
(١٥) مر ١: ملحظة.
(١٦) مر ١: بالتكاليف.
(١٧) مر ١: + و.

الهيولانية؛ وذلك مما لم يكن بد^(١) منه له في أول تكوّنه ومبدأ خلقته بحسب ضعف وجوده وفلة قومه ونقص جوهره واحتياجه إلى القوى والآلات والحواس والأدوات، لأن يستبصر بالمعارف الإلهية، ويستكمل بالحقائق الربانية بانتراعه الكلّيات المعقولات^(٢) من الجزئيات المحسوسة، وتفقّنه للحقائق الربوبية من المواد الكونية.

فوجود هذه الأشياء له^(٣) ليس لأجل أن يركن إليها ويطمئن^(٤) بها، بل لأن يستعملها في سبيل التقرب^(٥) إلى الحق^(٦) ويصرفها عن تحصيل أغراضها ودواعيها من الأمور الشهوية والغضبية، بل يجاهد معها ويروضها بفنون^(٧) الرياضات الدينية^(٨) والسياسات الحكيمية حتى يستعملها^(٩) فيما خلقت لأجله، ثم ينزّه^(١٠) ذاته عما يشغل سرّه عن الحق. فيجب عليه ترك الالتفات إلى ما سوى الله^(١١)، حتى يحصل له التوجّه التام والمناسبة التامة والاستعداد الكامل، فلا يمنع^(١٢) دعاؤه في الملكوت، وينجح مقاصده في المعاش والمعاد من عالم الرحمت^(١٣). وذلك مما يعين عليه الخلوة عن الخلق.

وقد ورد أنّ الاستثناس بالناس علامة الإفلاس^(١٤)؛ ولهذا استأثر أكابر العرفاء وأولياء التقوى والزهد^(١٥) الحقيقي الخلوة والبعد عن الناس والمداومة على التوحّش عنهم^(١٦)، وملازمة^(١٧) الأربعينيات والانقطاع بالكلية عن الخلق^(١٨) إلى الحق، حتى وصلوا إلى ما وصلوا، واتصلوا لما انفصلوا.

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) مر ١ : لا بدّ. | (١٠) مر ١ : ينزّه. |
| (٢) مر ١ : - المعقولات. | (١١) مج ٤ : + تعالى. |
| (٣) مج ٤ : - له. | (١٢) مج ٣، مر ٢ : فيسمع. |
| (٤) مج ٣ : تطمئن. | (١٣) مر ١ : السرحموت. |
| (٥) مر ١ : القرب. | (١٤) مر ١ : الاخلا. |
| (٦) مر ١ : الحقائق. | (١٥) مر ١ : الزهاد. |
| (٧) مج ٤ : بعنوان. | (١٦) مر ١ : منهم / مج ٣ : عندهم. |
| (٨) مر ١ : البدنية. | (١٧) مج ٤ : + وملاحظة. |
| (٩) مر ١، مر ٢ : - حتى يستعملها. | (١٨) مج ٤ : - عن الخلق. |

ونقل صاحب الإحياء عن بعض الحكماء^(١):

إنه إنما يستوحش الإنسان عن نفسه^(٢) بخلو^(٣) ذاته عن الفضيلة^(٤)،
فيأنس^(٥) حينئذ بملاقة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه؛ فإذا كانت
ذاته فاضلة^(٦)، طلب الوحدة يستعين^(٧) بها على الفكرة ويستخرج
العلم والحكمة. (انتهى).

وأما تعيين^(٨) عدد معين من الأيام والليالي للخلوة^(٩)، فلعل ذلك للحديث
المشهور المنقول عن رسول الله ﷺ: «من أخلص الله أربعين صباحاً، ظهرت
بنايع الحكمة من قلبه على لسانه»^(١٠). وقد خصّ الله تعالى الأربعين بالذكر في
قصة^(١١) موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام^(١٢)، وأمره بتخصيص الأربعين
بمزيد تبجيل. قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ
يَقْتُ رَبُّهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١٣).

وذكر القاضي البيضاوي^(١٤) أن التعبير بالليلة^(١٥) لأنها غرة الشهور. قال
المفسرون: إن موسى ﷺ وعد بني إسرائيل - وهم بمصر - أن الله تعالى إذا
أهلك عدوهم فرعون وقومه واستنقذهم من أيديهم، يأتيهم بكتاب من عند الله
فيه بيان الحلال والحرام والحدود والأحكام. فلما فعل ذاك^(١٦) وأهلك^(١٧)

-
- (١) مج ٤: - الحكماء.
(٢) مج ٣: لخلو.
(٣) مج ٤: - الفضيلة.
(٤) مج ٤: فتأنس.
(٥) مج ١: تسعين / مج ٣: ليستعين.
(٦) مج ٣: للخلوات.
(٧) ر. ك: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين سيوطي، چاپ چهارم،
مصر، ١٩٥٤، ج ٢٠، ص ٢٧٥؛ «بحار الأنوار»، ج ٦٧، ص ٢٤٢.
(٨) مج ٤: ع / مج ٣: - الضلوة و.
(٩) مج ١: قصي.
(١٠) سورة اعراف، آية: ١٤٢.
(١١) ر. ك: «تفسير البيضاوي» ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،
التهامي، بيروت، ج ٢، ص ١١٠.
(١٢) مج ٤: بالليل.
(١٣) مج ٤: + ٤.
(١٤) مج ٣، مر ١: ذلك.
(١٥) مج ٤: بالليل.
(١٦) مج ٤: + ٤.
(١٧) مج ٤: ذلك.

فرعون، سأل موسى ربه الكتاب، فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً وهو^(١) ذو القعدة؛ فلما تمت ثلاثون ليلة أنكر خلوف^(٢) فمه فتسوّك بعود^(٣) خرنوب، فقالت الملائكة نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك. فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذوي الحجة^(٤)، وقال له: أما علمت أن خلوف^(٥) فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؛ ولم يكن صوم موسى ﷺ ترك الطعام في النهار وأكله بالليل^(٦)، بل طوي الأربعين من غير أكل؛ فدلّ على أن خلوف المعدة من الطعام أصل كبير في هذا الباب، حتى احتاج موسى ﷺ إلى ذلك استعداداً لمكالمة الله تعالى.

واعلم أن العلوم الدنيّة^(٧) والمعارف الكشفية الربانية ضرب من المكالمة^(٨)؛ لأن حقيقة التكلم إظهار ما يدلّ على المعاني، سواء كان بخلق الألفاظ في الخارج أو بإفاضة في صور الحقائق على النفس. فتنحية^(٩) المدارك والحواس عن مشاهدة أوضاع الخلق وتخلية الجوف عن الطعام ومنع اللسان عن الكلام بغير الحق وعدم اشتغال القلب بما لا يعني، لها مدخل عظيم في المكالمة الحقيقية^(١٠) مع الرب.

وإفاضة الحقائق وانكشاف الأسرار واستجابة الدّعوات وإنجاح المهمات^(١١) لا يخص^(١٢) بوقت دون آخر^(١٣)، وبمدة^(١٤) دون أخرى، غير^(١٥) أن

-
- (١) مج ٤: وهي. (٢) مر ١: خلق/ مج ١، مج ٤: خلق.
- (٣) مج ٤: + من. (٤) مج ٤: ذي حجة.
- (٥) مج ١، مج ٢، مر ١: خلق. ر. ك: «المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الكتب الأربعة»، ج ٩، ص ٦٥٧٢؛ «بحار الأنوار»، ج ١٤، ص ٦٥، ص ٢ وج ٢٢، ص ٧٦، ص ١٠.
- (٦) مج ٤: في الليل. (٧) مج ٤: الدبّة.
- (٨) مر ١: المكالمات. (٩) مر ١: تنحية/ مج ٢: فتخلية/ مر ٢: فتجلية.
- (١٠) مر ١: الحقيقة. (١١) مر ١: + و.
- (١٢) مج ٣: لا يختص. (١٣) مج ٤: وقت.
- (١٤) مج ٤: ولا بمدة. (١٥) مر ١: - وبمدة دون أخرى غير.

نمين^(١) الأربعين والحكمة فيه لا يطلع على حقيقة ذلك إلا^(٢) الأنبياء، أو^(٣) من خصه الله تعالى له بتعريف ذلك من غير الأنبياء^(٤).

وذكر بعض العرفاء نكتة شريفة في بيان ذلك، فقال:

إن الله تعالى لما أراد تكوين آدم ﷺ من تراب^(٥)، قدر التخمير بهذا القدر من العدد - كما مر^(٦) - خمر^(٧) طينة^(٨) آدم^(٩) بيده^(١٠) أربعين صباحاً^(١١)، فكان^(١٢) آدم ﷺ لما كان مستصلاً بعمارة^(١٣) لدارين - لكونه مرتكباً من الجوهرين أحدهما ملكوتي أخروي وهو نفسه، والآخر^(١٤) ملكي دنيوي وهو قلبه - فأراد منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة. فكونه من التراب^(١٥) تركيباً يناسب عالم^(١٦) الحكمة والشهادة^(١٧). وما كانت عمارة الدنيا تتأني^(١٨) منه، إلا ويكون خلقته^(١٩) من أجزاء أرضية وقوى سفلية بحسب قانون الحكمة.

فمن التراب كونه، وأربعين صباحاً خمر طينته، وأودع فيه بحسب كل تخمير مرتبة من القوى والآلات، وطبقة من التجسم والأعضاء^(٢٠)، التي هي توجب نوعاً من البعد والتحجب

-
- | | |
|---|--|
| (١) مع ٣: تعين. | (٢) مر ١: - إلا. |
| (٣) مر ١: و. | (٤) مر ١: الإتيان. |
| (٥) مر ١: - تراب. | (٦) مر ١، مع ٣، مع ٤: كما ورد. |
| (٧) مع ٣: خمرت. | (٨) مع ٤: طين. |
| (٩) مع ٤: - آدم. | (١٠) مع ٣: يدي. |
| (١١) ر. ك: بهار الأنوار ج ٦٧، ص ١١٢، س ١ و ٢. | (١٣) مع ٣: لعمارة. |
| (١٢) مع ٢: وكان. | (١٥) مر ١: تراب. |
| (١٤) مر ١: وإلا (بجاء والآخر). | (١٧) مر ١: - والشهادة. |
| (١٦) مر ١: لعالم. | (١٩) مع ٤: خلقه. |
| (١٨) مع ٣: وتأني. | (٢٠) مع ٤: - والآلات وطبقة من التجسم والأعضاء. |

عن عالم القدس والوحدة. والتوجه إلى عمارة الدنيا وزينة التريب لتبعده بالتخمير أربعين صباحاً بأربعين حجاباً من الحضرة الإلهية، كلّ حجاب - وهو معنى مودّع فيه - يصلح به لعمارة الدنيا وزينتها، ويتعوق به عن الحضرة الإلهية^(١) ومواطن القرب. ولو لم يتعوق الإنسان بهذه الحجب عن عالم القدس والوحدة، ما انعمرت^(٢) الدنيا^(٣). فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة^(٤) الدنيا وخلافة الله في الأرض.

فبالتبتل إلى طاعة الله والإقبال إليه، والانتزاع عن التوجه إلى أمر المعاش وما يتعلق بالدنيا^(٥) كلّ يوم يخرج عن حجاب معنى مودّع فيه؛ وعلى قدر زوال كلّ حجاب ينجذب^(٦) منزلاً في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدر المعارف.

فإذا تمت الأربعون^(٧)، زالت الحجب وانصبت^(٨) إلى قلبه العلوم والمعارف انصباباً. ففي كلّ يوم بإخلاصه في العمل لله تعالى يكشف له^(٩) طبقة من الأطباق الترابية^(١٠) الجبلية، ويزول عنه طور من الأطوار الكونية الخلقية، المبعدة^(١١) له عن الله^(١٢) وظهور سلطان النشأة الأخروية عليه، إلى أن يكشف باستعمال الأربعين أربعين طبقة من أطباق حجه وأطوار بعده عن الله واشتغاله بغيره. فأية صحة هذا^(١٣) العبد وعلامة تأثره^(١٤) بالأربعين ووفائه^(١٥)

(١) مر ١ : - والتوجه... الحضرة الإلهية/ مج ٤ : - كل حجاب... الحضرة الإلهية.

(٢) مج ٤ : انعمرة. (٣) مر ١ : - الدنيا.

(٤) مر ١ : بعمارت.

(٥) مر ١ : وبما لدينا (بجاء) وما يتعلق بالدنيا.

(٦) مر ١ : يتحذب. (٧) مر ١، مج ٤ : الأربعين.

(٨) مر ١ : انصبت. (٩) مج ٤ : - له.

(١٠) مج ٣ : + الترابية. (١١) مر ٢ : المقعدة.

(١٢) مج ٤ : + تعالى. (١٣) مر ١ : - هذا.

(١٤) همه نسخه ها جز مر ١١ : تأثيره. (١٥) مر ١ : وفاته.

بشروط^(١) الإخلاص، أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا، ويستأنس بالله^(٢)، ويتجافى عن دار الغرور وينسب إلى دار الخلود؛ لأنّ الزهد من الدنيا من ضرورة الحكمة؛ ومن لم يزهد في الدنيا، ما ظفر بالحكمة. (انتهى كلامه بمزيد تميم وتوضيح).

أقول: وربما يختلج بالبال أن^(٣) الحكمة في إيجاد الإنسان وتعلق [نفسه]^(٤) الشريفة التورانية بهذا^(٥) القلب^(٦) الكثيف الظلماني^(٧) لو كانت لمصلحة تعود إلى الكائنات الأرضية من النبات والحيوان، يلزم استخدام الشريف للخسيس وإيجاد^(٨) العالى لأجل السافل، وهذا لا يليق بالحكيم. و^(٩) أيضاً إذا كان تخمير الإنسان بحسب أطوار خلقة وتقلبات نشأته^(١٠) على هذا الوجه موجباً لبعده عن رحمة ربه^(١١) ومقتضياً لعدم مناسبه لعالم^(١٢) القدس والظاهرة - الذي هو موطن الملائكة المقربين - واتصاله بعالم الأجسام والظلمات ومعدن الشرور والآفات^(١٣)، فيكون ذلك تعذيباً لهذا النوع الشريف من الحيوان مدة متعادية، وتبعيداً^(١٤) عما يقتضيه بحسب فطرته ويستدعيه بموجب نشأته من اتصاله بعالم الرحمة والبركة والتور والسرور والتنزه عن المعاصي والقبائح والآثام الصادرة عنه، لأجل التعلق بالبدن وقواه الشهوية والغضبية التي هي بالحقيقة أسباب^(١٥) شقاوته وبعده عن الله تعالى وملوكته الأعلى. فأى فائدة في تعذيب أشرف الموجودات الكونية لأجل صلاح بواقي المركبات الحيوانية أو^(١٦) النباتية^(١٧) أو^(١٨) غيرهما؟

(١٠) مج ٤ : نشأة.

(١١) مر ١، مج ٤ : الله.

(١٢) مج ٤ : بعالم / مر ١ : لعدم.

(١٣) مج ٤ : الآفة.

(١٤) مر ١ : تبعيد.

(١٥) مر ١ : انتساب.

(١٦) مر ١ : و.

(١٧) مج ٣ : الإنسانية.

(١٨) مر ١ : و.

(١) مج ٤ : بشرط.

(٢) مج ٣ : + تعالى.

(٣) مر ١ - أن.

(٤) مر ١ : تعلقه نفسه / سائر نسخه ها : نفسها.

(٥) مر ١ : هذا.

(٦) مر ١، مج ٤ : الغالب.

(٧) مر ١ : الظلمانية.

(٨) مر ١ : والمعاد.

(٩) مر ١ - و.

والجواب: أما عن الأول، فلأن المراد بكون الإنسان عامراً^(١) لهذه^(٢) النشأة الدنيوية له^(٣) ولغيره من الكائنات المربوبات، هو تعميره^(٤) لها^(٥) على وجه تعود فائدته إليه، بأن يدوم وجوده ويبقى نوعه^(٦). وليس الغرض من خلافته في الأرض وتعميره للدنيا إلا نبقية شخص الإنسان ونوعه لا غيره من الكائنات. اللهم إلا^(٧) على سبيل التبعية والعرض.

فإن الغرض من خلقه^(٨) غير الإنسان انتفاعه بها^(٩) واستخدامه لها. كما في قوله تعالى في انتفاع الإنسان من الحيوان: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٦) ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧)، وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦) ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧). وقال تعالى في كون وجود النبات لأجل الإنسان وانتفاعه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠) ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَأَنزَلَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّتُزَكَّرَ بِتَفَكُّرُونَ﴾ (١١)، وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (١٣). وقال تعالى في حق الجماد: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَطَبَقًا وَنَخْلًا طَلُوفًا وَمِنْهُ جَدَجٌ مِّثْلُ النُّعْلَيْنِ إِنَّكَ لَمُلْكِيٌّ يَفْعَلُ فِيكَ مَا يَشَاءُ﴾ (١٤)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظُلُمَاتًا

(١) مر ١: عامر. (٢) مر ١: بهذه.

(٣) مر ١: - له. (٤) مر ١: تعمير.

(٥) مع ٤: لهما.

(٦) مر ١: + وليس الغرض من خلافة الأرض وتعمير لها على وجه يعود فائدته البتة بأن يدوم وجوده ويبقى نوعه.

(٧) مر ١: - إلا. (٨) مر ٢: + من المربوبات أمران الأول.

(٩) مع ٣: - انتفاعه بها و/ مر ٢: انتفاع. (١٠) سورة يس، آيتان: ٧١ و٧٢.

(١١) سورة نحل، آيات: ٥ تا ٧. (١٢) سورة نحل، آيتان: ١٠ و١١.

(١٣) سورة يس، آية: ٨٠. (١٤) سورة نحل، آية: ١٤.

رَبَّكَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيرًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيرًا
تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ^(١). إلى غير ذلك
من الآيات الكثيرة الدالة على أن وجود غير الإنسان من الكائنات لأجل خدمة
الإنسان وانتفاعه. وظهر^(٢) وتبين أن المقصد^(٣) من عمارة^(٤) الدنيا وإيجاد
الأكوان وتبقيتها مصلحة تعود^(٥) إلى الإنسان.

والأمر الثاني ما أشار إليه الشيخ الرئيس في كتاب المبدأ والمعاد بقوله:

كمال العالم الكوني أن يحدث منه إنسان^(٦)؛ وسائر الحيوانات
والنباتات تحدث^(٧) إما^(٨) لأجله، وإما لثلاث^(٩) تضيع المادة، كما أن
البناء يستعمل الخشب في غرضه، فما فضل لا يضيّعه، بل
يتخذ^(١٠) قسيًا و^(١١)خلالاً وغير ذلك. وغاية كمال الإنسان أن
يحصل لقوته النظرية العقل المستفاد ولقوته العملية العدالة. وهما
يتختم^(١٢) الشرف في عالم المواد^(١٣). (انتهى كلامه).

ومحصوله أن الغاية^(١٤) القصوى في إيجاد هذا^(١٥) العالم تمامه وكماله
خلق^(١٦) الإنسان، وغاية^(١٧) وجود الإنسان أن يحصل له بالعلم مرتبة العقل
المستفاد، أي مشاهدة المعقولات والاتصال^(١٨) بالمفارقات، وبالعمل^(١٩) درجة
العدالة التي هي التوسط بين الأخلاق المتضادة الحاصلة في^(٢٠) التعلق بالبدن

- | | |
|------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة نحل، آية: ٨١. | (٢) مع ٣: فظهر. |
| (٣) مع ٣: القصد. | (٤) مر ١: عمارات. |
| (٥) مع ٣: يعود. | (٦) مع ٤: إنساناً. |
| (٧) مع ٤: يحدث. | (٨) مر ١: - إنا. |
| (٩) مع ٤: - لثلاث. | (١٠) مر ١: فلا تضيّعه هل تتخذ. |
| (١١) مع ٤: أو. | (١٢) مر ١: ينحتم. |
| (١٣) مر ١: المعاد. | (١٤) مع ٤: غاية. |
| (١٥) مر ١: هذه. | (١٦) مر ٢: خلق. |
| (١٧) مر ١: + وغاية. | (١٨) مع ٤: الإيصال. |
| (١٩) مر ١: + إلى. | (٢٠) مر ٢: من. |

والخلو^(١) عن أطراف الصفات الناشئة^(٢) من ضرورة كونها في عالم الأجسام. إذ بهذا التوسط يسهل له^(٣) الافتراق عن هذه التعلقات، لأن التوسط بين الأضداد من الكيفيات بمنزلة الخلو عنهما، كما يقال للماء الفاتر لا حار ولا بارد.

وأما خلقه سائر المكونات فمع كونها لانتفاع الإنسان - كما مر - فلتلا يهمل فضالة المواد التي قد صرف صفوها وزبدتها في تكوّن الإنسان. فإنّ الحكمة الإلهية والرحمة الرحمانية تقتضي أن لا يفوت حقّ من الحقوق^(٤)، بل أن يصيب كلّ مخلوق من السعادة قدرأ يليق به ويستعدّ له. فالغرض الأصلي خلقه الإنسان وقد خلق من فضالته^(٥) سائر الأكوان.

وأما عن^(٦) الإرادة الثاني، فهو أن^(٧) الإنسان وإن كان بحسب جوهره وذاته من عالم الملكوت، وإقليم التجرد عن^(٨) الأوساخ الكونية والمعاصي التعلقية^(٩)، وعلى فطرة الصفاء والنقاء، وعلى جبلّة الانقياد والتدين بالملّة البيضاء والشرعة الإلهية. وإنما عرضه له الاقتراف^(١٠) بالسيئات والاتّصاف بالمعصية والكفر والطغيان والملكات الرديئة والهيئات الظلمانية بسبب تعلّقه بعالم الجسم والهيولى والصورة، ولكونه في البدن ودواعيه^(١١) من الشهوة والغضب كما^(١٢) أشير إليه^(١٣) بقوله ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة^(١٤)، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه^(١٥)». لكنّه مع كونه على فطرة التجرد والصفاء والتقّديس، فهو في غاية ضعف الوجود ونقصان الجوهر في أوّل تكوّنه، كالهيولى الخالية عن الصّور

(٩) مج ٣، مج ٤: التعليقية.

(١٠) مج ٣، مج ٤: الافتراق.

(١١) مر ١: ذو داعية.

(١٢) مر ١: - كما.

(١٣) مر ١: - إليه.

(١٤) مج ٤: + السليمة.

(١٥) مر ١: وينجانه.

(١) مر ١: الخلق.

(٢) مر ١: الثابتة.

(٣) مر ١: - له.

(٤) مر ١: الحق.

(٥) مر ١: فضالته.

(٦) مر ١: من.

(٧) مر ١: - أن.

(٨) مر ١: من.

والهيات. فهو في مرتبة العقل الهولاني خالٍ عن الكمالات والشعور بشيء من المعنويات والمحسوسات إلا شعوراً ضعيفاً بذاته، لكونه في غاية ضعف الوجود والقوام، ولكون علمه بذاته - لتجرّد ذاته بذاته - عين ذاته.

فإذا كان علمه بذاته عين ذاته، وكان ذاته في أوّل الخلق في غاية الضعف، يكون شعوره بذاته^(١) شعوراً ناقصاً في غاية النقص والقصور. حتّى ذهب بعض الحكماء - كإسكندر الأفروديسي^(٢) - إلى أنّ^(٣) الإنسان في أوائل نشأته ومبادئ كونه قبل أن يبلغ إلى مرتبة العقل بالفعل^(٤)، لا قوام له بدون البدن، بل يفسد بفساد جوهره وذاته. وهذا الرأى وإن لم يكن حقّاً، لعدم إمكان الفساد في المجردات بقواطع البراهين؛ لكنّ الإنسان الذي لم يبلغ^(٥) إلى مرتبة^(٦) تحصيل الكمالات^(٧) والإخلاص، فهو في غاية القصور والضعف.

ولهذا يفهم من كثير من الروايات أنّ الصبيان ليس لهم درجة الابتهاج بالسعادات الأخروية وحصول الاستقلال بمنزلة من منازل الآخرة من الجنة والحدور والقصور، وإنّما شأنهم خدمة أهل الجنة. وهكذا حال صبيان الكفار مع عدم عصيانهم وشقاوتهم الحاصلة لهم بحسب البقاء في^(٨) الدنيا، لعدم كونهم مكلفين بعد. فيعلم من ذلك أنّ الناس في مبدأ الفطرة خال عن القوام التام بذاته^(٩)، فاقد^(١٠) لمراتب^(١١) الكمالات الإنسانية والخيرات الأخروية، فلم يكن صلاحه في تجرّده عن البدن وعدم بعثته لعمارة^(١٢) نشأته الدنياوية لتحصل^(١٣) سعادته^(١٤) الأخروية.

(١) مر ١: - لكونه في غاية... شعوره بذاته.

(٣) مر ١: - أنّ.

(٢) مع ٤: الإفريديوسي.

(٥) مع ٣: تبلغ.

(٤) مر ١: والفعل.

(٧) مر ٢: الملكات.

(٦) مع ٤: - مرتبة.

(٩) مر ١: بذات.

(٨) مر ١: - في.

(١١) مع ٣: المراتب.

(١٠) مع ٣: فأخذ.

(١٣) مع ٣: لتحصيل.

(١٢) مر ١، مع ٣: إلى عمارة.

(١٤) مر ١: سعاداته.

تأييد،

ومما يؤيد ما ذكرنا - من كون تأثير الدّعاء في إنجاح المقاصد والمآرب وسبيلتها لحصول المهمّات والمطالب مشروطاً بنقاء الجوف عن فضول^(١) القطعام خلوّ البيت عن الحطام - ما نقل عن رسول الله ﷺ: «إنّه قال: قال موسى عليه السلام في مناجاته: يا إلهي ما علامة أحبّائك وأوليائك^(٢)؟ فقال الله تبارك وتعالى: يا موسى قلوبهم معلقة بالعرش^(٣)، وبطونهم طاهرة عن الحرام والشبهات، و^(٤)بيوتهم خالية عن حطام الدّنيا وزينتها، ويطلبون الخيرات والطاقات».

الهداية^(٥)؛

الأدعية الماثورة عن أئمتنا وساداتنا الهاشميين الأكابر^(٦) المعصومين عن الذّنوب الصّغائر فضلاً عن الكبائر صلوات الله عليهم أجمعين، كثيرة شائعة بين جميع الأمم، ذائعة بين طوائف العالم من المؤالف والمخالف، ولم يوجد مثلها في شيء من الملل والأديان، ولم ير عين^(٧) الأعيان نظيرها^(٨) من أحد من أئمة القرون والأزمان، يعرف صحّة هذا الكلام المستغني عن البيان، ويشهد بصدق هذه^(٩) الدّعوى الغنيّة^(١٠) عن البرهان من تتبّع آثارهم، واقتفى منارهم^(١١)، واهتدى بهداهم، واقتدى بأنوارهم^(١٢).

هداية^(١٣)؛

انقفت العصابة من الإسلاميين وجمهور أهل^(١٤) الملل والأديان على أنّ

-
- | | |
|------------------------------------|---------------------------|
| (١) مر ١ - فضول. | (٨) مر ١: يفيدها. |
| (٢) مر ١ - وأوليائك. | (٩) مر ١، مج ٤: هذا. |
| (٣) مر ١: بالعرش. | (١٠) مج ٣، مر ٢: الفانية. |
| (٤) مج ٤: - و. | (١١) مر ١: مثالهم. |
| (٥) مر ٢، مر ١، مج ٣، مج ٤: إرشاد. | (١٢) مج ٤: بأنارهم. |
| (٦) مج ٤: + و. | (١٣) مج ١، مج ٢: - هداية. |
| (٧) مج ٣: ولم يرمى. | (١٤) مج ٤: - أهل. |

افضل الأذكار وأشرف الأوراد كلمة «لا إله إلا الله»، التي من أقر بها لساناً^(١)،
دخل في^(٢) الملبين؛ ومن صدّق بها جناناً، كان من الموحّدين^(٣)؛ ومن عمل
بمقتضاها، صار من المقربين. ولهذا اختار^(٤) جمع كثير من المشايخ في تلقين
مريديهم هذه الكلمة؛ إذ لها خاصيّة عجيبة في تنوير الباطن وجمع الهمم،
وهي^(٥) من مواهب الله تعالى لهذه الأمة^(٦) المرحومة.

ونقل الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمّد بن علي بن بابويه القميّ في كتاب
التوحيد عدّة أحاديث في باب ثواب الموحّدين:

منها ما نقله عن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن أبي عبد الله جعفر بن
محمّد^(٧)، عن أبيه، عن أبيه^(٨)، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير
العبادة قول لا إله إلا الله»^(٩).

ومنها عن أبي عبد الله، عن جدّه عليه السلام^(١٠)، قال: قال رسول الله ﷺ: «من
مات^(١١) ولا يشرك به^(١٢) شيئاً، أحسن أو^(١٣) أساء، دخل الجنة»^(١٤).

ومنها عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله عالم حرّم أجساد
الموحّدين على النار».

ومنها عن أبي جعفر عليه السلام قال: «جاء جبرئيل^(١٥) إلى رسول الله ﷺ^(١٦)،

(١) مر ١: أقرّها بلسان. (٢) مج ٣: - في.
(٣) مر ١: الموجودين/ مر ٢: المؤيدين. (٤) مر ١: أحاز.
(٥) مج ٣: وهو. (٦) مج ٤: الآية.
(٧) مر ١: محمّد بن علي. (٨) مج ٤: - عن أبيه.
(٩) ر. ك: «أصول كافي»، محمد بن يعقوب اسحاق كليني، ج ٤، انتشارات علميه اسلاميه،
ص ٢٨٤.

(١٠) مر ١: عليه السلام / مج ١، مج ٣: عليه السلام. (١١) مج ٤: - من مات.
(١٢) مج ٤: ولم يشرك بالله. (١٣) مج ١، مر ١، مر ٢: و.
(١٤) ر. ك: مجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٣، ص ٤، ص ٥، ص ٨، ص ٥ و ٦.
(١٥) مر ١، مج ٤: + عليه السلام.
(١٦) مر ١: - إلى رسول الله ﷺ.

فقال: يا محمد طوبى لمن قال من ^(١) أمتك ^(٢): لا إله إلا الله وحده وحده ^(٣).
ومنها عن علي عليه السلام قال: «ما من عبد مسلم يقول لا إله إلا الله، إلا صعدت
تحرق كل سقف، لا تمر بشيء ^(٤) من سيئاته إلا طلستها ^(٥)، حتى تنتهي ^(٦) إلى
مثلها من الحسنات».

إلى غير ذلك من الأحاديث المتظافرة مع أسنادها ^(٧) المتصلة إلى الأئمة
الأطهار والرسول المختار صلوات الله عليهم أجمعين التي ^(٨) نقل جميعه
يؤدي ^(٩) إلى التطويل والإكثار، فاقصرنا على ما ذكرنا الحصول الغرض بهذا
القدر.

وبالجملة لهذه الكلمة خاصية عجيبة في تكميل النفوس الإنسانية، وحصول
التقرب إلى الملكوت الأعلى، ومشاهدة الأنوار، وترتب غرائب الآثار،
والتخلص عن الصفات الذميمة، والتقافة عن الأخلاق الرديئة، كما يعرفه ^(١٠)
أهل الذكر.

قال بعض العرفاء:

بنية العبد ووجوده تحكي مدينة جامعة، وأعضاؤه وجوارحه وقواه
بمنزلة سكان المدينة وقطان البلد، والعبد ^(١١) في إقباله على الذكر
كمؤذن صعد منارة على باب المدينة يقصد أسماء ^(١٢) أهل المدينة

(١) مر ١: - من. (٢) مر ١: أمك.

(٣) مج ٤: - وحده ر. ك: كليات حديث قدسي، شيخ محمد حسين حرّ عاملي، انتشارات
دهقان، ١٣٦٦، ص ٢٧١؛ اصل حديث جنين است: ... يا محمد طوبى لمن قال من
أمتك لا إله إلا الله وحده وحده وحده.

(٤) مر ١: لا تمر بسيئاته/ مر ١: - بشيء/ مج ٣: شيء.

(٥) مر ١: طلتها/ مج ٤: طلستها.

(٦) مج ٤: تنتهي. (٧) مر ١: استنادها.

(٨) مج ٤: - صلوات الله عليهم أجمعين التي/ مر ١: - التي.

(٩) مج ٤: - يؤدي. (١٠) مج ٤: يعرف.

(١١) مر ١: - وجوده تحكي... البلد والعبد.

(١٢) مر ١: أسماء.

بالأذان. فهذا^(١) الذّاكر^(٢) المتحقّق^(٣) يقصد بالذّكر إيقاظ قلبه
وجميع أجزائه وأبعاضه^(٤)؛ فيذكر بلسانه، ويعي^(٥) بقلبه ومتفرّقات
جوارحه، فيكون مناداة الذّكر باللسّان وصداه في قبة القالب^(٦)،
يستحضر بالذّكر سكّان مدينة النّفس، ويستجمع به عساكر الفهم
والحقّ^(٧)، يقول^(٨) يبعضه ويستمع بكّله، إلى أن ينتقل^(٩) الكلمة
من اللّسان إلى القلب فينتوّر بها ويعطر بجري^(١٠) الأحوال^(١١). ثمّ
ينعكس^(١٢) نور القلب على القالب^(١٣) فيتزيّن بمحاسن الأعمال،
فتكون^(١٤) الأحوال حيثنّذ حلية باطنه والأعمال ملبّس ظاهره.

وقال الشيخ محيي الدّين الأعرابي:

لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانيّة إلّا من ذكر الله الذّكر المطلق^(١٥)،
فإنّه تعالى جليس من ذكره، والجليس مشهود^(١٦) للذّاكر^(١٧)، ومتى
لم يشاهد الذّاكر الحقّ الذي هو جليسه^(١٨) فليس^(١٩) بذاكر. فإنّ
ذكر الله سارٍ في جميع العبد^(٢٠) لا^(٢١) من ذكر بلسانه خاصّة، فإنّ
الحقّ لا يكون في ذلك الوقت إلّا جليس اللّسان خاصّة، فيراه

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) مر ١: فهكذا. | (٢) مر ١: الذّكر. |
| (٣) مر ١، مج ٤: المحقّق. | (٤) مر ١: والقاضية. |
| (٥) مر ١: وسعى/ مج ٣: نفى. | (٦) مر ١: القالب. |
| (٧) مج ٤: والحقّ. | (٨) مج ٤: + به. |
| (٩) مج ٣: تنتقل. | |
| (١٠) مر ٢: بجلوى/ مج ٣: بجزوى/ مر ١: بحرى. | |
| (١١) مر ١: الأنوار. | (١٢) مج ٤: تنعكس. |
| (١٣) مر ١، مج ٤: القالب. | (١٤) مر ١، مر ٢، مج ٤: فيكون. |
| (١٥) مج ٣: المطلب. | (١٦) مر ١: + آخر. |
| (١٧) مر ١: للذكر/ مج ١، مج ٢، مج ٣، مر ٢: الذّكر. | |
| (١٨) مر ١: جليس. | (١٩) مر ١: ليس. |
| (٢٠) مج ٤: البدن. | |
| (٢١) مر ١: إلّا/ مج ٤: - لا. | |

اللسان^(١) من حيث لا يراه الإنسان بما هو راء. فافهم هذا السر في ذكر الغافلين^(٢). (انتهى كلامه).

والسرّ المأمور بفهمه إنما يستفاد من تحقيق كون جميع الموجودات عرفاء^(٣) شاعرين بالله مستبحين لربهم ذاكرين له، كما ذهب إليه أرباب الكشف والشهود، سواء كان ذاكرًا^(٤) مقروناً بالتلفظ أو مجرداً عنه. وما من شيء إلا وله لسان ملكوتي يذكر^(٥) الله وبه^(٦) يسبحه، كما^(٧) دلّ عليه القرآن من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمُنَّ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٨). وسيجيء تفصيل القول في ذلك، إن شاء الله تعالى.

وقد يقع للنفوس الكاملة المشرقة^(٩) من الأنبياء والأولياء، بل لغيرهم^(١٠) إذا استضاء مشكاة شاعرهم بأنوار صحبة النبي ﷺ أن يتفق لهم مشاهدة^(١١) النطق^(١٢) الظاهري من الموجودات، بناءً على^(١٣) تطابق العوالم وتحاذي النشآت^(١٤)؛ فيستمعون ذكر الحق من كلّ شيء حتى الحجر والمدر كفاحاً^(١٥)؛ كما ورد من استماع^(١٦) أصحاب النبي ﷺ تسبيحات^(١٧) الحصاة في كفه الشريفة، بل الغفلة عن ذكر الحق وعرفانه لا توجد في غير الإنسان، وذلك

(١) مر ١: - خاصة، فإراه اللسان.

(٢) ر. ك: «فصوص الحکم»، أبو العلاء عفيفي، ص ١٦٨ و ١٦٩: وذلك أنّه لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه، فإنّه تعالى جليس من ذكره، والجلس مشهود للذاكر،... بما هو راء وهو البصر.

(٣) مر ١: عرفاء. (٤) مج ٣: ذاكرًا.

(٥) مج ٤: يذكر. (٦) مر ١: - وبه.

(٧) مج ٤: وما. (٨) سورة إسرائ، آية: ٤٤.

(٩) مج ٤: المشرقة. (١٠) مر ١: بغيرهم.

(١١) مج ٣، مر ٢: - لهم مشاهدة/ مر ١: - مشاهدة.

(١٢) مج ٣: - النطق. (١٣) مر ١: - على.

(١٤) مج ٤: النشأة. (١٥) مج ٤: - كفاحاً.

(١٦) مر ١، مر ٢، مج ٣، مج ٤: سماع.

(١٧) مر ٢، مج ٣: تسبيح/ ر. ك: «معجم احاديث النبوي»، ج ١، ص ٤٧٠، به نقل از حسن أبو داود، ص ٢٤.

لخروجه عن الفطرة الأصلية: ﴿أَلَيْسَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) لأجل تصرفاته وتغييراته الشاذلة له^(٢) عن الله تعالى وملكوته^(٣). وإليه أشير في كلام بعض الحكماء «لولا إزاحة المبطلين، نطقت الفطرة بشواهد الإيمان».

المبطلين، نطقت الفطرة بشواهد الإيمان».

واعلم أنّ عقول جماهير من الناس وإن كانت محجوبة عن هذا القصور من الشهود والعرفان في حق الموجودات، لكنّ العاقل الذكي^(٤) إذا تنوّر عقله بالنور الإلهي وعرف سريان الوجود الفاضل^(٥) عنه تعالى في جميع الموجودات، يعلم أنّ لكلّ منها نفساً ناطقة سامعة هي نصيبه^(٦) من العالم الملكوتي، كما قال الله تعالى: ﴿يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧) وبحسب كثرة وجود^(٨) الإمكانات يبعد عن الحقّ الأوّل ويغفل^(٩) عن عالمه النوري، فيحجب ويحصل لها الرّين^(١٠)، وبحسب قلّتها يقرب عنه^(١١) ويستفيض منه الكمالات ويتنوّر بأنواره.

وقال بعضهم: إنّ أسرع أذكّار اللسان إفضاءً إلى مشاهدة الأنوار هو كلمة لا إله إلا الله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١٢) (الآية). إشارة إلى كلمة لا إله إلا الله.

قال: ورأيت هذه الكلمة على صورة^(١٣) شجرة عجيبة نابذة^(١٤) من^(١٥) الأرض إلى السماء، وأغصانها ألوانٌ مختلفة عجيبة، وعلى كلّ غصن أنواع الطيور وألوان^(١٦) الجوّاري والغلمان لا يوصف

-
- | | |
|--|-----------------------------|
| (١) سورة روم، آية: ٣٠. | (٢) مر ١: - له. |
| (٣) مر ١: - وملكوته. | (٤) مر ١، مج ٤: الزكّي. |
| (٥) مج ٤: الفائضة. | (٦) مر ١: - هي نصيبه. |
| (٧) سورة يس، آية: ٨٣، وسورة مؤمنون، آية: ٨٨. | (٩) مر ٢: يفعل. |
| (٨) مر ١: الوجودات. | (١١) مر ١، مر ٢، مج ٣: منه. |
| (١٠) مج ٤: الرّفق. | (١٣) مر ١: - صورة. |
| (١٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٤. | (١٥) مر ٢: هن. |
| (١٤) مج ٤: نابذة. | |
| (١٦) مر ١: أنواع. | |

جمالهم وحسنهم، كلهم يقولون بالسنتهم لا إله إلا الله. وكان في كل لحظة يخرج من هذه الشجرة مثل تلك الأغصان ومثل تلك الأشخاص وتصعد إلى السماوات، ثم يخرج مكانها^(١) أغصان أخرى، كذلك وترتقي إلى السماوات^(٢). وكان^(٣) ذلك في بداءة أمره أي حين بدأت بذكر هذه الكلمة، ثم تلك الشجرة هي هكذا وعلى حالها بعد سنين وأعوام.

ثم اعلم أن لهذا الذكر أثراً بيناً في تطهير القلب عن^(٤) الأوصاف الخبيثة، وهذا أيضاً مجرب جداً. وقد شاهدنا الأوصاف الخبيثة عند انمحاقها^(٥) وانفصالها عن النفس تخرج^(٦) على^(٧) صورة الأشخاص والحيوانات الخبيثة نحو الكلب والخنزير والستور والبقر والحمار والفأر والحية والعقرب والسارق والظنار والمزور والغماز وأشباهها، ومن كل صورة كمثال صورة الإنسان سألنا^(٨) عنه، قالوا هذا غماز وذاك سارق وهذا فلان وفن. ومن جرب ذلك صدقنا. ويدل على صحة هذا الكلام قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١٠).

فقد علم أن الذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء الحيوان النار. وقد ورد أيضاً في الخبر «أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم؛ فإذا ذكر، تولّى وخنس^(١١)؛ وإذا غفل، التقم قلبه فحدّته ومناه»^(١٢). فذكر الله تعالى بمنزلة تصقل^(١٣) القلب،

(١) مج ٤: سگانها. (٢) مر ١: - ثم يخرج... السماوات.

(٣) غمر ١: فكان. (٤) مر ١: من.

(٥) مج ٤: - وهذا أيضاً... عند انمحاقها. (٦) مر ١: يخرج.

(٧) مر ١: عن. (٨) مج ٣: بسلنا.

(٩) سورة اعراف، آية: ٢٠١. (١٠) سورة زخرف، آية: ٣٦.

(١١) مر ١: خنس.

(١٢) مر ١: ونها. ر. ك: مجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٧، ص ٤٨، س ١٠.

(١٣) مج ٣: بصفيل.

والغفلة عن الله^(١) بمنزلة تكذره. فإذا تكذّر^(٢) القلب، طمع الشيطان لمناسبة الكدورة والظلمة وقرب^(٣) منه. وصفاء القلب محفوف بالذكر، وبالذكر يتقدّ^(٤) القلب ويتنور كاتقاد^(٥) الكواكب في كبد السماء فيصير القلب سماء محفوظاً بزيئة كواكب^(٦) الذكر عن شياطين وساوس النفس وأحاديثها فيندر^(٧) في حقه الخواطر الشيطانية ولمّاتها. وهذا حال من استقام قلبه واطمأنت نفسه.

واعلم أنّ من جملة الأذكار الشريفة: «يا هو يا من هو يا من لا هو إلا هو، يا أزل يا أبد، يا دهر يا ديهور، يا من هو الحيّ الذي لا يموت».

قال بعض الفضلاء ولقد لقي^(٨) بعض المشايخ من الذكر «يا هو، يا من هو، يا من لا هو بلا هو، إلا هو»^(٩). فالأوّل فناء عمّا سوى الله، والثاني^(١٠) فناء في الله، والثالث فناء عمّا سوى الذات، والرابع فناء عن الفناء عمّا سوى الذات^(١١).

تبصرة:

المقصود من الذكر المطلق^(١٢) من العبد في^(١٣) اصطلاح السلاّك من العرفاء أن يذكر الله باللسان ويكون حاضراً بقلبه^(١٤) وروحه وجميع قواه الإدراكية، بحيث يكون العبد بكلّية كونه إنساناً وعبداً متوجّهاً إلى بارئه وربّه^(١٥)، فتنتفي^(١٦) الخواطر وينقطع أحاديث النفس عنه.

(٢) مر ١: تكذّرت.

(١) مج ٤: + تعالى.

(٣) مر ١، ٢، ٣، مج ٤: وقرن.

(٤) مر ١: يتقدّ/ ساير همه نسخه ها جز «مر ٢»: يتقد.

(٥) همه نسخه ها جز «مر ٢»: كاتقاد. (٦) اشاره است به سورة صفات، آية: ٦.

(٧) مر ١: فنلر. (٨) مر ٢، ٣: لقي.

(٩) مج ٤: - إلا هو/ مج ٣: + يا من لا هو بلا هو إلا هو.

(١٠) مر ١: والثانية.

(١١) مر ١: - والزابع فناء عن الفناء عمّا سوى الذات.

(١٢) مر ٢: المطلوب/ مج ٣: المطلوب. (١٣) مر ١: - في.

(١٤) مر ١: حاضر القلب. (١٥) مر ١: - وربّه.

(١٦) مر ٢: لبتفي.

ثم إذا داوم عليه بهذا الوجه مع الشرائط المقررة المذكورة من تخلية البيت عن الحطام، وتنقية الجوف عن الحرام، وتنظيف الثوب والبدن عن الأخباث^(١) والأرجاس، وتهذيب النفس والروح^(٢) عن الخبائث^(٣) والأدناس، وتنزيه^(٤) العقل والسر عن^(٥) الوسواس، والتوجه إلى المبدأ الأعلى بالمنطق والقياس، ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، ولا يزال يذكر بذلك ويردّد^(٦) هذه الكلمة على لسانه على مواطاة القلب، حتى تصير^(٧) الكلمة متأصلة في القلب، مزيلة لحديث النفس بنور^(٨) معناها في القلب عن كلّ حديث النفس^(٩).

فإذا استولت الكلمة وتجوهرت في القلب، يتذكر القلب وإن سكّت اللسان، وذهب صورة الكلمة من اللسان. وتجوهرها يستكنّ نور اليقين في قلب السالك الذاكر حتى يتجلّى له الحقّ من^(١٠) وراء أستار غيوبه^(١١)، فيتنور باطن العبد بحكمه: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(١٢).

وهذا هو التجلّي الأفغالي في عرفهم، ثم لا يزال هكذا حتى ينكشف عنه الحجب متدرّجاً ويقلّ في حقه الأستار^(١٣)، فيكون الحقّ^(١٤) ذاكراً ومذكوراً بلسان العبد. ولسان العبد حينئذ كشجرة أيمن، كما نقل عن الإمام الهمام قدوة الأنام جعفر الصادق عليه وعلى آبائه^(١٥) السّلام: «إنّه قال حين سئل عن صيرورته مغشياً عليه عند تلاوة القرآن، ما زلت^(١٦) أكرّر هذه الآية حتى سمعتها

(١) مر ١: الاختاس/ مج ٤: الإخبات. (٢) مج ٤: وتهذيب الروح والنفس.

(٣) مر ١: الأجناس. (٤) مج ٤: تنزيهه.

(٥) مر ١: - عن. (٦) مر ١: يرد.

(٧) مج ٣: يصير. (٨) مر ٢: ينوب.

(٩) مر ١: - بنور معناها... النفس. (١٠) مر ١: - من.

(١١) مج ٤: غيوبه (هلون نقطه). (١٢) سورة زمر، آية: ٦٩.

(١٣) مر ٢، مج ٣، مج ٤: شيئاً فشيئاً إلى أن يرتقي إلى التجليات الصفاتية والأسماوية، ثم الذاتية، فنفي العبد في الحق، فيذكر الحقّ نفسه ممّا يليق بهجماله وجلاله/ مج ٤: فينفي العبد.

(١٤) مر ١: - فيكون الحقّ. (١٥) مج ٣: + الصلوة.

(١٦) مج ٤: ما زلت.

من المتكلم بها^(١). وقال الشيخ السهروردي صاحب عوارف المعارف^(٢): كان
لسان الإمام في ذلك الوقت كشجرة موسى عليه السلام في الظور حين ندائها^(٣): إني^(٤)
أنا الله^(٥).

(١) ر. ك: «بحار الأنوار»، ج ٤٨، ص ٥٨، س ١٣؛ ج ٨٤، ص ٢٤٧، س ١٧.

(٢) منه نسخة ما: «العوارف والمعارف». (٣) مج ٤: نداء.

(٤) مج ٤: - إني.

(٥) ر. ك: أبو منصور عبد المؤمن اصفهاني (قرن هفتم)، ترجمه «عوارف المعارف» شيخ
شهاب الدين سهروردي (٦٢٣ متوفى)، باهتمام قاسم انصاري، شركت انتشارات علمی
و فرهنگی، ١٣٦٤.

خاتمة

في بيان سريان الذكر والتسبيح في جميع الموجودات
حتى الجمادات والنباتات على طريقتي^(١)
الحكمة النظرية والحكمة المتعالية

أما الأولى^(٢)، فللدلالة كلّ موجود من الممكنات على وجود صانعه ومبدعه
دلالة عقلية واضحة. وحقيقة التّهلِيل والتّسبيح الشّهادة على وحدة الصّانع وتنزيهه
عن النّقص، وإظهارهما والدّلالة عليهما سواء كانت بالألفاظ أو بالذّات. فكلّ
موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دالّ على توحيده وتمجيده، كما أشير إليه
بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣). بل كلّ
وجود^(٤) من الوجودات ذكر و^(٥) تسبيح^(٦) له تعالى، إذ يفهم منه وحدانيّته
وأنصافه بصفة الكمال، وتقّده^(٧) عن صفات النّقص والزّوال.

وأعلى^(٨) المراتب في الشّهادة والدّلالة عليه تعالى ذاته بذاته، كيف! وهو
الشّاهد الذّات على وجود كلّ موجود، إذ العلم بذی السّبب كما يّين في مقامه لا
يحصل إلّا من جهة العلم بالسّبب^(٩)، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾^(١٠).

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) مر ١: طريقة. | (٦) مر ١: تسبيحاً. |
| (٢) همه نسخه ها جزء ١٢: الأوّل. | (٧) مر ١: تقدّس. |
| (٣) سورة اسراء، آية: ٤٤. | (٨) مر ١: وعلى. |
| (٤) مر ١: موجود. | (٩) مر ١: - كما يّين... بالسّبب. |
| (٥) مر ١: - و. | (١٠) سورة فصلت، آية: ٥٣. |

فشهادة كل مفهوم وموجود عليه تعالى يتوقف^(١) على شهادته تعالى^(٢) على ذلك الشيء. فكل شهادة وثناء على ذاته^(٣) يرجع إلى شهادته وثنائه بذاته على ذاته. فسبحان من لم يكن عليه ثناء^(٤) سوى نفسه! وإليه يرجع أيضاً عواقب الثناء، فهو المبدأ والغاية في ذلك؛ وهو المثني والمثنى عليه وحقيقة الثناء في كل ثناء.

واجعل^(٥) ذلك مقياساً لك في تحقيق كل صفة ومحمدة من الصفات والنعوت الكمالية والمحامد والفضائل الأفعالية كالوجود وكمالاته وآثاره، ليظهر لك أسرار غامضة جداً؛ واسترها على من يحرم كشفها له.

وأما الطريقة الثانية، فقد قالوا في^(٦) بيانه: إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه تعالى لذاته بذاته، إظهاراً للصفات الكمالية ووصفاً لذاته بالنعوت الجمالية والجلالية^(٧) في مقامي جمعه وتفصيله، كما شهد لذاته بذاته^(٨) في قوله^(٩): ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١٠). وهذه الحقيقة لها مراتب:

أعلاها وأولاها، في مقام الجمع من ذكر الحق نفسه باسم المتكلم بالحمد والثناء على نفسه، وهو يرجع إلى علمه بذاته الذي هو عين ذاته المتصفة بالصفات الكمالية والنعوت الجلالية والجمالية^(١١) في حد ذاته الأحدية ومرتبة وجود الفردانية.

وثانيتهما^(١٢): ذكر الملائكة المقربين، وهو تحميد الأرواح^(١٣) وتسبيح الكروبين^(١٤) المهيمين^(١٥) لربها.

(١) مر ١: - يتوقف. (٢) مر ١: - على شهادته تعالى.

(٣) مر ١: - على ذاته. (٤) مر ١: ثناء.

(٥) مج ٣، مج ٤: واحتمل.

(٦) همه نسخه ها جز مج ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥،

وثالثها^(١): ذكر الملائكة السماوية والنفوس الناطقة المجردة.

ورابعها^(٢): ذكر الملائكة^(٣) الأرضية والنفوس المنطبعة مع طبقاتها^(٤).

وخامسها^(٥): ذكر الأبدان وما فيها من الأعضاء والأعضاء.

وكلُّ ذاكِ لربِّه بلسان يختصُّ به، بل كلُّ واحد لسانٌ لذكر الحقِّ، كما ذكره صاحبُ فصوص الحِكم^(٦): «فالكلُّ ألسنة»^(٧) الحقِّ ناطقة بالثناء عليه. بل إن شئت قلت: كلُّ واحدٍ ذكر لربِّه؛ فالعالم من جهة كثرته وتفصيله^(٨) تسبيحات ونمجيدات وأذكار للحقِّ تعالى، والكلُّ من جهة الوحدة تسبيح^(٩) واحد وذكر مفرد يلبق بوصف كماله ونعت ربوبيته وجماله.

تمثيل^(١٠) وإشارة:

كما أنَّ ظاهر الإنسان يثني^(١١) على نفسه الناطقة - التي تربِّيه^(١٢) وتدبِّره^(١٣) - ويسبِّحها ويحمدها^(١٤) بلسان صورته وقواها الجسمانية والروحانية، وذلك بإمداد من النفس الناطقة لها وفيض منها عليها، لأنها مبدأ وجود البدن وقواها البدنية ومشاعرها الجسمانية^(١٥) والروحانية المسخَّرة التي هي جنودها بإذن ربِّها؛ كذلك ظواهر العالم من الأفلاك والعناصر والمركبات كالإنسان والحيوان والنبات والجماد وغيرها تثنى^(١٦) بألسنتهم وألسنة قواهم الروحانية والجسمانية على مبدعه ومقومه وموجده ومدبِّره الذي هو الحي القيوم بذاته،

(٢) مر ١، مج ٣، مج ٤: رابعها.

(٤) مر ١: - مع طبقاتها.

(٦) مر ١، مج ٣: الفصوص.

(٨) مر ١: تسبيحه.

(١٠) مر ١: تخیيل.

(١٢) مج ٣: تربِّيه.

(١) مر ١، مج ٣، مج ٤: ثالثها.

(٣) مر ١: + الملائكة.

(٥) مر ١، مج ٣، مج ٤: وخامسها.

(٧) مج ٤: شبه.

(٩) مج ٤، مج ١: - تسبيح.

(١١) مر ١: ثني.

(١٣) مر ١: تربِّيه وتدبِّره.

(١٤) مر ١، مج ٤: تسبِّحها وتحمدها / مر ٢: يمجدها.

(١٥) مر ٢: - والروحانية وذلك... الجسمانية.

(١٦) مج ٣: يثنى / مج ٤: يثني.

وتسبّحه وتحمّده^(١) وتنزهه^(٢) عن النقائص اللازمة لهم^(٣) اللاحقة بهم؛ ولكن لا يفقه ذلك^(٤) التسبيح والتنزيه إلا من تنور باطنه بنور الإيمان أولاً، ثم الإيقان ثانياً، ثم العيان ثالثاً، ثم بوجدان^(٥) نفسه وروحه^(٦) سارياً في عين كلّ مرتبة، قاهراً متصرفاً^(٧) ف كلّ موجود حالاً، لا^(٨) علماً وشهوداً^(٩) فقط، بواسطة اتصاله اتصالاً روحانياً ملكوتياً بنور الحقّ المشرق^(١٠) على كلّ مرتبة من مراتب الموجودات.

فيدرك تسبيح الموجودات بذلك النور ويسمعه، كما نقل عن رسول الله ﷺ من سماعه وإسماعه^(١١) أصحابه ﷺ تسبيح الحصة في كفه المشرقة^(١٢) المقدسة.

وكما روي عن ابن مسعود: «إنّه قال: لقد^(١٤) كنّا نسمع^(١٥) تسبيح الخبز وهو يؤكل». وورد «أنّ المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس». وروي عن أمير المؤمنين^(١٦) عليه السلام: «أنّه قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله حجر ولا شجر إلّا ويقول^(١٧) السّلام عليك يا رسول الله» وأمثاله كثيرة في الأحاديث^(١٨).

فالإنسان الكامل وصاحب^(١٩) المقام الرابع يسبّح لربه بلسان تلك الحقائق، ويحمد له تعالى في تلك المراتب، فهو العبد التّام لله يعبده^(٢٠) في كلّ موطن

(١) مر ١: تمجّده.

(٢) مر ١: نزهته.

(٣) مر ١: هذا.

(٤) مر ١: هذا.

(٥) مج ٣: بأنّ.

(٦) مج ٣: متصرفاً.

(٧) مج ٣: مشهوداً/ مج ٤: شهودياً.

(٨) مج ٣: وسماع/ مر ١: استماعه و.

(٩) مر ٢: - المشرقة.

(١٠) مر ١: تسمع.

(١١) مر ٣: - يقول.

(١٢) ر.ك: «بحار الأنوار»، ج ١٧، ص ٣٨٨، م ٢.

(١٣) مر ١، مج ٤: صفات.

(١٤) مر ١: - لله يعبده.

ومقام بعبادة جميع العالم، ويحمده بحمدهم. فمواطن العالم ومراتبه معابد مبادته لمعبوده ومنازل طاعته لربه ومسجوده. وعند تحقق الإنسان بهذا المقام بطوي^(١) الزمان والمكان، ويتصرف في جميع الأكوان تصرف النفوس في الأبدان، ويظهر في الحالة الواحدة في جميع مراتب الأرواح النورانية والنفوس القدسية الروحانية، والأجسام الكثيفة الظلمانية؛ ومن هذا القبيل معراج النبي ﷺ.

إكمال^(٢)؛

واعلم أن إثبات الشعور والإدراك لجميع الموجودات حتى الجماد والنبات على ما يلزم من القرآن والأحاديث مما دلت عليه المباحث البرهانية، وشهدت به العلوم الذوقية، وأيدته المقامات الكشفية^(٣). وهو مذهب كثير من المحققين، كصاحب الإشراق، والمحقق الطوسي، والعلامة الرازي^(٤) صاحب المحاكمات، وابن كمونة، وأبي البركات البغدادي؛ وذوق جم غفير من المكاشفين منها الشيخ العارف والمحقق المكاشف محيي الدين الأعرابي ومتابعوه.

قال الشيخ قدس سره^(٥) في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات المكية: «إن^(٦) المسمى بـ«الجماد والنبات» لهم أرواح بطنت عن إدراك غير^(٧) أهل الكشف إياها في العادة، فلا يحسن بها مثل ما يحسنها من الحيوان؛ فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق، غير أن هذا المزاج الخاص يسمى «إنساناً» لا غير.

ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف، فقد^(٨) سمعنا الأحجار تذكر الله

(٥) مر ١: - قدس سره/ مع ٤: قد.

(٦) مر ١: - إن.

(٧) مع ٤: عن.

(٨) مر ١: وقد.

(١) مر ٢، مع ٤: + له.

(٢) مع ١: - إكمال.

(٣) مر ١: الكثيفة.

(٤) مر ١: الرازي.

رؤية عين بلسان تسمعه^(١) آذاننا منها، وتخطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله ممّا ليس يدركه كلّ إنسان^(٢)».

وقال في موضع آخر: «وليس هذا التسبيح بلسان الحال، كما يقوله^(٣) أهل النظر ممّن لا كشف^(٤)».

قال أيضاً في الباب الثامن والسبعين والمائة منها: «خلق الله سبحانه الخلق ليستبحوه^(٥) فأنطقهم^(٦) بالتسبيح له^(٧) والثناء عليه والسجود له^(٨) فقال^(٩): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتُ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(١٠) وقال أيضاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾^(١١). وخاطب بهاتين^(١٢) الآيتين نبيه ﷺ الذي أشهده^(١٣) ذلك وأراه^(١٤) فقال: «ألم تروا، ولم يقل «ألم تروا»^(١٥)»، فإنّا ما رأيناه. فهو لنا إيمان^(١٦) ولمحمد ﷺ عيان. فأشهده سجد كل شيء وتواضعه لله، وكلّ من أشهده الله تعالى ذلك وراءه^(١٧) دخل تحت هذا الخطاب. وهذا تسبيح فطريّ وسجود ذاتيّ عن تجلّ تجلّى لهم، فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف، بل اقتضاء ذاتيّ. وهذه هي

(١) مع ٤: سمع.

(٢) ر.ك: «الفتوحات المكيّة»، ابن عربي، ج ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الباب الثاني عشر، ص ١٤٧.

(٣) مر ١: يقول.

(٤) ر.ك: «الفتوحات المكيّة»، ج ١ ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٥) مع ٤: ليستبحوا. (٦) مر ١، مر ٢: فأنطقهم.

(٧) مع ١: لها/ مر ١: - له.

(٨) ر.ك: «الفتوحات المكيّة»، ج ٢، الباب الثامن والسبعون والمائة، ص ٣٢٧.

(٩) مع ٤: + تعالى. (١٠) سورة نور، آية: ٤١.

(١١) سورة حج، آية: ١٨. (١٢) مر ١: بهذا.

(١٣) مر ١: استشهد. (١٤) مر ٢: ورآه.

(١٥) مر ١: ولم تروا. (١٦) مر ١: - إيمان.

(١٧) مر ١: ورآه/ مع ٤: وأراه.

العبادة الذاتية^(١) التي أقامهم الله فيها^(٢) بحكم الاستحقاق الذي يستحقه^(٣).

وقال في أهل الكشف وعامة^(٤) الإنس وكل عاقل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَعُونَ ظِلَّ اللَّهِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾^(٥). أخبرهم أن ذلك التقبُّل يميناً^(٦) سجوداً لله، وعبودية^(٧) وصغار وذلة لجلاله. فقال سجداً^(٨) ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ، فَوْصِفْهُمْ﴾^(٩) بعقيدتهم أنفسهم حتى سجدوا لله داخرين. ثم أخبر فقال متمماً: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾^(١٠)، أي من يدب عليهم. ثم قال: وهم - يعني أهل السماوات، والملائكة يعني التي ليست في سماء ولا أرض - لا يستكبرون^(١١) عن عبادتهم ربهم. ثم وصفهم بالخوف ليعلمنا أنهم عالمون بمن سجدوا له. ثم وصف المأمورين منهم، أنهم ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١٢).

ثم قال: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾^(١٣)، أي لا يملون ولا يفترون.

كل ذلك يدل على أن العالم كله في مقام الشهود^(١٤) والعبادة؛ إلا^(١٥) كل مخلوق له قوة التفكير، وليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية والحيوانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم، لا من حيث هياكلهم، فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له والسجود؛ فأعضاء البدن كلها^(١٦) مسبحة ناطقة. ألا تراها تشهد على

(١) مر ١: الذاتي. (٢) مر ١: - فيها.

(٣) رك: «الفتوحات المكية»، ج ٢، الباب الثامن والسبعون والمائة ص ٣٢٨.

(٤) مج ٢، مج ٣، مر ١، مر ٢، مج ٤: وغاية.

(٥) مر ١، مج ٤: + وشمالاً.

(٦) سورة نحل، آية: ٤٨.

(٧) مج ١: سجد.

(٨) مر ١، مج ٤: عبوديته.

(٩) مر ١: فوضعهم.

(١٠) مر ١: بحمد الله.

(١١) مر ١، مر ٢: + يعني.

(١٢) سورة نحل، آية: ٤٩.

(١٣) سورة فصلت، آية: ٣٨.

(١٤) سورة تحریم، آية: ٦.

(١٥) مر ١: إلا.

(١٦) مر ١: الشهادة.

(١٧) مر ١: + هو.

النفوس المستخرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسمع والبصر وجميع القوى. فالحكم لله العلي الكبير^(١).

تمت^(٢) الرسالة المسماة برسالة القضاء والقدر من مؤلفات أحكم الحكماء المشهور بصدر الدين الشيرازي لا زال كاسمه متصدراً في رياض الجنان، والحمد لله على إتمامها والصلاة والسلام على أشرف خلقه وآله.

* * *

(١) مج ٤: العظيم. ر.ك: «الفتوحات المكية»، ج ٢، الباب الثامن والسبعون والمائة، عبارات بانصرف نقل شده است، ص ٣٢٨.

(٢) مر ١: قد تم في سابع شهر الرجب من شهور سنة اثني وستين مائة بعد الألف من الهجرة النبوية وعلى هاجرها آلاف الصلوة والسلام والثناء والتحية بيد أضعف العباد وأحقرها أبي الحسن ابن المرحوم ملا علي الريزي اللنجاني غفر لهما وستر عيوبهما. / مر ٢: تمت الكتاب بمعن الملك... على يد... الخليفة ابن ملا خليل علي أصغر... في سنة ١٢٢٢/ مج ٤: قد استخلصت بكتابة هذه الرسالة الشريفة الموسومة بالقضاء والقدر من مؤلفات مولانا صدر المحققين صدر الدين محمد الشيرازي قدس سره في العشر الأول ربيع الأول في سنة أربعة وأربعين ومائتين بعد الألف الهجرة النبوية على هاجرها ألف ألف نحة والسلام/ مج ٣: قد تشرفت بتسطير هذه الرسالة التي صدرت في التحقيق في أوائل التحصيل في ٩ شهر رجب المرجب في سنة ١٢١٩ العبد الجاني أحمد بن علي محمد الرضائي الكيلاني وفقهما الله بحسن توفيقه.

المعاد الجسماني

تحقيق وتقديم

الدكتور كاظم مدير شانه چي

المقدمة

إحدى المسائل الفلسفية والكلامية المهمة مسألة المعاد التي تُعد مقبولة من قبل الفلاسفة وأهل الملل وأتباع الأديان بصورة عامة.

ويعني مصطلح المعاد عودة الإنسان بعد الموت واجتياز الحياة الآخوية؛ وقد جاءت هذه المفردة من كلمة «عود».

هناك ثلاث عقائد مختلفة حول المعاد:

- (١) الإنكار المطلق للمعاد، وهذه عقيدة الدهريين والملاحدة ومنكري الله.
 - (٢) عقيدة (بعض) الفلاسفة الذين يعدّون المعاد أمر روحاني فقط.
 - (٣) عقيدة المتشريعة أو أهل الأديان، التي تؤمن بالمعاد الروحاني والجسماني (أي بعث الإنسان بعد الموت بجسم مشابه لجسمه في الدنيا) بعبارة أخرى عودة الروح إلى جسم عنصري دنيوي من أجل ثواب الأعمال في الدنيا^(١).
- والإنكار المطلق للمعاد - وهو عقيدة الدهريين والماديين - ليس له سبب واضح غير استبعادهم للأمور التي يعدونها أدلتهم وأيضاً الإشكالات المتعلقة باعتقادهم بالهيئة القديمة، أو قبولهم بعض الأصول الفلسفية المخدوشة. على سبيل المثال:
- أ . استبعاد وجود عالم آخر غير عالمنا، الذي يعدّه الخواجة نصير الدين الطوسي المسألة المطروحة الأولى في المعاد: «المسألة الأولى في إمكان خلق عالم آخر».

(١) ولكن الصابئة الكلدانيين (إن اعتبرناهم من أهل الدين) يعتقدون كالفلاسفة بأن الثواب والعقاب أمرين روحانيين (انظر كتاب الفهرست لابن النور، ترجمة نجدد، ص ٥٦).

ب . مسألة لزوم كروية العالم الآخر التي يبعث اليه الناس ، لأن الأصل هو في الأجسام الكروية. لذلك بما أنّ الأرض كروية فهذه يستلزم وجود فراغ بين الكرة الأرضية وتلك الكرة.

ج . مسألة عدم إمكان فناء العالم التي يعدّ الكرامية والجاحظ زوال وفناء العالم أمراً محالاً.

يظن البعض أنّه مع تغيير نظرية انحصار الأفلاك السبعة ، ومشاهدة كرات أخرى في الفضاء اللامتناهي لم تعد هناك حاجة إلى الاستدلال لرفض هذه الإشكالات ؛ وفي الوقت نفسه ومن أجل المزيد من المعلومات يمكن المراجعة إلى شرح تجريد العلامة (كشف المراد) أو شرح تجريد القوشجي.

والنظرية الثانية - كما أشرنا - هي عقيدة فلاسفة حيث يرون المعاد والثواب والعقاب من الأمور الروحانية من الناحية الروحية فقط ؛ وهذه النظرية مبنية على عقيدة تجرّد النفس الناطقة والإدراكات النفسانية أيضاً^(١). يقول ابن سينا :

يجب أن تعلم أنّ المعاد منه مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم. وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتناها بها نبينا المصطفى محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن. منه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالمقاييس اللتان للأنفس وإن كانت الأوهام ممّا تقصر عن تصوّرها الآن لما توضح من العلل ، والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وإن أعطوها فلا يستعظمونها في جنب هذه السعادة ، التي هي مقاربة الحقّ الأول على ما نصفه عن قريب.

ثم يذكر السعادة النفسانية وشقاوتها بالتفصيل ويقول في النهاية :

(١) لأنّ النفس جوهر باقٍ لا سبيل إلى فناءه وهو الباقي ببقاء الله تعالى.

وأنا الأنفس المقدسة فإنها... تنغمس في اللذة الحقيقية وتبرأ عن النظر إلى ما خلفها وإلى المملكة التي كانت لها كل التبرؤ^(١).

كما أن الشهرستاني يرى في الملل والنحل، أن المعاد هي السعادة الروحية نفسها، حيث في نهاية كتابه المعنون الملل والنحل، يعد مباحث الإلهيات تلخيص في عشر مسائل، ويسمي المسألة العاشرة باسم «في معاد وظهور سعادات الأرواح الدائمة»^(٢)؛ إلا أنه يقول بنوع من المعاد الجسماني للأشخاص الذين لم يصلوا إلى مرتبة الكمال، حيث كتب:

تتجه ميثاتهم النفسانية كلها إلى الناحية السفلى، وتنجذب إلى الأجسام؛ لذلك فهم مضطرون إلى التخيل، وإنّ التخيل بالجسم أمر لا بد منه. لذلك لا بد أن تكون هناك أجرام سماوية لتستند عليها القوة المتخيلة لهذه المجموعة. ولينظروا إلى ما قيل لهم حول أحوال البعث والقبر والخيرات الأخروية. ولينظروا أيضاً إلى النفوس الردية كعقاب تم تصويرها لهم في الدنيا، فالصور الخيالية ليست أقل من الصور الجسمية... ولكن النفوس المقدسة بعيدة عن أحوال مثلها، وأصحابها ينظمون إلى كمالهم الذاتي ويغوصون في اللذة الحقيقية^(٣).

كما أن شيخ الإشراق الذي أراد أن يوفق بين نظر الفلاسفة والشرعية، كتب: ولكن الأشقياء المخلّدين هم في العناصر الجسمانية والحُجب الظلمانية، وهم مبتلون هناك بعذاب أليم، وإنّ السعداء وأولياء الله يتنعمون باللذات الروحانية في حضرة الربوبية وعالم العقول، وتعود النفوس المتعلقة إلى المثل المُعلّقة وهذا هو معادهم^(٤).

(١) النجاة، ابن سينا، ص ٢٩١ - ٢٩٨. الطبعة الثانية مطبعة السعادة، القاهرة.

(٢) انظر كتاب، كتاب الملل والنحل، ص ٥١٦.

(٣) ترجمة الملل والنحل للشهرستاني، من قبل صدرالدين تركه الأصفهاني، الطبعة الأولى،

ص ٥١٩.

(٤) نقلاً عن الموسوعة، ج ٤، ص ٢٦٢.

النظرية الثالثة: إثبات المعاد الجسماني الذي تدعيه الأديان الإلهية، غير الصائبة الكلدانيين، إذا اعتبرناهم من أهل الكتاب. يقول العلامة المجلسي:
اعلم أن القول بالمعاد الجسماني اتفق عليه جميع المليين وهو من ضروريات الدين^(١).
ويقول الخواجة الطوسي: «وجوب إيفاء الوعد والحكمة يقتضي وجب البعث».

وقد كتب العلامة المجلسي في شرح العبارات المذكورة:
استدل المصنف رحمته على وجوب المعاد مطلقاً بوجهين: الأول أن الله تعالى وعد بالشواب وتوعد بالعقاب مع مشاهدة الموت للمكلفين؛ فوجب القول بعودهم لتحصيل الوفاء بوعدته ووعيدته. الثاني أن الله تعالى قد كلف وفعل الألم، وذلك يستلزم الشواب والعوض، وإلا لكان ظلماً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإننا قد بينا حكمته، تعالى. ولا ريب في أن الشواب والعوض إنما يصلان إلى المكلف في الآخرة لانتفائهما في الدنيا...^(٢).
يقول المحقق التفتازاني في كتاب المقاصد:

وأثبتته الحكماء والمليون إلا أنه عند الحكماء روحاني فقط، وعند جمهور المسلمين جسماني فقط بناءً على أن الروح جسم لطيف. وعند المحققين منهم كالغزالي والحليمي والراغب والقاضي وأبي زيد روحاني وجسماني ذهاباً إلى تجرد النفس، وعليه أكثر الصوفية والشيعة والكرامية، وليس بتناسخ، لأنه عود في الدنيا إلى بدن ما وهذه عود في الآخرة إلى بدن من الأجزاء الأصلية للبدن الأول. والقول بأنه ليس هو الأول بعينه لا يضر؛ وربما يؤيد بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾^(٤).

(١) بحار الأنوار نقلاً عن صاحب كفاية الموحدين.

(٢) شرح تجريد الاعتقاد، مباحث المعاد.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٦.

(٤) شرح المقاصد، ج ٢، ص ٢١٠ طباعة إسلامبول، سورة يس الآية ٨١.

كما رأينا فإن أصل المعاد تم قبوله من قبل الفلاسفة وأهل البلد، إلا أن الفلاسفة بسبب اعتبارهم إعادة المعدوم من المحالات ويرونها من القواعد الفلسفية المسلّم بها فإنهم ينكرون عودة الجسم وجسم الإنسان في الآخرة؛ لأن جسم الإنسان يتلاشى بعد موته وتتفرق أجزاؤه وفي بعض الأحيان يصبح جزءاً من جسم آخر لذلك فإن عودة الجسم بعد الانعدام ليست معقولة.

تمت الإجابة على هذه النظرية من قبل المتكلمين وأهل الملل على هذا النحو: أولاً بعد الموت لا تبنى جميع أجزاء الجسم ومن الممكن أن تبقى بعض الأجزاء الأصلية بشكلها الأول^(١). وبإضافة أجزاء فرعية مشابهة موجودة في الجسم الدنيوي، تتحول إلى شكل يقال عنها إنها الشخص نفسه الذي كان في الدنيا؛ مثلما كان الإنسان بشكل ذرات كنظفة في البداية ثم تحول بعد رشده ونموه إلى جسم حجيم؛ وحتى أجزاء هذا الجسم - كما أثبت في العلم - تبنى في بعض الأحيان وتصبح الأجزاء المشابهة لها في مكان ما تمت استحالته.

يقول العلامة قطب الدين الشيرازي: «لا يعيدون المعدوم بعينه، أي بجميع العوارض المقتضية له لأن هناك اختلاف بين المعاد ومستأنف الوجود»^(٢).

وحول هذا الأمر أنه لا يلزم حشر الإنسان في القيامة مع جميع مشخصاته وعوارضه الجسمانية الدنيوية، يقول الخواجة نصير الدين الطوسي في التجريد: «ولا تجب إعادة فواضل المكلف».

وفي شرح هذه العبارة يقول العلامة المجلسي:

اختلف الناس في «المكلف ما هو؟» على مذاهب منها... ومنها قول جماعة من المحققين: إن المكلف هو أجزاء أصلية في هذا البدن لا يتطرق إليها الزيادة والتقصان وإنما تقعان في الأجزاء المضافة إليها^(٣).

إذا عرفت هذا، فنقول: الواجب في المعاد هو إعادة تلك الأجزاء الأصلية،

(١) هذه عود في الأخرى إلى البدن من الأجزاء الأصلية للبدن الأول (المقاصد للتفتازاني).

(٢) نزهة الناج.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد؛ طباعة مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٤٠٦.

إذ النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية. أما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا
تجب إعادتها بعينها... الخ^(١).

نظرية صدر المتألهين

وقد شرح الشيخ الملاً صدرا الذي أراد أن يجمع بين كلام المتشريعين -
القائلين بالمعاد الجسماني - وبين نظرية الفلاسفة - الذين يرون المعاد فقط كأمر
روحاني - وضمن ذكر مقدمات في كتابي المبدأ والمعاد^(٢) والأسفار، نظريته
حول هذا الأمر بشكلٍ وافٍ، حيث يعتقد أنّ مسألة المعاد التي ذكرها هو
بنفسه، من إبداعاته الخاصة. لذلك فهو لم يكتف بما شرحه في كتابيه المذكورين
أعلاه بل ألّف رسالتين أخريتين وخصّصهما لهذا المبحث: الأولى «رسالة في
الحشر»، والثانية الرسالة الحالية أي «زاد المسافر أو المعاد الجسماني».

وبما أنّ مباحث كتابي المبدأ والمعاد والأسفار الموجودة في رسالة الحشر تشبه
نصوص هذه الرسالة مع بعض الاختلاف، فإننا نتجنب ذكر مندرجات الكتب
المذكورة، إذ يستطيع القراء أن يرجعوا إلى هذه الكتب للمزيد من هذه المعلومات.

كلام حول أصل ونسخ هذا الكتاب

تعد هذه الرسالة إحدى مصنفات صدر الدين الشيرازي إلّا إنّها لم تذكر في
أغلب المآخذ وكتب التراجم^(٣). ولكن من حسن حظنا فإن مخطوطة هذه الرسالة
كتبت من قِبَل أحد أحفاد مؤلفها وهي حالياً من ضمن مقتنيات مكتبي الخاصة.

تحتوي هذه المجموعة على مباحث فلسفية وروائية ورجالية وإفادات مختلفة
وقد كتبت في الربع الأول من القرن الثاني عشر؛ ومن ضمن الرسائل الفلسفية
الموجودة فيها، مخطوطة المشاعر وكذلك زاد المسافر للملاً صدرا وهي مكتوبة
بخط نستعليق بديع وصحيح إلى حد ما. وكاتب هذه المخطوطة هو محمد

(١) المصدر ذاته.

(٢) انظر كتاب المبدأ، طباعة حجربة، ص ٣٠٠، وترجمها الأردكاني.

(٣) مثل الدررمة، كشف الظنون ومواسمها وروضات الجنان للخوانساري وريحانة الأدب.

محسن بن علم الهدى بن الملاء محسن الفيض الكاشاني، صهر صدر المتألهين.
واسم علم الهدى (والد كاتب هذه المخطوطة) هو الملاء محمد، وكما يبدو
من تأليفاته يعد علم الهدى عالماً موسوعياً وله تأليفات فقهية وروائية من
منها: أصول الدين (باللغة الفارسية)، و(تحفة الأبرار في العقائد والأخلاق)،
والجامع في الأصول والأخلاق)، و(الجامع في الأصول والفروع)، و(الحاشية
على مفاتيح الشرائع) لوالده الملاء الفيض الكاشاني، حيث هناك مخطوطة لها
في مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة في طهران بتصحيح مراجع هذه المقدمة^(١).
وكذلك هناك مخطوطة له لكتابه في الدراية من تأليفه وبخطه في مكتبة جامع
گورشاد في مدينة مشهد.

ذكر مؤلف الذريعة وفاة علم الهدى بين ١١١٢ و ١١٢٣ هـ.ق. وفي إجازة من
قوله لابنه علم الهدى - وهي موجودة في هذه المجموعة أيضاً - يذكره الفيض
على هذا النحو:

أما بعد فقد استجازني ولدي الأعز الأسعد وقرّة عيني الأمجد الأرشد،
المرشح في عنفوان شبابه، لإحراز قصب السبق في السداد والصلاح، والشاهد
سماته بأهليته لنيل الفوز والفلاح، الجامع بين طائفة من العلوم العقلية والنقلية
وحظ وافر من الكمالات العلمية والعملية، محمد الملقب بعلم الهدى أدام الله
تعالى توفيقه ونهج إلى ذك السعادة طريقه...^(٢).

ولكن كاتب هذه المخطوطة أي «محمد حسن» الذي لديه نفس اسم جدّه
الفيض الكاشاني كان رجلاً جامعاً أيضاً - كما نرى في هذه المجموعة - وكان
منجرباً في الفلسفة والفقه والحديث، ولكن ليس لدينا أي علم بتحقيقاته
ومصنفاته غير ما جاء في هذه المجموعة^(٣).

(١) ربحانة الأدب، ص ١٢١، ج ٦. (٢) المجموعة إياها.

(٣) ومن أجل التأكيد راجعنا هذه الكتب: أمل الأمل للشيخ الحر العاملي، ورياض العلماء
أفندي، ورواهات الجنان للخوانساري، وأعيان الشيعة للسيد محسن العاملي، وقصص
العلماء للتكايفي، ولغتنا دهمدا (قاموس).

وغير معرفتنا بحياته هناك نقطة مبهمة أيضاً وهي أن الكاتب يذكر الفيض بالوالد والصدرا بالجدّ، في حين إنّ هاتين الصفتين تنطبقان على علم الهدى - ابن الفيض، وليس على حفيده - ولكن كما رأينا فإنّ وفاة علم الهدى تعود إلى السنوات بين ١١٢ و ١١٢٣ لا تنطبق مع تاريخ كتابة المخطوطة - الذي ذكر في نهاية كتاب المشاعر في ١١٤٠ هـ.ق.، وفي رسالة زاد المسافر ١١٤٤ هـ.ق... وإضافةً إلى ذلك من المستبعد أن تكون هذه المجموعة كتبت بعد نصف قرن من وفاة المَلّا الفيض من قبل ابنه.

لذلك يجب أن نرجّح أنّ الكاتب هو حفيد المَلّا فيض، إلّا أنّ جزءاً من محتويات المخطوطة هي منقولات عن علم الهدى - أي والده - رواها الكاتب عن أبيه؛ ويصدق هذا الاحتمال بجملة أدخلها بعد رسالة علاء الدولة السّمناني: «هذا الكلام كان أورده علاء الدولة في رسالة كتبها بالفارسية ونقله الوالد الأستاذ أدام لله أيام إفاداته إلى العربية روماً للاختصار، والحمد لله. نقلت من خط والدي الماجد العلامة أعلى الله درجته في دار المقامة».

لأنّه من المؤكد أنّ مراد الكاتب من لفظة الوالد التي انتهت بدعاء «أدام الله أيام إفاداته» وتؤكد على أنه كان على قيد الحياة في ذلك الوقت، غير عبارة «والدي الماجد» التي ذكرت في جملة «أعلى الله درجته في دار المقامة» وهي تدلّ على وفاة الشخص المذكور.

كما جاء في بداية المقدّمة أن هناك نسخة من زاد المسافر - التي سُميت بـ«رسالة في المعاد» أيضاً - وهي في حوزتي، وقد نشرت في مجلة كلية العلوم الشرعية التابعة لجامعة طهران.

وقد طُلب مني أن أقارن المخطوطة المذكورة مع مخطوطات أخرى موجودة في مكتبات إيران وأن أهدّها للطباعة.

والمخطوطات المُرسلة هي بالترتيب كالتالي:

(١) مخطوطة مكتبة فارس (شيراز) الوطنية التي تبدو وكأنها كتبت نقلاً عن المخطوطة المكتوبة من قبل المؤلف (صدر المتألهين) وذلك بناءً على طلب علم

الهدى من (الفيض الكاشاني وحفيد المؤلف)؛ وقد جاءت هذه العبارة خلف الورقة الأولى: «كتاب في تحقيق القول في المعاد الجسماني من إملاء العارف الرباني صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى - قدس الله سره - استكتبه الفقير إلى الله محمد بن محسن مرتضى نفعه الله به».

وفي آخر المخطوطة جاء: «استكتبتها من الأصل الذي كتبه جدّي المتأله بخط يده، جعلني الله ممن شرح صدره بنور المعرفة في يومه لسعادة غده. وكتب الحقيق محمد المدعو علم الهدى ابن محمد المحسن بن مرتضى عفا الله عما اجترح وجنى، وختم له في نشأته بالحسنى، حامداً على نعمه التي لا تحصى، مصلياً على أهل بيت الاصطفاء».

(٢) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي النجفي في مدينة قم، كتبت بخط شكسته نستعليق بشكلٍ بديع من قبل محمد بن مهدي التبريزي عام ١٢٦٨ هـ.ق.

(٣) مخطوطة مكتبة آية الله الغلپايكاني المكتوبة في جمادى الأولى عام ١٢٩٠ هـ.ق.

(٤) مخطوطة هذا الحقيق التي كتب من قبل محمد محسن بن علم الهدى، وهي بخط شكسته نستعليق مقروء بين أعوام ١٢٤٠ حتى ١٢٤٤ هـ.

ومن المخطوطات المذكورة تبدو مخطوطة مكتبة فارس الوطنية أنها أقدم المخطوطات، وقد كتبت بناءً على طلب علم الهدى من الملاء الفيض الكاشاني وحفيد الملاء صدرا، وتأتي بعدها مخطوطتي أنا التي كتبت بعد عام ١١٤٠ هـ. ولكن بما أن مخطوطة فارس (شيراز) كتبت من قبل كاتب لم يكن ماهراً في القواعد وفن الكتابة لذلك نجد فيها بعض الأخطاء، في حين أن مخطوطتي وهي كتبت من قبل الملاء محمد محسن بن علم الهدى، ولأنه هو نفسه من أهل الفضلاء والفن^(١)، فهي مصونة من هذه الأخطاء لذلك اتخذنا هذه المخطوطة كأساس لعملنا وأوردنا فروق مخطوطة فارس وغلپايگاني في الهامش.

(١) يمكننا لمس هذين الأمرين من مکتوباته في مجموعتي.

ولكن مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي النجفي تبدو وكأنها كتبت مدمجة من الرسالة المذكورة وسائر مصنفات المؤلف من ضمنها الأسفار، ويحتمل أنها تحرير آخر للرسالة. لذلك إدراج الزوائد ومفارقاتها مع النسخ الأخرى لم تكن تندرج في الأسلوب المتداول في تصحيح الكتاب؛ ومن جهة أخرى تجاهل هذه المخطوطة تبعد المحقق عن مقصوده لذلك أدرجناها بالتمام والكمال بعد مخطوطة المصحح.

الموضوع الآخر الجدير بالذكر أنه عطفاً على مسطورات المخطوطات الأخرى، وردت أحياناً كلمات تبدو خطأً في النسخة الأصلية في حين أنها كتبت في مخطوطة أخرى بشكل صحيح، أدرجناها في النص بشكل صحيح ومن أجل رعاية الأمانة أوردنا العبارة الأساسية في الهامش. وفي النهاية نضيف مع أن بعض فروق المخطوطات في الهامش غير صحيحة، ولكننا أدرجناها من أجل رعاية الأمانة.

ملاحظة المراجع

عند مراجعة المقدمة النقدية لحضرة السيد الدكتور سعيد نظري توكلّي على رسالة «حشر الأشياء» - للحكيم صدر المتألهين الشيرازي - انتهت إلى عدة نقاط تبولي غير منصفة. وتصورت أنه من الممكن أن يتصور بعض القراء أن مؤسسة حكمة صدر الإسلامية (الناشر) وكذلك المراجع يوافقان على رأي المنتقد المحترم حول هذه النقاط، لذلك ارتأيت أنه من الضروري أن أكتب آرائي ضمن ملاحظة مستقلة؛ ولكن قبل ذلك أشير إلى عدة أمور:

أولاً: إنّ نقد الأعمال المكتوبة - خاصة الأعمال الفلسفية - أحد أهم ضروريات التحقيق في تقدّم العلم البشري، فقيمة نقد تحليلي مُعتبر ليست أقل من قيمة التنظير؛ لأن النظريات الجديدة دوماً ما تخرج من بطن نقد الأعمال ونظريات القدماء. ولكن يجب الملاحظة أن نقد الأعمال العلمية والفلسفية له قواعد وملزومات مثل أي تحقيق علمي معتبر ويجب الانتباه إليها، وفي غير هذه الحالة سيفقد الاعتبار العلمي. فعلى المنتقد أن يقرأ مباحث العمل بدقّة ومن دون أي تعصب وحكم مسبق ويحلّلها، وأن يبرز محاسنها ومعاييبها معاً لتظهر قوّتها وضعفها حتى يتم تقديم نظريات جديدة وكاملة، بعد إصلاحها وتكميلها.

لذلك علينا أن نشمّن التحقيق النقدي للدكتور نظري توكلّي وأن نقدره، لأنّه حاول، مستخدماً المصادر ذات الصلة.

ولكن أن يُلقي الضوء على نقاط ضعف الرسالة وذلك بعد تحقيق جامع وتحليل مباحثها. ومع أنّنا لا نوافق على وجهة نظره هذه ونعتبرها موفوضه إلا أنّ عدم موافقتنا مع وجهات نظره لا يقلل من قيمة بحثه أبداً، مثلما لا تقلل مخالفتنا مع وجهات نظر الملا صدرًا من قيمتها الفلسفية.

ثانياً: يجب أن ننتبه أولاً أنّ نقد عمل ما يختلف عن إظهار عيوبه تماماً. فالنقد والانتقاد - كما أشرنا - عبارة عن إيزار محاسن العمل ومعايبه؛ أيّ على الناقد أن يبين الصواب من الخطأ بمحك الصدق، وأن يشير إلى نقاط قوّته وضعفه أيضاً، إلّا أن الباحث عن العيوب يبحث عن نقاط الضعف من خلال السطور، ويحاول أن يبرزها أكبر مما هي. وثانياً يجب الانتباه بالألا يختلط - أحياناً - نقد أثر ما بانتقاد شخصية صاحب الأثر. وفي بعض الأحيان عند نقد عمل ما تتم محاكمة مؤلفه، وفي بعض الحالات - وهي غير صحيحة من وجهة نظر الناقد - يلام المؤلف بعبارات مُهينة، في حين أننا نعلم أنّه ما من إنسان معصوم عن الخطأ - غير المعصومين. والإنسان، ليس فقط يحتمل ارتكابه للخطأ بل إنّ واجب الخطأ أيضاً، لذلك لا ينبغي ملامة أي شخص بسبب خطئه في التنظير أو إهائته.

ثالثاً: يعد المعاد بصفته أحد أصول الدين، أهم مسألة كلامية بعد أصل التوحيد تم بحثه في الفلسفة الإسلامية (خاصةً في قسم الشرعيات) تحت عنوان معرفة الوجود؛ إلّا أنّ تبرير فلسفة كلفيته وتبيينها الفلسفي، كما جاء في الآيات والأحاديث، دوماً ما تسبب بالمشاكل للفلاسفة، لأنّ ذهن الانسان يفهم كل شيء في أرضية الزمان والمكان ولذلك نخشى ألا يكون وجود عالم آخر - بخصوصيات عالم مادّي - سهلاً في ما وراء هذا العالم المادّي وفي الوقت نفسه يكون ما وراء الزمان والمكان، على نحو يكون مفهوماً ومقبولاً من قبل المؤمنين العوام. لهذا السبب لم يدخل فلاسفة كبار كالفارابي وابن سينا في تفاصيل مبحث المعاد، واجتازاه بمباحث عامة، ولكن مع هذا فقد تم تكفيرهم.

ولكن الحكيم صدر المتألهين الشيرازي لم يخش الدخول في هذا الوادي الخطير وحاول باستخدام آيات القرآن الكريم ومستنداً بمكتب العشق والعرفان أن يبين كيفية الحياة الأخروية. من الطبيعي أن يكون هناك رجال دين وبعض المؤمنين لا تعجبهم نظرياته بل يرونها تعارض تعاليمهم الدينية ولا يوافقوا عليها؛ ولكن الحقيقة هي أنهم عجزوا أيضاً عن التبرير العقلاني المقبول.

ولكن نقاشنا لا يدور في هل أن هذه النظرية تطابق التعاليم الدينية أم لا ، لأن تشخيص هذه المسألة يعود إلى علماء الدين ؛ بل إن بحثنا هو حول مناقشات الناقد المحترم على أسلوب تحقيق وكيفية استدلال واستنتاج صدر المتألهين ، إذا إننا ننظر إلى هذه المناقشات من زاوية أخرى وندع القراء المحترمين يحكموا على هذا الأمر.

(١) حشر الأشياء أو معاد الأشياء

بعد ذكره المعاني اللغوية لمفردة «الحشر» وتحديد أصلها وأساس معانيها المختلفة يقول الدكتور نظري توكلي : «وبملاحظة هذا الانتباه يمكننا القول : إن «الحشر» في الاستخدام الديني عبارة عن إخراج الأموات من القبور وترحيلهم إلى المحضر الإلهي من أجل الحساب».

ثم ذكر عدد استخدام مفردة «الحشر» ومفرداتها في القرآن الكريم ثلاث وأربعين مرة حيث عشر منها تعني حشر البشر (الإنسان) إلى الله وحالتان بمعنى حشر الحيوانات إلى الله وأضاف : «إن الدقة في هذه الحالات تؤكد أيضاً أن «الحشر» بمفهوم الإخراج من مكان والإرسال إلى مكان آخر... وعلى هذا المنوال يبدو أنه لو سمي صدر المتألهين اسم رسالته بـ«معاد الأشياء» بدلاً عن «حشر الأشياء» لكان أصح.

الجواب : أولاً ، إن المبحث اللفظي ليس من دأب المحصلين ، ثانياً ، كيف يمكن عن طريق عد المعاني اللغوية لمفردة ما وتحديد أصلها وأساسها في اللغة ، أن نحدد استخدامها الديني ؟ وثالثاً ، إن كان استخدام مفردة «الحشر» من أجل إخراج الأموات من القبور وإرسالهم إلى المحضر الإلهي من أجل الحساب ، فكيف يمكن تبرير حشر الحيوانات حسب ما جاء في القرآن الكريم «إذا الوحوش حُشرت» ؟ وفضلاً عن ذلك - وكما ذكرت حضرتك - فقد جاء في القرآن الكريم في عشر حالات بمعنى حشر الناس وفي حالتين حشر الحيوانات.

(٢) حشر العقول وبراهينهم

باعتماد الدكتور نظري توكلّي - إضافة إلى كون براهين إثبات حشر العقول مخدوشة - فإنّ حشر العقول - نظراً إلى معنى «الحشر» في الاستخدام الديني الذي يعني الإخراج من القبور والتجميع في المحضر الإلهي من أجل الحساب ليس له مبرّر أصلاً.

ولكن من وجهة صدر المتألهين فإنّ المعنى الرئيسي لمفردة «الحشر» في الاستخدام الديني عبارة عن العودة إلى عالم آخر وفي النهاية العودة إلى الله؛ لأنّه بغير ذلك لن يكون حشر الحيوانات، الذي جاء في بعض الآيات والأحاديث مبرراً.

٢ - ١) البرهان الأوّل: إنّ العقول من شؤون الذات الإلهية:

ملخص الاستدلال: إنّ العقول هي وجود محض وتخلو من أي نوع ماهية مغايرة للوجود؛ وأي وجود يكون وجوداً محضاً، ولا يدخل فيه أي عدم - من ضمنه نقص محدودية الوجود وتملّك الماهية - ليس فيه أي هوية منفصلة عن الوجود الإلهي؛ وبالتالي ليس للعقول وجود مستقل ومنفصل عن الوجود الإلهي. بعبارة أخرى: إنّ تمامية حقيقة العقول - من دون الأخذ بنقص محدودية الوجود - والذي يعدّ أمراً عديمياً - هي من قبل نور الأنوار، لأن نور الأنوار مقوّم وجود العقول، وإنّ فرض وجود شيء من دون وجود مقوّم كفرض ماهية من دون مقوّم. إذن، عودة العقول - مع إزالة محدودية الوجود - تكون من قبل نور الأنوار.

وعطفاً على هذا الاستدلال: فإنّ الاختلاف بين الوجود الإلهي والعقول، أمر اعتباري وأنّ الموجودين ليسا مستقلّين ومنحازين عن بعضهما البعض، لذلك فإن حشر أحدهما على الآخر ليس له معنى، لأنّ عودة شيء على نفسه ليس منطقياً.

الجواب: خلافاً للبيان المستشكل لو كانت العقول والوجود الإلهي موجودين مستقلّين ومنحازين عن بعضهما الآخر، فإنّ عودة العقول إلى الوجود الإلهي لن يكون صحيحاً، لأن عودة موجود مستقل إلى وجود مستقل آخر غير منطقي

اصلاً. وفي الحقيقة فإنّ عودة العقول إلى الوجود الإلهي بمعنى إزالة الاختلاف الاعتباري، أي المحدودية الوجودية.

وأساساً من منظر الحكمة المتعالية ليس لأي موجود في عالم الوجود وجودٌ مستقلٌّ ومنحازٌ عن الوجود الإلهي، بل إنّ الجميع هم موجودات رقيقة من حقيقة الحق وروابط منتمية لها، وتعود إليها عند إزالة المحدوديات الوجودية وهي أمرٌ علمي.

٢ - ٢) البرهان الثاني: قاعدة إمكان الأشرف

كتب المؤلف في رد إشكال لزوم حصر اللامتناهي بين حاصرين: تُلزم قاعدة الإمكان الأشرف أن يكون هناك اتصال معنوي بين المبدأ الأول وأقرب موجود إليه، كما يجب أن يكون هناك اتصال معنوي للموجود الأقرب والموجود الأبعد حتى آخر الموجودات والأنيات المحضّة والأنوار الصرفة.

لذلك فإنّ جميع العقول والأنوار بمثابة ذات واحد توجه بينها ترابط معنوي، وإنّ تفاوتها في مراتب شدة الإشراق والكمال الوجودي. وضمن نظيره للترابط ووحدة العقول مع الذات الإلهية بالوحدة الجمعية للنفس الإنسانية، يقول:

نعلم أنّ النفس الإنسانية لها درجات ومرتبات (من حد العقل حتى الحس والطبيعة) وأنّ أي من هذه المراتب أيضاً لها مراتب متفاوتة وبالقوة غير محدودة حسب الشدة والضعف، والكمال والنقص؛ ولكن بسبب بساطتها ووحدها الجمعية، لا يلزم «المحصور اللامتناهي بين حاصرين» بين قواها أو مراتبها المختلفة لذلك فإنّ لزوم «الحصر اللامتناهي بين حاصرين» بين عقليين أو بين العقل الأول والذات الباري، اللذين يتمتعان بوحدة جمعية وبسطة أقوى وأشد، ينتفي قطعاً. فضلاً عن ذلك يعد الملاء صدرها هذه الجوابية كإلهام غيبي وكشف معنوي.

الإشكال: أولاً، ما علاقة هذه الإلهامات الغيبية بذلك الإشكال؟ وثانياً، كم ينطبق هذا الكشف، المعنوي الذي يخص صدر الدين الشيرازي فقط، مع القواعد الفلسفية المسلّم بها؟ وثالثاً، إنّ النفس الإنسانية ليست غير محدودة...

ورابعاً ما علاقة تشابه العقول بالنفس الإنسانية في البساطة والمالكة للمراتب والدرجات غير المتناهية، بمسألة حصر اللامتناهي بين الحاصرين في مسألة الذات الباري تعالى والعقل الأول؟

الجواب: أولاً، إنّ العلاقة واضحة جداً، إذ يقول المؤلف: هناك اتصال معنوي بين عقليين وكذلك بين العقل الأول والذات الباري، على نحو تتساوى أعلى مرتبة وجودية لأي منهما مع أدنى مرتبة ما فوقها؛ وفي الحقيقة يشكل وجوداً واحداً له مراتب مترابطة مع بعضها. لذلك فإن الحشر اللامتناهي بين حاصرين غير معقول في هذه السلسلة. ثانياً، إنّ انطباق هذا الادعاء أو عدم انطباقه بالقواعد والقوانين العقلية - الفلسفية المسلّم بها يرتبطان بهذا الأمر أنّه ما هو القصد من القواعد العقلية - الفلسفية المسلّم بها. ثالثاً، إنّ مراتب قوة النفس الإنسانية غير محدودة بالقوة. رابعاً، وفي هذه الحالة العلاقة واضحة أيضاً، لأنّه من وجهة نظر صدر المتألهين تعد العقول من شؤون الذات الإلهية وليست منفصلة عنها، حيث يقول: إنّ ذات الباري والعقول هما وجود واحد مثل النفس الإنسانية، مع هذا الفرق أنّ الوحدة والبساطة في وجود ذات الباري والعقول أقوى وأشد؛ لذلك إن لم يكن هناك حصر لا متناهي بين حاصرين، بين قوى النفس، لن يكون هناك لازماً لوجود هكذا إشكال بين العقل الأول والذات الباري.

إشكال آخر: إنّ قاعدة إمكان الأشرف ليست مقتضى الاتصال المعنوي بين المبدأ الأول والعقل الأول، بل إنّ مفاد هذه القاعدة هو وجود الممكن الأشرف قبل الممكن الآخر. ولكن قبول وجود اتصال معنوي بينهما - على فرض صحته - هو من أجل إزالة إشكال حصر لا متناهي بين حاصرين، ولا يثبت حشر العقول.

الجواب: بالتأكيد مفاد هذه القاعدة هو وجود الممكن الأشرف قبل الممكن الآخر، ولكن في الوقت نفسه، يقتضي اتصال معنوي بين ذات الباري والعقول أيضاً. بهذا المعنى: إنّ قاعدة إمكان الأشرف يمكنها أن تكون حاكمة في سلسلة إلى المفارق في حالة يكون فيها اتصال معنوي بين ذات الذات الباري والعقل

الأول وكذلك بين عقليين، وإلا في غير هذه الحالة، سيلزم حصر اللامتناهي بين حاصرين. ولكن الحصر اللامتناهي بين حاصرين باطل؛ لذلك فهناك اتصال معنوي بينهما، أي إنَّ العقول من المراتب الإلهية والدرجات الربوبية وإنَّ عودتها (حشرها) إلى الذات الإلهية. بالتأكيد حشر العقول ليس بمعنى الإخراج من القبور والتجميع في مكان ما من أجل الحساب، بل بمعنى عودة الأوصاف إلى الذات وعودة الروابط والرقاقات إلى حقيقة المستقلة.

٢ - ٣) البرهان الثالث: وحدة التجلي والمنتجلي

إنَّ العقول هي تجلي الحق، ومن جهة أخرى إنَّ التجلي هو في الحقيقة المنتجلي نفسه وتفاوتها اعتباري. لذلك فإنَّ عودة العقول هي من الذات الإلهية.

الإشكال: إنَّ كيفية ارتباط هذه المسألة بحشر العقول تدعو للتأمل، خاصةً وأننا نستلخص من عبارات أبو علي سينا بأنَّ العقل هو موجود غير الحق، ولذلك فهو يستخدم مفردة «مثال» وليس «مثل» لتوصيف العقل. كما أنَّ توصيف العقل بـ«الهويات المبدعة» في كلام أفلوطين يؤكد هذا الأمر. وهذا يعارض ما يحاول صدر المتألهين إثباته تماماً، أيَّ عدم اختلاف الحق تعالى مع العقل باستثناء الاعتبار.

الجواب: يمكننا فهم كيفية ارتباط هذه المسألة بحشر العقول من التوضيحات السابقة، ولكن توصيف العقل بمفردة «مثال» لا يخص ابن سينا فقط، بل إنَّ جميع فلاسفة الإسلام - من ضمنهم الملاحكا صدرًا - استخدموا مفردة «مثال» حول العقول والنفوس وليس «مثل»؛ لأنَّ القول بـ«المثل» هو شرك. ولذلك فإنَّ توصيف العقل بـ«المثال» ليس دليلاً على المغايرة الحقيقة للعقل مع الحق تعالى؛ كما أنَّ تعبير أفلوطين للعقول بـ«الهوية المبدعة» لا يعطي معنى كهذا.

٢ - ٤) البرهان الرابع: اتحاد العاقل والمعقول

يقول الملا صدرًا في الأسفار^(١): إنَّ المفارقات العقلية عيناً كالعلوم

(١) ج ٩، ص ٣٤٣.

التفصيلية لله على الأشياء - من دون صورة ذهنية زائدة - وبما أنّ ذات الحق كالحق على الموجودات تماماً فإنّ عودة العقول هي إلى الذات الإلهية.

الإشكال: لا يبدو أنّه يمكن عن طريق أصل اتحاد العاقل والمعقول أن تثبت بأنّ العقل في الوجود هو عين الواجب تعالى... إنّ اتحاد العاقل والمعقول بالعرض ليس دليلاً على اتحاد العاقل والمعقول بالذات في وجود خارجي... وإن كان العقل الأول من المراتب الإلهية... فلن يعود للحشر والمعاد أي مفهوم. الجواب: يقول الملاء صدرًا: إنّ المفارقات العقلية عيناً كالعلوم التفصيلية لله على الأشياء، من دون صورة ذهنية زائدة؛ بعبارة أخرى: إن كان الوجود الخارجي للأشياء المعلومة بالذات هو الله فإن هذا الحكم يصدق على جميع المفارقات، أي إنّ علم المجرد هو علم حضوري، وفي العلم الحضوري لا يوجد المعلوم بالعرض وإنّ حشر ومعاد العقول إلى الله أيضاً يعني تجاهل التفاوت الاعتباري وإعادة المراتب الإلهية إلى الذات الإلهية.

(٢) حشر النفوس الحيوانية

يعتقد صدر المتألهين بأنّ النفوس الحيوانية بانضمامها إلى خالقها تعود إلى الله، حيث يقول: مثلما تعود قوى نفس الإنسان بعد الموت إلى النفس فإنّ نفوس الحيوانات أيضاً تعود إلى خالقها الذي هو مدبّر عقولها، وإنّ هذه العقول تعود إلى العقل الأوّل، والعقل الأوّل يعود إلى الله.

الإشكال: إنّ الخالق موجود في القوس النزولي، وإنّ حشر النفوس بعد موتها موجود في القوس الصعودي. كما أنّ نسبة الخالق بأفراد نوعه ليس كنسبة الكلية الطبيعية بأشخاصها. لذلك كيف يمكن أن نفقد النفوس الحيوانية مزايها وأن تصبح وجوداً واحداً ونعود إلى مدبّرها العقلي، وأخيراً على فرض صحة وحدة قوى النفس ما هلاقتها بوحدة النفوس الإنسانية؟

الجواب: من وجهة نظر الملاء صدرًا إنّ نسبة الخالق بأشخاصه كنسبة النفس الإنسانية على قواها. ومثلما تعمل قوى النفس أثناء حياتها بعيدة عن بعضها

وتحت تدبير وحكم النفس، وهي تعود بعد موتها ويفقدانها الشخصيات المادية، إلى مدبرها أي النفس وتصبح مثلها؛ فإنّ أشخاص النفوس الحيوانية أيضاً أثناء حياتها كقوى الخالق تحت تدبيره، وبعد انفصالها عن المزايا المادية تنضم إلى الخالق. ويعود هذا التبرير إلى هذا السبب أنّه من وجهة نظر صدر المتألهين يعد عالم الآخرة، عالم المجردات ولا تدخل إليه الموجودات المادية والأجسام الأرضية. لذلك لو تقررت عودة الحيوانات إلى عالم الآخرة فعليها أن تصبح موجوداً مجرداً. وجواباً على إشكال قوسي النزول والصعود يمكننا أن نقول أيضاً: إنّ بداية قوس النزول ونهاية قوس الصعود في الحيوانات هما الخالق.

٤) حشر النفوس النباتية (٥) حشر الجمادات:

يمكن تبريرهما بالانتباه في تبين الملاء صدرنا وإعادة قراءة توضيحاته.

٦) معاد الهيولي الأولى والأجسام المادية:

باعتماد صدر المتألهين ليس للهيولي الأولى والأجسام المادية والحركة معادٌ وحشراً، حيث يقول إنّ جميع موجودات عالم الوجود تتجه حسب فطرتها الأساسية إلى غاية، وبعد وصولها إليها تصل إلى السكون والهدوء. وهذه الغاية ليست إلّا الخير المطلق والعلّة الأولى. وعلى هذا الأساس فإنّ انتفاع بعض الموجودات من الوجود هو استعداد قبول الصورة والكمال الوجودي، مثل الهيولي، الحركة والجسم المادّي الذين يسرون في طريق الاضمحلال والانهار؛ لذلك لا يمكنها أن تنتقل إلى عالم الآخرة كما أنّ مبدأ وجود هذه الأشياء من الأمور العدمية - لأنّ مصدر الهيولي هو الإمكان، ومصدر الحركة هو القوة الاستعدادية، لذلك فإنّ معادهما ومرجعهما هو الزوال والبطلان.

الإشكال: (١) إنّ الهيولي الأولى قوّة محضة وفاقدة لأي فعلية وتحصل. لا يوجد شيء كهذا في العالم... لذلك فإنّ النقاش حول معاد الهيولي من دون تملك صورة... لا معنى له.

(٢) في المعاد الجسماني، مع معاد الجسم ستكون لمادته الأولى معادٌ أيضاً.

(٣) إنّ مفهوم الحركة هو من المعقولات الفلسفية الثانية ينتزع من سيلان وجود الجوهر والعرض، وإن كان موجوداً في الخارج أيضاً فهو وجود عرضي ويتبع المقولة. إذن، كيف يمكن القول بوجود الحركة يكون استعداداً لشيء آخر.

(٤) هل باستطاعة الإمكان والقوة أن يكونا مصدر وجود وإيجاد شيء؟ وإن كان الإمكان أمراً عديمياً فكيف يمكن أن يكون له خاصية إعطاء الوجود؟

(٥) إن الإمكان الذاتي هو الوجه المشترك لما سوى الله، لذلك إن كان الإمكان الذاتي دليلاً على عدم معاد الهیولی، فلا يمكن لأي موجود أن يكون له معاد.

الجواب: (١) إن مبحث الملاء صدر لا يلخص في هذه الجملة بأنه هل للهیولی الفاقدة لصورة المعاد أم لا، بل إنّ قصده هو أنّه فقط الصور الجسمانية والمادية لهذا العالم هي مع الهیولی، ولكن الصور الجسمانية الأخروية بسيطة وليست لها هیولی.

(٢) إنّ المعاد الجسماني لصدر المتألهين ليس مع الجسم المادي، وليس له مادة أولى.

(٣) أولاً، إنّ المعقولات الفلسفية الثانية عروضها في الذهن ولكن اتصافها بالخارج. ثانياً، إنّ العلة والمعلول، والوجوب والإمكان، والواحد والكثير أيضاً يعدون من المعقولات الفلسفية الثانية ولكن جميعهم موجودون في الخارج. ثالثاً، إنّ الحركة وفقاً لتعريف أرسطو هي عبارة عن: «الكمال الأول لشيء بالقوة بسبب كونه بالقوة». لذلك فإنّ الحركة بسبب كونها كمالاً فهي أمر وجودي، وبسبب أنّ الكمال هو لشيء بالقوة، فهي استعداد أيضاً.

(٤) إن الإمكان والقوة - مع أنهما أمرٌ عديمٌ - يمكنهما أن يكونا مصدر وجود شيء، ولكن ليس بمعنى الباعثين على إيجاده؛ ويقول الملاء صدرًا: إنّ معنى علل الاستعدادات والإمكانات وأسبابها وكذلك الأعدام هو أنّها تجهّز القوابل والمواد من أجل قبول الصور الجديدة؛ لأنّ أي ظاهرة تتشكل في عالمنا هذا فهي مضطرة أن تكون مسبقة بالعدم. وأنّ وضعها كجزء، من العلل والأسباب

يعني تعرية المادة من الصورة السابقة لتقبل الصورة اللاحقة. على كل حال فإن الاستعدادات، والإمكانات والاعدام وكذلك الحركة والزمان كلها علل معدة، وليست مؤثرة في وجود شيء قط^(١).

(٥) إن دليل عدم معاد الهيولى ليس الإمكان الذاتي ليتعمم على بما سوى الله، بل إن الإمكان الاستعدادي أو الاستعداد ذاته هو دليل عدم الهيولى.

المعاد الجسماني؛

إن إبداع صدر المتألهين حول المعاد وهو أنه حاول أن يثبت المعاد الجسماني بالأدلة الفلسفية، من دون ارتكابه بقول التناسخ. وفي أعماله الفلسفية يذكر أولاً أصولها باعتبارها قاعدة فلسفية، ثم يستنتج من مفاد مجموعها أن الشخص المعاد سيحشر بجسمه نفسه، على نحو بحيث أي شخص يراه سيقول: هذا هو الشخص نفسه. ولكن الملاء صدرًا يعتقد في الوقت نفسه بأن كيفية وجود جسم أخروي تختلف عن كيفية وجود جسم دنيوي؛ مثلما يختلف عالم الآخرة مع هذا العالم.

ويضيف: «وبالجملة، فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا. ولو كانت الآخرة من جوهر الدنيا، لما يصح أن يقال: إن الدنيا تخرب والآخرة دار القرار، لأن الدنيا إنما هي دنيا بالجواهر والوجود، لا بالعوارض الشخصية والمخصصات الخارجية؛ وإلا لكان كل سنة - بل كل يوم - دنيا أخرى - لتبدل الأشكال والهيئات والتشخصات، ولكان القول بالآخرة تناسخاً، ولكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد خرابها؛ وإجماع العلماء على أن الدنيا تضمحل وتفتى، ثم لا تعود ولا تعتمد أبداً»^(٢).

الإشكال: أولاً، إن هذا النوع من المعاد لا يتلاءم مع المعاد المذكور في النصوص الدينية ولهذا السبب يعارضه بعض علماء الدين. كما أن الأستاذ الشهيد المطهري قال: «لم يحل هذا الموضوع المشكلة، أي إنه لا يمكننا

(٢) الأسفار، ج ٩، ص ٢٨٥.

(١) الأسفار، ج ٢، ص ٣٩٦.

مطابقته مع الآيات القرآنية. ومع أنه يعد كلاماً جيداً ويمكن إثباته بالأدلة العلمية، إلا أنه لا يمكن تبرير معاد القرآن بهذا المبحث.

ثانياً، إن وجود جسم غير مادي لروح الإنسان... من وجهة نظر فلاسفة المشائين الذين يعتقدون بالمعاد الروحاني بسبب أن تخيل النفس في عالم الآخرة يحتاج إلى موضوع لأجله، فإن وجود نوع من الجسم له حد ماهوي لروح الإنسان وأساس مزية النفوس الإنسانية عن بعضها، أمر مسلم به. وثبت نقل أقوال قطب الدين الشيرازي، والمحقق اللاهيجي والحاج هادي السبزواري عن ابن سينا هذا المدعى أيضاً.

ثالثاً، إن المعاد الروحاني بهذا المعنى أن تُحشر الروح عارية ومجردة عن أي جسم - حتى الجسم المثالي - في عالم الآخرة، ليس هناك أي مؤيد لهذه النظرية لتقف أمامها نظرية صدر المتألهين القائلة بالمعاد الجسماني.

ومما مرّ سابقاً يمكننا أن نستنتج أن هناك نقطة مشتركة بين المعاد في الحكمة المتعالية والمعاد في الحكمة المشائية، وهي حضور الأرواح الإنسانية بجسم وقالب غير ماديين في عالم الآخرة، سواء كان هذا الجسم من منشأة النفس - حسب تجرّد الخيال - أو حصيلة العمل الدنيوي - حسب القول بعدم تجرّد الخيال.

الجواب: بالتأكيد هناك اختلاف بين علماء الدين المتّظرين في كيفية المعاد من ناحية انطباقه أو عدم انطباقه بآيات القرآن الكريمة؛ ولكن الشيء المهم هو أن نرى أي من هذه النظريات ليس لها توالي فاسد، وتُعطي للشبهات الواردة أجوبة منطقية ومقنعة.

ولكن هذا الادعاء القائل بأن «وجود جسم غير مادي لروح إنسان أمر مسلم به من وجهة نظر المشائين» ليس صحيحاً كقضية كلية؛ أي إن الفلاسفة المشائين يرون وجود الجسم ضرورياً للنفوس الرديئة التي لم تصل إلى تجرّد كامل فقط. ولكن النفوس الزكية والكاملة في العلم والعمل تتحول إلى عقل صرف وليس لها تخيل لتحتاج إلى موضوع جسماني.

من وجهة نظر ابن سينا هناك نوعان من المعاد: أولهما المعاد المنقول الذي تكلم عنه الشرع وليس هناك أي طريقة لإثباته غير الشرع نفسه، وهذا هو معاد الجسم. في هذا النوع من المعاد يكون الخير والشر، وسعادة الإنسان وشقائه المقصود من ناحية الجسم. وقد ذكرت الشريعة الحقّة، التي أتى بها سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله ﷺ بشكلٍ مفصل. وثانيهما هو معاد يُفهم بالعقل والقياس البرهاني، وقد أكدته النبوة أيضاً. فهذا المعاد هو عبارة عن سعادة وشقاء مختصان بالنفوس الإنسانية التي تم إثباتها بالقياس البرهاني، في حين أنّ الأوهام عاجزة الآن عن تصويره وفهمه - لأسباب سنوضحها لاحقاً؛ ولكن اهتمام ورغبة الحكماء الإلهيين من أجل نيل هذه السعادة أكثر بمراتب من الوصول إلى السعادة الجسمانية. كأنما ليس لديهم أي اهتمام بالسعادة الجسمانية، مع أنهم وافقوا عليها أيضاً، ولكنهم لا يعتبرونها بشيء ذي بال أمام هذه السعادة التي هي التقرب إلى الحق الأول^(١).

وبعد شرحه سعادة النفوس الكاملة وشقائها يقول ابن سينا عن النفوس الناطقة:

«ولكن نفوس الساذجين الذين لم يكسبوا شوق النيل بالقرب الإلهي، حين تفصل عن الجسم... يبدو أن ما قاله بعض العلماء صحيحٌ وهو أنّه من الممكن أن تكون بعض الأجرام السماوية موضوعة لفعل تلك النفوس»^(٢). وما نقله قطب الدين الشيرازي والمحقق اللاهيجي والحاج الملا هادي السبزواري حول حاجة النفس إلى الجسم عن ابن سينا، يتعلق جميعه بالنفوس الناقصة.

ولكن هذا الادعاء القائل بأنّ «المعاد الروحاني بهذا المعنى أن تُحشر الروح عارية ومجردة عن أي جسم - حتى الجسم المثالي - في عالم الآخرة، ليس هناك أي مؤيد لهذه النظرية...» غريب جداً، لأنّ التحقيق في أعمال وآراء القدماء يثبت خلاف ذلك.

(٢) المصدر ذاته، ص ٤٣١.

(١) النفاة، الإلهيات، ص ٤٢٣.

وبعد ذكره مصير النفوس الناقصة بعد الموت يقول ابن سينا في إلهيات الشفاء: «فهذه هي السعادة والشقاوة الخسيستان بالقياس إلى الأنفس الخسيسة. وأما الأنفس المقدسة فإنها تبعد عن مثل هذه الأحوال وتتصل بكمالاتها بالذات، وتنغمس في اللذة الحقيقية وتبرأ عن النظر إلى ما خلقها وإلى المملكة التي كانت لها كل التبرؤ...»^(١).

يقول الشهرزوري: هناك ثلاث نظريات بين المحققين والعلماء المتقدمين والمتأخرين حول كيفية أحوال النفس بعد المفارقة عن الجسم:

(١) ستبقى جميع النفوس، بعد الموت، مجردة عن المادة وهذه نظرية المعلم الأول وجميع أتباعه المشائين.

(٢) ستبقى بعض النفوس مجردة عن المادة، والبعض الآخر منتمية للمواد الجسمانية. وتعود هذه النظرية إلى أفاضل حكماء الأمم ورواد علماء الملل والنحل.

(٣) ستكون جميع النفوس مرتبطة بالمواد الجسمانية، وتعود هذه النظرية إلى أشخاص معروفين بالتناسخ، حيث يعتقد هؤلاء أن النفوس الإنسانية بشكل أجرام وهي دائماً ما تنتقل إلى أجسام حيوانات مختلفة^(٢).

كما أنه يضيف: «جميع الحكماء المتألهين متفقون على أن الأنفس الطاهرة متخلص إلى عالم النور المحض دون النقل»^(٣) أي إن جميع الحكماء الإلهيين يتفقون على أن النفوس الطاهرة تتخلص من الجسم وتنظم إلى النور المحض من دون الانتقال إلى جسم آخر.

الدكتور مقصود محمدي

(١) المصدر ذاته، ص ٤٣٢. (٢) المصدر ذاته، ص ٥٩٦.

(٢) الشجرة الإلهية، ج ٢، ص ٥١٧ و٥١٨.

بسم الله الرحمن الرحيم و بفتح
الحمد لمن منه البداية ترؤا اليه الاعادة والصلاة
على من بذاته اطلقت دائرة الوجود وبكماله تمت
فؤوس الصعود الى الحق المعبود وول المقام المحمود
محمد ما كره هداية الخلايق الى سبيل العزقة والسهود
ووسايل الى باب الرحمن والجود اما بعد فيقول
اقل المعتصمين بحبله الميتين محمد بن ابراهيم المدعو
بصدر الدين الشيرازي اريد ان اذكر في هذه
الرسالة قوله وجيزا بشيرا الى تحقيق القول في مسألة
المعاد الجبراني الذي عجزت قوة افكار العلماء
عن اثباته بالدليل العقلي وكلت اذهان الفضلاء
عن الايمان به الا من طريق السمع النقل وغاية ما
ذكر في تحقيقات الاحوال المذكور في لسان الوحي النبوي

ابراهيم المشهد الصدر الشيرازي اوتي كما يابى بينه ما حاد
له تعالى مقدسا محمدا مستحاله مصليا على نبه والله مستغفرا

لذنبه وسبائه ومعاصيه وخطيئاته هـ

استلذهنا من نسخة كتبت من الاصل الذي كتبه جدر المتاله بخط
يده جعله الله من شرح صدره بنور المعرفة في يومه لسعادته

رئيس المحقق محمد المدبر علم الهدى ابن محمد الحسن

ابن موسى عم الله عما ارتجح حبي وخيم له

في شبابه بالحسن حامدا لله

نورا ولا تحصى مصليا

على اهل بيت

الاصطفاء

هـ

المعاد الجسماني

(التحرير الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ ثِقَتِي^(١)

الْحَمْدُ لِمَنْ مِنْهُ الْبِدَاءُ وَالْيَهُ الْإِعَادَةُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ بِذَاتِهِ اتَّصَلَتْ دَائِرَةُ الْوُجُودِ وَيَكْمَلُهُ تَمَّتْ قَوْسُ الصُّعُودِ إِلَى الْحَقِّ الْمَعْبُودِ، وَلَهُ^(٢) الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، مُحَمَّدٌ وَآلُهُ هِدَاةُ الْخَلَائِقِ إِلَى سَبِيلِ الْمَعْرِفَةِ وَالشَّهَادَةِ، وَ^(٣) وَسَائِلُ إِلَى بَابِ^(٤) الرَّحْمَةِ وَالْجُودِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَقُولُ أَقَلُّ الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ الْمُتَيْنِ، مُحَمَّدٌ بْنُ^(٥) إِبْرَاهِيمَ الْمَدْعُوِّ بِإِصْدَارِ الَّذِينَ الشَّيْرَازِيِّ: أُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ قَوْلًا وَجِيزًا، يُشِيرُ إِلَى تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِي مَسْأَلَةِ الْمَعَادِ الْجِسْمَانِيِّ، الَّذِي عَجَزَتْ قُوَّةُ أَفْكَارِ الْعُلَمَاءِ عَنْ إِبْثَاتِهِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ، وَكَلَّتْ أَذْهَانُ الْفَضَلَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ الْقَلْبِيِّ، وَغَايَةُ مَا ذَكَرُوهُ فِي تَحْقِيقِ الْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي لِسَانِ الْوَحْيِ وَ^(٦) النَّبْوَةِ مِنَ الصُّورَةِ^(٧) الْآخِرِيَّةِ: أَنَّهَا مُتَعَلِّقَاتٌ بِأَجْسَامٍ سَمَاوِيَّةٍ أَوْ أَشْبَاحٍ مِثَالِيَّةٍ فِي مَظَاهِرِ مَادِّيَّةٍ، وَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَعْيَانِ، بَلِ^(٨) فِي الْأَذْهَانِ، أَوْ أَنَّهَا نَبْذَاتٌ مُؤَوَّلَةٌ تَرَادُ بِهَا الْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةُ دُونَ الصُّوَرِ الْجَزْئِيَّةِ.

فَاعْلَمْ أَنَّ إِبْثَاتَ هَذَا الْمَطْلَبِ الشَّرِيفِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَحْقِيقِ أَصُولٍ وَمُقَدِّمَاتٍ أُبْتَنَاهَا فِي كِتَابِنَا الْعَقْلِيَّةِ، سَيِّمًا الْأَسْفَارَ الْأَرْبَعَةَ بِبَسْطِ لَانِقٍ وَبُرْهَانٍ فَانِقٍ وَبَيَانٍ

(١) مَش: مَر: - وَبِهِ ثِقَتِي / مَس: وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

(٣) مَس: - وَ.

(٥) مَس: - مُحَمَّدُ بْنُ.

(٧) أَم، مَس: الصُّور.

(٢) أَم: دَوْلَة.

(٤) مَش: لِلْبَابِ.

(٦) مَش، أَم: - وَ.

(٨) أَم: هُوَ.

وافٍ وتفصيل كافٍ^(١)، لكن نكتفي هاهنا بذكرها على سبيل الحكاية، تشويقاً لقلوب الطالبين والعطاش السالكين، ونهييجاً^(٢) لخواطرمهم وأنظارهم، وتحريكاً لنفوسهم وقوة أفكارهم في طلب الحق واليقين. وهي هذه:

الأول: إن حقيقة كل شيء هي نحو وجوده الخاص به دون ماهيته^(٣)، وإن الموجود في الخارج من كل شيء هو وجوده لا شئيته^(٤)، وليس الوجود - كما توقم - من المعقولات الثانية والأمر الانتزاعية، التي لا يحاذي بها أمر في الخارج، بل حق القول فيه أن يقال: إنه من الأمور العينية، التي لا يحاذي بها أمر ذهني.

الثاني: إن تشخص الشيء - أعني هويته المخصوصة - أيضاً عين وجوده، والوجود والتشخص متحدان ذاتاً متغايران عنواناً واعتباراً. وأما المسمى عند القوم بالعوارض المشخصة، فهي ليست إلا أمارات ولوازم للهوية الشخصية، باقية لا بعينها بل على سبيل البدلية؛ ولكل منها^(٥) عرض من حد إلى حد كعرض المزاج، متبدل أعدادها، وربما يزول بالكلية، والشخص هو هو بعينه، كما في أفراد الإنسان.

الثالث: إن الوجود مما يقبل الأشد والأضعف لذاته، بمعنى أن حقيقته حقيقة واحدة بسيطة، لا جنس لها ولا فصل، ولا تركيب فيها: لا خارجاً ولا ذهنياً، ولا اختلاف بين أعدادها في مميز فصلي أو عرضي مصنف أو مشخص زائد، لا اختلاف بينها إلا بالتقدم والتأخر^(٦) والشدة والضعف، أعني الكمال والنقص. إلا أن المفهومات الصادقة عليها المنتزعة منها^(٧) في كل مرتبة من الشدة والضعف متخالفة، وهي المسمّاة بـ«الماهيات». ولأجل ذلك يقال: إن مراتب الأشد والأضعف أنواع متخالفة.

-
- | | |
|---------------------|----------------------------|
| (١) مش: - كاف. | (٥) مس: منها. |
| (٢) ام، مس: نهيجاً. | (٦) مس: بالتقديم والتأخير. |
| (٣) مس: ماهية. | (٧) ام: - منها. |
| (٤) مس، مش: لهية. | |

الرَّابِع: إِنَّ الوجودَ ممَّا يقبل الاشتداد والتضعف، وإنَّ الجوهرَ في جوهرية الوجودية يقبل الاستحالة الذاتية والحركة الجوهرية. ومعلوم أنَّ أجزاء الحركة الواحدة وتُحدودها ليست موجودة بالفعل متميزة، بل كلُّ الموجود موجود^(١) بوجوه واحد. وليس شيء من تلك الماهيات التي بإزاء المراتب الوجودية موجودة هاهنا بالفعل على وجه التفصيل، بل على وجه الإجمال كما في أجزاء الحدِّ على ما أوضحناه في مقامه.

الخامس: إِنَّ الصُّورة في كلِّ مركَّب هي أصل حقيقته التي بها هو هو، وأمَّا المادَّة فهي ليست إلَّا قابلة لوجودها و[حاملة]^(٢) لإمكانها ومصححة لجهات انفعالاتها وحركاتها، وكذا مبدأ الفصل الأخير لكلِّ ما له أجناس وفصول من الماهيات البسيطة أو المركَّبة هو أصل ذاته، وسائر الأمور^(٣) المسماة بالأجناس المرتبة والفصول هي توابعه ولوازمه الغير المجعولة بجعل مستأنف. وكذا ما بإزائها من المواد والصُّور في الماهية المركَّبة هي من آثاره وتوابعه وفروعه. وإذا جرَّدت النظر إلى ذات تلك الصُّورة^(٤)، وجدتها بذاتها منشأ تلك اللوازم وفاعلها وعينها الجمعي، ومصداق حمل معانيها وماهياتها. وإن كانت الصُّورة تفتقر في حدوثها إلى ضروب من أفراد تلك اللوازم - وهي المعدة لها - لكن تلك المعدات غير هذه اللوازم بالعدد. وبالجمله، إذا نظرت إلى هوية^(٥) تلك الصُّورة الكمالية، وجدت هذه الآثار اللازمة متَّحدة بها، موجودة بوجودها على وجه اللطف وأبسط وأكمل وأتم وجوداتها الخاصة المفصلة.

السادس: إِنَّ هوية البدن وتشخصه إنما يكونان بنفسه لا بجرمه، فزيد - مثلاً - إنما هو زيد بنفسه لا ببدنه، ولأجل ذلك يستمر وجوده وتشخصه ما دامت النفس باقية موجودة فيه، وإن تبدَّلت أجزاؤه وتحولت لوازمه: من أينه وكمه وكيفه ووضعه ومثاه، كما في مدَّة العمر. وكذا القياس لو تبدَّلت صورته الطبيعية

(٤) ام: الصُّور.
(٥) مش، مس: هويته.

(١) مش، مس: - موجود.

(٢) همه نسخه ها: حاصلة.

(٣) ام: لأمور.

بصورة برزخية، كما في المنام وفي عالم القبر إلى يوم البعث، أو بصورة أخروية كما في الآخرة. فإن الهوية الإنسانية هي هي بعينها في جميع هذه التحولات والتقلبات، لأنها على سبيل الاتصال، إذ لا عبرة بخصوصيات وجوده وحدوده الواقعة في الطريق، وإنما العبارة في بقاءه ببقاء نفسه، لأنها صورته التمامية التي هي أصل هويته ومجمع ماهيته ومنبع قواه وجامع أخلاطه وأعضائه، وحافظها ما دام الكون الطبيعي، ثم مبدلها على التدرج بأعضائه روحانية، وهلم إلى أن يصير بسيطة عقلية. فإذا سئل عن بدن زيد - مثلاً -: هل هو عند الشباب ما هو عند الطفولية وعند الشيخوخة^(١)؟ كان الجواب بطرفي النفي والإثبات صحيحاً باعتبارين: اعتبار كونه جسماً بالمعنى الذي هو مادة، واعتبار كونه جسماً بالمعنى الذي هو جنس. وأما إذا سئل عن زيد الشاب: هل هو الذي كان طفلاً وسيصير كهلاً وشيخاً، أم لا؟ كان الجواب واحداً، وهو أنه نعم^(٢). والفرق بين الجنس والمادة مذكور في كتب المنطق وفي مباحث الماهية من الفلسفة الأولى، وهو كالفرق بين الماهية المأخوذة لا بشرط الخلط والتجريد، والمأخوذة بشرط التجريد؛ وهكذا الفرق بين الفصل والصورة، والنوع والموضوع، والعرضي والعرض، والذاتي والجزء. فكل من هذه الأمور محمول على الشيء باعتبار الأول، وغير محمول باعتبار الثاني.

السابع: إن القوة الخيالية جوهر غير قائم بشيء من البدن وأعضائه، ولا هي موجودة في جهة من جهات هذا العالم الطبيعي، بل هي مجردة الذات عن هذا العالم، وإنما هي موجودة في عالم متوسط بين العالمين: عالم المفارقات العقلية، وعالم الجسمانيات المادية الكائنة الفاسدة. وأثبتنا هذا المطلب^(٣) في كتبنا بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، من أراد الاطلاع فليرجع إليها.

الثامن: إن الصور^(٤) الخيالية غير حالة في موضوع النفس، وإنما هي قائمة بها قيام الفعل بالفاعل، لا قيام المقبول بالقابل.

(١) مس: الشيخوخة.

(٢) مس: - هذا المطلب.

(٣) مس: الصورة.

(٤) مس: بهم.

التاسع: إنَّ الإبصار ليست بانطباع شبح المرئي في عضو كالجليدية ونحوها،
 كما ذهب إليه الطبيعيتون، ولا بخروج الشعاع، كما رآه الرياضيون، ولا بإضافة
 برفاقة نحصل للنفس إلى ما في الخارج عند تحقق الشرائط، لأنَّ هذه الآراء
 كلها باطلة - كما يتَّين في موضعه -، بل باختراع النفس صورةً مُضاهية للصورة
 الخارجة موجودة لا في محل ولا في هذا العالم، بل في صقع النفس. وللنفس
 فيها إضافة فاعلية ونسبة نورية، وهذه النسبة هي الحرية بأن تسمى إشراقية، لا
 شئ ذهب إليها شيخ أتباع الإشراقيين، إذ لا إضافة للنفس إلى المواد الخارجية
 المظلمة الذوات إلا من جهة تعلقها^(١) بالبدن الطبيعي، وكلَّ إضافة نحصل من
 هذه الجهة تكون وضعية مادية لا إدراكية إشراقية. فإطلاق الإضافة الإشراقية
 على ما ذهبنا^(٢) إليه أخرى^(٣) وأوفق. على أننا قد أقمنا البرهان على أنَّ الصورة
 العادية لا يمكن أن تكون مدركة بالذات. وهذا ممَّا يشبه أن^(٤) يكون ممَّا وقع
 فيه الخلاف بين معتبري الفلاسفة، ولهذا ذكروا أنَّ كلَّ إدراك إنما يحصل بضرب
 من التجريد.

واعلم أنَّ النفس ما دامت في هذا العالم كان إبصاره بل إحساسه مطلقاً غير
 نخيلة، لأنَّ في الأوَّل خارجية وشرائط مخصوصة، وفي الثاني لا يفتقر. وأيضاً
 التخيل هاهنا غير المشاهدة إلا في بعض الأحيان وعند الرؤيا. وأمَّا عند خروج
 النفس عن غبار البدن وانسلالها عن هذا القشر انسلال الحيَّة عن جلدها، فلا
 فرق حينئذٍ بين الإبصار والتخيل^(٥)، إذ القوة الخيالية - وهي خزانة الحس - قد
 فرت، وزال عنها الضعف والنقص، وارتفع الحجاب، واتَّحدت القوى؛ فتفعل
 النفس بقوة الخيال ما تفعل بغيرها، وترى بعين الخيال ما كانت تراه بعين
 الحس، وصارت قدرتها وعلمها وشهوتها شيئاً واحداً، فإدراكها للمشتهيَّات نفس
 فلتها عليها وإحضرها إياها؛ بل ليس في الجنة إلا مشتهيَّات النفس، كما قال
 تعالى: ﴿رَفِيفًا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(٦). وفي الحديث القدسي في

(٤) مس: + لا.
 (٥) مس: التخيل.
 (٦) سورة زخرف، آية: ٧١.

(١) مس: تعلقها.
 (٢) مش: انهبنا.
 (٣) مش: أخرى.

خبر أهل الجنة: «يأتي إليهم الملك، فإذا سَلِمَ عليهم ناولهم كتاباً من عند الله، فإذا فيه: من الحي القيوم إلى الحي القيوم. أما بعد، فأني أقول للشيء: «كن» فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء «كن» فيكون. فقال عليه وآله السلام: فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء «كن» إلا ويكون».

العاشر: إنّ العوالم والنشآت كثيرة وإن كانت دار الوجود واحدة، لأنها مع تعددها مُحِيطَةٌ بعضها ببعض، وجعلتها منحصرة في ثلاث نشآت: أدناها هذا العالم المادي المستحيل الكائن الفاسد ذو الجهات والأوضاع، وهو عالم التضاد والتزاحم، ويلزمه الدثور والانقضاء؛ فكذا كل ما يوجد فيه أو تعلق به، يلحقه الزوال والشّتات^(١) والانقطاع. وأوسطها عالم الصّور المقدارية المجردة عن المادّة القابلة للمتضادات الحاملة [للإمكانات والاستعدادات]. [وأعلىها عالم العقول المفارقة]^(٢). فالأولى دار الدنيا التي لا قرار لها ولا بقاء، والأخيران كلاهما باقيان، لا زوال ولا انقطاع [لهما]^(٣): أحدهما منقسم إلى جنة^(٤) السعداء - وهم أصحاب اليمين - وإلى جحيم الأشقياء - وهم أصحاب الشمال. [والآخر]^(٥) عالم القدس وجنة السابقين المقربين ومقعد الملائكة المهيمين العلّيين.

الحادي عشر: إنّ الإنسان من جملة أنواع الخلائق مختصّ بأنه قد يكون لواحد منه أكوان متعدّدة مع بقائه بشخصه، بعضها قبل بعض، فإنّ الإنسان الواحد له من مبدأ طفوليّته كون طبيعيّ وهو بحسبه إنسان بشريّ، ثمّ يتدرّج في هذا الوجود ويتصّفى ويتلطف حتّى يحصل له كون أخرويّ نفسانيّ، وله أعضاء نفسانيّة، وهو الإنسان الثاني. ثمّ قد ينتقل من هذا الكون ويحصل له كون عقليّ، وهو بحسبه إنسان^(٦) عقليّ، وله أعضاء عقليّة، ويقال له الإنسان الثالث، كما ذكره معلّم الفلاسفة في كتاب أثولوجيا.

(١) مس: النشآت. (٤) مش، مس: جهة.
(٢) همه نسخة ما: - وأعلىها... المطابقة. (٥) نسخه ما: والآخرة.
(٣) همه نسخة ما: لها. (٦) مش: إنسانيّ.

واعلم أنّ هذين التكوّنين كما يوجدان له بعد الكون الطبيعي، كذلك قد حصل له قبل هذا الحدوث، فإنّ أفلاطن الإلهي أثبت للنفس الإنسانية كوناً مفلياً قبل حدوث هذا البدن، وكذا أثبت في شريعتنا الحقّة لأفراد البشر كينونة جزئية متميّزة سابقة على هذا الوجود الطبيعي، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَقَدْ رَفَعْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) (الآية). وعن أئمتنا المعصومين سلام الله عليهم أجمعين^(٢) أحاديث كثيرة دالة على هذا المعنى، تذكر أنّ أرواحهم كانت مخلوقة من طينة عليّين قبل خلق السماوات والأرضين، وأنّ أبدانهم مخلوقة من دون تلك الطينة، وكذا أرواح شيعتهم مخلوقة من طينة أبدانهم عليهم السلام، وأنّ قلوب مخالفيهم مخلوقة من طينة سجنين، وقلوب شيعتهم مخلوقة ممّا خلقت منه^(٣) أبدانهم. فهذا الخبر وأمثاله صريحة في أنّ للإنسان^(٤) كينونة سابقة على هذا الكون الطبيعي.

الثاني عشر: إنّهُ يجبُ أن يعلم أنّ معنى ضرورة الموت^(٥) وكونه طبعياً ليس كما قرّره الطبيعيّون والأطباء، من أنّ القوى الجسمانيّة لمّا كانت متناهية الأفاعيل والانفعالات، فلا بدّ من عروض الفناء، لأنّه يمكن أن يصدر عن قوّة جسمانيّة أفعال^(٦) غير متناهية من جهة تجدد الإمداد العلوي، وكذا غير ذلك من الأدلة المبنية على ضرورة نفاد القوّة وانقطاعها. بل سبب عروض الموت الطبيعيّ استكمال النفس واستقلالها في الوجود، فيتوجّه بحركته وسعيه الجبليّ إلى عالم آخر، فإذا قويت ذاتها شيئاً فشيئاً إلى أن صار وجودها نحواً آخر من الوجود، وقطع تعلّقه من هذا البدن ببدن آخر مكتسب حسب أخلاقها وهيئاتها النفسانيّة. فالذي يعرض له أولاً وبالذات حياة ثانية^(٧)، ويلزم^(٨) منه ثانياً وبالعرض زوال الحياة الأولى، فالموت واقع بالعرض لا بالذات، وإلا فلا

- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة اعراف، آية: ١٧١. | (٥) مش: - الموت. |
| (٢) ام: - اجمعين. | (٦) مش، ام: أفعالاً. |
| (٣) مش، ام: له. | (٧) مس: - فالذي يعرض... ثانية. |
| (٤) مس: الإنسان. | (٨) مس: ويلزمه. |

وَجِه^(١) لكون العدم طبيعياً لشيء، إذ^(٢) الأشياء كلها متوجهة نحو الكمال مسافرة إلى المبدأ الفعال، لكن الذي ينتهي سفره إلى الغاية القصوى لا يتحقق إلا في بعض الأفراد من نوع الإنسان دون سائر الأنواع. ولو فرض في غيره من الأنواع أنه وصل بسيره الحثيث^(٣) إلى الحضرة الإلهية، فلا بد أيضاً أن يصل أولاً إلى باب الإنسانية، ثم منها إلى الحضرة القدسية، لأن حقيقة الإنسان هي باب الله المؤتى منه.

وبالجملة، لما كانت أفراد الإنسان منذ^(٤) حدوثها وتكونها في التجدد الوجودي والاشتداد الجوهرى والتوجه الغريزي إلى الدار الآخرة ثم إلى الحضرة القدسية، فلا بد من هذا التحول الذاتى والاشتداد الجوهرى أن يصل إلى حد^(٥) من حدود الوجود ينفصل عن هذا البدن الطبيعى، ويستغنى عنه مكتفياً^(٦) بذاته^(٧)، دون حاجة إلى ما تحلّه بتمامه أو ببعض قواه. فيتبدل بوجوده الدنيوي المادى إلى وجوده الأخروي، إذ نسبة الدنيا إلى الآخرة^(٨) نسبة النقص إلى الكمال، ونسبة الطفل إلى البالغ.

فالإنسان ما دام كونه الدنيوي كالطفل يحتاج لضعف وجوده ونقص جوهره إلى مهد كالبدن، ومكان كال الدنيا، وإلى داية كالزمان؛ فإذا وصل حده الجوهرى وبلغ أشده الصوري الأخروي، خرج عن هذه^(٩) الدار إلى دار القرار. وإلى هذا الحد من التجوهر والفعلية والاستقلال، وقع الاشتراك بين المؤمن والكافر والموحد والمشرک والمعطل وكثير من الحيوانات التي لها قوة الخيال بالفعل، ولا منافاة بين هذا الكمال الوجودي والاستقلال الجوهرى وبين الشقاوة والتعذب بنار الحميم والعذاب الأليم وأكل شجرة الزقوم وشرب ماء الحميم،

(١) ام، مش: + له.

(٢) مش: إذا.

(٣) مش: لسيرة الجست.

(٤) مش: منه.

(٥) مش، مس: - حد.

(٦) مش، مس: متكيفاً.

(٧) مس: + من.

(٨) مس: الأخرى.

(٩) ام: هذا.

بل يؤكدها . فإنَّ قوَّة الوجود وتأكُّده والخروج عن الأغشية والملابس المادِّية
 بوجان شدة إدراك الآلام وتأذِّي الأمراض النفسانيَّة، [التي] وقع^(١) الذُّهُول عنها
 لخد الطَّبيعة وغشاوة^(٢) على البصيرة؛ فإذا زال الحجاب، حُلَّ العذاب، «وعند
 الصُّباح يحمد القوم السرى». وَالْقَدَماء الحكماء ذكروا في حَدِّ الإنسان «أنَّه
 الجوهر الحساس الناطق المائت»، فَجَعَلُوا «الموت» من تمام الحدِّ الإنسانيِّ،
 وليس المراد به المعنى العدميِّ، بل بعض الحركة الرَّجوعِيَّة إلى الغاية الأخيرة
 أعني الانتقال عن الدُّنيا إلى الآخرة^(٣)، فهو بهذا المعنى أمر طبيعي، يلزمه فناء
 هذا البدن المادي، إذ كلُّ متحرِّك ما لم يقطع جميع الحدود المفروضة الوجودية
 بين مبدأ المسافة ومنتهاها، لا يمكن أن يبلغ إلى المنتهى والغاية القصوى.

فالإنسان ما لم يخرج عن الدُّنيا إلى الأخرى، ولم يقطع جميع الحدود
 الطَّبيعية ثَمَّ النفسانيَّة، لم يصل إلى جوار الله وَلَمْ يستحقَّ مقام العبدية. فالموت
 أوَّل منازل الآخرة وَآخِر دَرَجَات الدُّنيا، فهو كبرزخ بين الطرفين وَحاجز بين
 الدارين: الدُّنيا والعقبى. فربَّما يصير الإنسان بعد خروجه عن الدُّنيا محبوساً في
 بعض البرازخ مدَّة طويلة أو قصيرة، وربَّما يرتقي سَرِيعاً بنور المعرفة أو بقوَّة
 الطاعات، أو بجذبة^(٤) ربَّانية أو بشفاعَة الشافعين. وَآخِر من يشفع هو أرحم
 الراحمين، كما وَرَدَ في الحديث.

فهذه^(٥) أَصُول وقوانين شرحناها وبسطنا القول فيها، وأحكمنا بنيانها وشيَّدنا
 أركانها ببراهين^(٦) ساطعة وحجج قاطعة في كتبنا وصحفنا، سيَّما الأسفار
 الأربعة. فمن تأمَّل فيها تأمَّلاً شافياً مَعَ سلامة فطرته عن آفة الاعوجاج
 وَرَفَضَ^(٧) الحسد والعصبية واللجاج، لم يبق له شكٌّ وَلَا ريب في مسألة
 المعاد، وَأَنَّ هذا البدن بعينه محشور في الآخرة بصُورة الأجساد.
 وهذه^(٨) المسألة من أَجَلِّ العلوم رتبة، وَأَعْظَمَها شأنًا، وأدقَّها مسلكًا، وقد

(٥) مس: هذه.

(٦) مس: براهين.

(٧) مس: مش: فرض.

(٨) ام: هي.

(١) مس: رلع.

(٢) ام: الغشاوة.

(٣) ام، مس: الأخرى.

(٤) مس: مجزية.

صرفت شطراً صالحاً من عُمرِي وأمدأ مديداً من دهرِي في الارتياض بالفكر الدقيق والنظر العميق والتوحش عن^(١) صحبة الخلق والتحلّي بذكر الله والتدبّر في كتابه^(٢) والتأمل في أحاديث نبوية متفرقة على طريق أهل بيت النبوة والحكمة (سَلَامُ اللَّهِ عَلَى الصَّادِعِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، حَتَّى اسْتَقَامَ الْأَمْرُ، وَجَاءَ الْحَقُّ؛ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَنُورُهُ وَبِرْهَانُهُ مِنْ غَيْرِ الْاسْتِعَانَةِ بِتَعْلِيمِ الْأُسْتَاذِ أَوْ^(٣) مُطَالَعَةِ تَصْنِيفٍ. فَإِنِّي^(٤) لَمْ أَرْ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ لَهْ خَيْرٍ مِنْ عِلْمِ الْمَعَادِ، وَلَا أَيْضاً وَجَدْتُ كِتَاباً رُسِمَ فِيهِ بَيَانُ مُحَقِّقِ الْقَوْلِ وَمَحْصُلِ الرَّأْيِ وَالْإِعْتِقَادِ فِي حُشْرِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ، وَلَمْ أَجِدْ أَيْضاً فِي مَأْثُورَاتِ مَشَاهِيرِ الْحُكَمَاءِ وَمُوروثَاتِ قَدَمَائِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ مَا يَشْفِي الْعَلِيلَ وَيُرْوِي الْغَلِيلَ^(٥)، وَلَا فِي مَلَفَّاتِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، إِلَّا مَا هُوَ مِنْ بَابِ الظُّنُونِ وَالتَّخْمِينَاتِ، أَوْ مَجْرَدِ التَّقْلِيدِ وَنَقْلِ الْعِبَارَاتِ بِالرَّوَايَاتِ وَالْإِسْتِنَادِ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ، وَالْإِيمَانِ لَكُونِهِ نُوراً يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، لَا يَكْتَسِبُ مِنَ الْحَسَنِ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْ كِتَابَةٍ أَوْ رَوَايَةٍ^(٦) أَوْ سَمَاعٍ وَشَهَادَةٍ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٧).

صورة خط المصنّف طاب ثراه:

«تمت الرسالة بيد مصنفها الفقير إلى باب رحمة الله القديم محمد بن إبراهيم المشتهر بـ«الصدر الشيرازي» أوتي كتابهما يمينهما، حامداً لله تعالى^(٨) مقدساً لمجده مسبّحاً له، مصلياً على نبيه وآله، مستغفراً لذنوبه وسيئاته ومعاصيه وخطيئاته».

استكثبتها من نسخة كتبت من الأصل الذي كتبه جدّي المتألّه بخطّ يده، جعلني الله ممّن شرح صدره بنور المعرفة في يومه لسعادة غده. وكتب الحقير

(١) مس: من. (٥) مش: العليل.

(٢) مس: بكتابه. (٦) ام: من رواية او كتابة.

(٣) مش: و. (٧) سورة جمعه، آية: ٤.

(٤) مس: وإني. (٨) ام، مس: - تعالى.

محمد المدهق علم الهدى ابن محمد الحسن بن مرتضى، عفا الله عما اجترح
رجى، وختم له في نشأته بالحسن، حامداً لله على نعمه التي لا تحصى،
ملياً على أهل بيت الاصطفاء.

* * *

المعاد الجسماني

(التحرير الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لمن منه البداءة وإليه الإعادة، والصلاة على من به اتّصلت دائرة الوجود وتمّت قوس الصعود إلى المعبود، محمد وآله هداة الخلائق إلى منزل المعرفة والشهود، وسائقهم إلى باب الرحمة والجود. [أما بعد]^(١)، فنريد أن نذكر في هذه السطور قولاً وجيزاً يشير إلى ما بسطنا القول في تحقيقه وتبيينه من مسألة المعاد الجسماني الذي عجزت العلماء عن آخرهم من إثباته بالدليل العقلي والإيمان به إلّا^(٢) من طريق السمع النقلي، وقصارى ما ذكره في تحقيق الصور الأخروية أنّها متعلّقات بجرم سماوي أو بمظهر مادي دنيوي، أو أنّها تمثيلات مؤوَّلة بالعقليّات الصرفة دون الجسمانيات.

فنقول: إنّ الأصول التي يحتاج إليها إثبات هذا المطلب هي هذه على سبيل الحكاية:

الأول: إنّ حقيقة كلّ شيء هي نحو وجوده الخاص به دون الماهيّة، وإنّ الوجود في الخارج من الشيء هو وجوده لا شيءته.

الثاني: إنّّه كما أنّ موجودية الشيء بالوجود، فكذا تشخّصه أيضاً بوجوده. وأمّا المسمّاة عند القوم بالعوارض المشخّصة، فهي أمارات ولوازم لا بعينها، فبتبدّل أعدادها، وربّما تزول بالكلية والشخص هو هو بعينه.

الثالث^(٣): إنّ الوجود ممّا يقبل الشدّة والضعف لذاته.

الرابع: إنّّه ممّا يقبل الاشتداد والتضخّف، والوجود الجوهرى ممّا يجوز فيه

(٢) نسخه: لا.

(١) نسخه: - أما بعد.

(٣) در نسخه جای عددهای ترتیبی سفید است.

الحركة الجوهرية، أعني الاستحالة الاشتدادية والاستكمالات الذهنية ومقابلها.

الخامس: إن الصورة في كل مركب هي أصل حقيقته التي بها هو هو. وأما المادة فهي ليست إلا حاملة وجوده وحاملة إمكان وجوده ومصححة جهات القبول والانفعالات والحركات. وكذا مبدأ الفصل الأخير لكل ما له أجناس وفصول مرتبة هو أصل هويته وذاته، وسائر المعاني المسماة بالأجناس والفصول هي توابعه ولوازمه المحتاج إليه في بعض أنحاء الوجود كالتكون المادي الخارجي؛ وإذا جرد النظر إلى ذات تلك الصورة بعينها، كانت ذاتها بذاتها مبدأ تلك اللوازم ومنشأها وعينها الجمعي ومصدق حمل معانيها وماهياتها. وبالجمله إذا نظرت إلى هوية تلك الصورة الكمالية وجدت تلك اللوازم موجودة فيها على وجه أبسط وأشرف ونحو أكمل وأتم من وجوداتها الخاصة المتفرقة.

السادس: إن هوية البدن وتشخصه بالنفس، ولأجل ذلك يستمر وجوده وتشخصه وإن تبدلت أجزاؤه واستحالت لوازمه، كأيته ووضعه وكمه وكيفه في مدة العمر، وكذا لو تبدلت وتلظفت صورته الطبيعية بصورة أخرى محشورة مع بقاء النفس، إذ لا عبرة^(١) بخصوصيات أنحاء تكونه، وإنما العبرة في بقاءه ببقاء نفسه، لأنها صورته التمامية التي هي منشأ قواه ومجمع أجزائه. فإذا سئل عن بدن الشاب [هل]^(٢) هو الذي كان طفلاً والذي يكون شيخاً؟ كان الجواب بطرفي النقيض حقاً باعتبارين: اعتبار كونه جسماً بالمعنى الذي هو مادة، واعتبار كنهه جسماً بالمعنى الذي هو جنس؛ فالأول مأخوذ بشرط غيره، والثاني مأخوذ لا بشرط غيره، فهو هما بوجه وليس هو هما بوجه آخر، وكلا الجوابين صحيحان. وأما إذا سئل ذلك السؤال عن زيد الشاب لا عن بدنه، كان الجواب واحداً لا غير، وهو أنه بعينه هو الكبير والصغير والطفل والشاب والشيخ في الدنيا وفي الآخرة، لأن زیدية زيد بنفسه الباقية لا يبدنه المتبدل.

السابع: إن القوة الخيالية جوهر غير قائم ببدن طبيعي ولا أيضاً موجودة في ماهية من ماهيات هذا العالم، بل هي مجردة الذات عن هذا العالم المادي

(١) نسخه: العبرة.

(٢) نسخه: - هل.

موجودة في عالم آخر يتوسط بين العالمين: عالم المفارقات العقلية، وعالم الجسائيات المادية المكانية الفاسدة.

الثامن: إنّ الصورة التي تخيلها الإنسان ليست منطبعة في الخيال، وإنما هي قائمة بتلك القوة، لا قيام العرض بقباله، بل قيام الجوهر بفاعله وتقوم وجوده.

التاسع: إنّ الصورة المبصرة بالذات ليست موجودة في مادة خارجية ولا في آلة بصرية، بل هي موجودة متعلقة لا في محلّ، إذ الإبصار ليس بانطباع شبح المرئي في العضو الباصر، كما هو رأي الطبيعيين، ولا بخروج الشعاع من البصر إلى المرئي، كما هو رأي الرياضيين ولا بإضافة النفس إلى الجسم الملون الخارجي كما هو رأي بعض أتباع الإشرافيين؛ إذ جميع هذه الآراء الثلاثة باطلة، سيما الأخيرة كما بيّنا في مواضع من كتبنا، بل الرؤية إنّما يقع بإنشاء النفس عند تحقّق الشرائط المشهورة صورة مشابهة لما في الخارج، لا في محلّ، بل في صقع من الملكوت قائمة للنفس قيام الفعل بالفاعل، لا قيام الحال بالمحلّ؛ وللنفس إضافة نورية قهرية، وهذه الإضافة حرة بأن تسمّى إشرافية، لأنها حاصلة لجوهر إدراكي نوري بالقياس إلى صورة إدراكية نورية فائضة منها بإشراق العقل، لا التي توهمها صاحب التوليدات، لأنها بالقياس إلى صورة مادية مظلمة الذات، ولا فرق بين الإبصار والتخيّل في هذا العالم إلّا ثبوت الاحتياج في الإبصار إلى نسبة وصفية خاصّة بين العضو الباصر وبين المادة الجسمانية. وأمّا عند خروج النفس من هذا العالم وانسلاخها عن هذا البدن انسلاخ الحيّة عن قشرها، فلا فرق بين الإبصار والتخيّل، ولا فرق بين عَيْن البصر وعَيْن الخيال، إذ القوة الخيالية - وهي خزانة الحسن - قد زالت حينئذٍ عنها جهة النقص والحاجة إلى استعمال البدن وآلة الحسن، وصارت تامّة قوة الحفظ والعقل، مخترعة للصور المحسوسة في الخارج من غير آلة ولا في محلّ، ويكون قدرتها وشهوتها وإدراكها شيئاً واحداً، فإدراكها للمشتبهات بالذات هو بعينه قدرتها على إيجادها بإذن الله، كما ورد في الحديث القدسي أنّ الله يرسل كتاباً يوم القيامة إلى بعض عباده، وعنوان الكتاب «من الحيّ القيوم»

وفيه: «أما بعد، فإنني أقول للشيء: كن، فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء: كن، فيكون».

العاشر: إنَّ العوالم كثيرة وإن كان دار الوجود واحداً؛ وهي مع كثرتها وكثرة طبقاتها منحصرة في ثلاثة: أحدها عالم العقول المفارقة، وثانيها عالم الصور المقدارية المجردة من المادة القابلة للمتضادات المستحيلة الكائنة الفاسدة الحاملة للإمكانات والاستعدادات، وثالثها عالم الأجسام الطبيعية المادية، ذوات الجهات والحركات المكانية. فهذا الأخير هو عالم الدنيا، والذي قبله هو عالم الآخرة المنقسم إلى الجنة للسعداء - وهم أصحاب اليمين - والجحيم للأشقياء - وهم أصحاب الشمال - والذي قبل قبله هو عالم القدس ومقعد الصديق وعالم العلين ومنزل المقربين والأرواح المهيمين.

الحادي عشر: إنَّ نوع الإنسان من جملة أنواع المخلوقات مختصَّ بأن يكون لواحد منه أكوان متعددة بعضها قبل تكوّنه الطبيعي وبعضها بعده، مع بقاء وحدته وتشخصه. فالإنسان ربّما يكون له كون طبيعي فقط، وهو بحسبه إنسان بشريّ، ثم يوجد له كون نفسانيّ وهو بحسبه إنسان نفسانيّ له أعضاء نفسانية، ويقال له الإنسان الثاني، والإنسان النفسانيّ يوجد له كون عقليّ، فيكون إنساناً عقليّاً، وجميع أعضائه عقلية، ويقال له حينئذٍ الإنسان الثالث، وإنَّ هذين الكونين، أعني النفساني والعقلي كما قد يُنشأن بعد الحدوث الطبيعي في سلسلة العود، كذلك كائنان له قبل هذا الحدوث. فإنَّ أفلاطون أثبت للنفس الإنسانية كوناً عقلياً قبل هذا البدن، وكذلك حكم في شريعتنا المنورة لهذه الأفراد الإنسانية كينونة سابقة على هذا الوجود الطبيعي كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾^(١) (الآية). وفي الأحاديث النبوية المروية من طريق أهل بيت النبوة والولاية (سلام الله عليهم) أحاديث كثيرة دالة على هذا المعنى يذكر فيها أنَّ أرواحهم عليهم السلام مخلوقة من طينة عليين قبل خلق الملائكة والسموات والأرضين، وأنَّ أبدانهم مخلوقة من دون تلك الطينة وأنَّ أرواح

(١) سورة اعراف، آية: ١٧٢.

شيعتهم مخلوقة من طينة خلقت منها أبدانهم، وأن قلوب مخالفيهم مخلوقة من طينة سجين، وأبدانهم من دون ذلك وقلوب شيعتهم مخلوقة مما خلقت منه أبدانهم. فهذه الأخبار صريحة في أن للإنسان كينونة سابقة على هذا البدن.

الثاني عشر: يجب أن يعلم أن الموت ضروري بالطبع للإنسان لا بالوجه الذي أثبتته الطبيعيون والأطباء من أن القوى الجسمانية يتناهى أفاعيلها وانفعالاتها، لأن صدور الفعل الغير المتناهي نحو صدوره من القوة الجسمانية على سبيل الإمداد من العالي، وكذا سائر وجوههم المذكورة لأنها ضعيفة، بل لأجل أن الإنسان دائم التحول والتبدل في كونه الجوهرى وله اشتداد جوهرى وحركة جوهرية واشتدادية منذ خلق. ولا بد في هذه الحركة الوجودية أن يتبدل وجوده الدنيوي الناقص الطبيعي إلى وجود أخروي صوري تام، بإضافة نسبة الدنيا إلى الآخرة نسبة النقص إلى الكمال، ونسبة الضعف إلى القوة، ونسبة الصبا إلى البلوغ. فالإنسان ما دام كونه الدنيوي كالطفل يحتاج إلى مهد وداية، وهما المكان والزمان؛ فإذا قوي وبلغ أشده، استغنى منهما^(١). وهذا لا يتنافى الشقاوة والعذاب، بل يؤكدهما، فإن قوة الوجود وتمامه يوجب الآلام من الأمراض النفسانية التي وقع الذهول عنها [لخدر]^(٢) الطبيعة وغشاوة البدن وحجب الشواغل. فإذا زال النوم وقع التنبيه بالانتباه، كما قال ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

والحكماء ذكروا حد الإنسان بأنه جوهر حي ناطق مائت، فالمائت بمنزلة الفصل، وفصل الشيء تمامه؛ فبالموت تمام الإنسان. وليس المراد منه المعنى العلمي، بل ما يلزمه، أعني بعض الحركة الرجوعية إلى الغاية الآخرة. ما لم تقطع الحدود المتوسطة بين مبدأ الحركة وغايتها لم تبلغ الغاية، فإن الإنسان ما لم يصل أولاً إلى الوجود المتوسط بين الطبيعي والعقلي، لم يصير مجرداً عقلياً. فأول منزل من منازل الآخرة لا بد أن يكون برزخاً بين الدنيا والآخرة؛ فربما

(٢) نسخه: لحدود.

(١) نسخه: منها.

يصير محبوساً في بعض الطبقات، وربما يرتقي بقوة الطاعات أو بنور المعرفة أو بجذبة ربانية أو بشفاعة الشافعين، ثم بشفاعة سيّد المرسلين.

وفي حديث: «آخر من يشفع و^(١) هو أرحم الراحمين».

فهذه أصول وقوانين بيّناها مشروحة منصوصة في كتبنا الحكميّة، سيّما الأسفار الأربعة، وأحكمناها ببراهين ساطعة وحجج قاطعة، من تأمل فيها تأملاً شافياً مع سلامة فطرته عن مرض الجهل والفساد، وآفة العصبية والعناد، والحسد واللداد، لم يبق له شك ولا شبهة في حقيقة إثبات المعاد بكلّا ضريبه، أعني بالأنفس والأجساد.

وهذه المسألة من المسائل العظيمة، وقد صرفت شطراً صالحاً من زماني ومدة طويلة من عمري في تحقيقها حتى جاءت بحمد الله كما جاءت. وإني لم أرَ على وجه الأرض من له خبر عن عالم المعاد وحشر الأجساد إلّا مجرد التقليد، ولا أيضاً أعلم ممّن سبقنا من حقّق هذه المسألة وأحكم قوانينها على هذا المثال [وما] وجدنا من مآثورات مشاهيرهم وكلمات كبرائهم في هذا الباب، فإنّها ممّا لا يشفي العليل ولا يروي الغليل. والله يقول الحقّ وهو يهدي السّيل.

(١) الظاهر زيادة (و).

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
١٦٧	٢	البقرة	أَفَهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ . . . إِلَى الظُّلُمَاتِ
٢١٧	٢	البقرة	أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ
٢٠٣	٢	البقرة	بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
٢١١	٢	البقرة	وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
٣٢٥	٢	البقرة	وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
٣٣٠ - ٣٢٩	٢	البقرة	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِيبِ
٢١٦	٣	آل عمران	أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ
٢١٦	٣	آل عمران	وَلَنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ
٢٠٣	٣	آل عمران	يَوْمَ تَعْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا
٣٩٢	٣	آل عمران	أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
٣٥٩ - ٣٦٠، ٤١٢	٣	آل عمران	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
٢١٠	٤	النساء	لَمَّا نَفَضَتْ جُلُودَهُمْ بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
٣٨٠	٤	النساء	الْعَذَابَ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٣٦٢	٤	النساء	لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
٣٢٧	٤	النساء	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ
١٦٨	٥	المائدة	وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَزَائِرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ... وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
١٧٦	٦	الأنعام	وَلَنْ تُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ... بِالْمُهْتَدِينَ
١٧٥	٦	الأنعام	وَلَنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ... بِالْمُتَعَدِّينَ
٢٠٤	٦	الأنعام	أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
٢٠٦	٦	الأنعام	مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
١٩٤	٦	الأنعام	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
٣٢٠	٦	الأنعام	سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ
٣٤١	٢٦	الأنعام	فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
٣٤٣ ، ٣٢٤	٦	الأنعام	فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ
٢٧٤	٦	الأنعام	وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي طُلُمُوتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ
١٧٥	٧	الأعراف	وَلَقَدْ جَنَّاهُمْ بِكُنُوزٍ... يُؤْمِنُونَ
٢١٢	٧	الأعراف	كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَّا أُغْتَابًا
١٩٧	٧	الأعراف	وَالْوَزْنَ يَوْمَهُدِ الْحَقُّ لَنْ تَقْلَتِ مَوَازِينُهُ فَأَزَلَّتْهُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ
٢٠٩	٧	الأعراف	وَقَلَّ الْأَعْرَابُ بِحَالٍ يَهْلِكُونَ كُلًّا بِمِثْمَنُهُمْ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٣٨٣	٧	الأعراف	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
٤٠٦	٧	الأعراف	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ
٣٨٥	٢٠٥	الأعراف	وَأَذْكُرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ
٣٨٣	٧	الأعراف	وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
٣٣٩ ، ٣١٩	٧	الأعراف	وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
٣٩١	٧	الأعراف	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّا بَيَّنَّتْ رَبِّيهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
٣٤٢	٧	الأعراف	وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
٤٥٥	٧	الأعراف	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَيْنِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
٣٥٩	٧	الأنفال	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ
١٥٥ - ١٢٥	٨	الأنفال	وَلَإِنَّا لَبَازٍ مُّجِرَتٍ
١٩١	٨	الأنفال	لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
١٩١	٨	الأنفال	لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَنَّا بِنَنُو وَيَحْيَى مَن حَيَّ عَنَّا بِنَنُو
١٩١	٨	الأنفال	لِيُحْيِيَ الْمُتَّوَلِّينَ وَبِطُولِ الْبَطُولِ
٢٥٩	٨	الأنفال	وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى
٢٠٥	٩	التوبة	وَيُضْرَبُونَ مِنَ اللَّهِ أَسْخَرُ
٢٠٧	٩	التوبة	خَطَاؤُهُمْ مِّثْلًا مِّثْلًا وَآخِرُ سَيِّئَاتِهِمْ
٢١٧	٩	التوبة	ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي الْغَزَى الْمُطَفِّفُ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢٥٩	٩	التوبة	فَتَلَوْتُمْ بِعُذْبَتِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُكُمْ بِالْيَمِينِ
٢٦٠	٩	التوبة	وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُسَمِّرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
٣٦٢	٩	التوبة	الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
٣٥٩	١٤	التوبة	فَتَلَوْتُمْ بِعُذْبَتِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُكُمْ بِالْيَمِينِ
١٧٨	١٠	يونس	لَا يُدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ
٣٨٣	٨٩	يونس	قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ
١٩٤	١١	هود	وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُمْ النَّارُ
٢٠٣	١١	هود	إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
٢٠٦	١١	هود	وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
٢٩٠	١١	هود	يَسْمِ اللَّهَ تَجَرِبْنَهَا وَمُرْسَهَا
٣٦٣	١١	هود	فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ
٢٧٢	١٢	يوسف	وَلِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ
١٩٢	١٣	الرعد	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
٢٧٢، ٢٨١	١٣	الرعد	يَسْأَلُ اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ
٣١٤	١٣	الرعد	وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَارٍ
٣٠٠	١٤	إبراهيم	وَلَنْ نَمُوتَ نَمَتَ آدَمَ لَا تَخْضَمُونَ
٤٠٥	١٤	إبراهيم	مَثَلًا لِمَنْ طَائِفَةٌ كَشَجَرَةٍ طَائِفَةٍ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢١٢	١٥	الحجر	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْرَاقًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
٢٧١	١٥	الحجر	وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
٢٧٢	١٥	الحجر	وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ
٢١١	١٦	النحل	لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
٣٩٦	١٦	النحل	وَالَّذِينَ خَلَقْنَاهُمْ لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
٣٩٦	١٦	النحل	وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
٣٩٦	١٦	النحل	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٦﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ
٣٩٧-٣٩٦	١٦	النحل	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقًا ظَلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ
٤١٧	١٦	النحل	لَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَحُونَ ظِلَالَهُ
٤١٧	١٦	النحل	عَنِ الْبَيْنِ وَالْأَشْمَالِ
٤١٧	١٦	النحل	وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
١٣٦	١٧	الإسراء	قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
١٩٨	١٧	الإسراء	قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ يَمُوتُ
٢٠٤	١٧	الإسراء	وَكُلُّ لِسَانٍ لَازِمَةٌ لَظْمَةٍ فِي عُنُقِهِمْ وَنُخِجَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢٨٩، ٤١١، ٤٠٤	١٧	الإسراء	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
١٩١	١٨	الكهف	وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا
٢٠٣	١٨	الكهف	مَالِ هَذَا الصِّكْرِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
٢٠٨	١٨	الكهف	وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
٢٧٢	١٨	الكهف	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ لِكَلِمَةٍ رَفِي تَنفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ قَبْلِ أَنْ تَنْفِدَ كَلِمَتِي رَفِي وَلَوْ
٣٣٩	١٨	الكهف	لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ لِكَلِمَةٍ رَفِي تَنفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفِدَ كَلِمَتِي رَفِي وَلَوْ جِئْنَا
١٥١	١٩	مريم	فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا
١٩٢	١٩	مريم	فَوَرِّيكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ
١٩٢	١٩	مريم	يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا
١٩٣	١٩	مريم	وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا
٢٠٩	١٩	مريم	ثُمَّ تَجِيَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَذَرُوا الْفَاطِمِينَ فِيهَا جِئْنَا
٣٠٦	١٩	مريم	وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا
٢١٩	٢٠	طه	وَسَمَّوْنَكَ عَنِ الْإِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥٦﴾
٣٦٢	٢٠	طه	وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا طه لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
١٧٧	٢١	الأنبياء	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ... فَتُطَوَّلُ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢١٢	٢١	الأنبياء	يَنْكُرُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
٢٤٨	٢١	الأنبياء	لَا يَسْتَلُ عَنَّا بِفَعْلٍ وَهُمْ يَسْتَلُونَ
٢٧٧	٢١	الأنبياء	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ
٣٥٦	٢١	الأنبياء	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ
٣٥٩	٢١	الأنبياء	فَنَقَّحْنَاهَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
١٧٩	٢٢	الحج	وَلَا تَكُ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةِ مِمَّا تَعْدُونَ
١٧٩	٢٢	الحج	يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ... مِمَّا تَعْدُونَ
٢١٦	٢٢	الحج	وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ لَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
٢١٧	٢٢	الحج	وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
٤١٧	٢٢	الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٦٨	٢٣	المؤمنون	أَقْرَبَتْ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ
١٧٧	٢٣	المؤمنون	أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ... لَا تَرْجِعُونَ
١٩٥-١٩٤	٢٣	المؤمنون	وَلَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِّرَنَّ
٢١٦	٢٣	المؤمنون	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفْرَأَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
٢٦٠	٢٣	المؤمنون	كُلُّ جَزِيمٍ بِمَا لَدَيْنَهُمْ مُرْحُونٌ
٤٠٥	٢٣	المؤمنون	يَبْهَتُونَ مَلَكُوتٌ كُلُّ قَوْمٍ
٣٦٣	٢٤	النور	اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٤١٦	٢٤	النور	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْأَشجارِ وَالْأَنْبِياءِ كُلِّ مَنْ خَلَقَ وَالْطَّيْرَ صَافَّةً كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ إِلَّا الْفِتْرَةَ
١٧٠	٢٥	الفرقان	أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ لِلزَّيْنِ
٢٠٧-٢٠٦	٢٥	الفرقان	وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا
٣٨٥	١٤	الفرقان	لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا
٢٠١	٢٦	الشعراء	هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٦﴾ تَنَزَّلَ عَلَى الْغَائِبِ أَمَّا أَتَمَّ ﴿٢٧﴾
١٧٨	٢٧	النمل	وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ... دَاحِرِينَ
٢٦٨	٢٨	القصص	رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ
٣٠١-٣٠٠	٢٨	القصص	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُهُ
١٧٧	١٩	العنكبوت	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ... عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
١٧٧	٢٩	العنكبوت	وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا... يَعْلَمُونَ
١٧٧	٢٩	العنكبوت	يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
٢٠٤	٢٩	العنكبوت	وَلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِيَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
٣٢٠	٢٩	العنكبوت	وَلَا جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
١٧٧	٣٠	الروم	إِذَا أَنشَأْتَ فَخْرُجُونَ
١٧٧	٣٠	الروم	ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةُ مِنَ الْأَرْضِ
١٧٧	٣٠	الروم	مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
١٧٨	٣٠	الروم	وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٧٨	٣٠	الروم	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
١٧٧	٣٠	الروم	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
١٩١	٣٠	الروم	وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ
٤٠٥	٣٠	الروم	أَلَّنِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
٢٠٥	٣٢	السجدة	وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
٢١٠	٣٢	السجدة	كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا
٢٨٧ ، ٢٧٧	٣٢	السجدة	يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِقُدَارِهِ
٣٥٩	١١	السجدة	قُلْ يَتُوبَنَّكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ الَّذِي يُكَلِّ بِكُمْ
٢١١	٣٣	الأحزاب	وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
٢١٦	٣٣	الأحزاب	وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا
٣٢٨	٣٣	الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
٢١٦	٣٤	سبا	وَجِئَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
١٣٦	٣٥	فاطر	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
٢٠٨	٣٥	فاطر	فِيَنهَزُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْغَيِّبَاتِ
١٩٠	٣٦	يس	قُلْ يَحْيَا آلَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّكُمْ وَالَّذِينَ أَنْشَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢١٩	٣٦	يس	فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
٣٩٦	٣٦	يس	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٍ أَيْدِيًا أَنْعَمْنَا يَسْ فَهُمْ لَهَا تَوَكُّونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ
٣٩٦	٣٦	يس	جَعَلْ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ
١٩٢	٣٧	الصافات	لَاخِضُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَحَهُمْ
٢١٩	٣٧	الصافات	وَقُفُّوا إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
٣٤٠	٣٧	الصافات	وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ
١٣٦	٣٨	ص	وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي
١٩٨	٣٨	ص	خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِن طِينٍ
٢١٢	٣٨	ص	إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاسُمُ أَهْلِ النَّارِ
١٥٨	٣٩	الزمر	ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
١٥٨	٣٩	الزمر	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَن... فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
١٥٩	٣٩	الزمر	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
١٥٩	٣٩	الزمر	وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
٢١٠	٣٩	الزمر	لَهُمْ مِنْ قُوهِمْ أَظْلَلٌ مِّنَ الشَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ أَظْلَلٌ
٣٥٦	٤٤	الزمر	مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
٣٥٩	٣٩	الزمر	اللَّهُ يَتَوَلَّى الْإِنْسَانَ حِينَ مَوْتِهِمَا
٤٠٨	٣٩	الزمر	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
١٧٥	٤٠	غافر	جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ . . . يَسْتَهْزِئُونَ
٢١٦	٤٠	غافر	إِذِ الْأَغْلَظُ فِي أَغْنَقِيهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي اللَّعِيبِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
٣٦٧	٤٠	غافر	ادْعُوهُ اسْتَجِبْ لَهُ
١٧٨	٤١	فصلت	قَالَ لِمَا وَلِلْأَرْضِ أَنْيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْيَا طَائِعِينَ
١٩٢	٤١	فصلت	وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ
٢٠١	٤١	فصلت	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
٣١١	٥٣	فصلت	أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
٣٣٠	٤١	فصلت	أَنْيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
٣٣٠	١١	فصلت	أَنْيَا طَائِعِينَ
٣٥٩	٤١	فصلت	أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
٣٥٩	٣٨	فصلت	فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا
٤١٧	٤١	فصلت	فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ
٣١٤	٤١	فصلت	وَمَا رَيْكَ يَطْلُمُ لِلْعَيْدِ
١٩٤	٤٢	الشورى	وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ
٢٠١	٤٣	الزخرف	الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَنْ يَقْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا
٢٧٠	٤٣	الزخرف	فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَلِلَّهِ فِي أَرْكَانِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٌ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٤٠٦	٣٦	الزخرف	وَمَنْ يَمَسُّ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ
٤٥٣	٤٣	الزخرف	وَفِيهَا مَا نَسْتَهْيه الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ
٢٠٨	٤٦	الأحقاف	وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا
١٦٧	٤٧	محمد	وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ
٢١٢	٤٨	الفتح	الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءُ
٢٨٥	١٢	الفتح	وَلَقَدْ كُنتَ مِنَ الْغَافِلِينَ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
١٦٩	٥٠		فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
٢٠٢-٢٠١	٥٠	ق	إِذْ يَنْفَلِي الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْعِمِينَ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
٢٠٣	٥٠	ق	وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ
٢٠٤	٥٠	ق	فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
٢١٤	٥٠	ق	لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ
٣٢١	٥٠	ق	وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ
٣٤١	٥٠	ق	مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ
٢١٢	٥٢	الطور	يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ
٢٧٢	٥٢	الطور	وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ
١٤٣	٥٣	النجم	وَإِذَا جَاءَ النَّازِلُ إِذْ يَنْفَى السَّيِّدَةُ مَا يَفْشَى ١٦
٣٥٨	٥٤	القمر	وَكُلُّ مَنْ قَالُوا يَ الرَّبِّ ٥٧ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٌ ٥٨

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢٠٨	٥٦	الواقعة	وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
٢٠٩	٥٧	الحديد	لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
٢٥٦	٥٧	الحديد	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
٤٥٨	٥٧	الحديد	ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
٢٠١	٥٨	المجادلة	أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
٢٥٦	٧	المجادلة	مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
١٣٢	٥٩	الحشر	نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ
١٩١	٦٤	التغابن	يَوْمَ يَجْمَعُوكُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ
٢١٥	٦٥	الطلاق	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِیْغُ أَمْرِهِ
١١٨	٦	التحریم	غَلَاطٌ شِدَادٌ... مَا یُؤْمَرُونَ
٤١٧	٦٦	التحریم	وَيَقْعَلُونَ مَا یُؤْمَرُونَ
٣٤١	٦٨	القلم	وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ
١١٨	٦٩	الحاقة	خَلْقُهُ قَفْلَةٌ... فَاسْأَلُوهُ
٢٠٥	٦٩	الحاقة	مَنْ أُرِيتَ كِتَابَهُ يَسْبِيحُهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ أَوْ كِتَابُهُ
٢١٩	٦٩	الحاقة	فَيَقُولُ بَلَيِّنِي لَرَأَيْتَ كِتَابَهُ ﴿٦٥﴾ وَلَرَأَيْتَ أَزْوَاجًا
١٧٩	٧٠	المعارج	مَنْحَ الْمُنْتَهِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ... أَلْفَ سَنَةٍ

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
١٥٥	٧١	نوح	أَغْرِهُوا فَادْخُلُوا نَارًا
١٧٦	٧١	نوح	وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا
١٧٦	٧١	نوح	إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي... لَهُمْ إِسْرَارًا
٢٠٩	١٩	نوح	وَلَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا
٢١١	٧١	نوح	مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ
٢٦٠	٧١	نوح	رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا
٢١٢	٧٦	الإنسان	إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا
١٣٢	٧٦	الإنسان	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ... شَيْئًا مَّذْكُورًا
٢١٢	٧٦	الإنسان	وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا
٢١٣	٧٦	الإنسان	أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا
٢١٩-٢١٨	٧٦	الإنسان	لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
٢٥٨	٧٦	الإنسان	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
١٩١	٧٧	المرسلات	هَذَا يَوْمُ الْقَصْفِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ
١٥٤	٧٩	النازعات	وَيُزَيَّنُّ لِلْجَنَّةِ لِمَنْ يَرَى
٢١٩	٧٩	النازعات	فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ
٢٢٠، ٢١٠	٧٩	النازعات	وَيُزَيَّنُّ لِلْجَنَّةِ لِمَنْ يَرَى
٣٦١	٧٩	النازعات	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا
١٩٢	٨١	التكوير	وَلَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
٢٠٣	٨١	التكوير	وَلَإِذَا الْطُّفُفُ تُهْبِتْ
٢١٨	٨١	التكوير	إِذَا النُّجُومُ كُودَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾

الصفحة	رقم الآية	رقمها	السورة
٢١٩	٨١	التكوير	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ
١٩٨	١٠١	القارعة	وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾
١٩٨	١٠١	القارعة	فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١١﴾
٢١٩	٨٢	الانفطار	وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ
٢١٨	٨٢	الانفطار	وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفِثَتْ
٢٠٥	٨٣	المطففين	كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ بِشَهِدَةِ الْمُرُورِ ﴿٢١﴾
٢٠٥	٨٣	المطففين	إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ
٣٠٦	٨٣	المطففين	إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ
٣٠٦	٨٣	المطففين	إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ
١٧٦	٨٤	الإنشاق	يَكْنُتُهَا الْإِنشَادُ إِنَّكَ... فَمُلْقِيهِ
٢٧٥	٨٦	الطارق	وَالسَّلَامُ ذَاكَ الرَّجَعُ
٢٢٠	٨٩	الفجر	وَجَاءَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِمْ
١٣٢	٩٦	العلق	إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ
٢٧١	٩٦	العلق	اقْرَأْ بِرَبِّكَ الْأَكْرَمِ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾
٣٨٨	٩٨	البينة	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
١٤٧	١١٢	التكاثر	الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾
١٥٥	١٠٢	التكاثر	كَلَّا لَوْ تَصْلَحُونَ... عَيْنَ الْبَاقِينَ
١٥٦	١٠٤	الهمزة	أَلَمْ تَطْلُعْ عَلَى الْأَفْقَدِ

فهرس الأحاديث الشريفة

- آخر من يشفع هو أرحم الراحمين» ٤٥٧ ، ٤٦٨
- إذا كان يوم القيامة يجيء الإخلاص والشرك يختران...» ٣٨٨
- الله تعالى أعدل من أن يجبر عبده ثم يعذبهم» ٣٥٩ - ٣٥٨
- ألا كل شيء ما خلى الله باطل ٣٦٠
- إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا» ٢٠٩ ، ٢٠٨
- إن الجنة قاع صفصف وإن غراسها سبحان الله» ٢٠٤
- إن كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يثاب... شيطاناً يعذب به» ٢٠١
- إن الله تعالى حرّم أجساد الموحدين على النار» ٤٠١
- إن الله عز وجل ينزل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي...» ٣٢٧ - ٣٢٨
- إن الله لا يتجلى في صورة مرتين ١٢٤
- إن لله ملكاً له سبعون ألف وجه» ٢٨٩
- إن الله يرسل كتاباً إلى بعض عباده وعنوان الكتاب
- «من الحي القيوم» وفيه: «أما بعد...» ٤٦٥
- إن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها ١٣٧
- إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم...» ٤٠٦
- أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس» ٤١٤
- إنه قال حين سئل عن صيرورته مغشياً عليه عند تلاوة القرآن...» ٤٠٨
- إنه قال: قال موسى ﷺ في مناجاته...» ٤٠٠
- إنه قال: لقد كنّا نسمع تسبيح الخبز وهو يؤكل» ٤١٤
- إنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا...» ٤١٤
- أنني خلفت عبادي كلهم حنفاء، وإنهم أتاهم الشيطان فاحتالهم عن دينهم» ٣٢٤

- ١٩٤ «يُر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف»
- «جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد طوبى لمن قال من أمتك:
- لا إله إلا الله...» ٤٠١ - ٤٠٢
- ٣٥٧ چنان کان گبر یزدان واهر من گفست مراين نادان وابله ما ومن گفست
- ٢٠٧ «حاسبوا أنفسكم قبل أن يحاسبوا»
- ١٩٢ «حتى إنه لو أحب أحدكم حجراً لحشر معه»
- ٣٣٠ «حقَّت الجنة بالمكاره وحقَّت النار...»
- ٢٠٣ «خلق الكافر من ذنب المؤمن»
- ٤٠١ «خير العبادة قول «لا إله إلا الله»»
- ٣٨٣ «الدعاء بعد ما نزل البلاء لا ينفع به»
- ٣٨٣ «رحم الله عبداً طلب من الله حاجته»
- ٣١٧ «الرضا بالكفر كفر»
- ٣٣٠ «سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته لأعدائه في سعة رحمته»
- ٣٦٨ «عجبت لمن يتلى بالغم، فكيف عليه أن لا يقول: لا إليه إلا أنت...»
- ٣٥٨ «في مفروغ منه وفي أمر مستأنف»
- ١٩٠ «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»
- ٣٥٧ «القدرة مجوس هذه الأمة»
- ٣٨٣ «كان بين قول الله عز وجل»
- ٣٩٨ «كل مولود يولد على الفطرة...»
- ٣٧١ «كل ميسر لما خلق له»
- ١٩٥ «كلنا يدي الرحمان يمين»
- ٢٠٥ «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون»
- ٣٥٨ ، ٢٥٤ لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين
- ٣٦٧ «ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يسأل أو يطلب...»
- ٤٠٢ «ما من عبد مسلم يقول: لا إله إلا الله، إلا...»
- ٢٠٩ «مرناها وهي خامدة»
- ٢٥٢ مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة

- ٣٩١ من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»
- ٣٨٣ من نخوف بلاء يصيبه...»
- ٣٨٢ من تقدم في الدعاء استجيب له...»
- ٣١٧ من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي...»
- ٢٥٦ من عرف نفسه فقد عرف ربه
- ٢٠٣ من قال سبحان الله أو فعل حسنة يخلق الله في الجنة... من يتمتع به أبداً»
- ١٩٩ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»
- ٢١٥ من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي، فليعبد رباً سوائى وليخرج...»
- ٣٦٨ من لم يسأل الله عز وجل من فضله افتقر»
- ٣٦٧ من لم يسأل الله يغضب عليه»
- ٤٠١ من مات ولا يشرك به شيئاً، أحسن أو أساء دخل الجنة»
- ٣٢١ الناس معادن كمعادن الذهب...»
- ٤٦٧ الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا»
- ٣٢٣ هوّن على بصري ما شقّ منظره فإنما يقظات العين كالحلم
- ٤٥٤ ياأيّ إلهم الملّك، فإذا سلّم عليهم... كن إلا ويكون»
- ٣٨٤ يا أبا ذر لا يفقه الرّجل كلّ الفقه...»
- ١٩٢ يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير»
- ١٩٥ اليمين والشّمال مضلّة»

فهرس المذاهب والملل

- أثولوجيا : ١٢٧
- الأسفار الأربعة : ١٣٠
- الأسفار الإلهية : ١٢١
- رسالة العشق : ١٢٨
- معرفة الربوية : ١٢٥ ، ١٤٢
- أئمة الحكمة : ١٦٤
- الإشراق : ١٢١
- الإلهيون : ١٢٨
- الحكماء : ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٦
- الحكماء الإسلاميين : ١٧٣
- الرواقين : ١٧٣
- الفلاسفة : ١٢٨
- المشائين : ١٢١ ، ١٦٩ ، ١٧٣

فهرس الأعلام والمؤلفات

- ابن سينا (الشيخ الرئيس): ٣٩٧
ابن عربي (الشيخ الإلهي، الأعرابي):
٣٤٠، ٣٨٤، ٤٠٣، ٤١٥
ابن فهد: ٣٨٤
ابن كمونة: ٤١٥
ابن مسعود: ٤١٤
أبو البركات البغدادي: ٤١٥
أبو عبد الله: ٤٠١
أبي جعفر: ٤٠١
آدم: ٣٩٣
أرائس (از حكماى يونان):
أرسطو (أرسطاطاليس، المعلم الأول،
الاستاد الأول): ٢٦٧، ٢٨٨،
٢٩٤، ٣١٦، ٣٦٩
إسكندر الأفروديسي: ٣٩٩
إسكندر: ٣٦٩
إسماعيل بن مسلم السكوني: ٤٠١
أصول الكافي: ٢٥٤
أفلاطون: ٣٧٧، ٣٧٩
امام الساجدين زين العابدين: ٣٨٣
امام صادق: ٢٥٤
الأنبياء: ٢٥٠
أهل الله: ٢٤٧
أهل علم التوحيد: ٢٥٩
الباقر: ٣٦٧
بحار الأنوار: ٢٥٧
الجبري: ٢٥٧
جعفر الصادق: ٣٦٨، ٣٨٢، ٣٨٣،
٤٠٨
ذو النون المصري: ٣٦٨
ذيمقراطيس: ٢٩٢
الراسخون في العلم: ٢٥١
رسول الله (محمد): ٢٦٦، ٣٨٣،
٣٩١، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٤،
٤١٦
سراقة بن مالك بن جعشم: ٣٧٠
سهروردي (صاحب الإشراف): ٢٧٦،
٢٨٩، ٤١٥
السهروردي (صاحب العوارف): ٤٠٩
سهل بن عبد الله التستري: ٣٨٨
الشبلي: ٣٦٧
شرح منازل السائرين: ٢٥٧
شيخ [ابن سينا]: ٢٥٥
الشيخ الرئيس: ١٢٧

الشيخ محيي الدين الأهرابي : ١٦٢
 صدر الدين شيرازي : ٢٦٦ ، ٤١٨
 العلامة الرازي (صاحب المحاكمات) :
 ٤١٥
 العلامة القيصري : ٣٤٢
 علماء الإسلام : ٢٤٧
 علي : ٣٢٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٤
 علي بن أبي طالب : ٢٥٢
 علي بن الحسين : ٣٩٨
 علي بن موسى (أبا الحسن) : ٣٥٨
 عيسى : ٣٢٩
 غزالي (صاحب الإحياء) : ٣٩٠
 فرعون : ٣٩٢
 الفضل بن سهل : ٣٥٨
 الفلسفي : ٢٥٧
 الفيلسوف (أرسطو) : ١٥٢
 الفيلسوف الأول (أرسطو) : ١٣٧ ، ١٤٢
 القاضي البيضاوي : ٣٩١

القدري : ٢٥٧
 المأمون : ٣٥٨
 المحقق الطوسي : ٤١٥
 محمد بن علي بن بابويه القمي : ٤٠١
 مصباح الشريعة : ٢٥٧
 المعلم الأول (أرسطو) : ١٢٥ ، ١٦٩
 معلم الفلاسفة (أرسطو) : ١٣٦
 معلم الفلاسفة اليونانية (أرسطو) : ١٣٣
 موسى : ٣٦٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٩
 النبي : ٣٧٠
 نقد النصوص في شرح نقش الفصوص :
 ٢٥٣ ، ٢٥٧
 نهج البلاغة : ٢٥٢
 نوح : ٢٧٦
 وهب : ٢٩٤
 يوداسف (المنجم التتاسخي) : ٢٧٦

فهرست الأشخاص والأماكن

الرياضيون: ٤٥٣، ٤٦٥	أثولوجيا: ٤٥٤
شيخ أتباع الإشرافيين (سهروردي): ٤٥٣	الأسفار الأربعة: ٤٤٩، ٤٥٧
الصدّيقين: ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٨	الأنشاعة: ٣٩٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠
الصوفيّة: ٢٩٤، ٣٤٧	الإشرافيين: ٣٣٩، ٤٥٣، ٤٦٥
الطبيعيون: ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٧	إصفهان: ٢٢٠
العرفاء: ٣٤٧، ٣٦٠	الأطباء: ٤٦٧
الفلاسفة: ٣١٦، ٤٥٣	أفلاطون: ٤٥٥
فيثاغورس: ٢٠٣، ٢٠٤	الأقدمين من مصر ويونان: ٢٧٦
القدرية: ٣٥٧	الأنبياء: ٢٦٨
المتكلمين: ٤٥٨	أهل بيت النبي: ٢٠٩
المجوس: ٣١٢	بعض الأكابر: ١٨٩
المدرسة الجديدة السلطانية: ٢٢٠	الثروة: ٣١٦، ٣١٧
المرسلين: ٣٦٨	الجبرية: ٣٥٨
المشائين: ٢٦٧	الحشوية: ٣٦٧
مصر: ٣٩١	الحكماء الأقلمين من مصر ويونان: ٢٧٦
المعتزلة: ٣٩٢	حكماء الفرس: ٢٨٩
معلم الفلاسفة (أرسطو): ٤٥٤	حكماء بابل وفرس: ٢٧٦
المفسرون: ٣٩١	الحكماء: ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٧٧، ٢٩٢
مكة: ٤١٤	٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٨
النبي: ١٩٠، ١٩٤	٣١٨، ٣٤٠، ٤٥٨، ٤٦٧
نوح: ٢٠٣	العمرة: ٢٩٢
	رسول: ٢١١

فهرست الكتب

الطبيعيون: ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٧	الأسفار الأربعة: ٣٣٣، ٤٥٧، ٤٤٩
عدّة الداعي: ٣٨٤	الأطباء: ٤٦٧
الفتوحات المكيّة: ٤١٥	أفلاطون: ٤٥٥
فصوص الحكم: ٣٤٠	أطواق الذهب: ٣٨٤
الفلاسفة: ٤٥٣	الإشراقين: ٤٥٣، ٤٦٥
كتاب التوحيد: ٤٠١	أثولوجيا: ٤٥٤
المبدأ والمعاد: ٣٩٧	الحكماء: ٤٥٨، ٤٦٧
المحاكمات: ٤١٥	رسائل إخوان الصفاء: ٢٩٤
معلم الفلاسفة (أرسطو): ٤٥٤	الرياضيون: ٤٥٣، ٤٦٥
المتكلمين: ٤٥٨	الشفاء (كتاب نفس): ٢٧٠
النواميس: ٣٧٧	شيخ أتباع الإشراقين (سهروردي): ٤٥٣
	الصحيفة: ٣٦٨

فهرس المصطلحات

أبد الآباد: ٢٠٢	أسماء وصفات حقيقية: ٣٣٦ - ٣٣٧
الأبدان الأخروية: ١٥١	أسماء وصفات سلبية: ٣٣٦ - ٣٣٧
الأبدان الطبيعية: ١٥١	الأشرار: ٢١٤
الأبرار: ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١	الأشقياء: ٢٠٠
الإبصار: ٤٥٣	أصحاب الشمال: ٢٠٧
اتحاد العاقل والمعقول: ١٢٩	أصحاب الشهود: ٢٠٨
أحسن الصور: ٢١٣	أصحاب اليمين: ١٩٢، ٢١١
الأحوال والملكات: ٢٠٠	أصناف الخلائق: ٢٠٨
الاختيار: ٢٤٧، ٢٥٥	الإضافة الإشرافية: ٤٥٣
الآخرة: ١٩١، ١٩٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٤	الأضواء والأشعة القيومية: ٣٣٩
الإدراك العقلي: ٢١٥	الإعداد: ٢٠٢
إرادة النفس: ٢٥٨	الأعمال الإنسانية: ١٩٨
الإرادة: ٢١٤، ٣٥١	الأعيان الثابتة: ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٦٢، ٣٤٥
الأرواح المدبرة الجزئية: ١١٨	الأفاعيل الإبلسية: ١٩٨
الأرواح المدبرة العقلية: ١١٨	الألوح النفسية: ٢٠١
أسباب اتفاقية: ٢٠٠	أم الكتاب: ٢٧٠
أسرع الحاسبين: ٢١٥	أمر بين الأمرين: ٢٥٤
الأسطفتات: ٢٨٧	الإمكان الأشرف: ٢٨٨
الاسماء والصفات الإضافية: ٣٣٦ - ٣٣٧	إمكان ذاتي: ٣٣٢
الاسماء والصفات الإلهية: ٣٣٦	الأمور القدسية: ٢٠٥
	الإنسان البشري: ٤٥٥، ٤٦٦

الأوصاف الجسمانية: ١٩٣
 الأوصاف النفسانية: ١٩٣
 البرازخ الحيوانية: ١٩٢
 البسيط: ١١٩، ٢٥٠
 البعث: ١٩٠
 تجسم الأعمال والأخلاق: ٢٠٣
 التجلي الأفعالي: ٤٠٨
 التجليات الإلهية: ٣٣٩
 التخيل: ٤٥٣
 التشبيه المحض: ٢٥٦
 التشبيه: ٢٥٧
 التشخيص: ٢٥٣
 التضاد الحقيقي: ٢١١
 التطابق التعاكسي: ٢١٣
 تعذيب: ٢٤٩
 التعقلات الكلية: ٢٠٥
 التفويض: ٢٥١، ٢٥٤
 التقديس: ٢٥٣
 تكريم: ٢٤٩
 التناسخ: ١٧١
 التنزيه الصرف: ٢٥٦
 التنزيه: ٢٥٣
 ثواب القبر: ١٩٠
 جادة اليقين: ١٩٤
 الجبر: ٢٥١، ٢٥٤
 الجحيم: ١٥٤، ٢٢٠
 الجرم الفلكي: ١٩٣

الإنسان الحسي: ١٣٦
 الإنسان العقلي: ١٣٦، ١٣٧، ٤٥٥،
 ٤٦٦
 الإنسان الكامل: ٤١٤
 الإنسان النفساني: ٤٦٦
 الإنسان النفسي: ١٣٦
 الأنوار الحسية الكلية: ٢١٨
 أنوار جزئية: ٢١٨
 الإنبيات العقلية: ١٢٢
 أهل الاعتبار: ٢١١
 أهل الأعراف: ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٩
 أهل البرازخ: ٢١٩
 أهل التوحيد: ٢٠٨، ٢٠٩
 أهل الجحيم: ١٩٤، ٢١٢
 أهل الجنان: ٢١١
 أهل الجنة: ٢٠٣، ٢١٢
 أهل الحساب: ٢٠٦
 أهل الحق: ١٩٣
 أهل الشمال: ٢٠٨، ٢٠٩
 أهل الطاعات والمعاصي: ٢٠٢
 أهل العيان: ٢٢٠
 أهل الكشف والإيقان: ٢٠٧
 أهل الكشف: ٢٠٣
 أهل النار: ٢٠٣، ٢١١
 أهل الوحدة: ٢١٦
 أهل اليمين: ٢٠٦، ٢٠٨
 أهل برد اليقين: ٢١٢

حياة الأرواح : ١٦٢
 الحياة الأولى : ٤٥٥
 الحياة الثانية : ٤٥٥
 الحياة الحقيقية : ٢٢٠
 حياة الحياة : ٢٢٠
 الحياة الدنيا : ٢٠٤
 الحياة النفسانية : ١٦٠
 الحياة والكلمة : ١٦٠
 خازن الجحيم : ٢١٣
 خازن الجنة : ٢١٣ ، ٢١٥
 خازن الهاوية : ٢١٦
 خلق الأعمال : ٢٥٨
 الخير الأقصى : ١٦٦
 الخير الأول : ١٢٧
 الخير الحقيقي : ٣١٦
 خير كثير : ٣٨٤
 خير محض : ٣١٢ ، ٣١٦
 الخير : ٣١٢
 الخيرات : ٢٠٥
 الدار الآخرة : ١٩٢
 دار الشهادة : ٢٠٣ - ٢٠٤
 دار الغيب : ٢٠٤
 دار المقربين : ١٥٠
 الداعي : ٣٥٢ ، ٣٥٥
 درجات الجنان : ٢٠٨
 درجة التسليم : ٢١٧
 درجة التوكل : ٢١٦

الجزء : ٤٥٣
 الجزاف : ٢٠٣
 الجنة العالية : ٢٠٤
 الجنس : ٤٥٣
 الجهل البسيط : ٣١٨
 الجهل المرتب : ٣١٨
 الجوهر : ٢٥٠
 الحد : ٤٥١
 الحركة الجوهرية : ٤٥١
 الحص الباطني : ١٩٠
 الحص المشترك : ١٣٥
 حساب الفقراء : ٢٠٦
 الحساب : ٢٠٦ ، ٢٠٧
 الحشر : ١٩١
 حضرة الأسماء والصفات : ٣٤٣
 الحضرة الربوبية : ٢١٩
 الحق الأول : ٢١٦
 حقيقة التكلم : ٣٩٢
 حقيقة الحشر : ١٩١
 حقيقة الذكر : ٤١٢
 حقيقة كل شيء : ٤٥٠
 الحكمة الرسمية : ٢٥٧
 الحكيم : ٢٠٣
 الحميم : ١٩٤
 الحور العين : ٢٠٣
 حياة الأجسام الدائمة : ١٦٢
 الحياة الأخروية : ٢٠٤

السلسلة الصعوديّة: ٢٨٧	درجة الوحدة: ٢١٧
السلسلة النزوليّة: ٢٨٧	دركات الجحيم: ٢٠٨
سلطان الآخرة: ٢٠٤	دركة الخذلان: ٢١٦
شر قليل: ٣١٢	دركة اللعنة: ٢١٧
شر كثير: ٣١٢	دركة الهوان: ٢١٧
الشر: ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٦	دفتر الوجود: ٢٧٤، ٢٧٢
الشرائع الحقّة: ١٩٠	الدنيا: ١٩١، ١٩٢، ٢١١، ٢١٤
الشرف الوجودي: ٢٥١	الدواعي الشيطانية: ٢٠٧
الشرور الجزئية: ٢١٤	الذاتي: ٤٥٢
الشرور: ٢٥٣	الرؤيا: ١٩٠
الشمال: ١٩٥	الرؤية الباطنية: ٢٠٤
الشهوات: ٢١٠	الرضاء: ١٩٨
الشیطان: ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢	الرضوان: ٢١٥
الصانع: ٢٤٩	روان بخش (آخر العقول الزواهر، روح القدس): ٢٨٩
صحائف الأعمال: ٢٠٠، ٢٠١	الروح النابعة في القلب الصنوبري: ٣٠٦
الصراط المستقيم: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥	الزمان الغير المتناهي: ٢٠٢
الصراط: ١٩٤، ٢٠٩	الزمان: ١٩١
الصغرى: ١٢١	السابقون: ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩
الصور الحقيقية الأخروية: ١٩٠	السالك: ٢١٥
الصور الطبيعية: ١٨٩	سبب الشر: ٢١٤
الصور العقلية: ١٥١	السبب المقتضي: ٢٠٢
الصورة الأخروية: ٤٤٩، ٤٥٢	السبب الملهم للخير: ٢٠٢
الصورة البرزخية: ٤٥٢	السبب الموجب: ٢٠٢
الصورة الحسية: ١٥٠، ١٥٩	السبب الموسوس للشر: ٢٠٢
الصورة الطبيعية: ٤٥٢	السعداء: ٢١١، ٢٠٥
الصورة العقلية: ١٥٠، ١٥١	سلسلة الباديات: ٢٨٩
صورة القضاء الإلهي: ٢٧٠	

عالم القضاء الإلهي : ١١٧	الصورة الكمالية : ٤٥١
العالم المادي : ٤٥٤	الصورة المثالية : ١٥٠
عالم الملكوت : ١٩٢	الصورة والمادة : ٤٥١
العالم النفسي (محل القدر) : ٢٧١	الصورة : ٤٥١
عالم النفوس الناطقة الكلية (لوح	الطاعة : ٣٢٤
القضاء) : ٢٧٢	الطاغوت : ١٦٧
العبادة الذاتية : ٤١٧	الطبائع العنصرية : ١٩٧
عَبْدَةُ الطاغوت : ١٦٧	طبقات أهل الحساب : ٢٠٦
عَبْدَةُ الهوى : ١٦٧	الطريق القويم : ١٩٤
العدم : ١٩٨	العادة : ١٩٤
عذاب القبر ومقابلة : ١٨٩ - ١٩٠	العالم الأدنى : ٢١١
عرصات القيامة : ٢١٩	عالم التضاد : ٢١١
العرصات : ٢١٨	عالم التفرقة : ٢١١ - ٢١٢
العرصة : ٢٢٠	عالم الجبروت : ١٤٧ ، ٢٧٠
العرض : ٢٥٠ ، ٤٥٢	عالم الجمعية : ٢١٢
العرضي : ٤٥٢	عالم الخيال والمثال (لوح القدر) : ٢٧٢
العقل الأول : ٢٦٩	العالم السفلي الحسي : ١٥٣
العقل الفعال : ١٤٩ ، ١٢٨ - ١٢٩	عالم الشهادة : ١٧٢
العقل الكلي : ١٢٩	عالم الصدق والحق : ٣٧٧
العقل بالفعل : ١٢٣ ، ١٣١	عالم الصور المقدارية المجردة عن
علل قسرية : ٢١٤	المادة : ٤٥٤
العلم الذاتي : ٢١٧	العالم العقلي (محل القضاء) : ٢٧١
العناية : ٢٦٧ ، ٣٩٢	عالم العقول المفارقة : ٤٥٤
العوارض المشخصة : ٤٥٠	عالم الغيب : ١٧٣
عين الاختيار : ٣٥٥	عالم القدر الرباني : ١١٨
غاية الغايات : ١١٩ ، ١٢٠	عالم القدرة : ٢٧٠
غاية كل شيء : ١٦٩	عالم القدس : ١٩٧

القوة العقلية: ٢١٣
 القوة العملية: ٢٠٦
 القوة الروحية: ١٨٩
 القوى الحيوانية: ١٩٨
 القيامة الصغرى: ٢١٨
 القيامة العظمى: ٢١٨
 القيامة الكبرى: ٢١٨
 القيامة: ١٩١
 القيوم الأحدي: ٢١٨
 الكبرى: ١٢١
 الكبرى: ١٢١
 كتاب المحر والإثبات: ٢٧٧
 الكرام الكاتبون: ٢٠١، ٢٠٠
 كشف الغطاء: ٢١٠
 الكلمات التامات: ١٤٦
 كلمات الله: ٢٧٢
 الكلمات الوجودية: ٣٣٩
 كمال الإنسان: ١٩٣
 الكمال المطلق والخير المحض: ٣٠٨
 كيفية وزن الأعمال: ١٩٧
 لا مؤثر في الوجود إلا الله: ٢٤٨
 لسان الشريعة: ٢٠٢
 اللوازم: ٤٥١
 لوح القدر (عالم الملكوت العتالة):
 ٢٧٢
 لوح المحر والإثبات: ١١٨
 لوح محفوظ من المحر والإثبات: ٢٧٢

الغاية: ١٦٩، ١٧٠
 الفاعل الطبيعي: ١٩٧
 الفجار المنافقين: ٢٠٥
 الفصل: ٤٥٢
 الفطرة الأصلية: ٢١٣
 الفطرة الأولى: ٢١٣، ٣٢٣
 الفعل الاختياري: ٣٥٢
 الفعل الجسماني: ٢٠٢
 الفعل الذاتي: ١٩٧
 الفعلية والوجوب: ١٢٢
 الفياض الحق: ٢١٤
 قاعدة الامكان الأخس: ١٤٣
 قاعدة الإمكان الأشرف: ١٢٣، ١٤٣،
 ١٧٢
 القبر الحقيقي: ١٩٠
 القدر: ٢٦٨، ٢٤٧
 القدرة الغير المتناهية: ٢١٧
 القدرة: ٣٥٠
 القرار المكين: ١٩٠
 القسر على الطبع: ١١٩
 القضاء باللات: ٣١٧
 القضاء بالعرض: ٣١٧
 القضاء: ٢٦٨
 القلب المعنوي: ٢٥٨
 القلم الأعلى: ٢٦٩
 القلم: ٢٧٠
 القوة الخيالية: ٤٥٢

مقام أهل الوحدة وأولياء الله: ٢١٦
 المقربون: ٢٠٥، ٢٠٦
 المكان: ١٩١
 ملائكة الشمال: ٢٠١
 ملائكة اليمين: ٢٠١
 الملائكة: ٢٠٠، ٢٠١
 الملك: ٢٠٢
 الملكات: ٢٠٢
 الملكة: ٢٠٢
 الممالك المجرمين: ٢١٦
 المنزلة القصوى: ٢١١
 منشأ الثواب والعقاب: ٢٠٢
 المنكوسين: ٢٠٥
 مواد الأشخاص الأخروية: ٢٠٤
 المواعيد النبوية: ١٩٠
 الموت الطبيعي: ٤٥٥
 موت الموت: ٢٢٠
 الموت: ١٨٩، ١٩٠
 موجب قريب: ٢٠٢
 الموحدون: ١٩٤
 الموضوع: ٤٥٢
 الميزان: ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩
 الناسوت: ١٧٣
 النشأة الأولى: ٢١٣
 النفس الإنسانية: ١٣٢، ١٩٧، ٢٥٧
 النفس الحيوانية: ١٩٧
 النفس الخيالية: ١٧١

المادة: ٤٥١
 الماهيات: ٢٥٣
 الماهية الجاهلية: ٢٠٤
 الماهية: ٤٥٠، ٤٥١
 المبدأ المؤثر: ٢٠٢
 مبدأ المبادئ: ١١٩
 المبدع الحق: ١٢٩
 المجحول بالذات: ١٢٢
 المجمول: ٢٥٣
 المدرك الفعّال: ٢٥٩
 المرتبة السفلى: ٢١١
 المركب: ٢٥٠
 المركبات: ١١٩
 المشاعر الباطنية: ٢٠٤
 المشيئة: ٣٥٤
 المعاد الجسماني: ١٦٩
 المعدّ: ٢٠٢
 المعدّات: ٤٥١
 معراج النبي: ٤١٥
 المعصية: ٣٢٣
 المعقولات الثانية: ١٧٠، ٤٥٠
 المفارقات العقلية: ١١٧
 مقام الأحدية: ٢٥٣
 مقام التسليم: ٢١٦
 مقام التوكل: ٢١٥
 مقام الجمعية الوجودية: ٢١٢
 مقام الرضا: ٢١٤

وجوب غيري: ٣٣٢
الوجود الأبدي: ٢١٧
الوجود الحقيقي: ٢١٨
الوجود العلمي الإلهي: ٣٣١
الوجود الكتبي: ٢٠٠
الوجود المطلق: ٢٢٠
الوجود خير محض: ٢٥٤
الوجود: ١٤٦، ١٩٩، ٢١٢، ٤٥١
الوعد: ٢٤٨
الوعيد: ٢٤٨
الوهم والفكر والخيال: ١٢٣
اليمين: ١٩٥
يوم الآخرة: ٢٠٨
يوم الجمع: ١٩١
يوم الحساب: ٢٠٦
يوم الفصل: ١٩١
يوم القيامة: ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٨

النفس: ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩
النفوس الحيوانية المتصورة بالجسد
البرزخي: ١٣٣
النفوس الخيالية: ١١٨
النفوس المشتاقة إلى الكمال: ١٣٤
النفوس النباتية: ١١٨
نور الأنوار: ٢١٨، ٢٥٢
نور البصيرة: ١٨٩
النوع: ٤٥٢
الهاوية: ٢١٠، ٢١٦
الهوية الإنسانية: ٤٥٢
الهيئات البدنية: ١٨٩
الهيولى الأولى: ٢١٣
هيولى العقل: ١٥٢
هيولى النفس: ١٥٢
الهيولى: ٣٠٠
الواحد المطلق: ٢١٤

فهرس مصادر التحقيق

- قرآن.
- نهج البلاغة، صبحي صالح، بيروت، ١٣٨٧هـ. ق.
- آشتياني، سيد جلال الدين - شرح مقدمة فيصري، انتشارات امير كبير، ١٣٧٠ هـ. ش.
- شرح بر رسالة زاد المسافر، بوستان كتاب، ١٣٨١هـ. ش.
- آشتياني، مهدي - أساس التوحيد، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٣٠هـ. ش.
- آغا بزرگ تهراني، محمد حسين - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٢٩هـ. ش.
- آمدي، علي بن أحمد - غاية المرام في علم الكلام، تحقيق محمود عبد اللطيف، إحياء التراث الإسلامي.
- آملی، سيد حيدر - نقد النقود في معرفة الوجود، تهران، ١٣٤٧هـ. ش.
- ابن أثير - أسد الغابة، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن بابويه - من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي اكبر غفاري، ج ١، تهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩٢هـ. ق.
- ابن تركه، علي بن محمد - تمهيد القواعد، تصحيح سيد جلال الدين آشتياني، انجمن اسلامي حكمت وفلسفه ايران، ١٣٦٠هـ. ش.
- ابن سينا - الإشارات والتنبيهات، دفتر نشر كتاب.
- رسائل، تصحيح ميكائيل بن يحيى المهرني، لندن، ١٨٨٩م.

- رسالة أضحوية في أمر المعاد، دار الفكر العربي، تصحيح سليمان دنيا.
- الشفا، انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي.
- المبدأ والمعاد، به اهتمام عبد الله نوراني.
- النجاة، انتشارات مرتضوى، ١٣٦٤هـ. ش.
- ابن سينا، أبو علي حسين بن عبد الله - نجات، چاپ دوم، مطبعة السعادة، القاهرة.
- ابن عربي، محيي الدين - الفتوحات المكية، إحياء التراث اليوناني العربي، بيروت.
- فصوص الحكم، تصحيح وتعليق أبوالعلا عفيفي، انتشارت الزهراء، ١٣٦٦ هـ.ش.
- أبو البقاء القاضي أيوب الكفوي - الكلّيات، تهران، ١٣١١هـ. ق.
- ابو داود، سليمان بن أشعث سجستاني - سنن أبو داود تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السُّنة النبوية، بي تا.
- ابراهيمي ديناني، غلامحسين - قواعد كلى فلسفى اسلامى، پژوهشكده علوم انسانى مطالعات فرهنگى، ١٣٨٠هـ. ش.
- ابن عربي، محيي الدين - الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى، ١٣٩٧هـ. ق.
- ابن حنبل، أحمد - مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ. ق.
- ابن نلیم، محمد بن إسحاق - الفهرست، ترجمة محمد رضا تجدد، انتشارات اساطير، تهران، ١٣٨١هـ. ش.
- أحسائي، محمد بن علي - عوالي اللئالي، تحقيق مجتبي عراقي، ١٤٠٤هـ. ق.
- اصفهاني، أبو منصور عبد المؤمن - ترجمه عوارف المعارف (شيخ شهاب الدين سهروردي)، باهتمام قاسم انصاري، شرکت انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٦٤.

- فصوص الحكم، تعليق أبو العلاء عفيفي، انتشارات الزهراء، ١٣٦٦هـ. ش.
- أفلوطين - أثولوجيا (أفلوطين عند العرب)، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار النهضة العربية، قاهره، ١٩٦٦م.
- افندي، ميرزا عبد الله اصفهاني - رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق سيد احمد حسيني، كتابخانه آيت الله مرعشي، قم، ١٤٠٦هـ. ق.
- أمين، سيد محسن - أعيان الشيعة، چاپ دوم، بيروت، ١٤٠٣هـ. ق.
- انصاري، خواجه عبد الله - شرح منزل السائرين، تصحيح على شيرواني، قم، ١٣٧٣هـ. ش.
- إيجي، قاضي عضد الدين - شرح المواقف، منشورات شريف رضي.
- بابا افضل كاشاني - مصنفات، به اهتمام يحيى مهدوي، تهران، ١٣٣١هـ. ش.
- بحراني، ميثم بن علي - قواعد المرام في علم الكلام، كتابخانه آيت الله مرعشي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري، نشر مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ. ق.
- پژوهنده، محمد تقی - فهرست نسخ خطي كتابخانه مجلس، تهران، ١٣٤٥هـ. ش.
- بلخي رومي، جلال الدين محمد - مثنوى معنوي، تصحيح محمد رمضان، كلاله خاور.
- البيضاوي، ناصر الدين ابو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي - تفسير يضاوي، بيروت.
- نخعي، عبد القادر بن محمد - تقريب المرام في علم الكلام، مصر، چاپ سنگی.
- ترمذي، أبو هيسى - السنن، المكتبة الإسلامية، بيروت.
- تفتازاني، سعد الدين - شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمان عميرة، عالم الكتاب، بيروت، ١٤١٩هـ. ق.

- تفتازانی، مسعود بن عمر بن عبد الله - شرح المقاصد، انتشارات شریف رضی، قم، ۱۳۷۰هـ. ش.
- تنکابنی، میرزا محمد بن سلیمان - قصص العلماء، چاپ دوم، انتشارات علمیة اسلامية، تهران، ۱۳۶۴هـ. ش.
- جامی، عبد الرحمن بن أحمد - نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، تهران، ۱۳۷۰هـ. ش.
- جرجانی، علي بن محمد - التعريفات، انتشارات ناصر خسرو، تهران.
- جميل صليبا - المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني.
- جنابدي، سلطان محمد - بيان السعادة في مقامات العبادة، دانشگاه تهران.
- جهانگیری، محسن - محیی الدین بن عربی، انتشارات دانشگاه تهران، چاپ چهارم، ۱۳۷۵هـ. ش.
- جوزي، عبد الرحمان - زاد المسير، تحقيق محمد بن عبد الرحمان عبد الله، دار الفكر، ۱۴۰۷هـ. ق.
- حاجي خليفه جلبي، مصطفى بن عبد الله - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ۱۴۱۰هـ. ق.
- حاكم نيشابوري - المستدرک علی الصحیحین، به اشراف عبد الرحمان المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- حجتی، محمد باقر - فهرست کتابخانه دانشکده الهیات، انتشارات دانشگاه تهران، ۱۳۴۵هـ. ش.
- حرّ عاملی، شیخ محمد حسن - کلیات حدیث قدسی، انتشارات دهقان، ۱۳۶۶هـ. ش.
- أمل الآمل، تصحیح سید احمد حسینی، مطبعة الآداب، نجف، ۱۳۸۵هـ. ق.
- حسینی، ابو الفتح بن مخدوم - مفتاح الباب، تحقیق مهدی محقق، بنیاد پژوهشهای اسلامی آستان قدس.

- حلي، علامه أبو منصور - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ. ق.
- حنا الفاخوري - خليل الجر - تاريخ فلسفه در جهان اسلامي، ترجمه عبد محمد آيتي.
- خوانساري، ميرزا محمد باقر - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، قم، ١٣٩٢هـ. ق.
- دبيران كاتبى - علامه حلي - إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد، تصحيح محمد مشكوة.
- دهخدا، علي اكبر - لغت نامه، مؤسسه لغت نامه دهخدا، تهران، ١٣٧٧هـ. ش.
- رازي، فخر الدين - المباحث المشرقية، حيدر آباد.
- راغب اصفهاني - المفردات في غريب القرآن، انتشارات خدمات چاپي، ١٤٠٤هـ. ق.
- راوندي، قطب الدين - قصص الأنبياء، تحقيق غلا مرضا عرفانيان، انتشارات هادي، ١٣٧٦هـ. ش.
- سبزواري، حاج ملا هادي - شرح المنظومة، انتشارات دار العلم.
- شرح المنظومة، تصحيح حسن زاده آملی، نشر ناب.
- سمرقندي، محمد بن مسعود - تفسير عياشي، انتشارات علمية اسلامية، طهران.
- سهروردي، شهاب الدين - مجموعه مصنفات شيخ اشراق، مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگي.
- سيد بن طاووس - سعد السعود، نسخه کامپيوترى، برنامه معجم حديث شيعه.
- سبوطي، جلال الدين - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بيروت.

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، چاپ چهارم، مصر.
- الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الدر المنثور، ج ٦ (دوره ٦ جلدی)، مصر، افست مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٤ق..
- شبستري، شيخ محمود - گلشن راز، تصحيح صمد موحد، كتابخانه طهوري، ١٣٦٨هـ. ش.
- شيرازي، صدر الدين أسرار الآيات، تحقيق محمد خواجهوي، انجمن حکمت وفلسفه ايران، تهران، ١٣٦٠.
- الأسفار الأربعة، ج ٩، تصحيح، تحقيق ومقدمه دکتر رضا اکبريان، بنياد حکمت اسلامي صدر، چاپ اول، ١٣٨٢.
- أسرار الآيات، تحقيق محمد خواجهوي، انجمن حکمت وفلسفه ايران، تهران، ١٣٦٠.
- رسائل فلسفي، تصحيح سيد جلال الدين آشتياني، دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٦٢هـ. ش.
- رسالة الحشر، ترجمه وتصحيح محمد خواجهوي، انتشارات مولي.
- رسالة في الحدوث، تصحيح سيد حين موسويان، بنياد حکمت صدر، ١٣٧٨هـ. ش.
- شرح الهداية الأثرية، چاپ سنگي.
- عرشية، تصحيح غلامحسين آهني.
- الشواهد الربوبية، تصحيح، تحقيق ومقدمه دکتر مصطفى محقق داماد، بنياد حکمت اسلامي صدر، چاپ اول، ١٣٨٢.
- المبدأ والمعاد، تصحيح، تحقيق ومقدمه دکتر ذبيحي ودکتر شانظري، بنياد حکمت اسلامي صدر، چاپ اول، ١٣٨١.
- المظاهر الإلهية، تصحيح، تحقيق ومقدمه سيد محمد خامنه اي، بنياد حکمت اسلامي صدر، چاپ اول، ١٣٧٨.

- مفاتيح الغيب، تصحيح، تحقيق ومقدمه دكتور نجفقلي حبيبي، بنياد حكمت اسلامي صدر، چاپ اول، ۱۳۸۶.
- شيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم - المبدأ والمعاد، ترجمه حسيني اردكاني، به كوشش عبد الله نوراني، نشر دانشگاهي، تهران، ۱۳۶۳ هـ. ش.
- شيرازي، قطب الدين - شرح حكمة الإشراق، انتشارات بيدار.
- درة التاج، تصحيح محمد مشكوة، انتشارات حكمت، تهران، ۱۳۶۹ هـ. ش.
- شهرستاني، محمد - ملل ونحل، ترجمه صدر الدين تركه اصفهاني، چاپ اول.
- شيخ صدوق - التوحيد، مكتبة الصدوق، تهران.
- صدوقي سها، منوچهر - تاريخ حكما وعرفاي متأخر، انتشارات حكمت، چاپ اول، تابستان ۱۳۸۱.
- طباطبائي، سيد محمد حسين - الميزان في تفسير القرآن، مؤسسه مطبوعاتي اسماعيليان.
- طريحي، فخر الدين - مجمع البحرين، انتشارات مرتضوي، ۱۳۶۵ هـ. ش.
- طهراني، آغابزرگ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، چاپ اسلاميه، ۱۳۵۴ هـ. ش.
- طوسي، محمد بن حسن بن علي - التبيان في تفسير القرآن، مكتب الأعلام الإسلامي.
- قيصري رومي، محمد داود - شرح فصوص الحکم، به كوشش سيد جلال الدين آشتياني، تهران، ۱۳۷۵ هـ. ش.
- عسكري، أبي هلال - الفروق اللغوية، مؤسسه نشر اسلامي، ۱۴۱۲ هـ. ق.
- عطار، فريد الدين - منطق الطير، تصحيح محمد جواد مشكور.
- غالب دهلوي - ديوان غالب دهلوي، به اهتمام محسن كيني، انتشارات روزنه، ۱۳۷۶ هـ. ش.

- غزالي، محمد - كيمياي سعادت، كتابخانه و چاپخانه مركزي، ۱۳۳۳هـ. ش.
- فارابي - سياسات مدنية، ترجمه سيد جعفر سجادي، تهران، ۱۳۵۸هـ. ش.
- فناري، محمد بن حمزه - مصباح الأنس، تصحيح محمد خواجوي، انتشارات مولى، ۱۳۷۴هـ. ش.
- فياض لاهيجي، عبد الرزاق - گوهر مراد، تصحيح زين العابدين قرباني، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.
- فيض كاشاني - «أصول المعارف»، تحقيق سيد جلال الدين آشتياني، دفتر تبليغات اسلامي قم.
- كلمات مكنونه، تهران، بيتا.
- قبادياني، ناصر خسرو - جامع الحمكنين، تهران، ۱۳۲۲هـ. ش.
- مجموعه آثار، برلين، ۱۳۴۱.
- قمي، علي بن ابراهيم - تفسير قمي، تصحيح سيد طيب موسوي جزائري، انتشارات نجف.
- قيصري، داود - شرح فصوص الحكم (مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم)، تحقيق دار الاعتصام، انوار الهدى، ۱۴۱۶هـ. ق.
- كاشاني، ملا فتح الله - منهج الصادقين في الزام المخالفين، كتابفروشي اسلامي.
- كرين، هانري - ملاصدرا فيلسوف و متفكر بزرگ اسلامي، ترجمه ذبيح الله منصوري، انتشارات پجاويدان، ۱۳۶۱هـ. ش.
- كليني، ثقة الإسلام - كافي، تصحيح علي اكبر غفاري، دار الكتب الاسلامية، ۱۳۶۷هـ. ش.
- كليني، محمد بن يعقوب - اصول كافي، كتاب توحيد، انتشارات علميه، تهران.
- أصول الكافي، ۲ ج. تصحيح علي اكبر غفاري، مكتبة الصدوق، تهران، ۱۳۸۱..

- كليني، شيخ يعقوب - أصول كافي، ٢ ج، تصحيح على اكبر غفاري، مكتبة الصدوق، تهران، ١٣٨١.
- كليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق - أصول كافي، انتشارات علمية إسلامية.
- لاهيجي، شمس الدين محمد - شرح گلشن راز، تصحيح محمد رضا برزگر، انتشارات زوار، ١٣٧٨ هـ. ش.
- لاهيجي، عبد الرزاق - شوارق الإلهام، طهران، انتشارات شيخ رضا كتاب فروش.
- لنگرودي، ملاجعفر - شرح رسالة المشاعر، تصحيح جلال الدين آشتياني، انتشارات امير كبير، ١٣٧٦ هـ. ش.
- مجلسي، علامه محمد باقر - بحار الأنوار، چاپ دوم، مكتبة الإسلامية، تهران، ١٣٦٥.
- مجلسي، محمد باقر - بحار الأنوار نشر دار الكتب الإسلامية، ج ٩٣، چاپ پنجم، ١٣٨٢ هـ. ش.
- بحار الأنوار، چاپ دوم [الطبعة الثانية]، المكتبة الإسلامية، تهران، ١٣٦٥.
- مجلسي، علامه محمد باقر - بحار الأنوار، انتشارات إسلامية، تهران، ١٣٦٥ هـ. ش.
- محمد شريف نظام الدين احمد بن هروي - أنوارية، انتشارات امير كبير.
- مدرس تبريزي، محمد علي - ریحانة الأدب، چاپ دوم، چاپخانه شفق، تبریز، بی تا.
- مدرس طهرانی، آقا علي - رسالة سبيل الرشاد في علم المعاد (مجموعة مصنفات آقا علي مدرس طهراني)، تحقيق محسن كديور.
- مدرس، محمد علي - ریحانة الأدب، ج سوم، کتابفروشی خیام.

- مسعودي - التنبيه والأشراف، القاهرة، ١٣٥٧هـ. ق.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، باهتمام وتنظيم عديّی از خاورشناسان، ی. بروخمان لیدن، ١٩٦٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث الكتب الأربعة، ج ١١.
- مطهری، مرتضی - معاد، انتشارات صدرا، ١٣٧٣هـ. ش.
- مولای، مهدي - فهرست كتب خطی کتابخانه آستان قدس رضوي، انتشارات کتابخانه آستان قدس رضوي، ١٣٦٤هـ. ش.
- مير داماد - القيسات، به اهتمام مهدي محقق، دانشگاه تهران، ١٣٦٧هـ. ش.
- نير، محمد تقی - آتشکده آذر، کتابخانه فردوسي، تبریز، ١٣٦٤هـ. ش.
- يثربى، سيد يحيى - عرفان نظري، دفتر تبليغات اسلامي قم، ١٣٧٧هـ. ش.

* * *

المحتويات

رسالة في حشر الأشياء

تحقيق وتقديم

الدكتور سعيد نظري توكلي

المقدمة	٧
أسلوب تصحيح نص الرسالة	١١
تقرير انتقادي حول مطالب الكتاب	١٩
مقدمة الرسالة	٢٢
الفصل الأول حشر العقول	٢٧
الفصل الثاني حشر النفوس: حشر النفوس الإنسانية	٤٩
الفصل الثالث: حشر النفوس الحيوانية	٦٣
الفصل الرابع: حشر القوة النباتية	٦٨
الفصل الخامس: حشر الجمادات	٧٠
الفصل السادس: التأكيد على المباحث السابقة	٧٣
الفصل السابع: معاد الهيولى الأولى والأجسام المادية وغاية الشر	
والشيطان	٧٤

دراسة محتوى مواضيع هذا الفصل	٧٥
الفصل الثامن: مزية أسلوب صدر المتألهين لإثبات معاد الموجودات	٨٠
الخاتمة	١١٢
حشر الأشياء	١١٥
[المقدمة]	١١٧
الفصل الأول: في حشر العقول الخالصة إلى الله وفنائها عن ذواتها وبقائها ببقاء الله بوجوه من البراهين	١٢١
الفصل الثاني: في حشر النفوس الناطقة إلى الله تعالى	١٣١
الفصل الثالث: في حشر النفوس الحيوانية	١٣٥
الفصل الرابع: في حشر قوّة النبات وغيرها من طبائع الأجساد	١٤١
الفصل الخامس: في حشر الجماد والعناصر	١٤٦
الفصل السادس: في تأييد ما ذكرناه وتأكيد ما قرّرناه من عود هذه الحسّيات الطّبيعية المتجدّدة الكائنة الفاسدة إلى دار أخرى باقية	١٥٧
الفصل السابع: في معاد الهيولى الأولى والأجسام المادّية والإشارة إلى هاية الأشرار والشّياطين	١٦٦
الفصل الثامن: في التّنبه على شرف هذا المنهج الّذي نهجناه في إثبات المعاد لجميع الموجودات حتّى العناصر والجماد	١٦٩
ختم ووصيّة	١٧٣
المقدمة	١٨٣
الحشرية	١٨٧
فصل [١]: في أنّ هدايا القبر حق بقول مجمل	١٨٩

فصل [٢]: في الإشارة إلى حقيقة الحشر	١٩١
فصل [٣]: في الإشارة إلى الصراط	١٩٤
فصل [٤]: في الإشارة إلى كيفية وزن الأعمال وذكر الميزان	١٩٧
فصل [٥]: في الإشارة إلى صحائف الأعمال وكرام الكائنين ونزول الملائكة على الأخيار ونزول الشياطين على الأشرار	٢٠٠
فصل [٦]: في الإشارة إلى طبقات أهل الحساب	٢٠٦
فصل [٧]: في ذكر أصناف الخلائق يوم الآخرة وذكر الجنة والنار بوجه سرّي	٢٠٨
فصل [٨]: في الإشارة إلى خازن الجنة وخازن الجحيم وكيفية وصول الخلق إلى الفطرة الأصلية التي لهم في النشأة الأولى لحصول التطابق التعاكسي بين النشأتين	٢١٣
فصل [٩]: في الإشارة إلى حالات يحدث يوم القيامة وإلى وقوف الخلق في العرصات	٢١٨

رسالة في خلق الأعمال

تحقيق وتقديم

الدكتور مهدي دهباشي

المقدمة	٢٢٣
أسلوب التصحيح وتعريف المخطوطات	٢٣٨
خلق الأعمال	٢٤٥
تمثيل	٢٥٧

رسالة في القضاء والقدر

تحقيق وتقديم

الدكتور مهدي دهباشي

القضاء والقدر	٢٦٣
[المقدمة]	٢٦٥
الفصل الأول: في معنى العناية والقضاء والقدر	٢٦٧
الفصل الثاني: في محل القضاء ومحل القدر	٢٦٩
تكميل	٢٧٣
وهم وإزاحة	٢٧٤
تنبيه وتمثيل	٢٨٢
الفصل الثالث: في أنّ العالم مخلوق على أجود النظمات وأتمّ	
الأوضاع، لا يتصوّر فوق نظامه نظام في الجودة والفضل	٢٨٥
تنبيه	٢٩٧
الفصل الرابع: في كيفية دخول الشرّ في القضاء الإلهي	٣٠٨
أوهام وتنبيهات	٣١٥
مجادلة كلامية وذنابة برهانية	٣٢٢
بحث وتحقيق	٣٣٠
الفصل الخامس: في كيفية الأفعال الاختيارية الواقعة فينا بالاختيار وكون	
الإنسان مضطراً في عين الاختيار	٣٤٩
الفصل السادس: في فائدة الطاعات وتأثير الدعاء في إنجاح المهمات ..	٣٦٥

وهم وإزاحة	٣٦٧
تنبيه	٣٦٩
كلام تحصيلي في لمية وجود الدّعوات المستجابة والعقوبات السّماوية	٣٧٢
تبصرة	٣٨٢
تأييد	٤٠٠
الهداية	٤٠٠
هداية	٤٠٠
تبصرة	٤٠٧
خانمة في بيان سريان الذّكر والتّسبيح في جميع الموجودات حتّى	
الجمادات والنّباتات على طريقتي الحكمة النّظرية والحكمة المتعالية	٤١١
تمثيل وإشارة	٤١٣
إكمال	٤١٥

المعاد الجسماني

تحقيق وتقديم

الدكتور كاظم مدير شانه جي

المقدمة	٤٢١
نظرية صدر المتألهين	٤٢٦
كلام حول أصل ونسخ هذا الكتاب	٤٢٦
ملاحظة المراجع	٤٣١

٤٣٣	(١) حشر الأشياء أو معاد الأشياء
٤٣٤	(٢) حشر العقول وبراهينهم
٤٣٨	(٣) حشر النفوس الحيوانية
٤٣٩	(٤) حشر النفوس النباتية و(٥) حشر الجمادات
٤٣٩	(٦) معاد الهيولى الأولى والأجسام المادية
٤٤١	المعاد الجسماني
٤٤٧	المعاد الجسماني (التحرير الأول)
٤٤٩	بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقني
٤٦١	المعاد الجسماني (التحرير الثاني)

الفهارس العامة

٤٧١	فهرس الآيات القرآنية
٤٨٧	فهرس الأحاديث الشريفة
٤٩٠	فهرس المذاهب والملل
٤٩١	فهرس الأعلام والمؤلفات
٤٩٣	فهرس الأشخاص والأماكن
٤٩٤	فهرس الكتب
٤٩٥	فهرس المصطلحات
٥٠٣	فهرس مصادر التحقيق
٥١٣	المحتويات